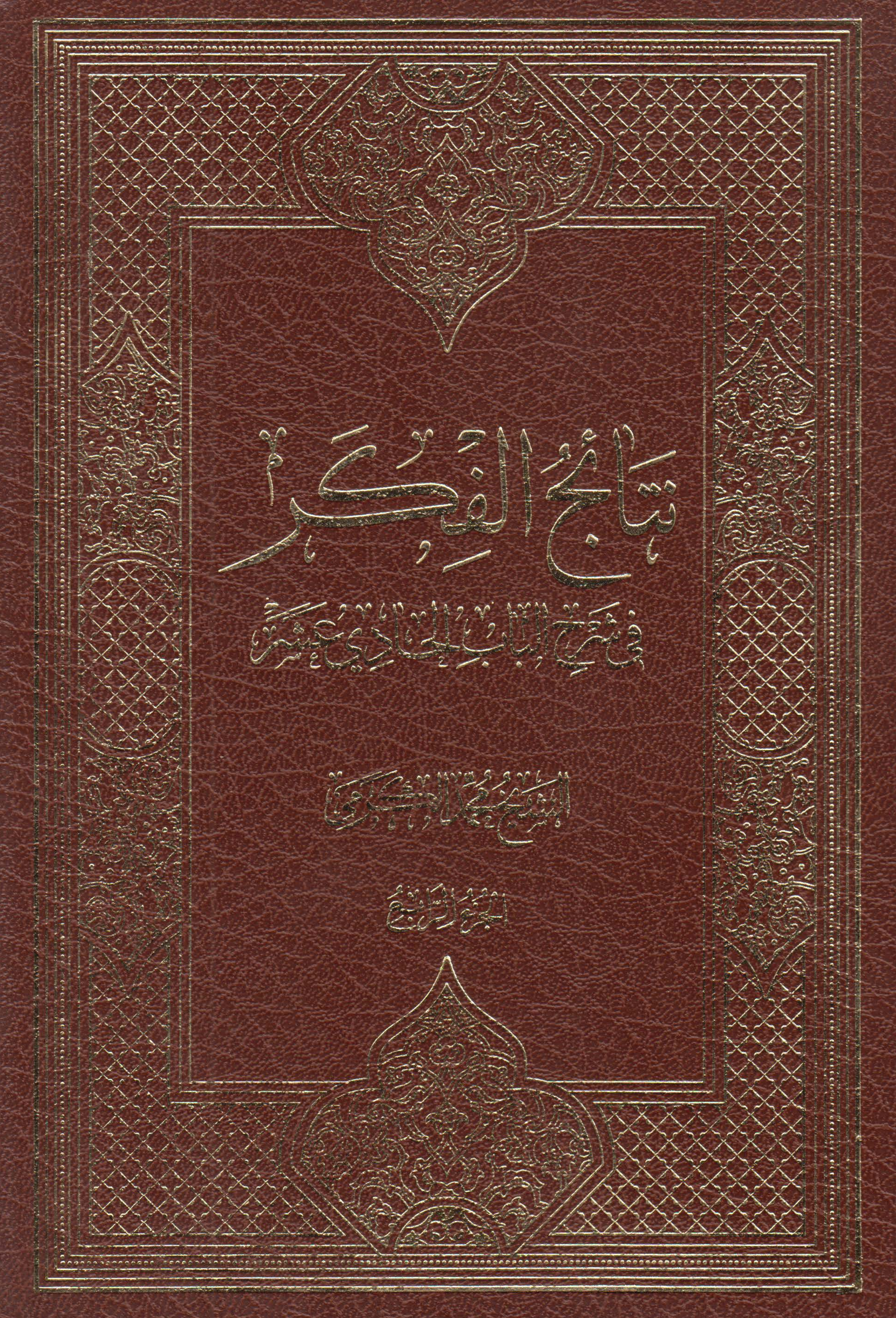

نتائج الفكر
في شرح الباب الحادي عشر
الشيخ محمد العسكري
الجزء الرابع



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

نتائج الفكر

في شرح الباب الحادي عشر

القسم الرابع

تأليف خادم الشرع المقدّس
الشيخ محمّد الكرمي ﴿قدّس سرّه﴾
١٣٤٠ ـ ١٤٢٣ هـ

هوية الكتاب

الكتاب .... نتائج الفكر فى شرح الباب الحادى عشر / الجزء الرابع

المؤلف.............................. الشيخ محمد الكرمى

الناشر .... مهدى يار

تاريخ النشر........................ ۱۴۲۷ هـ - ۲۰۰۶ م

الطبعة............................. الاولى

تعداد النسخ ۱۰۰۰

المطبعة .... محمد

شابک: ۰ - ۸۱ - ۷۶۴۳ - ۹۶۴ ISBN 964 - 7643 - 81 - 0

يتكفّل هذا الكتاب البحث عن اثبات الصانع ؛ ونقد أقوال الماديّين الشرقيّين والغربيّين في كلّ اصولهم المؤسّسة لتشييد مباني الطبيعة ؛ والبحث عمّا يجب للصانع وما لا يجوز عليه ؛ وعن النبوّات العامّة والخاصّة ؛ وعن الإمامة والمعاد الجسماني .

محمّد الكرمي



وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

أمّا بعد فهذا هو القسم الرابع من سلسلة نتائج الفكر في شرح الباب الحادي عشر وهو يتكفل البحث عن الامامة مبسوطاً وعن المعاد موجزاً نقدمه للقراء الكرام راجين منهم دقة النظر في مباحثه ومن الله سبحانه القبول والأجر فإنّه ولي ذلك وبختام هذا القسم تنتهي هذه السلسلة المباركة... والحمد لله...

مدخل مباحث الإمامة

نحن من جهة النبوة والامامة منسوبين لله تعالى من ناحية وللعباد من ناحية ثانية بين نظرتين نظرة إلى هذين الموضوعين من الوجهة العقلية واُخرى إلى الجهة الخارجية ـ فأمّا من حيث النظرة الأُولى ـ فكون هذا الخلق المنبسط على وجه الأرض بهذه الهوية التي نلمسها بحواسنا من تراكم الانحرافات الكثيرة فيه وانسياقه إلى أهداف خاطئة أثرها بنظر جملي تنوع المفاسد المنتشرة على وجه الأرض وفي طول خط الحياة ومن أوّل بزوغه على هذا المحيط الذي نشهده إلى الآن وإلى ما بعد، وتأثير وجود المصلحين العاملين في تقليلها، وعدمهم أو عقمهم في استشرائها وانتشارها ـ في حاجة ـ إلى تحديد وضعه وتنظيم حياته وضبط حركاته وسكناته حتى تستوي به معاني الوجود وتعتدل باعتداله جنبات الأرض، مما لا إشكال فيه ولا ريب.

كما لا شبهة انّ المبدأ لهذا التحديد ومن إليه هذا التنظيم والقائم بضبط الشؤون لا يجوز أن يكون واحداً من اولى تلك الهويات الموعز اليها لأنّ الجبلة التي فيه جبلة مشتركة بينه وبين سائر الأفراد وان اختلفت شدة وضعفاً في انتاجها السيء والحسن بل لابد وأن يكون هذا المبدأ هو الله سبحانه المأخوذ في هويته كل كمال والمنزه عن كل نقص وعيب بالمنطق الخالص من كل شوب ـ كما سلف البحث عنه في الحلقة الأُولى ـ لكن بما انّ اجراء هذه العملية يحتاج إلى واسطة تقوم بتنفيذ هذا الاصلاح ولها سنخية تامة فيمن يراد التنفيذ فيهم ارشاداً وتعليماً لا قسراً وتكويناً كان من الضروري ـ حسب ايقاع المقارنة بين المجردات

والماديات ـ انتخاب الله سبحانه لانسان يتعهد باجراء هذه العملية على الوجه الذي يراد منه وعلى الطريقة التي تبين له.

وهذا الإنسان هو الذي يقال له نبي أو رسول، وعلى مقربة من هذا الملاك من يقال له إمام، فالى هنا لا يتوقف العقل عن الحكم الصارم دائماً بلزوم مصلح للجامعة يستمر وجوده باستمرار وجودها حتى يتسنى للجامعة أن تسير بنظام وان تحيى كما هو شرط الحياة وان تدرج على مدرجة الوجود بما تستحق أن يقال عنها انها دارجة على هذه المدرجة باعتدال لا تشكو العقلاء منها ناحية ولا تطعن فيها بمغمز.

وأمّا من حيث النظرة الثانية:

فاننا بالشهود المحسوس لن نرى سلاسل الأنبياء في طول بعضهم لبعض وفي عرض بعضهم لبعض أيضاً اقترنت أُولى حلقاتها بأوّل موجود طلع على هذا الوجود واسترسلت إلى منتهى حياة محمّد ﷺ ولكننا لانستار التاريخ علينا لا نعلم هل اقترن وجود اللاحق بموت السابق أو كانت هناك فواصل قليلة لا يعتد بها أو طويلة تستغرق زماناً ليس بالقليل وهل في هذه الفترات الطويلة على فرض حصولها كان لهم نواب أخصاء يقومون مقامهم أم لا؟ غير انّ عقولنا التي مهدت لنا طريق لزوم بعثة الرسل تجبرنا على الاعتراف بأنّ ذلك كان قطعاً ـ من جهة الله سبحانه لحفظ جامعة المكلفين ولاتمام الحجة منه على الناس أجمعين لكن العباد قد يكونوا هم الذين يجابهون هذا الاحسان من خالقهم بالرد القبيح فتنستر تعاليم الحجة بمشاغبتهم اياه وطردهم له بالعناد والمقاومة العنيفة.

لا يقال: ما الداعي إلى ترابط سلاسل الأنبياء مستمراً فإنّه يكفي أن يكون في رأس الجامعة مصلح ذو نظام متقن عام الدعوة تنطبق برامج دعوته على كافة الأجيال بما اخذ فيها من ملاكات واسعة وقواعد عامة وتشريع مفصل يكفي كافة

الناس في كافة أجيالهم.

لأنّا نقول: انّ تصوير ذلك ممكن لنفس السنن التي تسن وللنظامات التي تنظم ولكن القلوب والعقول في البشر مرتهنة بحواسها الظاهرية فإنّ الإنسان قد يسمع سلسلة حقائق من خطيب مفوه عالم لكنه يجده في مرحلة العمل على طرف نقيض هو وما يقول ويرسله من حقيقة ـ والحق انّه لا ربط لما يقوله من حقيقة بما يعمله من سخف وباطل ـ لكن مع ذلك كله نراه لا يعبأ بالحق الذي يعترف به قلبه لأنّه سمعه من انسان لم يتأثر به قدر أنملة فهو بمعاينته لهذا التعاكس بين لسان الخطيب وجوارحه العاملة تنقلب به جنبة اليقين بأقواله إلى الشك فيها بأنّ هذه المسموعات التي ارتهنها الواقع بحسب النظر لو كانت حقة من جميع جهاتها لأثرت على هذا المندفع بها بتحمس الذي أطال التفكير فيها والتدرب عليها ومع ذلك لم ينصر بها فهي إذاً أكاذيب عند التحليل وان كنت أنا لم أدرك جهة عيبها ونقطة الضعف فيها ـ هكذا يقول السامع لنفسه ـ ولذلك نراه في مرة ثانية وثالثة لا يعود وحتى لاستماع كلمة ولو كان مضمونها انّ الواحد نصف الاثنين ـ هذه الحقيقة لا يتداخلها الريب من أي جهة ـ فضلاً عن العمل بما يقوله ويحث عليه.

وهذا الذي صورناه من مغروسات طبيعة الناس أجمعين فلا تكاد الموعظة تستقر في نفس انسان بل في مشاعره إذا لم تصدر من متعظ عامل شديد اللصوق بأقواله ومعتقداته عملاً وصراحة فعل وهذا ما لا يكون في الإنسان الدارج وإنّما يحصل في الإنسان المعصوم فقط؛ لهذا فالبرنامج وحده لا قيمة له ولا ينتفع به أقل انسان إلّا ان يمثله قائم به متلبس بجميع مضامينه شافع لأقواله بأفعاله صريح لا يعرف المداهنة ولا تعلق منه بطرف لا خفي ولا جلي كما هي سيرة الأنبياء والأئمّة المعصومين وإلّا فما أكثر العلماء في كل الأجيال لكن بما انّ الخارج قد يعثر عليهم بشيء يستنكره البرنامج الذي حرروه وقرروه لذلك

يتركهم لأوّل بادرة تبدر منهم على انّ الحق الذي صارحوا به لا مغمز فيه وإنّما الغمز والهمز إن حصلا ففي أعمالهم الشخصية فقط سوى ان اصدار القول وحده ولو كان آخذاً بمحز الواقع لا قيمة له أصلاً ما لم يشفعه العمل المطابق، بل الزائد عليه في التورع والاحتياط كما ذكر مصداق ذلك الأنبياء والرسل الكرام والأئمّة المعصومين عليهم السلام فبعد بسط هذه المقدمات ثبت من طريق العقول بجهار وصراحة انّ وجود المصلح المعصوم من اللطف اللازم على الله لاصلاح عباده واتمام الحجة عليهم.

سنّ النظام لأي جامعة تفرض مربوط باستعدادها

ثمّ لا شبهة انّ تنظيم النظام لأي جامعة تفرض يلزم أن يلحظ فيه استعدادها للمشي عليه ولذلك لم يكن تشريع النظم في الصدر الأوّل من خلقة البشر مثل التشريع الذي قام به الله سبحانه للقرون الوسطى وهكذا لم تكن تشريعات القرون الوسطى كالتشريعات التي رأيناها في دين الإسلام كما وانّ الحالة في التشريع الاسلامي بين ما قبل الهجرة إلى المدينة وما بعدها مختلفة متفاوتة لأنّ الطور الذي كان عليه المسلمون قبل الهجرة ليس في قابليته أن يمضع ما مضغته أدوار ما بعد الهجرة.

ثمّ لا شبهة أيضاً انّ الأجيال المترامية التي كلّف الله بتنظيمها محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أجيال سبق علمها لعلم الله تعالى انها سيكون من وضعها تضخم مشاعر أهلها وتدرب عقول أبناءها وتوسع قابليات الخير والشر فيها وانها إذا عدمت الراعي اللائق الذي يجد بها السير على مدارج الخير تنكفأ إلى جانب الشرور بألوان مستغربة انصافاً كما نجد ذلك بالفعل عياناً فإنّ أنواع الحيل والشعبذات وأعمال الميول الباطلة والتزويرات المكذوبة والتدليسات المموهة التي تستخدم لانجاز

الرغائب النفسية في هذه العصور لم يكن عشر من معشارها في أزمنة بني اسرائيل وما قبلها وما بعدها وحتى في البيئة التي عاش فيها محمّد ﷺ فمثل هذه العصور وما كان على مقربة منها يلزم أن يكون لها راع يسانخ وضعها في كل جنباته بلا استثناء إلّا ما كان فيها من منازع الباطل وروحياته .

فإن قلتَ : ألا تكفي النظم الإسلامية بعناوينها الواسعة من أولية وثانوية لتعديل جنبات هذه الأجيال ولو طال بها الزمان سيراً بعد فوت نبيها محمّد ﷺ ؟

قلنا : نفس النظام كما أسلفنا ليست به قوة لتمشية الأجيال على الوزن المطلوب وإنّما القوة للداعي إليه القائم به قيام تبليغ عملي ورعاية صارمة ليس فيها غش ولا تدليس ولا مراعاة دنيا وإلّا فالنظام المحمدي كما كان في عهد محمّد كان في عهد يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد والأمين بن الزبيدة وهلم دواليك فلم كان النظام المومأ إليه في عهد محمّد معمولاً به في عامة الطبقات وفي عهد يزيد ونظرائه لم يعمل به إلّا من يخاف الله خيفة وجدانية فقط وكم من فرق جلي بين الوضعين والحالين . وقد قالت عائشة لما بلغها قتل علي : لتصنع العرب ما شاءت فليس لها أحد ينهاها[١]، في حال انّ النظام الذي أجراه علي كان موجوداً قبل استخلافه وبقي موجوداً بعده فلو كان النظام وحده كافياً في تمشية الأُمّة لما تأسفت عائشة لفقد علي ، على ما كان في نفسها عليه من بليغ الحقد والعداوة ولكن وضع علي الجبار في لاهوتيته وصرامته الحقة الجأها إلى أن تقول فيه بعض ما تعرف من حقه .

وفضلاً عن انّ النظام وحده لا قيمة له إذا بعد عنه مجريه الصحيح العمل الثقيل

---

(١) الاستيعاب : ج ٣ ص ٥٧ في ترجمة علي .

الكفة والعيار في الجنبة الدينية نراه في حاجة ماسة إلى مفسر وموضح ومبيّن ومفصل له علقته الخاصة بالله سبحانه وهي التي تكفل له تأييداته وتحوطه بمزيد رعاياته وعناياته وامّا توضيح وتفسير وتبيين من لم تكن له هذه العلقة الخاصة ممن يدعي له العلم فذلك في النقاط الحساسة مبعوث عن أهواء نفسانية بطور قاطع وما أكثر النقاط التي تقترن بخصوصيات الإنسان ولها مساس بأهوائه.

وأمّا في النقاط البعيدة عن الغرض الشخصي فهي على انها قليلة في جنب الطائفة الأُولى قد لا تتركز على فهم صحيح وانتقاد راجح وبضاعة علمية قيّمة فإنّه ليس كلّ من تصدر للبيان والتفصيل وحل المشكلات والافتاء كان أهلاً لما تصدر له وان زوى دنيا المعلومات كلها لنفسه، فمن القسم الأوّل الذي يتعذر على كل كاتب احصاؤه إذ لا تحديد في الأهواء كما لا تحديد لأفراد الناس، ما يرويه أحمد بن حنبل [١] عن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال رسول الله: تقتله الفئة الباغية، فقام عمرو بن العاص فزعاً يرجع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك ؟ قال: قتل عمار، فقال معاوية: قد قتل عمار فماذا ؟ قال عمرو: سمعت رسول الله يقول: تقتله الفئة الباغية، فقال له معاوية: دحضت في بولك أو نحن قتلناه، إنّما قتله علي وأصحابه جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال بين سيوفنا.

ولا شبهة انّ معاوية لو كان في موقف انسان حيادي لما نطق بهذه الكلمة ولما فسّر هذا الحديث بهذا التفسير المفضوح فإنّ من الواضحات التي لا تنكر انّ عماراً إنّما قتله معاوية وأصحابه فهم إذاً الفئة الباغية ولكن معاوية أصرّ على

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ١٩٩.

تعمية المطلب ـ على انّه لا مجال للتعمية فيه ـ حتى لا تختل جبهته ولا يتزلزل ركنه فيا بقيا على نظام رسول الله وتشريع الله سبحانه إذا كان القائم بهما والمفسر لمشكلاتهما والموضح لما استغلق من معانيهما معاوية ونظير معاوية. وأبناء التسنن ينظرونه بهذا النظر.

انظر حدّ الأقل ما يعنونه ابن حجر في اصابته من ترجمة معاوية حيث يقول: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين إلى آخر ما ذكره في حقه من تجليل وتبجيل. ثمّ هذا ابن حجر نفسه يعنون علي بن أبي طالب في اصابته بقوله: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن. ولا يقول أمير المؤمنين كما قال في حق معاوية، في حال انّه كم من فاصلة بعيدة بين الرجلين بل الفاصلة بينهما بضرس قاطع هي الفاصلة بين الشياطين والملائكة، فانظر واعجب. هذا وانّ ابن حجر يعد من حفاظ الأُمّة ومن القوام على شريعة محمّد والضابطين لنظامه والحافظين لكيان شريعته، إذاً فما أحقه بقول من قال:

ففري عن رحالك ثمّ قولي　　　على الإسلام والعرب السلام

وانّ مما يشهد بزندقة معاوية من هذا الخبر الذي سقناه عن مسند أحمد قوله فيه: قد قتل عمار فماذا؟ مما يعرب بصراحة عن استخفافه واسترذاله لعمار ولقتله وعده ذلك من الخرافات. ولا بدع في ذلك لا منه ولا من أبيه ولا بنيه وذويه فاما هو وأبوه فقد كانا من المؤلفة قلوبهم [1]، قال أبو عمرو الشيباني: أعطى رسول الله جماعة من أشراف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على

(١) انظر حد الأقل: ج ١٣ من الأغاني، ص ١٢٧.

الإسلام فأعطى كل رجل من هؤلاء النفر وهم أبو سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن امية والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس مأة مأة من الابل.

وانظر حد الأقل [١] عن عبد الله بن الزبير قال: لما كان يوم اليرموك خلفني أبي فأخذت فرساً له وخرجت فرأيت جماعة فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفت معهم فكانت الروم إذ هزمت المسلمين قال أبو سفيان ايه بني الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

فلما فتح الله على المسلمين حدثت أبي، فقال: قاتله الله يأبى إلّا نفاقاً أولسنا خيراً له من بني الأصفر، ثمّ كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله يقول حدثهم فأحدثهم فيعجبون من نفاقه.

وذكر بسنده قال: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كفّ بصره فقال: هل علينا من عين؟ فقال له عثمان: لا، قال: يا عثمان انّ أمر أمر عالية والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بني امية، وذكر أيضاً بسنده قال: جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أبا الحسن ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها، فوالله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلاً ورجلاً، فقال له علي: يا أبا سفيان طالما عاديت الله ورسوله والمسلمين فما ضرهم ذلك شيئاً.

واسند عن الرياشي قال: أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لما ولي

---

(١) الأغاني: ج ٦ ص ٢٠٠.

ابو بكر قال:

وأضحت قريش بعد عز ومنعة خضوعاً لتيم لا بضرب القواضب
فيالهف نفسي للذي ظفرت به وما زال منها فائزاً بالرغائب

وذكر أيضاً بسنده قال: لما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني امية انّ الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمع فيها وقد صارت اليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار ـ هذا أو نحوه ـ فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل. ولأبي سفيان أخبار من هذا الجنس ونحوه كثيرة يطول ذكرها وفيما ذكرت منها مقنع ـ اهـ ملخصاً ـ. وللبحث بقية تأتي إن شاء الله تعالى.

ومن شواهد القسم الأوّل أيضاً ما عن أبي جعفر الاسكافي قال: روى الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثمّ ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق أتزعمون اني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: انّ لكل نبي حرماً وانّ حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، واشهد بالله انّ علياً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه امارة المدينة. فهذا التوضيح لمادة الحديث من أبي هريرة كم ترى له من العلاقات القوية بأهوائه النفسانية.

ومن ذلك أيضاً ما عن أبي جعفر الأسكافي قال: وقد روى انّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مأة ألف درهم حتى يروي انّ هذه الآية نزلت في علي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۞

وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ ، وانّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ فلم يقبل ، فبذل له مأتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك .

وهذا التوضيح أيضاً معزواً للنبي ﷺ في تفسير آي الكتاب العزيز من طريق سمرة بن جندب كم ترى له من الدواعي الشهوية والبواعث النفسانية [١].

ما هو الاجتهاد الصحيح ومن هو المجتهد

واستعراض أمثال ما أسلفناه مما يطول بنا فعلاً فارجاؤه إلى محله اللازم له في هذه الحلقة أولى وأحسن .

وأمّا القسم الثاني وهو اظهار النظر وابداء الرأي وتحصيل النتيجة من الآثار والقواعد المضروبة من الشارع فهو في حاجة إلى مقدمات ضرورية إذا تخلفت مقدمة منها عقم الانتاج وبطل الاجتهاد .

١ ـ أن يكون من أهل المزاولة التامة للفن الذي يريد ابداء نظره في مسائله وفرعياته بحيث يعده أهل الفن من أهل اللصوق به والممارسة التامة له والاحاطة الواسعة فيه .

٢ ـ أن يكون مسبوقاً بآلات فنّه اللصيق به عارفاً بمقدماته واقفاً على الطرق التي تؤدي إليه ملتفتاً إلى مظان ما يتوقف من فنّه عليه .

٣ ـ أن يكون ذا عقل ونباهة بحيث يدرك انّ ما يطبقه من القاعدة على المصداق في محله الصحيح لا أن يعرف الوصف ويجيد نعته ويخطأ في تطبيقه

---

(١) انظر لهذين الحديثين ج ١ ص ٣٥٩ و ٣٦١ من الشرح الحديدي.

على موصوفه .

فهذه المقدمات الثلاث هي الحد الأقل فيما يؤخذ في معنى الاجتهاد لأي مجتهد يفرض ، لا أن تساق كلمة الاجتهاد للأعراب الجفاة الذين رأوا النبي وحفظوا عنه حديثين أو ثلاثة أو حفظوا من الكتاب عدة آيات أو سور أو حفظوه كله من دون تفهم لمعناه وعرض لبعضه على بعض ومقارنة مضامينه لما ورد من السنة في موضوعه ، وأمّا تخيل الإنسان انّ ما يؤدي إليه نظره هو وظيفته الشرعية فإن أصاب فهو مأجور بأجر واسع وان أخطأ فهو فضلاً عن كونه معذوراً مأجور بأجر واحد فذلك ما يصير كافة أفراد البشر مجتهدين فهم مأجورون بأسرهم حتى مع فرض خطأهم ، ولا فرق حينئذ بين ملحد وموحد وعاصي ومطيع إلى غير ذلك .

وهذا الخطأ من أبناء العامة في وزنهم للاجتهاد خطأ مفضوح جداً لا يجوز صدوره عن الأطفال ولكنهم ارتكبوه من صدر الإسلام وصححوه لكل انسان مسلم خصوصاً إذا كان منسوباً إلى الصحبة ولو من طريق أخبار الآحاد أو في التابعين وأتباعهم أو فيمن له هوى في أشياخهم وخلفائهم . وما انقطعوا عن اللهجة به أصلاً نعم حرموا اطلاقه بعد تمام ائمتهم الأربعة على أي انسان يفرض ولو كان فحلاً ضليعاً قد تهيأت له وسائل الاجتهاد بصحة .

إذاً فمن أعجب العجب أن تكون أفعال خالد بن الوليد كلها من قتله المسلمين الأبرياء ونكاحه ذوات العدد و ... عن اجتهاد يؤجر في الصائب منها عشراً وفي المنحرف عن الواقع منها واحداً ، في حال انّه عامي جاهل لا يعرف معنى الاجتهاد وما هي وظائفه الشرعية من حلال وحرام سوى ما يحيط به خبرة من مسائل سائرة بين عوام المسلمين ويلجأ فطاحل العلماء المتأخرين عن زمن الأئمّة الأربعة على الانقياد لاجتهادات واحد منهم وليس به قدرة على أن ينبس

بكلمة خلاف وأن يقيم نفسه مقام واحد من الأربعة المشار اليهم في حال انّ كثيراً ممن تأخر عن أئمتهم أفضل منهم علماً وأتقن صنعة وأعرف بالميزان العلمي وقواعده المتقنة المضروبة بلا ريب، وذلك لأنّ موازين الفن في المتأخرين أتقن منها في المتقدمين لكثير ما جرى عليها من نقد وتصحيح وتأمل وتدقيق وبحث وتحقيق.

فكلمة المجتهد في الفقه لا تقال إلّا على من نظر في أبواب الفقه نظر متدبر عارف بموقع كل فرع من أصله ومحله ومدركه ودليله ودرى بارتباطاته، وانّ هذا محله العقود وذاك في الايقاعات وهذا في الأحكام وذاك في العبادات وان مدارك الفقه ما هي ومن أي منبع يؤخذ وعرف تماماً مقدماته الأُصولية وانّه ما حكم السنة في مقابل الكتاب وانها هل تنسخه وتخصصه وتقيده وتبينه أو لا وانّه ما هو الناسخ منها من المنسوخ والمخصص والباقي على عمومه والمقيد والذي أرسل على اطلاقه وهل هذا يصلح بياناً لذاك أو لا وان الأوامر بأسرها وبنظرتها الاجمالية تفيد الوجوب أو لا تفيده وهلم القول في النواهي وانها هل تعطى الحرمة مطلقاً أو لا، وما إلى ذلك من طويل بحث تلزم معرفته لكل فقيه.

وهذا عرض مختصر عرضناه ليعلم انّ كل من ادعي له الاجتهاد في الرقم الواسع من صحابة وتابعين وتابعي تابعين فقد ادعي له ما هو بعيد عنه بعد السماء عن الأرض وانّ نوع ارتكابات ذلك الجمع كان امّا عن عدم مبالاة بالشرع كما هو وضع كثير من القواد والولاة والمعروفين بالتساهل في أمر الديانة، أو للجهل بالحكم الشرعي رأساً تقصيراً في التعلم لا قصوراً في درك لزومه، وامّا تعويلاً على بضاعة مزجاة ليس فيها أقل بلاغ للمكلف في سيره اللازم مع نظام الشريعة.

ومن مصاديق ذلك ما يحكيه ابن عبد البر [١] قال: ذكر عبد الرزاق عن ابن جريح قال: أخبرت انّ أبا عبيدة في الشام وجد أبا جندل بن سهيل بن عمرو وضرار بن الخطاب وأبا الازور وهم من أصحاب النبي قد شربوا الخمر، فقال أبو جندل: ﴿**لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ**﴾ الآية، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب انّ أبا جندل خصمني بهذه الآية، فكتب عمر: انّ الذي زين لأبي جندل الخطيئة زين له الخصومة فاحددهم، فقال أبو الأزور: أتحدوننا؟ قال أبو عبيدة: نعم، قال: فدعونا نلقي العدو غداً فإن قتلنا فذاك وان رجعنا اليكم فحدونا، فلقي أبو جندل وضرار وأبو الأزور العدو فاستشهد أبو الأزور وحد الآخران، فقال أبو جندل: هلكت، فكتب بذلك أبو عبيدة إلى عمر فكتب عمر إلى أبي جندل وترك أبا عبيدة انّ الذي زين لك الخطيئة حظر عليك التوبة ﴿**حم تنزل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب**﴾، الآية.

فأنت ترى انّ هؤلاء النفر من الصحابة جوزوا لأنفسهم شرب الخمر بما تخيل لهم انّ الآية ليس على الذين ـ الخ ـ تجري معهم على ما تخيلوه وغفلوا عن انّ الله حرّم عليهم ذلك في كتابه بقوله فاجتنبوه وليس ما تلوه من الآية ناسخاً لما أوجب التحريم فضلاً عما استفاض من السنة بتحريمها واطباق المسلمين على ذلك أيضاً فهل مثل هذا الاستنباط الواقع في مقابل نص جلي على خلافه يقال له اجتهاد ويصح اطلاقه عليه ـ لا ـ وما ذلك إلّا من قصور البضاعة وعدم الورود فيما يلزم من الفن الذي يقال لفنانه انّه مجتهد ومستنبط.

فهل يا ترى انّ أمثال هؤلاء ومن هو أرقى منهم درجات في معلوماته يلقى

---

(١) في الاستيعاب: ج ٤ ص ٣٤ عندما ترجم لأبي جندل بن سهيل.

اليهم حفظ النظام بعد النبي ويخولون أزمة تسخيره وتصريفه ويقومون بواجب توضيحه وتبيينه وتطبيق قواعده على مصاديقه ـ حاشا وكلا ـ فإنّ هؤلاء هم أنفسهم في حاجة ماسة إلى معلم مرشد وعالم ضليع وسوف نقف بك على المجهولات الوفيرة في النقاط الحساسة من شيوخ الخلفاء الذين تدعى لهم الدربة في فنون الشريعة كأبي بكر وعمر وعثمان وانهم كيف التاطت بهم العلل وتقاذفتهم أمواج الحيرة فامّا ابتدعوا من أنفسهم اشياء معترفين بعدم صدورها من الشارع وإنّما هو رأي رواه فقط وامّا رجعوا فيها إلى الغير فاستفادوا منه وهذا نقص مهم في الشريعة إن كان المراد بها ما كان بلونها المذكور كما يقول أبناء التسنن الذين يحتجون بفعل عمر مع اعترافهم انّه كسائر المكلفين له ما لهم وعليه ما عليهم ولا يمتاز عن أدنى الخلق بمائز سماوي أو من صاحب الشريعة بتنصيص .

نقص المشايخ وكمال علي من بين كافّة الصحابة

وامّا ما يروونه في حق الشيخين على لسان صاحب الرسالة : اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ، أو ما هو بهذا المضمون فهو من الأكاذيب الجاهرة التي زوروها لأشياخهم بدليل انّ هؤلاء أنفسهم يروون من طرقهم بأنّ الشيخين زمان تصديهما لرياسة وسياسة امور المسلمين ديناً ودنياً اعتورتهما مشكلات قصر علمهم عن حلها فاما نبهوا عليها فانتبهوا وامّا ابتدعوا لها من أنفسهم أحكاماً لا يربطها إلى الشريعة رابط موزون سوى التخرص والتخمين ـ كما سنفي ببيان هذا المقام بعد قليل ـ فهل يكون الابتداع مورداً للاقتداء وهل يصاب دين الله بالتخرصات وهل في الحوالة على مثل ذلك والارجاع إليه إلّا احالة على الباطل واغراء بالجهل ؟ حاشا رسول الله ﷺ الذي لم يكن ينطق عن الهوى إن

هو إلّا وحي يوحى أن يكون نطق بذلك لأنّ فيه تناقضاً صريحاً مع الواقع الصريح بالضرورة.

وامّا اصاخة أبناء التسنن لذلك فهو من الهوى المردي لا من مماشاة الفن كالنصارى الذين يدعون وحدانية الله ولكن يعتقدون بالتثليث وذلك من أغرب التناقضات العالمية وان كانت التعصبات العمياء خففت عليهم هذه الغرابة بما جعلتهم آنس موجود بها.

والاقترانات الخارجية فضلاً عن الآثار المروية دلتنا بوضوح على انّ عليّاً ادعى الكمال بمعارفه الحافظة للنظام المفسرة لمشكلاته القائمة بجميع ما يكفل له السير الصحيح من جميع وجوهه فإنّه قال: سلوني وأجاب عن كل سؤال وجه إليه ورجع إليه كل من عاصره حتى الأشياخ وقبلوا منه ولم يحتج إلى الرجوع لأي انسان يفرض بعد النبي وهذه كتب التاريخ والأثر والضرورة الطافحة وكلمات المخالفين فضلاً عن المؤالفين لا ترتاب في صدق مدعى من هذه المدعيات كما سنفي بذلك إن شاء الله بحثاً عالياً لا يبقى معه تعطش إلى بحث مستأنف.

فلا ريب من لزوم من يكون بهذا الوصف أن يتربع هو على منصة حكم الشرع رئيساً دينياً كما كان محمّد بهذا الوصف رأيساً ولم ينازع الأكاسرة والقياصرة على ما لديهم من ممالك إلّا لتنفيذ دين الله فيما تحت أيديهم لا انّه إنّما جد الجد كله في محاربتهم اعتزازاً بانتهاب تيجانهم من على رؤوسهم وعقدها على مفرقه حتى يصبح امبراطوراً عالمياً والخلافة الدينية عند أبناء التسنن من نمط هذه الامبراطوريات بواضح الضرورة فإنّ الذي يعترف بصحة خلافة معاوية وولده يزيد وهلم دواليك من أموي وعباسي ومن إلى جنب هؤلاء ليس به الحياد عن أنّ معتقده في الخلافة الدينية هو ما يسميه أبناء العصور الحاضرة

بالامبراطوريات، وامّا المشايخ الثلاث فإن تكن فيهم صلاحية لادارة الشؤون سياسياً فإنّما يجوز لهم بالملاك الشرعي الفني الذي لخصناه آنفاً أن يكونوا عمالاً منفذين لأوامر الخليفة الديني الذي قدمته المؤهلات الشرعية لتسنم عرش الدين لا أكثر ـ إذا رضى بهم الخليفة عمالاً ـ لا كما رضى عمر بمعاوية وعثمان بالوليد بن عقبة ومعاوية ببسر بن ارطاة ويزيد بعبيد الله بن زياد وعبد الملك بالحجاج بن يوسف وهلم جرا؛ فإنّ هذا الرضا بمثل اولئك ناقض صريح لوصايا الدين في أمر الراعي والرعية وكل ظلم وخلاف يصدر من مثل هذه الولايات فهو بمسؤولية من إليه النفوذ لمطلق وهو الخليفة بلا ريب وسوف تعلم انّ الجنايات الرئيسية في صدر الإسلام وبالتسبيب فيما بعد ذلك من سلاسل الزمان مسؤليتها الوحيدة على عاتق من قبض على أزمة امور المسلمين وتسنم عرش الدين فإنّ جناة التاريخ المعروفين في صدر الإسلام وما بعده إنّما استمدوا نفوذهم من الخلفاء صرفاً فكان منهم ما تقشعر له الأبدان يعلم الله ـ فهذه المقدمة يلزم أن تكون منك على بال ثمّ نفيض في الحديث عن أيّام شكوى النبي وفوته صلى الله عليه وآله وسلم وما تعقب ذلك من حديث يوم السقيفة وهلم جرا متدرجين مع الحوادث الكائنة والله ولي التوفيق.

❊ ❊ ❊

الكتاب الذي أراد رسول الله ص أن يكتبه لأُمته في مرضه الذي مات فيه

روى ابن سعد [١] بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس فجعل - يعني ابن عباس - يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: اشتد بالنبي وجعه فقال: ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، قال: فقال بعض من كان عنده: انّ النبي ليهجر، قال: فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت، قال أو بعد ماذا قال فلم يدع به.

وروى بسند آخر أنهاه إلى سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال اشتد برسول الله وجعه في ذلك اليوم فقال: ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه فذهبوا يعيدون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه. وروى بسند آخر أنهاه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما كان في مرض رسول الله الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأُمته كتاباً لا يضلون ولا يضلون قال فكان في البيت لغط وكلام وتكلم عمر بن الخطاب قال فرفضه النبي ﷺ.

وروي بسند آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله: ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً قال فقالوا: إنّما يهجر رسول الله. وروى بسند آخر أنهاه إلى

---

(١) في الطبقات: ج ٤ ص ٥٨.

عمر بن الخطاب قال: كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب فقال رسول الله ﷺ: غسلوني بسبع قرب وائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً فقال النسوة ائتوا رسول الله ﷺ بحاجته قال عمر: فقلت اسكتن فانكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صحّ أخذتن بعنقه فقال رسول الله ﷺ: هن خير منكم.

وروى بسند آخر انهاه إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال رسول الله ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فقال عمر: انّ رسول الله قد غلبه الوجع وعندم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف وغموا رسول الله قال: قوموا عني، فقال عبيد الله بن عبد الله فكان ابن عباس يقول: انّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

وروى بسند آخر أنهاه إلى عكرمة عن ابن عباس انّ النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقال عمر بن الخطاب: من لفلانة وفلانة مدائن الروم انّ رسول الله ليس بميت حتى نفتتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى، فقالت زينب زوج النبي ﷺ: ألا تسمعون النبي يعهد اليكم فلغطوا فقال: قوموا عني فلما قاموا قبض النبي ﷺ مكانه.

وذكر الطبري [1] ثلاثة أحاديث من طراز ما سقناه عن ابن سعد فلا نعيد.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٩٣.

وروى مسلم[١] عن منصور وقتيبة بن سعيد وأبي بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقل (واللفظ لسعيد) قالوا : حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثمّ بكى حتى بلّ دمعه الحصى فقلت : يا ابن عباس وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله وجعه فقال : ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع وقالوا : ما شأنه أهجر استفهموه ، قال : دعوني فالذي أنا فيه خير أُوصيكم بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، قال وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها ، قال أبو اسحاق ابراهيم حدثنا الحسن بن بشر قال حدثنا سفيان بهذا الحديث .

حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا وكيع عن مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انّه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثمّ جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كانها نظام اللؤلؤ قال رسول الله ﷺ ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقال انّ رسول الله يهجر .

وحدثني محمّد بن رافع وعبد بن حميد قال عبد أخبرنا وقال ابن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ : هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، فقال عمر : انّ رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده

---

(١) في صحيحه : ج ٥ ص ٧٥ من طبعته المشكولة بمصر .

ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال رسول الله: قوموا، قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول: انّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

وروى البخاري (١) عن يحيى بن سليمان قال: حدثني ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده قال عمر انّ النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول: انّ الرزيئة كل الرزيئة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه.

وروى البخاري في صحيحه أيضاً (٢) عن ابراهيم بن موسى حدثنا هشام عن معمر وحدثني عبد الله بن محمّد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله. وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده فقال عمر: انّ النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال رسول الله: قوموا، قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: انّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. وكرر هذه المادة

---

(١) صحيح البخاري: ج ١ ص ٢١ باب كتابة العلم.

(٢) ج ٤ ص ٥ باب قول المريض قوموا عني.

في هذا المجلد ص ١٧٣ باب كراهية الخلاف.

وروى البخاري في صحيحه أيضاً[١] حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثمّ بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتد برسول الله وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا هجر رسول الله قال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصى عند موته بثلاث أُخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ونسيت الثالثة.

وذكر ابن أبي الحديد[٢] فقال: قال أبو بكر وحدثنا الحسن بن الربيع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي فقال عمر كلمة معناها انّ الوجع قد غلب على رسول الله ثمّ قال عندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف من في البيت واختصموا فمن قائل يقول القول ما قال رسول الله ومن قائل يقول القول ما قال عمر فلما أكثروا اللغط واللغو والاختلاف غضب رسول الله فقال: قوموا، انّه لا ينبغي لنبي أن يختلف عنده هكذا فقاموا فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول انّ الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله يعني الاختلاف واللغط، قلت هذا الحديث قد خرجه الشيخان في صحيحيهما واتفق المحدثون كافة على روايته.

---

(١) ج ٢ ص ١١٥ باب جوائز الوفد.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٠.

تنبيهات حول الحديث

التنبيه الأوّل:

انّ قوله: ائتوني في صيغة أمر تفيد الوجوب فإنّ الأمر المطلق يفيد ذلك بطور قاطع مضافاً إلى انّ المقام قد احتف بقرائن جلية تنصّ على الوجوب من دون تشكك:

منها ـ كون المكتوب الذي يريد وضعه بين أيديهم مما يحصنهم عن الضلال وتحصينهم من الضلال بما يعطيهم لون السلوك إلى هذا التحصن وبيان المؤديات إليه واجب على الرسول أوّلاً لأنّ هدف البعثة هو ذلك لا غيره، وقبوله واجب على المكلفين ثانياً لأنّ أهداف التكاليف كلها هي الاهتداء إلى ما يريد الله والخروج عن ورطة الحيرة والضلالة.

ومنها ـ قوله ﷺ: قوموا بعد شغبهم عنده بما يعطي صراحة واضحة انّه متأثر من خلافهم له جد التأثر.

ومنها ـ قوله ﷺ دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه فإنّه تذمر منه ﷺ للحركات التي أبدوها في حضرة قسده مع انّه كان من لازمهم فضلاً عن الامتثال بمجرد صدور أمره ملازمة خطة التأدب معه خصوصاً في هذه الحالة التي هو فيها من استقباله للموت ومفارقتهم له المفارقة النهائية.

التنبيه الثاني:

يستفاد بصراحة من قوله ﷺ: أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، انّ ما يريد ﷺ تحريره في آخر ساعات حياته من الأُمور الجسام التي لها وقع مهم في حفظ جامعة المسلمين بحيث تكون هذه الأُمور محصنة لهم من الضلال الأبدي وما يحفظ المكلف من الضلال الأبدي لا يكون إلّا أمراً له من الخطورة

والأهمية ما ليس لأمر آخر أصلاً بواضح الضرورة وهل وراء سعادة الإنسان بحفظه من الضلال الأبدي سعادة أُخرى ـ لا ـ.

التنبيه الثالث:

انّ حديث الواقعة يدل على انّ الحضار وفي طليعتهم ابن الخطاب فيهم من الوحشية والجهل ما لا يوجد إلّا في أعراب البوادي البعيدين عن كل معرفة الغارقين في تيار من الجهل لا يسبر قعره سابر وذلك بنسبتهم الهجر لرسول الله الذي تطابق العقل وصريح مقطوع النقل على مصونيته من الهجر والهذيان والقول الجزاف امّا العقل فباشتراط عصمته من كل ما يورث الخدشة في قوله وفعله لأنّهما حجة قاطعة على المكلفين وامّا النقل فصريح قوله تعالى: **﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾** وهذه الآيات من سورة مكية طرقت مسامعهم من زمن بعيد وتكررت عليهم بتكرر تلاوتها طيلة عدة سنين.

التنبيه الرابع:

انّ قول الهجر والتكلم عن الوجع كليهما بمعنى واحد فإنّ التكلم المنسوب لحالة الوجع الغالب هو التكلم الصادر لا عن شعور ولا قصد وإنّما هو من آثار اندفاعات الوجع الغالب القاهر لسلامة الحواس وذلك من الوضوح بمكان ولو كان ابن الخطاب يعترف انّ كلامه ﷺ مقصود له وصادر منه عن تدبر وصحة شعور لما قال قد غلبه الوجع، فإنّ اقحام هذه الكلمة في هذا المجال يعود هجراً من القائل وهذياناً من القول، إذ لا ربط له بالمقام بتاتاً كما هو واضح. فالذي قال هجر ﷺ هو عمر إمّا بمفرده والباقون وطئوا عقبه وإمّا باشتراكه معهم في ارسال هذه الكلمة الخشنة في حق سائر الأفراد فضلاً عن الرسول الأكرم المصون عن مثل هذه النسب الزائفة.

ومن وحشية الحضار وجهالتهم أيضاً جعلهم قول عمر بن الخطاب عدلاً لقول

رسول الله ﷺ، فقائل يقول: القول ما قال رسول الله، وقائل يقول: القول ما قال عمر، في حال انهم يدركون بوضوح انّ الدين الاسلامي لا يعدل برسول الله أحداً وهم قد قرنوا به فرداً من سائر المكلفين فانظر واعجب.

التنبيه الخامس:

انّ كتاب الله وحده ليس بحسب المكلف بالضرورة القاطعة فإنّ التكاليف الملقاة على عاتق المكلفين كثير منها لم يتعرض له الكتاب رأساً لا مجملاً ولا مفصلاً، وكثير من التكاليف التي تعرض لها تعرض لها باجمال فإنّ وظيفة أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة مجملة كما ترى في الكتاب وشرحها إنّما هو في السنة من قول الرسول وفعله إذاً فالذي يكفل الوظائف والأحكام الإسلامية من أوّل فرع يذكر في الطهارة إلى آخر فرع يبين في الديات هو السنة والإجماع ودليل العقل محضاً إلّا قليل مما تعرض له الكتاب ببيان وافي. فهذا أوّل الجهل من ابن الخطاب بمدرك دينه وما هو مصدر التشريع الملزوم له وآخر خطأه ان ابن الخطاب نفسه لم يتدبر أحكام الكتاب الذي قال فيه انّه حسبنا في أوضح أحكامه فإنّه أفتى بعدم جواز زيادة المهر على مهر السنة وعرفته بوجه خطأه امرأة من معاصريه بأنّ الإنسان لو آتى خطيبته قنطاراً بعنوان المهر لكان ذلك جائزاً له كما هو صريح الكتاب. وسيأتي البحث عن ذلك.

التنبيه السادس:

لا يتوهمن متوهم انّ ما أراد ﷺ أن يكتبه لهم في كتاب هو قوله في بعض أحاديث الباب أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم فإنّ ذلك كان منه ﷺ إن صحّ عنه بعد تأثره منهم واعراضه عنهم بقوله ﷺ دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه مضافاً إلى انّ هذا المذكور لا ارتباط له بما يحصن الأُمّة من الضلال الأبدي بوجه واضح؛ كما

لا ربط لما يرويه ابن سعد في الطبقات (ج ٤ ص ٥٩) عن حفص بن عمر الحوضي عن عمر بن الفضل العبدي عن نعيم بن يزيد قال: حدثنا علي بن أبي طالب انّ رسول الله لما ثقل قال: يا علي ائتني بطبق أكتب فيه ما لا تضل امتي بعدي، قال: فخشيت أن تسبقني نفسي فقلت اني أحفظ ذراعاً من الصحيفة قال فكان رأسه بين ذراعي وعضدي فجعل يوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم وأمر بشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله ومن شهد بهما حرم على النار قال كذلك حتى فاضت روحه؛ بما يحصن الأُمّة من الضلال الأبدي أيضاً؛ لأنّ التوصية المؤكدة بالصلاة والزكوة وما ملكت الايمان موجودة بكثرة في كتاب الله سبحانه وفي السنة المستفيضة عن النبي قبل موته بزمان طويل عريض فالمقام غني عن التأكيد فضلاً عن ارادة التأسيس وامّا أداء الشهادتين فهو شرط الإسلام قبل كل شيء.

هذا وانّ هذا الحديث يناقض بالصراحة جميع محتويات تلك المرويات التي أسلفناها فإنّ ذيل هذا الحديث يقول: قال كذلك حتى فاضت روحه، وفي ذيل بعض الأحاديث السابقة [1] فلغطوا فقال: قوموا عني فلما قاموا قبض النبي ﷺ مكانه والنبي ﷺ مات موتة واحدة لا مرتين واحدة عند انهاءه لوصية علي وأُخرى عند انتهاءه من قوله للحضار الذين تأثر منهم لقولهم فيه انّه يهجر قوموا عني، فالحديث الذي رواه ابن سعد عن علي مزور قطعاً، لانفراده، والصحيح هو ما سلف من سلسلة الأحاديث المروية بطرق متعددة، وعن شيوخ معروفين في الحديث، مضافاً إلى انّ مادتها مبسوطة في كتب السيرة ويصححها الاعتبار الصادق بالنظر في شؤون هذا الفريق المتوحش الذي حضر نبيه بمثل

---

(١) كما في الطبقات: ج ٤ ص ٦١.

هذا الحضور الخشن ساعة احتضاره وتركه على فراش موته غير مكترث به راكضاً وراء استفادة السلطان والزعامة من أضعف منافذ تحصيلها ـ فيالله ـ.

التنبيه السابع:

جسارة عمر على عيال النبي في حضوره ﷺ وقصده تحوير المطلب الذي كان النبي بصدده وذلك فيما يرويه ابن سعد [١] ـ كما سلف ـ قال: أخبرنا محمّد بن عمر عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله ﷺ: غسلوني بسبع قرب وائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فقال النسوة: ائتوا رسول الله بحاجته، قال عمر: فقلت: اسكتن فانكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صحّ أخذتن بعنقه، فقال رسول الله هنّ خير منكم.

ونحن نقول له: يا عمر ما الذي استنكرت من هاته النسوة عندما قلن ائتوا رسول الله بحاجته؟ أفلسن امتثلن أمراً كان السبق إليه قولاً وعملاً من وظيفتكم أنتم الرجال الحضور وفي طليعتهم عمر؟ وما الذي استوجبن به هذا التغير والجسارة منك عليهن؟ وإذا كان في جمع هاته النسوة نساء متحركات يمزجن الشيطنة باللباقة فهن ابنتك وابنة صاحبك ـ عائشة وحفصة ـ وكلتاهما تدربتا بكما، وأمّا بقية فنساء سواكت قد أخذن الهدوء شعاراً لهن كما هو لازم المرأة على اطلاقها سواء في ذلك ما كنّ عليه زمان حياة زوجهن ﷺ أو بعد مماته فإنّ التاريخ لم يتحدث عن نساء النبي ما سوى عائشة وحفصة بأي حديث فيه خفة أو تحريك عواطف أو دخول فيما لا يجوز إلّا عنهما فقط هذا وانّ النبي ﷺ قد لَكَمَ عمر بلكمة أدبية لو كان يشعر، بقوله: هنّ خير منكم، فانهن

---

(١) الطبقات: ج ٤ ص ٦٠.

حد الأقل لم يجسرن عليّ في هذه الحال فيقلن انّه يهجر بل قررن قـولي لكـم ائتوني بصحيفة ودواة فقلن ائتوا رسول الله بحاجته حين أبيتم عليّ وخالفتموني وتنازعتم عندي ولا ينبغي عند نبي تنازع خصوصاً والفرصة من آخر الفـرص ومنتهى عهد الحي بالحي.

التنبيه الثامن:

إثارة الغبرة من عمر على الحضار تضييعاً لمجرى حديث النبي وجسارة عليه بذكر أُمور كان من لازمه أن يستفسرها منه ﷺ لا أن يكيلها جزافاً ومرجـعها حاضر لديه عتيد عنده لم يمت بعد ولم تخترمه المنون حين القاء السؤال إليـه. فيما رواه ابن سعد [١] عن محمّد بن عمر عن ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انّ النبي قال فـي مـرضه الذي مات فيه: ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال عمر بن الخطاب لفلانة وفلانة: مدائن الروم انّ رسول الله ليس بميت حتى نفتتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى، فقالت زينب زوج النبي ﷺ: ألا تسمعون النبي يعهد اليكم فلغطوا فقال: قوموا عني فلما قاموا قـبض النـبي مكانه.

فإنّ مجرى الحديث بين المتكلم والمخاطب كان من لازمه بعد قـوله ﷺ ائتوني بدواة وصحيفة وهو في حالة مرض وعهد استقبال الحضور لهذه الطـلبة من نبيهم الذي ابتدأهم لمصلحتهم بالاجابة لمـا طـلب مـنهم لا تـغيير مـجرى الحديث إلى لغط فضلاً عن كونه لا يصح منهم في حضرة نبيهم دائماً لا يصح منهم في مثل هذا الوقت كما لا تجوز لهـم الافـاضة فـيه إلّا بـوجه كـونهم سـائلين

---

(١) كما سلف عن الطبقات: ج ٤ ص ٦١.

ومستفسرين بهذا النحو: يا رسول الله يعطى مفاد كلامك ولون طلبتك ووصيتك انك مفارقنا في مرضك هذا؟ وقد كنا نحدث أنفسنا بافتتاح الروم على يدك، فما كنا نتحدث به له حقيقة باستمرار حياتك أم لا؟ فحتماً على أثر صدور هذا السؤال يحصل الجواب منه ﷺ امّا نفياً وامّا اثباتاً بالنسبة إلى بقاءه أو موته، لا أن يجيء عمر معتداً بنفسه فيما لا يخصها وليس من شؤونها ويتعقب كلام النبي بما مضمونه انّ النبي ليس بميت في هذا الوقت حتى نحضر له كتاباً يكتب لنا فيه ما به اهتداؤنا التام وعدم ضلالنا الأبدي وانّ مرضه هذا سوف يزول منه وسوف يجهزنا إلى مدائن الروم فنفتتحها على يديه فلا معنى إذاً لاحضار الصحيفة والدواة ليكتب لنا كتاباً لا يكتب مثله إلّا في عهد المرض والاحتضار من الموصي والعاهد.

كل هذا كان غلطاً من عمر، والنبي ﷺ قابل لأن يستفسر منه، وهذا الشأن مما يخص النبي قطعاً، فإنّه ﷺ امّا أن يكون على علم بتعليم من ربه انّه يموت في مرضه هذا أو لا يكون، ولكل من الحالين جواب، ففي الحالة الأُولى ـ لا ـ لا أبقى بعد يومي هذا أو مرضي هذا. وفي الحالثة الثانية: الله أعلم اني أبقى بعد يومي هذا أو لا أبقى، فجزم عمر بأنّ النبي يبقى حتماً ويفتتح فلانة وفلانة مدائن الروم وذلك في مواجهة من النبي أيضاً وقاحة وصلافة وادعاء علم بحال شيء مرجعه إلى غيره، والمدعي خلو من علمه بالمرة الواحدة. وحاشا رسول الله أن يكون أخبره بذلك قديماً فعمر يترجى وقوعه فيكون النبي هو الكاذب لا عمر بن الخطاب.

ثمّ كيف جاز لعمر أن يصارح الحضور بعقيدة لم يأخذها عن النبي ﷺ وهي من شؤون النبي في حضور من النبي ويقول: ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى. امّا النبي فحاشاه أن يكون أوعز له أو لغيره بهذه العقيدة انني إذا

مت أظهر بعد حين من موتي فلم يبق إلّا رأي كان قد انقدح في ذهن عمر فكان من لازمه أن يستفسر عن صحة تخمينه ممن يرجع إليه هذا الشأن المتخرص فيه ويقول: يا رسول الله إذا مت فهل لنا أن ننتظر ظهورك ورجوعك بعد موتك أو لا؟ فحتماً على أثر صدور هذا السؤال يجاب من ناحيته، لا أن يجهر بتلك العقيدة الزائفة في حياة ممن تخصه تلك العقيدة المزعومة.

ثمّ هل تجلى لعمر بن الخطاب انّ انتظار بني اسرائيل لظهور موسى بعد موته كان في موقعه وانّه ظهر لهم بعد موته حتى نقيس انتظاره لظهور محمّد بعد موته بانتظار بني اسرائيل لظهور نبيها بعد موته فما هذا التخبط منه؟ من لفلانة وفلانة مدائن الروم انّ رسول الله ليس بميت حتى نفتتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى إلّا تشويش لهذا المقام على الحضور وتعمية ما يريده الرسول بهم حذراً من أن يتكلم رسول الله في آخر عهوده بما يضر بمنوياته التي يزويها في دماغه ويريد تحقيقها في أوّل آنات الفراغ من موت رسول الله وتهييج مثل هذا الغبار وايقاع مثل تيك التعمية تما بنفعه انصافاً، فسكت الرسول كاظماً لغيظه مغضياً على مضض من اتباعه هؤلاء الذين لم يحترموا مقامه بين أظهرهم وبالأخص في هذا المقام الذي هو عهد نهائي بينه وبينهم. وقد تم من طريق العقول انّ اللطف واجب على الله بعباده ما لم يدفعوه عن أنفسهم وقد دفع هذا الجمع المشاغب في حضرة نبيه ما أراده الله لهم بوساطة رسوله من لطف لو تلقوه بالقبول لنفعهم نفعاً أبدياً ولسعدوا به سعادة دائمية كما هو منطوق قوله ﷺ: لا تضلوا بعده أبداً، فإنّا لله.

وقد كتب من تدعى له عظيم المعرفة من شيوخ العامة تعليقات على مضامين هذه الحادثة فجاء بالجهل كله مما لا يليق أن يصدر من مبتدئي الطلبة فضلاً عن المحصلين ولتفاهة ما ذكره لم أذكره وانتقده لأنني أعد ذلك تضييعاً للوقت من

دون مسوغ ، وهل باستطاعة أحد أن يبرر موقف أي انسان يفرض في مقابل نبيه بمثل مضامين ما أسلفناه لك من الأخبار ، إلّا اللهم أن يكون هذا المدافع ممن يعتبر مقام عمر في الشريعة فوق مقام النبي وهو فضلاً عن مخالفته للواقع خلاف الفرض إذ المفروض منا ومنهم انّ عمر انسان كسائر المكلفين وانّ محمّداً نبي تجب طاعته من غير ترديد فالكلام إذاً خارج هذا الفرض يعد هذراً منّا ومنهم فلنقف عند هذا الحدّ من الكلام على هذا الفصل وبه كفاية وبلاغ .

خاتمة

ذكر ابن أبي الحديد [١] ما رواه ابن عباس قال : خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتبعته فقال لي : يا ابن عباس أشكو اليك ابن عمك سألته أن يخرج معي فلم يفعل ولم أزل أراه واجداً فبم تظن موجدته قلت يا أمير المؤمنين انك لتعلم ، قال : أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة ، قلت : هو ذاك انّه يزعم انّ رسول الله أراد الأمر له ، فقال ابن عباس : وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له الأمر فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك ، انّ رسول الله أراد ذلك وأراد الله غيره ، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسوله ، أو كل ما أراد رسول الله كان ؟ انّه أراد اسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم . وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله : انّ رسول الله أراد تذكره للأمر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام فعلم رسول الله ما في نفسي وأمسك وأبى الله إلّا امضاء ما حتم ـ اهـ ـ وعلى هذا الفصل تعاليم مهمة تأتي في الحديث عن بدع عمر وأولياته .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٣ ص ١١٤ .

معصية أُخرى للصحابة في تخلّفهم عن جيش أُسامة

روى ابن سعد [١] عن محمّد بن عمر عن محمّد بن عبد الله عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: كان رسول الله قد بعث أُسامة وأمره أن يوطىء الخيل نحو البلقاء حيث قتل أبوه وجعفر فجعل أُسامة وأصحابه يتجهزون وقد عسكر بالجرف فاشتكى رسول الله وهو على ذلك ثمّ وجد من نفسه راحة فخرج عاصباً رأسه فقال: أيّها الناس أنفذوا بعث أُسامة ثلاث مرات ثمّ دخل النبي فاستعزبه فتوفي رسول الله.

قال [٢]: أخبرنا محمّد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن يزيد بن قسيط عن أبيه عن محمّد بن اسامة بن زيد عن أبيه قال: بلغ النبي قول الناس استعمل أُسامة بن زيد على المهاجرين والأنصار، فخرج رسول الله حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس أنفذوا بعث أُسامة فلعمري لئن قلتم في امارته لقد قلتم في امارة أبيه من قبله وانّه لخليق بالامارة وإن كان أبوه لخليقاً بها، قال: فخرج جيش أُسامة حتى عسكروا بالجرف وتتام الناس إليه فخرجوا وثقل رسول الله فأقام أُسامة والناس ينتظرون ما الله قاض في رسوله، قال أُسامة: فلما ثقل هبطت من معسكري وهبط الناس معي وقد أُغمي على رسول الله فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثمّ يصبها علي فأعرف انّه يدعو لي.

وقال الطبري [٣]: ثمّ ضرب في المحرم من سنة احدى عشر على الناس بعثاً

---

(١) في الطبقات: ج ٤ ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٨٨.

إلى الشام وأمّر عليهم مولاه وابن مولاه أُسامة بن زيد بن حارثة وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتجهز الناس وأوعب مع أُسامة المهاجرون الأولون فبينا الناس على ذلك ابتدأ ﷺ شكواه التي قبضه الله فيها.

وقال اليعقوبي[١]: ولما قدم ﷺ المدينة أقام أيّاماً وعقد لأُسامة ابن زيد بن حارثة على جلة المهاجرين والأنصار وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه من أرض الشام، وروي انّ رسول الله أمره أن يوطىء الخيل أرض البلقاء وكان في الجيش أبو بكر وعمر وتكلم قوم وقالوا حدث السن وابن سبع عشرة سنة فقال ﷺ: لئن طعنتم عليه فقبله طعنتم على أبيه وإن كانا لخليقين للأمارة واشتكى رسول الله ﷺ قبل أن ينفذ الجيش وكان أُسامة مقيماً بالجرف فلما اشتدت عليه قال: أنفذوا جيش اسامة قالها مراراً.

وقال ابن اسحاق[٢]: وحدثني محمّد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء انّ رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أُسامة بن زيد وهو في وجعه فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر وقد كان الناس قالوا في إمرة أُسامة: أمّر غلاماً حدثاً على جلّة المهاجرين والأنصار فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثمّ قال: أيّها الناس أنفذوا بعث أُسامة فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه قبله وانّه لخليق للامارة وإن كان ابوه لخليقاً لها، قال: ثمّ نزل رسول الله وانكمش الناس في جهازهم واستعز برسول الله وجعه فخرج أُسامة وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف وهو على فرسخ من المدينة فضرب به عسكره وتتامّ إليه الناس وثقل رسول الله فأقام أُسامة والناس لينظروا

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٩٣.

(٢) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٦٥٠.

ما الله قاض في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال ابن الأثير (١) تحت عنوان ذكر أحداث سنة احدى عشرة: في المحرم من هذه السنة بعث النبي بعثاً إلى الشام وأميرهم أُسامة بن زيد مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتكلم المنافقون في امارته وقالوا: أمّر غلاماً على جلّة المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله إن تطعنوا في امارته فقد طعنتم في امارة أبيه من قبل وانّه لخليق للامارة وكان أبوه خليقاً لها وأوعب مع اسامة المهاجرون الأوّلون منهم أبو بكر وعمر فبينما الناس على ذلك ابتدأ برسول الله مرضه ـ إلى أن يقول بعد سطر ـ وأمر بانفاذ جيش أُسامة وخرج أُسامة فضرب بالجرف العسكر وتمهل الناس وثقل رسول الله ولم يشغله شدة مرضه عن انفاذ أمر الله ـ الخ ـ.

وهذا قليل من كثير ما ذكره المؤرخون، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أنفذوا جيش أُسامة ثلاث مرات بعد أن كان ضرب البعث عليه وعلى من ولّاه عليهم قبل ذلك يفيد الفورية الباتة فضلاً عن افادته أصل الوجوب المقرر بطور قاطع، امّا افادة أصل الوجوب على الوالي ومن ولّاه عليهم فذاك من أوّل ما ضرب عليه وعليهم هذا البعث وامّا تقرره وفوريته فبحثه وتكراره عليهم في أثقل الساعات عليه وهي ساعات مرضه. وأمّا التعلل في وجه الانحراف عن امتثال هذا الأمر الصادر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأنّ النبي إذا كان مريضاً مشغولاً بنفسه فمن الذي ينفذ هذا الجيش ـ أو انّ هذا الجيش برئيسه ومرؤوسه أشفق من موت نبيه في مرضه هذا فلا يدرى ما يحدث بعده. أو انّ أوامر النبي في مثل هذه الأُمور اجتهادية لا تلزم اطاعتها. فهو من أخطأ الأخطاء ومن أعظم الانحرافات عن نظام الشرع

(١) تاريخ ابن الأثير: ج ٢ ص ٢١٥.

الصريح . فأمّا الأمر بالتنفيذ فالمخاطب به هو المكلف به وهو الجمع الذي ضرب عليه البعث بادئاً وعينه للمسير نحو الجهة التي قررها له والأمر بهذا التنفيذ تأكيد لوجوب ما صدر منه بادئاً لا تأسيس وهو في دوره قد عيّن الجيش رئيساً ومرؤوساً ولم يغير بعد ذلك من هوية ما كان رتبه أوّلاً لا قليلاً ولا كثيراً وتأكيده هذا يعطي الوجوب السابق شدة ويلونه بلون الفورية والحث ولو انّه لم يرد منه الفورية لما حثّ عليه وهو مجهود بمرضه .

وامّا انّ الجيش اشفق من موت نبيه في مرضه هذا فلا يدري ما يحدث بعده فذلك مما لا يبرر له آناً من آنات تخلفه عن المسير أو تريثه فيه ، فإنّ النبي كان أعلم بحال نفسه وفي تلك الحال شدد عليهم بالتنفيذ فقد كان من واجبهم أوّلاً وأخيراً هو أخذهم بما يحقق لهم امتثال أمر نبيهم ولو انّه ﷺ يموت في حال غيبتهم عنه ويكون بعده ما هو كائن من أي حادث يفرض فإنّ الأمر الصادر ممن يجب على المخاطب به امتثاله لا يزيل افادة الوجوب عنه ما تثيره خواطره خصوصاً إذا كان الآمر نبياً ، وقد قال الله سبحانه في حق اوامره ونواهيه : **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً﴾** (١) وهذه الآية صريحة في العموم والاعتبار الصادق يؤيد هذه الصراحة فيها . وقال عزّ من قائل أيضاً : **﴿وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...﴾** (٢) وهذه كالسابقة صريحة في العموم بلا ريب .

هذا فضلاً عن انّ أصل اطاعة الله والرسول من شرائط الدين وقد تناصرت

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

العقول والنقول على ذلك بوضوح ، إذاً فلا مجال لمثل هذه الاجتهادات الزائفة وامّا انّ أوامر النبي في مثل هذه الأُمور اجتهادية ، فهو من الأغلاط التي لا تتركز على شيء من المنطق فإنّ كلمة الاجتهاد لفظاً ومعنى لا مقيل لها في الأنبياء والرسل الكرام فإنّهم في أوامرهم ونواهيهم إنّما يعبرون عن ارادات الله وهذا المعنى لا يرتبط بمقولة الاجتهاد الذي هو (استفراغ الوسع لتحصيل الحكم الشرعي من مدركه) . والنبي إن كان يبادل أصحابه الرأي في بعض الأحيان لبعض الأُمور فذلك مما لا ربط له بالشرع أصلاً لا تشريعاً ولا اجتهاداً فليعرف .

إذاً فجيش أُسامة بأميره ومأموره عاصون بصراحة لتخلفهم عن القيام بامتثال الأمر الصادر الصريح في مضمونه ، ولكن أبناء العامة بسلامة قاعدتهم التي تبرر مقام الكفر للكافر اجتهد فأخطأ ، تأوّل فأخطأ ، دائماً تراهم في سعة من مثل هذه المؤاخذات فالله خصيمهم . وأمّا قول أُسامة في ذيل الحديث الذي رواه ابن سعد عنه وقد أسلفناه نحن فلما ثقل هبطت من معسكري وهبط الناس معي وقد أُغمي على رسول الله فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثمّ يصبها علي فأعرف انّه يدعو لي (فهو اجتهاد لا مدرك له ، بل كان بالأحرى أن يفهم من ذلك انّه يدعو عليه لتمرده في امتثال أمره وما الذي كان منه حتى يستوجب دعاء النبي له . نعم كان منه مخالفته له في امره وتريثه عن المسير نحو القصد الذي وجهه له .

فإن قلتَ : ما احتملته أنت من انّه ﷺ يجوز أن يكون برفعه يده إلى السماء ثمّ صبها على أُسامة يدعو عليه لا له لتمرده في امتثال أمره ينافيه ما يروى عن النبي ﷺ انّه قال في حقه كان خليقاً بالامارة وانّه من أحب الناس إليه .

قلتُ : كونه خليقاً بالامارة بحسب ما يظهر عليه لا في الواقع فإنّ النبي غير مأخوذ في حقه ان يعلم بواقع كل شيء بواضح الضرورة ، نعم إلّا ما كان العلم بواقعه شرطاً في نبوته كالأحكام الشرعية وما كان على ملاكها وقد بعث ﷺ

خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام فأوقع بهم مع اظهارهم له فلما بلغ النبي فعله تبرأ منه وأرسل علياً في خطأه فوداهم أتم دية ، فأُسامة في عصيانه النبي مثل خالد في معصيته له ، وان لم يرتكب مثل ما ارتكبه من قتل النفوس البريئة وكلاهما كان أميراً له ، ولو كان النبي ﷺ يعلم بما وقع من خالد لما جاز له بعثه بلا ريب .

وامّا رواية أبناء التسنن في حقه انّه كان من أحب الناس إليه فذلك تزوير محض صنعوه له لأنّه كان منحرفاً عن علي عليه السلام وهم لا يزالون من قديم وحديث يشيدون بضبع الأشخاص المنحرفين أُسامة كان أو غيره ولهذا المقام تتمة بحث ضافية تؤكد لك انّ مأمورية أُسامة وكل من في جيشه كانت مأمورية فورية جداً وانّ النبي أصرّ عليها كثيراً ولعن من تخلّف عنها والموعد منك قريب .

في حِجر مَن توفي النبي؟

روى ابن سعد [١] عن محمّد بن عمر عن عبد العزيز بن محمّد عن حرام بن عثمان عن أبي حازم عن جابر بن عبد الله انّ كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر : ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ؟ فقال عمر : سل عليّاً ، قال : أين هو ؟ قال : هو هنا ، فسأله فقال علي : أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال : الصلاة الصلاة ، فقال كعب : كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أُمروا وعليه يبعثون ، قال : فمن غسله يا أمير المؤمنين ؟ قال : سل عليّاً ، قال : فسأله فقال : كنت أنا أُغسّله وكان عباس جالساً وكان أُسامة وشقران يختلفان إليّ بالماء .

---

(١) الطبقات : ج ٤ ص ٧٩.

وروى أيضاً [١]: عن محمّد بن عمر عن عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله في مرضه: ادعوا لي أخي قال: فدعي له علي فقال: ادن مني فدنوت منه فاستند إليّ فلم يزل مستنداً إلي وانّـه ليكلمني حتى انّ بعض ريق النبي ﷺ ليصيبني ثمّ نزل رسول الله وثـقل فـي حجري فصحت يا عباس أدركني فاني هالك فجاء العباس فكان جهدهما جميعاً أن أضجعاه.

وروى أيضاً [٢]: عن محمّد بن عمر عن عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي عن أبيه عن علي بن حسين قال: قبض رسول الله ورأسه في حجر علي.

وروى أيضاً [٣]: عن محمّد بن عمر حدثني أبو الجويرية عن أبيه عن الشعبي قال: توفي رسول الله ورأسه في حجر عـلي وغسّـله عـلي والفـضل مـحتضنه واُسامة يناول الفضل الماء.

وروى أيضاً [٤]: عن محمّد بن عمر عن سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن أبي غطفان قال: سألت ابن عباس أرأيت رسول الله ﷺ توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر علي، قلت: فإنّ عروة حدثني عن عائشة انها قالت: توفي رسول الله بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفي رسول الله ﷺ وانّه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسّله وأخي الفضل بن عباس وأبي أبى أن يحضرو قال: انّ رسول الله كان يأمرنا أن نسـتتر

(١) المصدر نفسه من جميع الوجوه.

(٢) المصدر نفسه: ص ٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ص ٨٠.

(٤) المصدر نفسه: ص ٨٠.

فكان عند الستر.

وذكر ابن سعد أيضاً [١] عدة أحاديث كلّها عن عائشة انّ رسول الله توفي في حجرها أو بين سحرها ونحرها. لكن الاعتبار الصادق يؤيد الفريق الأوّل ويطرد الفريق الثاني، وذلك انّ المحتضر كائناً من كان إنّما يتولى حضوره الرجال لتمام قدرتهم على ما يراد له وشدة تصبرهم في الحوادث النازلة وجلدهم في مثل هذه الكوارث، والمرأة فيها من الضعف والرقة وقلّة الصبر ما هو موصوف معروف لها على انّ ذلك ان يتفق ففي انسان لا أحد له أصلاً، والنبي مات بين ظهراني أهله وخاصة من بيته والصفوة من أُسرته فكيف يجوز من طريق العقل أن يترك هذا الجمع الذي هو خاصته في أهم الحوادث من علي وعباس وفضل ومن هو على مقربة منهم في اللهفة والشفقة وعاطفة الرحم ـ حضورهم عنده صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أعز الساعات وهي ساعة الاحتضار لتدبير امرأة شابة لم تقربها الحوادث بواحدة من نظير هذه الحادثة حتى تقوى على معالجتها. كيف يتركه علي في هذه الساعة وهو لم يتركه ساعة واحدة في أهم الحروب التي فرّ فيها الرجال المحنكون كما لم يتركه طرفة عين حتى واراه في ترابه وخليله أبو بكر ـ كما يدعي أبناء التسنن له ـ هو ورفقته تركوه على فراش الموت لا يعلمون من خبر تجهيزه أقل علم وانجرفوا وراء تهيأة الزعامة اغتناماً لأحسن الفرص بانشغال علي وعباس ومن هو على وتيرتهما برحمهم وقريبهم وانصرافهم في هذه الأوقات عن كل دعوى تدعى خلافة كانت أو غيرها. فتدبر ذلك بعقل سليم.

وقد قال علي في بعض خطبه [٢] ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانّ رأسه لعلى

---

(١) ج ٤ ص ٧٧.

(٢) الشرح الحديدي: ج ٢ ص ٥٦١.

صدري ولقد سالت نفسه في كفي فأمـررتها عـلى وجـهي ولقـد وليت غسـله والملائكة أعواني فضجت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً.

وقال عليه السلام أيضاً[١]: فلقد وسدتك في ملحودة قـبرك وفـاضت بـين نـحري وصدري نفسك فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. وعند جهينة الخبر الصحيح.

وأمّا روى فلان وحدث فلان فذاك كثيره وقليله تبع للشهوة النفسانية ولسان أي انسان يفرض مديد إن شاء قبضه وإن شاء بسـطه، إلّا مـن عـصمه الله مـن موبقات الهوى المردي، وسوف نتحدث معك عن هوية أخبار الآحاد بما هـي أخبار آحاد فضلاً عما يوهنها مما يقترن بها ويوجب وضعها واختلاقها والموعد منك قريب.

فصل نذكر فيه ما يذكره أشد النواصب وأبعدهم في التعصب على آل مـحمّد وهو ابن كثير في البداية والنهاية في مقارنات وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ نتعقبه بما يزنه المنطق لا القول الجزاف كما فعل هو.

مقارنات وفـاة النبي

قال ابن كثير في تاريخه[٢]: ونحن نذكر ذلك عنه تلخيصاً حـاوياً لجـوهر مطالبه مع المحافظة على متن عباراته التي نريد نقلها وردها:

روى البخاري بطريقه عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلو

---

(١) المصدر السابق: ج ٢ ص ٥٩٠.

(٢) البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢٢٧ وما بعدها.

بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شأنه يهجر استفهموه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه فأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها ـ إلى أن قال ـ قال ابن عباس: انّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم ـ إلى أن قال ـ وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم كل مدع انّه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرومون إليه من مقالاتهم وهذا هو التمسك بالمتشابه وترك المحكم وأهل السنة يأخذون بالمحكم ويردون المتشابه إليه ـ إلى أن قال ـ وهذا الذي كان يريد ﷺ أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه فإنّه قال الإمام أحمد ـ بطريقه إلى عائشة ـ قال: لما كان وجع رسول الله الذي قبض فيه قال: ادعوا لي أبا بكر وابنه لكي لا يطمع في أمر أبي بكر طامع ولا يتمناه متمن ثمّ قال: يأبى الله ذلك والمؤمنون مرتين قالت: فأبى الله ذلك والمؤمنون.

وعن عائشة أيضاً قالت: لما ثقل رسول الله قال لعبد الرحمن بن أبي بكر ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر.

وعن عائشة أيضاً قالت: قال رسول الله: لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون فقال: يأبى الله ويدفع المؤمنون. أو يدفع الله ويأبى المؤمنون. وفي صحيح البخاري ومسلم: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن ترجع إليه فقالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنّها ـ تقول الموت ـ قال: إن لم تجديني فات أبا بكر والظاهر انها إنّما قالت ذلك له في مرضه الذي مات فيه.

أقـول : يا محدث الشام انك في صدر هذه الأسطر رميت الشيعة بأنّهم أهـل بدع يتمسكون بالمتشابه ويتركون المحكم ، وأهل السنة هـم الذيـن يأخـذون بالمحكم فأنت بطبيعة الحال معترف انّ قوله ﷺ : ائتوني أكـتب لكـم كـتاباً لا تضلوا بعده أبداً من المتشابه كما هو الحق إذ هذه الكلمة مجملة مـن نـاحية خصوص ما يراد بها فكيف بعدما وصمت غيرك بالبدعة جئت أنت المتلبس بها فجعلتها من المحكم وانّه ﷺ أراد أن يكتب لهم كتاباً بالعهد إلى أبي بكر حتى لا يطمع في أمره طامع ولا يتمناه متمني ؟ ومما يـفضح روايـاتك هـذه ويـبيّن تزويرها واختلافها عن صاحب الرسالة أُمور :

الأمر الأوّل : انّ هذه الروايـات إذا صـحّت بـجميع مـحتوياتها فـهي بـقاطع الضرورة شارحة لحديث ائتوني أكتب لكم كتاباً ـ الخ ـ لأنّ زمان القولين واحد وهو زمان مرضه الذي توفي فيه ، وكل واحد منهما ناظر إلى الآخر بـمضمونه ، وقريب منه جداً ، فلماذا نرى ابن عباس كلما حـدث بـحديث ائـتوني تـتقاطر دموعه حتى تبل الحصباء ويقول انّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، وأنت تدعي انّ ما أراد أن يكتبه لهم قـد جـاء فـي الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه ، فهل من المعقول انّ ابن عباس الذي كان شاهد الوضع مع وقوع مضامين ما تدعيه مـن الأحـاديث الصـحيحة واقعاً لا يدري بشيء منها لا مواجهة ولا سماعاً ـ لا يعقل ـ وإلّا لما بكـى عـند تذكر تلك الحادثة ، ولما قال : انّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب .

وهذان صاحبا الصحيحين البخاري ومسلم مع شدة تحريهما لأقل ما يورث الأشياخ مجداً وشرفاً حتى انهما خلقا من الذئاب ذئباً يتكلم ومـن البـقر بـقرة تنطق بفضل الشيخين لم يذكرا شيئاً من تيك الأحاديث الصحيحة فيما تزعم التي

ذكرتها في الكشف عن المراد بقوله ﷺ ائتوني أكتب لكم ـ الخ ـ في حال انهما ذكرا هذه المادة بطرق عديدة ولم يخطر ببالهما ما ذكرت من تيك الأحاديث ولو كان لها أقل رائحة لوسعاها ولاستغنيا بها عن تكلم الذئاب ونطق البقر بفضل الشيخين فإنّ محتويات ما ذكرت من الأحاديث صريحة في عهده ﷺ إلى أبي بكر وانّ الله والمؤمنين جميعاً يأبون الاختلاف عليه وانّه لا يجوز لطامع أن يطمع في أمر أبي بكر ولا أن يتمناه متمني.

الأمر الثاني: اصرار أبناء التسنن على انّ رسول الله لم يعهد إلى أحد أصلاً، وبذلك صرّح عمر بن الخطاب فيما استفاض عنه من الروايات انّه قال حين طعن ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر وان أترككم فقد ترككم من هو خير مني يعني رسول الله [١] وراواياتك التي تدعي صحتها يا محدث الشام تنقض اصرار جماعتك على انّ رسول الله لم يعهد إلى أحد وتشوّه ما يدعيه عمر نفسه وذلك ما لا تصيخ له أنت فضلاً عمّن سواك.

الأمر الثالث: انّ روايات ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً هي بنفسها تكذب روايات عائشة في حق أبيها، فإنّ ذيل بعض طرق ائتوني كما ذكرناه في محله صريح في انّ النبي ﷺ بعدما لغطوا عنده وقال لهم قوموا عني مات مكانه بلا فاصلة، فهل يعقل إذاً أن يكون النبي قد قدم التفصيل بالعهد إلى أبي بكر ثمّ جاء بالمجمل بعده ـ ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً ـ أو يكون قد شرح لهم ذلك المجمل بعد ما تأثر منهم وأمرهم بالقيام من عنده في حين انّه لا مجال لذلك بواضح الضرورة، بل هذا الذي ذكره ابن كثير وادعى صحة روايته

---

(١) السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤ ناسباً ذلك لاخراج الشيخين عنه في الفصل الذي عقده لبيان كونه ﷺ لم يستخلف وسرّ ذلك.

من تزوير عائشة أو هواة الأشياخ وضعوه على لسانها وكم لها ولهم من نظير ذلك، فالمستعان هو الله وحده.

قال ابن كثير في سياق كلامه السابق: وقد خطب ﷺ في يوم الخميس قبل أن يقبض بخمسة أيّام خطبة عظيمة بيّن فيها فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما كان قد نصّ عليه أن يؤم الصحابة أجمعين كما سيأتي بيانه مع حضورهم كلهم ولعل خطبته هذه كانت عوضاً عمّا أراد أن يكتب في الكتاب ـ إلى أن يقول ـ عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: انّه ليس من الناس أحد أمنّ علي بنفسه وماله من أبي بكر ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلّة الإسلام أفضل سدوا عني كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر. وفي قوله ﷺ: سدوا عني كل خوخة يعني الأبواب الصغار إلى المسجد غير خوخة أبي بكر اشارة إلى الخلافة، أي ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين ـ أقول: وفي ذلك مواقع للنظر ـ.

النظر الأوّل: انّ ما يدعى من كون النبي قال: ليس من الناس أحد أمن علي بنفسه وماله من أبي بكر مكذوب عليه من وجوه:

الوجه الأوّل: انّ كتب المغازي بأسرها ـ وأغلب كتابها من هواة الأشياخ ـ متسالمة على انّ أبا بكر لم يكن له من الغناء في حضوره معارك النبي غناء أقل الصحابة الحاضرين معه في تلك الحروب بدليل انهم لم يذكروا له برازاً مع أحد ولا قتلاً لمشرك ولا ثباتاً في المواطن الحرجة وقد اختلفوا اختلافاً وافراً في ثباته يوم أُحد ويوم حنين وكثير منهم حذفوه من عدة الثابتين والذاكرون لثباته لم يذكروا أكثر من كلمة الثبوت المجردة فلم ينعتوه بأنّه بارز أو دافع أو خاض معامع الحوادث دون رسول الله في حال انهم ذكروا ذلك لأهله بصراحة، وقد

اشتهر عنهم في التحديث عن غزوة خيبر انّ النبي أعطاه الراية فـذهب بـها هـو وأصحابه فرجع منكسراً ولم يغن شيئاً ولذلك قال النبي : لأدفعن اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح عليه ، فكان ذلك الرجل عليّاً ، وقد شرحنا حديث هذه النكات في الحلقة الثالثة كلا في مـحله عـند التـعرض لغزوة أُحد وحنين وخيبر فراجع ذلك واقرأ ما تحدثنا به عن حروبه ﷺ جميعاً ففيها كفاية وبلاغ .

إذاً فأبو بكر ليس له من المنة بنفسه على رسول الله قدر جناح بعوضة ، وان توهم متوهم منه عليه ﷺ بنفسه في صحبته له عندما هاجر معه من مكة إلى المدينة فعليه بمطالعة ما كتبناه في التحديث عن هجرة الرسول من الحلقة الثالثة فهناك يتشخص له انّ حديثهم عن الغار حديث يعود عليهم وعلى شيخهم بما لا يهوونه وان الحق وراء ما يزعمونه .

نعم أمنّ صحابي على رسول الله بنفسه من خاض معه المعارك بسيف مشهور وعلم منشور وشجاعة طار صيتها في الخافقين وكـان مـن آثـارها الفـتوحات الجمة ودحر الكفر والكفرة دحراً أدّى بهم في نهاية المطاف إلى الاستسلام عن نفوس صاغرة وذلك هو عـلي بـن أبـي طـالب وشـاهده عـلى ذلك الضـرورة المتصافقة ، وامّا التحديث عن مثل هذه المواقف لمثل أبي بكر فهو لفظ مـهمل يساق إلى غير هدف والعناوين الفارغة مهما تكبرت وتكثرت لا تولد شـخصية بطور قاطع فإنّ الناقدين لا يتركون عقولهم لفريق متعصب يريد أن يـخلق مـن الوهم حقيقة .

الوجه الثاني : ذكر المؤرخون انّ رسول الله لما أراد الهـجرة أخـذ مـن ابـله

راحلة بالثمن [١]، ولو كان أبو بكر يملك أقل ترفع وعزة نفس لما قبل من النبي درهماً واحداً ولأصرّ عليه بكل الوجوه في قبول ذلك هدية تشفعها الممنونية ولو انّه فعل ذلك لما كان إلّا كواحد منّا عندما يريد منه صديقه حاجة مـيسورة، إذاً فكيف يكون أبو بكر من أمنّ الناس عليه ﷺ بماله ؟

الوجه الثالث: ذكر المؤرخون أيضاً في عدد ابل المسلمين عندما خرجوا إلى بدر وانها كانت يومئذ سبعين بعيراً انّ أبا بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف كانوا يعتقبون بعيراً واحداً [٢] وقد كان أبو بكر وعبد الرحمن من أُولي اليسـار وهـذه الحرب من أوّل حروب النبي لقريش وقد كانت تقويتها من أهم الأُمور وأعـظم الخدمات الدينية فلم لم يتقدم إلى هذه الخدمة الدينية ذات الشأن أبو بكر بما له فيعد به الرواحل للمسلمين ليغنم بذلك فضيلة الأجر والمواساة فهو فـضلاً عـن عدم تقدمه لذلك لم تأخذه عزة الترفع بانفراده براحلة تختص به وتعرف له بعين هذا الاشكال يؤخذ عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عـفان وان تـخلّف عـن حضور هذه المعركة بنفسه فإنّه إن كان له عائق عن الحضور فلا عائق له عن بذل ماله في هذا الشأن ومع هذه السقطات الأخلاقية التي لها وزنها عند الأماجد في التذمر منها والعيب لها نـجد أبـناء العـامة صـباح مسـاء يـختلقون الأحـاديث والروايات في حق أبي بكر وعثمان وانهما من مـزيد خـدمتهما للـدين صـرفاً مالهما في تقديمه وتعزيزه والانتصار له حتى قدماه وعـزراه وأنت تـرى انـهما فضلاً عن عدم خدمتهما للدين بما لهما ما خدما به خاصة أنـفسهما فـهل أبـعد غوراً من هذه الرذالة شيء ـ لا ـ فكيف يكون أبو بكـر مـن امـنّ النـاس عـلى

---

(١) انظر حد الأُقل طبقات ابن سعد: ج ١ ص ٢١٢.

(٢) انظر حد الأُقل ج ١ ص ٦١٣ من السيرة الهشامية.

رسول الله بماله ؟

النظر الثاني : ما يقوله ابن كثير : ولعلّ خطبته هذه كانت عوضاً عمّا أراد أن يكتبه في الكتاب مدحوض منقوض بأدنى نظر من أي ناظر ، فإنّ العوض من لازمه أن يكون طرف قياس للمعوض بواضح الضرورة ، والمعوض هنا ما أراد النبي ﷺ أن يكتبه للأمّة من كتاب يحصنهم من الضلال الأبدي كما هو المنطوق الصريح للأحاديث المروية في هذا الشأن وقد سلف نقل جملة منها والعوض الذي يدعيه ابن كثير هو قول النبي ـ كما يزعم في حق أبي بكر ـ انّه من أمنّ الناس عليه بنفسه وماله وانّه لو كان متخذاً خليلاً لاتخذ أبا بكر خليلاً وانّه أمر بسدّ كل الخوخات النافذة إلى المسجد إلّا خوخة أبي بكر ، وليت شعري ما ربط هذه الأشياء على فرض صدورها منه ﷺ بما يحصن الأمّة من الضلال الأبدي ، بل وأي علقة بين ذلك لأبي بكر وبين الأمّة المسلمة .

النظر الثالث : في قول ابن كثير : انّ في قوله عليه السلام : سدّوا عني كل خوخة يعني الأبواب الصغار إلى المسجد غير خوخة أبي بكر اشارة إلى الخلافة أي ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين مؤاخذات واضحة :

١ ـ أيّ ربط لسد الخوخات النافذة إلى المسجد أو لفتحها بالخلافة الإسلامية وهل الخلافة من مقولة تناسب سد الخوخات أو فتحها حتى يحصل منها اثباتاً أو نفياً استيناس بها ـ لا ـ وكل أحد يعترف بهذا.

٢ ـ كذلك لا ربط لسد الخوخات وفتحها إلى المسجد من دار ملاصقة له بالخروج إلى الصلاة بالمسلمين وهل فاصلة باب مثل هذه الدار عن المسجد إلّا خطوات معدودة ، فهل يكون في هذه الخطوات عسر عليه في الخروج إلى المسجد للصلاة بالمسلمين وأبو بكر لم يكن حين هذا الكلام ـ على فرض صدوره من النبي في حقه عاجزاً عن المشي ثقيلاً في الحركة حتى يتخذ له أقرب

الوسائل بدليل انّه لما مات النبي ﷺ بلا فاصلة أخذ هو وابن الخطاب يختلفان في الدروب والطرق لتحصيل الزعامة بارضاء هذا وقهر ذاك وبذل لذياك على ما سيأتي بيانه ، ومثل هذا لو كانت داره تبعد عن المسجد عشرات الخـطوات بـل مئاتها لما ثقلت عليه مسافتها .

٣ ـ يعترف ابن كثير انّ الخوخات هي الأبـواب الصـغار وهـي أشـبه شـيء بالكوى الواسعة وقد آنفنا في بحوث القسم الثالث سلسلة حـافلة بـالأحاديث الناطقة عن النبي ﷺ بسدّ الأبواب الشارعة إلى المسجد عموماً إلّا باب علي بن أبي طالب ، وانّ باب بيت علي كان منحصراً بهذا المدخل النافذ إلى المسجد منه ممره إلى أهله ومنه مخرجه ، فـإن يكـن وجـود النـافذة إلى المسـجد مـن علامات الخلافة لصاحب النافذة فعلي بن أبي طالب أوضح وأسمى علامة من أبي بكر إذ كانت نافذته إلى المسجد باباً ونافذة أبي بكر خوخة وهي باب صغير أشبه شيء بالكوة ومع ذلك لم يجعل الشيعي ابقاء باب علي إلى المسـجد مـن امارات خلافته وموجداتها له .

النظر الرابع : قول ابن كثير : وقد خطب عليه الصلاة والسلام في يوم الخميس قبل أن يقبض بخمسة أيّام خطبة عظيمة بـيّن فـيها فـضل الصـديق مـن سـائر الصحابة مع ما كان قد نصّ عليه أن يؤم الصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم فيه تناقضان من نفس كلامه هو ، وغلوّ خارج عن الحقيقة :

أمّا الغلو فإنّ وصف الخطبة بالعظيمة إنّما يقال للخطبة المتشعبة الأطراف ذات المضامين الوفيرة والمغازي المهمة والأهداف الراقية ، والرسول ليس بعاجز عما وصفناه لكن ما يقوله ابن كثير لا حقيقة له من نفس كتابه فإنّه يقول : خطبة عظيمة بيّن فيها فضل الصديق من سائر الصحابة وهو صريح في انّ هذه الخطبة العظيمة إنّما دعاه لها بيان فضل ابن أبي قحافة للناس من بين سائر الصحابة في حال انّه

على تطويله بذكر المكررات لروايات هذه الخطبة لم يذكر في أطول رواياته تناولاً لمضمون الخطبة سوى قوله: فخرج فجلس على المنبر فكان أوّل ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه أصحاب أُحد فاستغفر لهم ودعا لهم ثمّ قال: يا معشر المهاجرين أنتم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيدوا انهم عيبتي التي أويت اليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم، ثمّ قال ﷺ: أيّها الناس انّ عبداً من عباد الله قد خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله ففهمها أبو بكر من بين الناس فبكى وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبناءنا وأموالنا، فقال رسول الله: على رسلك يا أبا بكر انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدوها إلّا ما كان من بيت أبي بكر فاني لا أعلم أحداً أفضل في الصحبة منه. فهذه الخطبة مع كونها أطول ما تكفلته الروايات ليس فيها من وصف العظمة شيء كما لم يكن الداعي للقيام بها بيان فضل الصديق من سائر الصحابة كما رأيت وما سوى هذه الرواية من الروايات التي ذكرها فهي قصيرة المضمون لا تتجاوز السطرين والثلاثة وجميع ما يخص أبا بكر فيها ما تعرضنا له من انّه من أمنّ الناس على الرسول بنفسه وماله وانّه ﷺ لو كان متخذاً خليلاً لاتخذ أبا بكر خليلاً، وان خوخته لا تسد فهل مثل هذا ينعت بالعظمة وهل ما ذكر فيها من فضل لأبي بكر يوجب له الميزة على سائر الصحابة وفضيلة واحدة من فضائل علي التي يرويها له أبناء التسنن في خاصة كتبهم تأكل كل هذا الافك المفترى.

وامّا التناقضان:

فالأوّل منهما: انّ صريح قوله: وقد خطب في يوم الخميس قبل أن يقبض بخمسة أيّام خطبة عظيمة بيّن فيها فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما كان قد نصّ عليه أن يؤم الصحابة أجمعين انّ نصّه ﷺ عليه أن يؤم الصحابة كان سابقاً على زمان هذه الخطبة وهذه الخطبة باعترافه كانت قبل أن يقبض بخمسة أيّام،

وعلى ذلك يلزم أن يكون أبو بكر قد صلّى مكان رسول الله بالمسلمين أكثر من خمسة أيّام قطعاً في حال انّه ذكر في (ج ٥ ص ٢٣٥) من كتابه الذي نتكلم عنه عن الزهري عن أبي بكر بن أبي سبرة انّ أبا بكر صلّى بهم سبع عشرة صلاة وقال غيره عشرين صلاة والعشرون صلاة وظيفة أربعة أيّام لا أكثر، فكيف يتفق هذا مع قوله مع ما كان قد نصّ عليه ان يؤم الصحابة أجمعين الصريح في انّ زمان النصّ عليه بذلك سابق على يوم الخميس المتقدم على موته بخمسة أيّام وما ذكره في اعداد صلاته اماماً والنبي مريض وظيفة أربعة لا أكثر في أكثر الأقوال.

نعم يتمكن من يريد الدفاع عنه أن يقول: ليس مراده من قوله مع ما كان قد نصّ عليه أن يؤم الصحابة أجمعين انّ النص عليه بامامة الجماعة كان سابقاً في الزمان على زمان الخطبة بل مراده انّ الخطبة تكفلت شيئاً من فضائله ويضاف اليها تقديمه اماماً على المسلمين والنبي حي ولا ينظر فيه سابقيه الزمان على الخطبة وان أعوج تعبيره وخانه كلامه في بيان مرامه.

التناقض الثاني: تصريحه هنا بأنّ النبي نصّ عليه أن يؤمّ الصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم وقد سبق له أن قال[1]: وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيش فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب ومن قال انّ أبا بكر فيهم فقد غلط فإنّ رسول الله اشتد به المرض وجيش أُسامة مخيم بالجرف وقد أمر النبي أبا بكر أن يصلي بالناس فكيف يكون في الجيش ولو فرض انّه كان قد انتدب معهم فقد استثناه الشارع من بينهم بالنص عليه للامامة في الصلاة، فهو معترف بأنّ الجيش كان مخيماً بالجرف حال امامة أبي بكر بالناس فكيف صحّ له أن يقول: نصّ عليه أن يؤمّ الصحابة أجمعين مع حضورهم

---

(١) ج ٥ ص ٢٢٢ في قضية جيش أُسامة.

كلهم في حال انّ أهمهم وأكثرهم كان في الجرف حين تلبسه بسمة الامامة في الصلاة، وهذا تناقض ما عنه مدفع.

وعلى فرض امامته بالناس فليس المأموون له إلّا من لا يملأ عين ابن كثير وذلك لأنّ هذا الإنسان نفسه (١) يذكر انّه تجهز الناس وأوعب مع أُسامة المهاجرون الأولون، وفي فقرة أُخرى له: وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين والأنصار في جيشه فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ويذكر أيضاً: انّ رسول الله اشتد به المرض وجيش أُسامة مخيم بالجرف، إذاً فبعد غياب المهاجرين الأولين والكبار من الأنصار ما قيمة الباقين حتى ينفخ ابن كثير بسحره في امامة أبي بكر لهم ويستفيد من ذلك تقدمه على سائر الصحابة؟

هذا وليعلم انّ أُسامة ومن معه من الناس لم يهبطوا إلى المدينة إلّا في آخر لحظة من حياته؛ قال ابن اسحاق (٢): حدثني سعيد بن عبيد بن السباق عن محمّد بن أُسامة عن أبيه أُسامة بن زيد قال: لما ثقل رسول الله هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة فدخلت على رسول الله وقد اصمت فلا يتكلم، وبعين هذا يعترف ابن كثير وقد أسلفناه عنه، فإنّه يقول: انّ رسول الله اشتد به المرض وجيش أُسامة مخيم بالجرف وقد أمر النبي أبا بكر أن يصلي بالناس فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين ـ الخ ـ فلم يبق المأموون له كما أسلفناه إلّا من لا يحفل به بصر الجماعة الذين هدفهم من تثبيت هذه الامامة له استنباط تقديمه على كل الصحابة ـ وقد فاتهم ذلك ـ لاعترافهم أنفسهم انّ الغائبين عن صلاته كان الكبار من المهاجرين والأنصار فضلاً عمّن سواهم ممن كان مع أُسامة

---

(١) تاريخ ابن كثير: ج ٥ ص ٢٢٢.

(٢) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ٦٥١.

في الجيش المخيم بالجرف حينذاك.

هذا وأصل إمامة أبي بكر بالناس في مرض النبي حديث مزور لتجاهر أكثر المؤرخين بأنّه كان في جيش أُسامة وقد أسلفنا عن اليعقوبي تصريحه بكونه من أفراد الجيش وبه قال ابن الأثير أيضاً، وهكذا قال ابن سعد [١] حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخراساني أخبرنا العمري عن نافع عن ابن عمر انّ النبي بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر واستعمل عليهم أُسامة بن زيد. وقال ابن أبي الحديد [٢] وكثير من المحدثين يقولون بل كان ـ أي أبو بكر ـ في جيشه ـ أي أُسامة.

وقال أيضاً [٣]: قال أبو بكر: وحدثنا أحمد بن اسحاق بن صالح عن أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير الأنصاري عن رجاله عن عبد الله بن عبد الرحمن انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته أمر أُسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأمره أن يغير على مؤتة حيث قتل ابوه زيد وأن يغزو وادي فلسطين فتثاقل أُسامة وتثاقل الجيش بتثاقله وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه يثقل ويخف ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث حتى قال له أُسامة: بأبي أنت وأُمي أتأذن لي أن أمكث أيّاماً حتى يشفيك الله تعالى، فقال: اخرج وسر على بركة الله تعالى، فقال: يا رسول الله إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك، فقال: سر على النصر والعافية، فقال:

---

(١) في الطبقات: ج ٤ ص ٦٦.

(٢) ج ٤ ص ١٧٦ من الشرح الحديدي.

(٣) ج ٢ ص ٢٠ وما بعدها.

يا رسول الله اني أكره أن أسأل عنك الركبان، فقال أنفذ لما أمرتك به، ثمّ أُغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام أُسامة فتجهز للخروج فلما أفاق رسول الله سأل عن أُسامة والبعث فأُخبر انهم يتجهزون فجعل يقول: أنفذوا بعث أُسامة لعن الله من تخلّف عنه وكرر ذلك، فخرج أُسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين ومن الأنصار اسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه فجاء رسول أُم أيمن يقول له: ادخل فإنّ رسول الله يموت، فقام من فوره فدخل المدينة واللواء معه فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله ورسول الله قد مات في تلك الساعة.

وقال أيضاً (١): لما مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت دعا أُسامة بن زيد بن حارثة فقال: سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش وان أضفرك الله بالعدو فأقلل اللبث وبث العيون وقدم الطلائع فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلّا كان في ذلك الجيش منهم أبو بكر وعمر ـ إلى أن يقول ـ وجاء المسلمون يودعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمضون إلى عسكر أُسامة بالجرف وثقل رسول الله واشتد ما يجده فأرسل بعض نساءه إلى أُسامة وبعض من كان معه يعلمونهم ذلك فدخل أُسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فتطأطأ أُسامة عليه فقبله ورسول الله قد اسكت فهو لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثمّ يضعهما على أُسامة كالداعي له، ثمّ اشار إليه بالرجوع إلى عسكره والتوجه لما بعثه فيه، فرجع أُسامة إلى عسكره ثمّ أرسل نساء رسول الله إلى أُسامة يأمرنه بالدخول ويقلن انّ رسول الله قد أصبح بارئاً فدخل أُسامة من معسكره يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأوّل فوجد

---

(١) ج ١ ص ٥٣.

رسول الله مفيقاً فأمره بالخروج وتعجيل النفوذ وقال : اغد على بركة الله وجـعل يقول : انفذوا بعث أُسامة ويكرر ذلك فودع رسول الله وخرج ومعه أبو بكر وعمر فلما ركب جاءه رسول أُم أيمن فقال : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يموت فأقبل ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فانتهوا إلى رسول الله حين زالت الشمس في هذا اليوم وهو يوم الاثنين وقد مات.

وقال هيكل [١] من جملة كلام له : لذلك لم يطل بالمسلمين المقام بـالمدينة بعد عودهم من حجة الوداع بمكة حتى أمر النبي بتجهيز جيش عرم إلى الشـام جعل فيه المهاجرين الأولين ومنهم أبو بكر وعمر وأمّر على الجيش أُسامة بـن زيد بن حارثة.

والاطالة في هذا لا طائل تحتها لأنّ المصرحين من المؤرخين بأنّـه لم يكـن فيهم قليلون جداً وقد يكون ما جاء عن هذا القليل مبعوثاً عن دواعي العـصبية التي خلقت كثيراً من فصول التاريخ والأخبار بعد أن لم تكن مشياً مـع الهـوى المردي.

ثمّ كيف يلعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من تخلف عن جيش أُسـامة وفـيهم أبـو بكـر ويدعى له انّه صلى الله عليه وآله وسلم أمره بالصلاة مكانه مع انّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يستثنه من جملة أفراد الجيش ولو كانت الدعوى بامامته صادقة لاستثناه منهم بطبيعة الحـال وهـناك موهن آخر للدعوى المزبورة وذلك ما يرويه ابن أبي الحديد [٢] عن الارقم بن شرحبيل قال : سألت ابن عباس هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : لا، قـلت : فكيف كان ؟ قال : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه : ابعثوا إلى عـلي فـادعوه

---

(١) في كتابه حياة محمّد : ص ٤٧٨.

(٢) الشرح الحديدي : ج ٣ ص ١٩١.

فقالت عائشة : لو بعثت إلى أبي بكر ، وقال حفصة : لو بعثت إلى عمر ، فاجتمعوا عنده جميعاً هكذا لفظ الخبر على ما أورده الطبري في التاريخ . ولم يقل فـبعث رسول الله اليهما . قال ابن عباس : فقال رسول الله : انصرفوا ، فإن تكن لي حاجة أبعث اليكم ، فانصرفوا وقيل لرسول الله الصلاة ، فقال : مروا أبا بكـر أن يـصلي بالناس ، فقالت عائشة : انّ أبا بكر رجل رقيق فمر عمر ، فقال : مروا عمر ، فقال عمر : ماكنت لأتقدم وأبو بكر شاهد ، فتقدم أبو بكر فوجد رسول الله خفة فخرج فلما سمع أبو بكر حركته تأخر فجذب رسول الله ثوبه فأقامه مكانه وقعد رسول الله فقرأ من حيث انتهى أبو بكر .

قلت : عندي في هذه الواقعة كلام وتعترضني فيها شكوك واشتباه إذا كان قد أراد أن يبعث إلى علي ليوصي إليه فنفست عائشة عليه فسألت أن يحضر أبوها ونفست حفصة عليه فسألت أن يحضر ابوها ثمّ حضرا ولم يطلبا فـلا شـبهة انّ ابنتيهما طلبتاهما هذا هو الظاهر وقول رسول الله ﷺ وقد اجتمعوا كلهم عنده انصرفوا فإن تكن لي حاجة بعثت اليكم قول من عـنده ضـجر وغـضب بـاطن لحضورهما وتهمة للنساء في استدعائهما فكيف يطابق هذا الفعل وهذا القول ما روي من انّ عائشة قالت لما عين على أبيها في الصلاة انّ أبي رجل رقيق فـمر عمر وأين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء والاستقالة وهذا يوهم صحة ما تقوله الشيعة من انّ صلاة أبي بكر كانت عن أمر عائشة وان كنت لا أقـول بـذلك ولا أذهب إليه إلّا انّ تأمل هذا الخبر ولمح مضمونه يوهم ذلك ، فلعل هذا الخبر غير صحيح أيضاً . ففي الخبر ما لا يجيزه أهل العدل وهو ان يقول : مروا أبا بكر ثـمّ يقول عقيبه مروا عمر لأنّ هذا نسخ الشيء قبل تقضي وقت فعله . فإن قلت : قد مضى من الزمان مقدار ما يمكن الحاضرين فيه أن يأمروا أبا بكر وليس في الخبر إلّا انّه أمرهم أن يأمروه ويكفي في صحة ذلك مضي زمان يسير جداً يمكن فيه

أن يقال يا أبا بكر صلّ بالناس . قلت : الاشكال ما نشأ من هذا الأمر بل من كون أبي بكر مأموراً بالصلاة وإن كان بواسطة ثمّ نسخ عنه الأمر بالصلاة قبل مضي وقت يمكن فيه أن يفعل الصلاة ـ الخ ـ.

أقول : فضلاً عن اني لا أعترف بقضية أمر النبي لأبي بكر بالصلاة مكانه ـ وإن كان لا أهمية لهذا المعنى في نفسه كما سنبينه أخيراً ـ لتوفر دواعي التزوير والافتراء في هذه النقاط التعصبية ولتناقض الروايات في ذلك تناقضاً جلياً غير قابل للالتئام ففي هذا الحديث نقاط لا تلتئم مع موضوع النبوة الصادقة ـ نبوة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنّ فيه فضلاً عمّا أشار الشارح الحديدي إليه كون النبي سيقة لعائشة يمشي وراء مشتهياتها لا وراء المصلحة الشرعية فلم يقل بادئاً مروا أبا بكر أن يصلي بالناس إلّا عن تدبر لقوله إذاً فكيف جاز له العدول كلمح البصر عن ذلك بمجرد أن قالت له عائشة : انّ أبا بكر رجل رقيق فمر عمر فقال مروا عمر فإنّ النبي لم يكن عاري المعرفة بهوية أبي بكر انّه رقيق أو ليس برقيق وعلى اثر معرفته به كاملاً أمره بالصلاة مكانه ـ إن كان فعل ذلك ـ وهذا كله من الأدلّة الواضحة على اختلاق أمثال هذه الأحاديث لأنّها بمقارنتها بعضاً لبعض وبوزنها مع ما ورد في الباب من اشباهها تعطي انّ موادها لم تحصل في ساحة الوجود وان ما يحكى بها لا وقع له من الواقع وان أخبار الآحاد إذا لم تستسلم لها النفوس الوزينة بدواعي النفرة المعقولة منها لا قيمة لها أصلاً فمن واجبنا أن نبحث عن حجّية الخبر الواحد بحثاً لائقاً ليتجلى مدى الميزان العلمي في ذلك فنقول : انّا لسنا من النفاة لخبر الواحد بما هو خبر واحد وإنّما نعتبر منه ما كان جامعاً للشرائط المحررة ذيلاً :

موازين حجّية خبر الواحد

١ ـ أن تكون سلسلة الرواة من بدئها إلى ختامها كل حلقة منها جامعة لمزايا المكلف العدل وطريق اثبات ذلك لها واحد من الأُمور:

الأوّل: التواتر القاطع بعدالتها.

الثاني: الاستفاضة الناشئة من التماس والمعاشرة المثبتين لعدالتها.

الثالث: شهادة عدة ثقات معروفين بالوثاقة من دون أن يعرفوا بخدشة خادش بثبوت العدالة لها من طريق العلم القاطع لا حسن الظن والحمل على المحامل الحسنة.

ومؤدى كل من هذه الطرق الثلاث يلزم فيه الشرح والتفصيل بأن جهة اثبات العدالة لمن اثبتت له كان عن تفحص وتدقيق في حالات الشخص من عزوبه عن المخالفات الشرعية والتزامه بواجباتها وبعده عن هوى النفس وأن تكون هذه الخلال فيه عن معرفة لا عن عامية.

٢ ـ أن لا تكون محتويات رواية الراوي المزبور مخالفة للكتاب أو السنة المستفيضة أو العقل الصحيح فيما له منفذ فيه.

٣ ـ مع ذاك وهذا ان تنزل رواية الراوي المذكور من نفس الإنسان العارف الوارد بمراحل الفن المعتدل الفهم والدين والمعرفة منزل الاطمئنان والسكون وما سوى ذلك لا عبرة به عندي كما انّ مقاييس الفن لا تجيز غيره.

فأمّا ما يعتبره أبناء العامة من عدالة كل صحابي من دون بحث عنه بل حتى من عرف بالمنكرات واشتهر عنه ذلك بل وحتى من أثبت في معاجم الصحابة من طريق خبر الواحد فذلك من الطرح للحق رأساً، والموازين العلمية لا تفاوت بين صحابي وتابعي وتابع تابعي وانسان آخر جاء بعدهم بملايين من السنين فيما

هو الملاك في الراوي فالتبعيض بين فريق وفريق لأجل سمة الصحبة المجردة أو التابعية كذلك من أفحش الأغلاط العلمية ولا يهمنا من خالف الميزان العلمي اتكالاً على التعاضد التعصبي أو على الوجهة التقليدية فإنّ تسيير كافة الرويات العالمية على مقاييس الفن غير مقدور إلّا لله وحده، ولم يستطع فن ولا فني تحديد رغبات النفس البشرية أصلاً فتطويلنا شقة البحث معهم فيما خالف مقياس الفن بوضوح يعد من تضييع الأعمار انصافاً فيما لا طائل معه على انّا لا نهمل ذلك بالكلية بل نتعرض لنقاط ضعفه إن شاء الله تعالى.

وهكذا ما يعتبره أبناء العامة وكل اخباري من الاعتداد بالحديث المخالف بمحتوياته لمؤديات العقول السليمة لا قيمة له أصلاً وذلك لأنّ اصل اثبات واجب الوجود وما يلزمه من صفات موجبة أو سالبة وأصل اثبات النبوة العامة والمعجزات القهارة التي تسيل مع الزمن وما إلى ذلك لا منفذ فيه إلّا للعقل وحده فالتحكم على العقل بما يناقضه من طريق السمعيات المبتنية عليه في اُصولها المتكلم عنها تحكم فاسد بواضح الضرورة فاثبات كلما يلازم الجسم والجسمانيات والموجودات المادية لواجب الوجود بمصدر السمعيات من فاحش الأغلاط العلمية.

إذاً فكل أثر احتوى على انّ الله جسم أو في حيّز أو له يد أو رجل أو وجه أو تدركه الأبصار أو يصافح المؤمن أو يئط عرشه في جلوسه عليه وما شابه ذلك باطل، لأنّ المقاييس العلمية المنحصرة بالعقل تعد ذلك هادماً لواجب الوجود، وإذا انهدم تنهدم بانهدامه عامة الأنبياء والشرائع على الإطلاق، فلا يعود للسمعيات وزن.

والاعتذار بأنّ ذلك وارد فيجب قبوله من أقبح صور ارتكاب الذنوب وملاكه جهل القابل له بطور قاطع، نعم كثيراً ما ينزل البلغاء المعاني المعقولة في تراكيبهم

منزلة المحسوسات لأجل ايصالها إلى فهم الطرف لأنس بني آدم كافة بالمحسوسات لأنّها من طراز وجودهم أو ينحتون بقوى أوهامهم ومخيلاتهم ما يرعبون به مخاطبهم رغبة في ادخال الروع عليه وتأثير نفسه بالمزعجات وذلك لا ربط له بما نتحدث عنه أصلاً، فإذا قيل انّ يد الله مبسوطة فمعناه انّه كريم فيّاض، لا معناه انّ له يداً جارحة، وإذا قيل طلعها كأنّه رؤوس الشياطين فليس المراد به انّ لهذه الألفاظ حقيقة وإنّما هو تهويل وترويع كما قال القائل:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والله سبحانه في كتابه المجيد لم يحد عن خطة التحاور الدارجة لأنّه في سرده كلامه إنّما يريد محاذاتهم فيما يقولون ويحاورون لأنّه في سبيل افهامهم أوّلاً واعجازهم ثانياً بأنّ ما يأتي به من جوهر لغتهم وعلى نظير تراكيبهم ولكنه فوق ذلك بمزايا لا توجد في عياب معلوماتهم ولا في خزائن معارفهم فتلطف في فهم ذلك بدقة.

وامّا ما يعود لعدالة الراوي كما حررناه في الشرط الأوّل فهو أمر يعتبره الكل ولكنهم لا يعملون بمضمونه ونراهم يترسلون جد الترسل في حق الرواة ويقودهم هوى الأنفس الذي يسميه كثير باسم حسن الظن في الاعتماد على الأشخاص جاهلين أو متجاهلين انّ معنى العدالة ردف لمعنى العصمة وقريب الأُفق منه فكيف يجوز إثباته لشخص بمجرد حسن الظن به أو اتكالاً على قول مادح له والمادح كثيراً ما نراه يقلد غيره في مدحه لمن مدحه وفي هذا من التهاون ما لا يخفى.

هذا ويشتد أمر الرواية ظلمة وانستاراً في نقاط التعصبات المذهبية اشتداداً يوجب قلق النفس بوضوح فلا نجدها آمنة مطمئنة في مثل هذه النقاط أصلاً ويحق لها ذلك والميزان العلمي معها.

فإن قلتَ: مع فرض العدالة في الراوي لا وقع لاضطراب النفس من مروياته.

قلتُ: مع البناء على هذا الأصل العزيز: طالما يكثر في عوام المقدسين انجرافاً مع العقيدة ووجوب الانتصار لها وإن كان عن صفاء باطن ترسل يبعد عن منطقة الواقع وهؤلاء يرون تعظيم الشعائر ولو بالخرافات جائزاً وها نحن نرى ذلك منهم بكثرة في كافة الأدوار والفرق ولولا اننا نرهب كثيراً من هتك بعض الأستار المضروبة على باطل علمي لفاتحنا القوم بمشهوداتنا فيهم وفضحناهم أي فضيحة ولكن طالما داست الأهواء التعصبية والتقشف الممقوت المبعوث عن جهل وحسن ظن بالمعتقد موازين العلم والحق الصراح واوقفت الرجل العالم الحر بعقائده العلمية المتركزة على المدارك الصحيحة موقف من يرى الباطل فيغضي عنه خوفاً على حياته أو مقامه وقد يعذره العلم في سكوته هذا إذا رآه لا قيمة لقوله ولا أثر لنهيه بل قد يراه إذا صارح بالحق ضحية لصراحته من دون أثر يترتب على تضحيته بنفسه أو بجاهه أو بجميع ما يمت إليه ولا ريب انّ المجاهدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها حدود عقلية لا يجوز تخطيها والشرع يطأ أثر العقل في هذه الحدود بلا ريب.

ومن هذا وذاك نرى شيوخ أهل الحديث من أبناء العامة يردون رواية الراوي إذا عرفوه بالتشيع وقد لا يحاسبونه على شيء إذا لم يكن شيعياً ولا يقبل الشيعة مرويات أبناء التسنن ويعدون ذلك من الموهنات الحديثية خصوصاً في النقاط التعصبية وهذا من الحق بمكان، فإنّ الفضائل التي تروى لخالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان وأبيه صخر بن حرب وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن لفّ لفّهم وهم كثيرون لم تنحدر عن الأفواه منسوبة إلى النبي ﷺ إلّا عن تيك الدوافع التعصبية، وإلّا فمقام الفضيلة أجلّ من أن يلتصق بهؤلاء الزعانف الذين أصحر بهم التاريخ العمومي في صفوف جناة التاريخ المعروفين وللأهواء النفسية

والدواعي التعصبية حلبات مهمة كثرت من جرائها أقوال الزور والاختلاقات النابية والعقائد المرذولة والاضطرابات الغير الرامية إلى حد ولذلك تجد انّ أوليات عمر عند أبناء التسنن حاكمة بل واردة على النصوص الشرعية المتلقاة عن الشارع المقدس، ونراهم يعدون أقوال عمر ناسخة لأقوال النبي نفسه، والحركات الدائرة في عصره الممضاة منه طاردة لدور النبوة.

وعملهم العمومي على سيرة الأشياخ لا سيرة النبي مع اعترافهم جميعاً انّ عمر ليس له من مقام التشريع أي مقام مفروض، وإنّما هو مكلّف يتلقى تكاليفه الدينية عن الرسول لا أكثر، فما الذي جوّز لهم هذا التخصص به حتى في مرحلة الوظيفة التكليفية؟ نعم جوّز لهم ذلك هوى النفس والرغبة النفسية ليس غير، ولذلك تراهم لا ينحرفون عن هذه الخطة ولو حجهم الدليل وأفحمهم الخصم، وفي كل المذاهب بلا استثناء أُسوة بهم في الغلو والخروج عن الحقيقة إلّا انهم أكثر الناس اندفاعاً نحو ذلك.

إن قلتَ: فما بالنا نراكم معاشر الشيعة دائماً تفزعون إلى مسانيدهم وصحاحهم وسننهم ومعاجمهم فترووت في مقام التعرض لسرد فضائل علي وآل النبي أو التعرّض لنقاط الضعف في رجالهم ومذهبهم وأُصول وفروع طريقتهم عن أبي هريرة وعائشة وابن عمر وعمر نفسه ومن لفّ لفّهم من رواتهم المشاهير المعروفين بالانحراف عن جانب التشيع فضلاً عن صغارهم، وأنتم تعتبرون هذا الفريق ونظيره خارجاً عن ملاك الراوي المقبول الحديث لتخلّف كثير من الشروط المأخوذة عندكم فيه؟

قلتُ: معاشر الشيعة لا يقبلون ذلك بما انّه رواية جارية على مقتضى سننهم الحديثية، بل بما انّه اعتراف من الخصم في حق خصمه واقرار العقلاء على أنفسهم جائز ويؤخذون به ويترتب عليه الأثر التام وليسوا هم ممن يعتدون

بشخصية علي وآل النبي أو بتضعيف معاوية وأضراب معاوية وما إلى ذلك للحديث الوارد من طرقهم عن النبي أو آل النبي بل عمدة اعتدادهم بجنبة التاريخ العام الذي يتناوشه كافة المؤرخين بنحو حقيقة معترف بها فإنّ جنبة التاريخ العمومي ليست مما تبتني على حدثني فلان أو روى فلان وإن كثر في التاريخ هذا النمط بل بناؤها على المتسالمات النوعية الدارجة في العصور والأجيال عصراً بعد عصر وجيلاً بعد جيل، ومع ذلك تحتوشها التعصبات والأغراض ولكن لا تؤثر في النقاط البارزة منها.

مثلاً كتبة التاريخ من أهل التسنن كثيرون وكل أبناء السنة يعتقدون انّ أبا بكر أفضل الصحابة من جميع الوجوه فهو أشجعهم وأعلمهم وأتقاهم وألصقهم بالنبي و. و. كما سنفيض في البحث عن ذلك، لكنك إذا انصرفت بنظرك عن هذه الكليات التي يسوقونها في ترجمة أبي بكر إلى متشتت الحديث من بدأ سيرة النبي إلى ختام حياة أبي بكر لم تجد من حديثهم عن المواضع المومأ إليها من السيرة أقل أثر لشجاعة أبي بكر ففي غزوة بدر تراه منعزلاً عن حومة الميدان الحارة إلى الضلال الوارف تحت العريش وفي وقعة أُحد فاراً مع من فرّ والذي ذكره في الثابتين لم يذكر له أقل ذكر ولا غناء وفي حنين لا وجود له في الموقف الحرج وهلم جرا على طول الخط.

وهكذا تجد دائرة علمه في التبحر عن حياته من نفس التواريخ المزبورة ضيقة جداً بحيث لا تقوم بطرف مما يحتاج إليه المكلف المتورع وبقية الصفات التي تذكر له على هذا المنوال والذي يمنع المؤرخ أن يحشو كتابه كله بالأكاذيب خوف الارجاف به لا حب الصدق في الحديث فإنّ الصادق في الناس قليل.

هذا وانّ المؤرخ غير المحدث فإنّ الذي يقرأ التاريخ ويعلق عليه أكثر بكثير ممن ينظر في الحديث ولأنّ التاريخ يتناول الجنبات العمومية والحديث إنّما

يدور على بحوث خاصة لذلك ولهذا لا يستطيع المؤرخ أن يملأ كتابه بالأراجيف والموبقات لعلمه انّ كتابه يسقط عن أعلا القيم وأدناها فلا ينظر فيه ناظر ولا يتناوله متناول ومهما كان، وهذا هو العلّة في ذلك والفارق فالتفت.

وبعد أن تدرس ما أمليناه عليك في التحديث عن أخبار الآحاد تعترف بأنّ الحق معنا بوضوح خصوصاً ونحن نعزز الموقف بمؤيدات تقوّيه وشواهد تصحر بحقه للنظار من أُولي الأنظار.

النبي يتحدث عن أصحابه

فمن الموهنات في قسم الصحابة ـ ما نستطرده لك بعد توطيد هذه المقدمة ـ روى مسلم في صحيحه[١] تحت عنوان باب اثبات حوض نبينا وصفاته: عن قتيبة بن سعيد عن يعقوب عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبي يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا احدثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول، قال فقلت نعم قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: انهم مني فيقال انك لا تدري ما عملوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي.

قال: وحدثنا داود بن عمرو الضبي عن نافع بن عمرو الجمحي عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله: حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً. قال: وقالت أسماء بنت أبي بكر: قال

---

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ٦٥ وما بعدها.

رسول الله ﷺ : اني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أُناس دوني فأقول : يا رب مني ومن أُمتي فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم ، قال : فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم انّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن عن ديننا .

وحدثنا ابن أبي عمر عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة انّه سمع عائشة تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه : اني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم فوالله ليقطعن دوني رجال فلأقولن أي ربّ مني ومن أُمتي فيقول انك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم .

حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي عن عبد الله بن وهب أخبرني عمرو انّ بكيراً حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي عن عبد الله بن رافع مولى أُم سلمة عن ام سلمة زوج النبي ﷺ انها قالت : كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيّها الناس فقلت للجارية استأخري عني ، قالت : إنّما دعا الرجال ولم يدع النساء ، فقلت : اني من الناس ، فقال رسول الله ﷺ : اني لكم فرط على الحوض فاياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فأقول فيم هذا فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وابن نمير قالوا : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ولأُنازعن أقواماً ثمّ لأغلبن عليهم فأقول يا ربّ أصحابي أصحابي فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

وحدثني محمّد بن حاتم عن عفان بن مسلم الصفار عن وهيب قال : سمعت

عبد العزيز بن صهيب يحدث قال: حدثنا أنس بن مالك انّ النبي ﷺ قال: ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا الي اختلجوا دوني فلأقولن أي ربّ أصيحابي أصيحابي فليقالن لي انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ـ اهـ.

والحديث من هذا النمط كثير رواه أهل الصحاح فضلاً عن غيرهم، وإنّما تعرضنا لهذه المقدمة مع انّ الاعتبار شاهد صدق لها لنفند مزاعم القوم في قولهم اتفق أهل السنة على انّ الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلّا شذوذ من المبتدعة [١].

ما تذكره المعاجم في حقّ جملة من الصحابة

(ضرار بن الازور)

ذكر ابن حجر في حرف الضاد من الاصابة (ج ٢ ص ٢٠٠) في ترجمة ضرار بن الأزور الصحابي المتفق على صحبته انّ خالداً بعث ضراراً هذا في سرية فأغروا على حي من بني أسد فأخذوا امرأة جميلة فسأل ضرار أصحابه أن يهبوها له ففعلوا فوطئها ثمّ ندم فذكر ذلك لخالد فقال: قد طيبتها لك، فقال: لا حتى تكتب إلى عمر فكتب أرضخه بالحجارة فجاء الكتاب وقد مات فقال خالد: ما كان الله ليخزي ضراراً. ويقال: انّه الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد، ويقال: انّه ممن شرب الخمر مع أبي جندل فكتب فيهم أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر فكتب إليه ادعهم فسائلهم فإن قالوا انها حلال فاقتلهم وان

(١) انظر على الأقل: الاصابة ج ١ ص ١٧ تحت عنوان الفصل الثالث في بيان حال الصحابة من العدالة.

زعموا انها حرام فاجلدهم، ففعل فقالوا: انها حرام ـ اهـ.

ويكفينا في تفسيق هذا الصحابي حكم عمر بن الخطاب وهو إمام أهل السنة برجمه للزنا وبجلده لشرب الخمر، وامّا قول خالد له: قد طيبتها لك فخالد طالما أحلّ وحرّم بشهوته، وكيف أوحت إليه ميوله ولا كلام لنا معه. والكلام حول فجائعه مضى بعضه ويجي الباقي.

(معاوية ذو الاستاه وأبوه صخر بن حرب)

ذكر الشارح المعتزلي [١] عن أبي عبد الله البصري المتكلم انّه روى عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: أتيت مسجد رسول الله ﷺ والناس يقولون نعوذ بالله ومن غضب الله وغضب رسوله، فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد، فقال رسول الله ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع ربّ يوم لأُمتي من معاوية ذي الأستاه، قالوا: يعني الكبير العجز.

أقول: وقد عمى كثير من شيوخ الحديث السني هذا الحديث وألغزوه نزولاً على هوى أنفسهم في آل أبي سفيان، مع انّ الحديث نفسه يدل على نفسه بالتحريف والتحوير وقد ذكره ابن حجر من الاصابة بلونه المحرف فقال في حرف العين [٢] عاصم بن عمرو بن خالد الليثي أبو نصر ذكره ابن أبي خيثمة وغيره في الصحابة وروى البغوي من طريق نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ويل لهذه الأُمّة من فلان ذي الأستاه.

---

(١) الشرح الحديدي: ج ١ ص ٣٦٣.

(٢) ج ٢ ص ٢٣٧ وما بعدها.

قال البغوي: ولا أدري له صحبة أم لا، قلت: قد أخرجه الطبراني من الوجه الذي أخرجه منه البغوي فزاد في أوّله ما يدل على صحبته وهو قوله دخلت المسجد مسجد المدينة وأصحاب رسول الله ﷺ يقولون نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله قلت: مم ذاك قالوا كان يخطب آنفاً فقام رجل فأخذ بيد ابنه ثمّ خرجا فقال رسول الله ﷺ: لعن الله القائد والمقود به ويل لهذه الأُمّة من فلان ذي الأستاه.

ولا ريب انّ هذا التحريف تولد زمن التعصب ولم يكن له زمن الصحابة عين ولا أثر فإنّ النبي ﷺ كيف يتحاشى عن ذكر معاوية أو غيره من الناس باسمه الصريح وهو ﷺ يتألم لأُمته مما يلاقونه منه ومعاوية وغير معاوية يومذاك لا قيمة لهم حتى يتحاشاهم على انّ ذا الأستاه وهو الكبير العجز وصف عرف به معاوية وشهر فلم يكن اغفال اسمه بمؤثر في اخفائه بعد ذكره بوصفه ونعته المعروفين.

ثمّ الصحابة الذين حدثوا عاصم الليثي كانوا حضوراً عندما قام الرجل الآخذ بيد ابنه فهم لا شك يعرفونه ولو بالتسائل عنه عندما لعنه النبي ولعن ابنه فإنّ ذاك مما يدفع بجاهل المعرفة بالسؤال عنه وانّه من هو والسؤال حتماً يعرفهم بهويته ان كانوا لا يعرفونه ـ ومن المحال فرض أن لا يعرفوه ـ فإنّ الناس في محيطهم يومذاك قل ان لا يعرف أحداً أحداً رآه أو حاوره أو ساكنه في مسكن أو رافقه في مسير أو حل معه وما أكثر الاقترانات التي تجمع الإنسان بالانسان.

وعاصم الليثي عندما حدث بهذا الحديث لم يرو عنه ولذلك حفظ عنه غير مروي، ولكن ثقاة الحفاظ من بغوي وطبراني وعسقلاني و. و. هم الذين عموه وألغزوه ليتسنى لهم أن يحكموا لأبي سفيان هذا الأخذ بيد ابنه الملعونين على

لسان رسول الله بوجوب دخول الجنة وانّه صحابي يترضى عنه وتذكر له فضائل (١).

قال: روى الزبير من طريق سعيد بن عبيد الثقفي قال: رميت أبا سفيان يوم الطائف فأصبت عينه فأتى النبي ﷺ فقال: هذه عيني اصيبت في سبيل الله قال: إن شئت دعوت فردت عليك وان شئت فالجنة قال الجنة: يذكر ابن حجر هذا ويعده من الأخبار الصحيحة وينسى ان يوم الطائف كان بمقربة من يوم حنين وعلى كل الهنات والتعصبات لآل أبي سفيان لم ينس التاريخ ولم يغفل كلمات أبي سفيان الاستهزائية عندما انهزم المسلمون عن النبي في الموقف المذكور فكان هذا المتعوس هو ونظراؤه يومذاك لا يتأثمون من قول الهزء والسخرية جهاراً بالمسلمين وبالاسلام.

انظر ما كتبناه في التحديث عن غزوة حنين فانك تعرف موقف هذا الكافر المنافق الذي لا يعرف جنة ولا ناراً فكيف يعود من انطوى على هذه الروح بعد أيّام من موقفه هذا يعترف بالجنة ويريدها ولا يريد بصره في حال انّه في أواخر عمره صرّح لأهل بيته بلزوم تلقفهم الخلافة الإسلامية تلقف الكرة فإنّه لا جنة ولا نار ـ اقرأ ما كتبه أبو الفرج عنه كما ذكرناه نحن في صدر هذا القسم من الكتاب الذي بين يديك ـ.

هذا وابن حجر نفسه يروي في حق هذا الطاغية في نفس الترجمة المومأ اليها ما هذا لفظه: وروى ابن سعد قال: لما رأى أبو سفيان الناس يطؤون عقب رسول الله ﷺ حسده فقال في نفسه لو عاودت الجمع لهذا الرجل فضرب رسول الله

(١) انظر على الأقل ما يذكره ابن حجر له في الاصابة ج ٢ ص ١٧٣ عند تعرضه لترجمته بعنوان صخر ابن حرب.

في صدره ثمّ قال إذاً يخزيك الله فقال : استغفر الله وأتوب إليه ، والله ما تفوهت به إلّا شيء حدثت به نفسي .

ومن طريق أبي اسحاق السبيعي نحوه ، وقال : ما أيقنت انك رسول الله حتى الساعة ، ومن طريق عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : قال أبو سفيان في نفسه : ما أدري بم يغلبنا محمّد ، فضرب في ظهره وقال : بالله يغلبك ، فقال : أشهد انك رسول الله . وروى الزبير بن بكار من طريق اسحاق بن يحيى عن أبي الهيثم عمن أخبره انّه سمع أبا سفيان بن حرب يمازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أُم حبيبة ويقول ان هو إلّا أن تركتك فتركتك العرب ان انتطحت فيك جماء ولا ذات قرن ورسول الله يضحك ويقول أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة .

أقول : امّا قوله في نفسه أو بلسانه همساً بما سمعه النبي لو عاودت الجمع لهذا الرجل فهو حق ثابت له لأنّ روحه لا تزال تنطق بمثل ذلك وامّا قول استغفر الله وأتوب إليه منسوباً له فكذب لأنّ الذي يحدث نفسه بمثل تلك الأحاديث الالحادية لا يعود يؤمن بفاصلة طرفة عين وليس قول النبي مخبراً عما في ضميره بآكد في صدقه من معجزاته البالغة وبراهينه الساطعة التي خضع لها كثير من الناس لأنّهم عرفوا الحق فاتبعوه .

وهكذا يصدق ما يقال عنه انّه قال في نفسه أو همساً بعد ما أسلم بزعمهم بم يغلبنا محمّد ولا يصدق ما يروى انّه قال عقيب قول النبي له بالله يغلبك اشهد انك رسول الله فإنّه ان يك قالها ـ ولم يكد ـ فعن خوف مالىء فإنّ أبا سفيان لم يخضع للاسلام ساكناً إلّا بعد أن أعياه القوس عن كل حيلة منزعاً ، راجع ما تحدثنا به عن فتح مكة في القسم الثالث من هذه السلسلة .

وما يروى انّه كان يمازح رسول الله في بيت بنته ام حبيبة ويقول والله ان هو إلّا أن تركتك فتركتك العرب ان انتطحت فيك جماء ولا ذات قرن ، فذلك ليس بمزاح

منه وإنّما هي فلتات روحه الخبيثة تطفو به المرة بعد المرة ولو كان قادراً على ما يقول لفعل ولكنه حصت قوادمه وخوافيه فقوله هذا في حال عجزه كتعاظم المخذول تعالياً بنفسه حين لا ينفعه الف قول من نظير ذلك. وأمّا ضحك رسول الله له ان صحّ فمجاراة لسفيه يريد أن يتألفه وقد تألفه بأغلا من الضحك وهو المال الجزيل.

وقال ابن حجر أيضاً: وروى يعقوب من طريق ابن اسحاق عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير قال: كنت مع أبي عام اليرموك فلما تعبى المسلمون للقتال لبس الزبير لامته ثمّ جلس على فرسه وتركني فنظرت إلى ناس وقوف على تل يقاتلون مع الناس فأخذت ترساً ثمّ ذهبت فكنت معهم فإذا أبو سفيان في مشيخة من قريش فجعلوا إذا مال المسلمون يقولون ايده ببني الأصفر وإذا مالت الروم قالوا يا ويح بني الأصفر.

أقول: هذه الرواية محرفة ولونها الصحيح ما سقناه في صدر هذا الكتاب عن أبي الفرج في الأغاني فراجع.

لكن ابن حجر لم تقعد به عصبيته فقال عقيب هذه الرواية المبتورة: وهذا يبعده ما قبله والذي قبله أصح. ويريد بالذي قبله حديث اصابة عينه يوم الطائف فإنّ النبي خيره بين ردها عليه أو الجنة فاختار الجنة عليها وقد نقلناه سابقاً.

وكل هذه التعصبات زائفة لا مقيل لها وليس فيها سوى الافتضاح. وعلى سنن اخفاء ابن حجر ونظرائه صراحة لعن رسول الله لأبي سفيان ليتسنى لهم ان يحكموا له بدخول الجنة على لسان الرسول ﷺ اخفاؤه صراحة لعن الرسول لنغله معاوية حتى يتسنى له ان يقول في ترجمته طليعة للافاضة في محاسنه: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف

القرشي الأموي أمير المؤمنين ـ الخ ـ في حال انّ هذا الباحث السني لما ترجم علياً في كتابه هذا لم يعنونه بأنّه أمير المؤمنين، انظر واعجب.

قال ابن أبي الحديد [١]: وقال: ـ أي أبو عبد الله البصري المتكلم ـ روى العلاء بن حريز القشيري انّ رسول الله ﷺ قال لمعاوية: لتتخذن يا معاوية البدعة سنة والقبيح حسناً أكلك كثير وظلمك عظيم. قال: وروى الحارث بن حضيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجد قال: قال علي عليه السلام: نحن وآل أبي سفيان قوم تعادوا في الأمر والأمر يعود كما بدا ـ اهـ.

ويعزز الأعظم من هذه الأحاديث في حقه ارتكابه لعظائم الأُمور الفظيعة من قتله للصحابة الأخيار وتنديده بهم وسنه للسيرة المشؤومة في دولة بني امية ومنها سرت إلى غيرها ـ سبّ علي بن أبي طالب ـ وسبّه سب لرسول الله بلا ريب كما يأتي في محله، فجرّ الكلام عن جرائم هذا الطاغية الملحد في طول أعماله لا طائل تحته ونفس حديث التاريخ العمومي عنه وعن بيته وأعماله وأعمالهم يكفل بغية الطالب وبلاغ الكاتب وامّا عدّ أبناء التسنن له ولأبيه في الصحابة الذين اثبتوا لعمومهم العدالة بالاجماع منهم فذلك من جملة مدعياتهم التعنتية الفاقدة للمدرك أوّلاً الواجدة لكل خدشة وعيب ومطعن ثانياً والتعرض لهذه الانحرافات لا يعد إلّا نقصاً في المتعرض ولولا الدواعي الملزمة للمبارزة في جبهة الحق حتى لا تتقوى جنبة الباطل وتستشري في الأفراد البسطاء لكان الخوض في ذلك من السفه انصافاً.

---

(١) في تتمة ما نقلناه عنه ج ١ ص ٣٦٣ من شرحه.

(عبد الله بن مسعدة)

وذكر ابن حجر في باب العين [١] عن محمّد بن الحكم الأنصاري عن عوانة قال: حدثني خديج خصي لمعاوية قال: قال لي معاوية: ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري فدعوته وكان آدم شديد الادمة فقال: دونك هذه الجارية لجارية رومية بيض بها ولدك، وكان عبد الله في سبي بني فزارة فوهبه النبي لابنته فاطمة فأعتقته وكان صغيراً فتربى عندها ثمّ كان عند علي ثمّ كان بعد ذلك عند معاوية وصار أشد الناس على علي. فهذا من الصحابة العدول كما يقول أبناء التسنن، وحد الأقل مما يلحق هذا الصحابي العدل كما يقال عنه بأعداء الله قول النبي لعلي: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقول النبي له: ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله. وقوله ﷺ له أيضاً: ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية وحوسب بعمله في الإسلام [٢]. والحديث في حبه وبغضه حديث متواتر واستقصاؤه يحتاج إلى تحرير كتاب ضخم وما بنا حاجة لذلك لأنّ أبناء التسنن بأسرهم مطبقون عليه رواية وان خالفوه عملاً.

(أبو الأعور السلمي)

ذكر ابن حجر في حرف العين من اصابته (ج ٢ ص ٥٣٣) عند تعرضه لترجمة أبي الأعور السلمي: عمرو بن سفيان أبو الأعور السلمي مشهور بكنيته قال مسلم وأبو أحمد الحاكم في الكنى: له صحبة وذكره البغوي وابن قانع وابن

(١) الاصابة: ج ٢ ص ٣٥٩ عند تعرضه لترجمة عبد الله بن مسعدة بن حكمة.

(٢) راجع حد الأقل: ج ٥ ص ٣١ و ٣٢ من منتخب كنز العمال للمتقي الهندي.

سميع وابن منده وغيرهم في الصحابة وقال عباس الدوري في تاريخ يحيى بن معين سمعت يحيى يقول: أبو الأعور السلمي رجل من أصحاب النبي وكان مع معاوية ـ إلى أن يقول ـ وقال محمّد بن حبيب: كتب عمر بن الخطاب إلى امـراء الآفاق أن يبعثوا إليه من كل عمل رجلاً من صالحيها فبعثوا إليه أربعة من البصرة والكوفة والشام ومصر فاتفق أنّ الاربعة من بني سليم وهم الحجاج بن عـلاط وزيد بن الأخنس ومجاشع بن مسعود وأبو الأعور ـ اهملخصاً ـ فهذا كما ترى معدود عند العامة في الصحابة الصالحين وهو من اشد الناس عـلى عـلي، وله بذلك معروفية ما عليها غبار في حال انّ النبي نفسه قد حكم على هذا ونظرائـه بأنّهم من أعدائه ﷺ وأعداء الله.

(شرحبيل بن السمط)

وذكر ابن عبد البر[١] عند تعرضه لترجمة شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة الكندي: انّ شرحبيلاً هذا أدرك النـبي ﷺ وكـان أمـيراً عـلى حـمص لمعاوية، قيل لمعاوية: انّ جريراً قد رد بصائر أهل الشام في انّ عليّاً قتل عثمان ولابد لك من رجل يناقضه في ذلك ممن له صحبة ومنزلة ولا نعلمه إلّا شرحبيل بن السمط فإنّه عدو لجرير فاستقدمه معاوية فقدم عليه فهيأ له رجالاً يشـهدون عنده انّ عليّاً قتل عثمان منهم بسر بن ارطاة ويزيد بن اسد جد خالد بن عبد الله القسري وأبو الأعور السلمي وحابس بن سعد الطائي ومـخارق بـن الحـارث الزبيدي وحمزة بن مالك الهمداني قد واطأهم معاوية على ذلك فشهدوا عنده انّ عليّاً قتل عثمان ثمّ خرج إلى مدائن الشام يخبر بذلك ويندب إلى الطـلب بـدم

(١) في حرف الشين من الاستيعاب: ج ٢ ص ١٣٩ المطبوع في ذيل الاصابة.

عثمان وله قصص طويلة ـ الخ ـ وكل هؤلاء الذين واطأهم معاوية على هذا التزوير وأجابوه إليه وقاموا به خير قيام مذكورون في الصحابة إلّا مخارق بن الحارث وحمزة بن مالك فانني لم أجدهم في الاصابة والباقون مذكورون فيها كل في باب اسمه من الحروف الهجائية. وهؤلاء الفسقة باعتراف ابناء التسنن عدول في نظرهم كما أسلفناه عنهم ومن رواية أمثال هؤلاء يكتبون صحاحهم ومسانيدهم الحديثية.

(عبد الله بن الزبير)

وذكر ابن عبد البرّ[١] انّ عبد الله بن صفوان بن امية مرّ يوماً بدار عبد الله بن عباس بمكة فرأى فيها جماعة من طالبي الفقه ومرّ بدار عبيد الله بن عباس فرأى فيها جماعة ينتابونها للطعام فدخل على ابن الزبير فقال له: أصبحت والله كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام قارعة   لم نبك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذان ابنا عباس أحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس، فما أبقيا لك مكرمة، فدعا عبد الله بن مطيع وقال: انطلق إلى ابني عباس فقل لهما يقول لكما أمير المؤمنين اخرجا عني أنتما ومن انضوى اليكما من أهل العراق وإلّا فعلت وفعلت، فقال عبد الله بن عباس لابن الزبير: والله ما يأتينا من الناس إلّا رجلان رجل يطلب فقهاً ورجل يطلب فضلاً فأي هذين تمنع وكان بالحضرة أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني فجعل يقول:

---

(١) في حرف العين من الاستيعاب: ج ٢ ص ٣٤٢ عند تعرضه لترجمة عبد الله بن عباس.

لا درَّ درُّ الليالي كيف تضحكنا — منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيّام من عبر — في ابن الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيسمعنا — فقهاً ويكسبنا أجراً ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مترعة — جفانة مطعماً ضيفاً ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما — ننال منها الذي نبغي إذا شينا
انّ النبي هو النور الذي كشطت — به عمايات ماضينا وباقينا
ورهطه عصمة في ديننا لهم — فضل علينا وحق واجب فينا
ففيم تمنعنا منهم وتمنعهم — منا وتؤذيهم فينا وتؤذينا
ولست فاعلم بأولاهم به رحماً — ياابن الزبير ولا أولى به دينا
لن يؤتي الله انساناً ببغضهم — في الدين عزاً ولا في الأرض تمكينا

ـ الخ ـ فهذا من الصحابة العدول عند أبناء العامة، وبلغ من خبثه الباطني أن يمنع رواد الفقه من الطلب له عن مصادره المعروفة ويهدد أهله على اجتماعهم لطلبه وهذا العمل لا تفعله الفسقة المتجاهرون إذا كانت لهم عقائد راسخة.

وذكر ابن أبي الحديد [١]: انّ عبد الله بن الزبير كان يبغض عليّاً وينتقصه وينال من عرضه، وروى عمر بن شبه وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير انّه مكث أيّام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: لا يمنعني من ذكره إلّا أن تشمخ رجال بآنافها. وفي رواية محمّد بن حبيب وأبي عبيدة معمر بن المثنى انّ له أُهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره. وروى سعيد بن جبير انّ عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن عباس: ما حديث أسمعه عنك؟ قال:

(١) الشرح الحديدي: ج ١ ص ٣٥٨.

وما هو ؟ قال : تأنيبي وذمي ، فقال : اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره ، فقال ابن الزبير : اني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة ـ الخ ـ وهذا من ابن الزبير نصب يلحقه بالكفر ، وهذا الخبيث له حديث طويل الذيل في صحاح العامة ، ويعد من مشاهير رواتهم .

(قدامة بن مظعون)

وقال ابن حجر [١]: كان أحد السابقين الأولين هاجر الهجرتين وشهد بدراً ـ إلى أن يقول ـ انّ عمر استعمل قدامة بن مظعون على البحرين وهو خال حفصة وعبد الله ابني عمر فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر من البحرين فقال : يا أمير المؤمنين انّ قدامة شرب فسكر واني رأيت حداً من حدود الله حقاً على أن أرفعه اليك ، قال : من يشهد معك ؟ قال أبو هريرة : فقال بم تشهد قال : لم أره شرب ولكني رأيته سكران يقيء فقال : لقد تنطعت في الشهادة ثمّ كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين فقدم ـ إلى أن يقول ـ فأمر به فجلد فغاضب عمر قدامة وهجره .

قال : وأخرجها ـ أي هذه القصة ـ أبو علي بن السكن من طريق علي بن عاصم عن أبي ريحانة عن علقمة الخصي يقول : لما قدم الجارود على عمر قال : انّ قدامة شرب الخمر ، قال : من يشهد معك ؟ قال علقمة الخصي : قال : فأرسل إلى عمر قال : أتشهد على قدامة ؟ فقلت : ان أجزت شهادة خصي ، قال : أما أنت فانا نجيز شهادتك ، فقلت : أنا أشهد على قدامة اني رأيته تقيأ الخمر ، قال عمر : لم يقئها حتى شربها ، أخرجوا ابن مظعون إلى المطهرة فاضربوه ، فأخرجوه

---

(١) في حرف القاف من اصابته : ج ٣ ص ٢١٩ عند تعرضه لترجمة قدامة بن مظعون .

فضرب الحد ـ إلى أن يقول ـ وقال عبد الرزاق أيضاً عن ابن جريح عن أيّوب لم يحد أحد من أهل بدر في الخمر إلّا قدامة بن مظعون ـ الخ ـ والصحابي البدري إذا كان من المهاجرين الأولين عند أبناء العامة يعد تلو الأنبياء في العظمة وها أنت ترى اعترافهم بشرب أحد هؤلاء للخمر المعروفة التحريم بين المسلمين وشربها مما يخل بالعدالة قطعاً، إذاً فما أحق هذا الموقف بقول القائل:

وإذا اصطادت الشباك صقوراً فمن الهين الطيور الصغار

(نعيمان)

وذكر ابن حجر [١] انّ ابن منده أخرج بطريقه عن مروان بن قيس من صحابة النبي انّ النبي ﷺ مرّ برجل سكران يقال له نعيمان فأمر به فضرب فأتى به مرة أُخرى سكران فأمر به فضرب ثمّ أتى به الثالثة فأمر به فضرب ثمّ أتى به الرابعة وعنده عمر فقال عمر: ما تنتظر به يا رسول الله هي الرابعة، اضرب عنقه، فقال رجل عند ذلك: لقد رأيته يوم بدر يقاتل قتالاً شديداً، وقال آخر: لقد رأيت له يوم بدر موقفاً حسناً فقال النبي ﷺ: كيف وقد شهد بدراً.

فقد ثبت لك مما مرّ انّ هذا الصحابي البدري كان مصراً على المعصية والاصرار على المعاصي من أعظم شعائر الفسق وفي ذيل الرواية عنه ﷺ كيف ـ أقتله ـ وقد شهد بدراً ولولا شهوده بدراً لضربت عنقه لاستحقاقه ذلك. تزوير صريح على النبي، فإنّ المحرمات الشرعية يستوي فيها البدري وغيره بالضرورة القاطعة، فإن كان الإنسان المكلّف بعد اجراء الحدّ عليه ثلاثاً حكمه

(١) في حرف الميم من الاصابة: ج ٣ ص ٣٨٤ عند تعرضه لترجمة مروان بن قيس الأسلمي.

القتل في الرابعة فنعيمان من مصاديق هذه القاعدة الشرعية ولا يجوز تخلفها عنه وان لم يكن حكمه القتل فالتعليل بأنّه شهد بدراً لا مجال له .

(الوليد بن عقبة)

والوليد من عقبة بن أبي معيط صحابي لا يختلف في صحبته ، وتهتكه وفسقه نار على علم . وهو مشمول لقاعدتهم انّ الصحابة عدول باجماع أهل السنة .

ذكر ابن أبي الحديد (١) فقال : قال شيخنا أبو القاسم البلخي : من المعلوم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به واطباق الناس عليه انّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان يبغض عليّاً ويشتمه وانّه الذي لاحاه في حياة رسول الله ﷺ ونابذه وقال له : أنا أثبت منك جناناً وأحدّ سناناً ، فقال له علي : اسكت يا فاسق فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾ ، وسمي الوليد بحسب ذلك في حياة رسول الله الفاسق فكان لا يعرف إلّا بالوليد الفاسق ـ قال ـ وسماه الله تعالى فاسقاً في آية أُخرى وهو قوله تعالى : ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾ وسبب نزولها مشهور ، وهو كذبه على بني المصطلق وادعاؤه انهم منعوا الزكوة وشهروا السيف حتى أمر النبي ﷺ بالتجهز اليهم فأنزل الله تعالى في تكذيبه وبراءة ساحة القوم هذه الآية ، وكان الوليد مذموماً عند رسول الله ويشنأه ويعرض عنه وكان الوليد يبغض رسول الله أيضاً ويشنأه وأبوه عقبة بن أبي معيط هو العدو الأزرق بمكة والذي كان يؤذي رسول الله في نفسه وأهله واخباره في ذلك مشهورة ، فلما ظفر به يوم بدر ضرب عنقه وورث ابنه الوليد الشنآن والبغض لمحمد وأهله فلم يزل عليهما إلى أن مات .

---

(١) ج ١ ص ٣٦٤ من شرحه الحديدي.

قال الشيخ أبو القاسم: وهو أحد الصبية الذين قال أبوه عقبة فيهم وقد قدم لتضرب عنقه من للصبية يا محمّد؟ فقال: النار، اضربوا عنقه، قال: وللوليد شعر يقصد فيه الرد على رسول الله حيث قال وان تولوها عليّاً تجدوه هادياً مهدياً.

وروى الشيخ أبو القاسم البلخي أيضاً عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي قال: مرّ ناس بالحسن بن علي وهم يريدون عيادة الوليد بن عقبة وهو في علّة له شديدة فأتاه الحسن معهم عائداً فقال للحسن: أتوب إلى الله مما كان بيني وبين جميع الناس إلّا ماكان بيني وبين أبيك فأني لا أتوب منه.

قال شيخنا أبو القاسم البلخي: وأكد بغضه له ضربه ايّاه الحدّ في ولاية عثمان وعزله عن الكوفة، وقد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند المحدثين على انّ النبي ﷺ قال له: لا يبغضك إلّا منافق ولا يحبك إلّا مؤمن، إلى أن يقول: قال الشيخ أبو القاسم: وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة انهم قالوا: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغض علي بن أبي طالب ـ اهـ ملخصاً ـ.

أقول: وقد وطأ ابن عبد البر عند تعرضه لترجمة الوليد هذا[١] على عقب البلخي فيما ذكره في حق الوليد بن عقبة فقال: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت انّ قوله عزوجل: **﴿إن جاءكم فاسق بنبأ﴾** نزلت في الوليد بن عقبة ـ إلى أن قال ـ ومن حديث الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة في قصة ذكرها: **﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾** قال: ثمّ ولّاه عثمان الكوفة وعزل عنها سعد بن أبي وقاص، فلما قدم الوليد على سعد قال له سعد: والله ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك،

(١) الاستيعاب: ج ٣ ص ٥٩٤.

فقال: لا تجز عن أبا اسحاق فإنّما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون، فقال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكاً.

أقول: غلط سعد في قوله ستجعلونها ملكاً، وأي ملك بعد تصدر مروان بن الحكم وزيراً مشاوراً للخليفة بل بيده كل حل وربط وبعد ولاية الوليد بن عقبة على أهم أمصار المسلمين بالطريقة التي اتخذها لنفسه ـ كما يقول ابن عبد البر في هذه الترجمة ـ وله أخبار فيها نكارة وشناعة تقطع على سوء حاله وقبح أفعاله وكان الأصمعي وأبو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم يقولون: كان الوليد بن عقبة فاسقاً شريب خمر إلى آخر ما تعرض له ابن عبد البر. ولكن هذا كله يا سعد نتيجة شوراكم الغاشمة التي عدلت عن الحق جهاراً ومالت إلى الباطل الصريح كما ستقرأ نبأه بعد حين.

(بسر بن ارطاة)

وذكر ابن حجر [١] بسر بن ارطاة في الصحابة وهو وان قال في صدر الترجمة مختلف في صحبته، إلّا انّه قال: فقال أهل الشام: سمع من النبي وهو صغير. وفي سنن أبي داود باسناد مصري قوي انّه سمع من النبي. وروى ابن حبان في صحيحه انّه سمع من النبي. وقال الدارقطني: له صحبة. وقال ابن يونس: كان من أصحاب رسول الله شهد فتح مصر واختط بها، وكان من شيعة معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز في أوّل سنة أربعين وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل ذلك وقد ولي البحر لمعاوية ووسوس في آخر أيّامه. قال ابن السكن: مات وهو خرف. وقال ابن حبان: كان يلي لمعاوية الأعمال، وكان إذا دعا ربما

(١) في الاصابة: ج ١ ص ١٥٢.

استجيب له، وله أخبار شهيرة في الفتن لا ينبغي التشاغل بها ـ اهـ ملخصاً ـ.

أقـول: لم يكف ابن حجر اغماضه عن ذكر فجائع هذا الجلف الفاسق المصرّ على معصية الله حتى عرفه لقراء كتابه بأنّه كان من مستجابي الدعـوة!!! فـيالله وللتعصب وكيف يستجيب الله دعاء مـن قـتل الأبـرياء وشـوش الوضـع عـلى المسلمين وخوفهم بعد الأمن وفعل كل منكر قدرت عليه يده وقواه فهلا ذكر عنه حدّ الأقل ما ذكره ابن عبد البر في حقه (١) قال: حدثنا عبد الرحمن بن يحيى عن أحمد بن سعيد عن ابن الأعرابيّ عن عباس قال: سمعت يحيى بن معين يـقول: كان بسر بن ارطاة رجل سوء، قال أبو عمر ذلك لأُمور عظام ركبها في الإسلام فيما نقل أهل الأخبار وأهل الحديث أيضاً ذبحه ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدي اُمّهما فنال اُمهما عائشة بنت عبد المدان من ذلك أمر عظيم فأنشأت تقول:

هــا مـن أحسّ بـابني اللـذين هـما	كالدرتين تشـظى عـنهما الصـدف
هــا مـن أحسّ بـابني اللـذين هـما	سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
حدثت بسراً وما صدقت مـا زعـموا	من قتلهم ومـن الإثـم الذي اقـترفوا
أنــحى عـلى ودجـي ابـني مـرهفة	مشـحوذة وكـذاك الإثـم يـقترف

ثمّ وسوست فكانت تقف في الموسم تنشد هذا الشعر وتهيم على وجهها.

قال أبو عمرو الشيباني: لمّا وجه معاوية بن أبي سفيان بسر بن ارطاة الفهري لقتل شيعة علي قام إليه معن أو عمرو بن يزيد بن الأخنس السلمي وزيـاد بـن الأشهب الجعدي فقالا: يا أمير المؤمنين نسألك بالله والرحم أن تجعل لبسر على

---

(١) الاستيعاب: ج ١ ص ١٦١.

قيس سلطاناً فيقتل قيساً بما قتلت به بنو سليم من بني فهر وكنانة يوم دخل رسول الله مكة، فقال معاوية: يا بسر لا امرة لك على قيس، فسار حتى أتى المدينة فقتل ابني عبيد الله بن العباس وفرّ أهل المدينة ودخلوا الحرة حرة بني سليم وفي هذه الخرجة التي ذكر أبو عمر والشيباني أغار بسر بن ارطاة على همدان وسبى نسائهم فكن أوّل مسلمات سبين في الإسلام وقتل أحياءً من بني سعد.

ثمّ ساق ابن عبد البر سنداً أنهاه إلى عوانة قال: أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن ارطاة في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة وعامل المدينة يومئذ لعلي أبو أيّوب الأنصاري صاحب رسول الله ففرّ أبو أيّوب ولحق بعلي ودخل بسر المدينة فصعد منبرها فقال: أين شيخي الذي عهدته هنا بالأمس ـ يعني عثمان ـ ثمّ قال: يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلي معاوية ما تركت فيها محتلماً إلّا قتلته، ثمّ أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة فقال: ما لكم عندي أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله فأخبر جابر فانطلق حتى جاء أُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: ماذا ترين؟ فاني خشيت أن أُقتل، وهذه بيعة ضلالة، فقالت: أرى أن تبايع وقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع، فأتى جابر بسراً فبايعه لمعاوية وهدم بسر دوراً بالمدينة ثمّ انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى فخافه أبو موسى على نفسه أن يقتله فهرب فقيل ذلك لبسر فقال: ماكنت لأقتله وقد خلع عليّاً، ولم يطلبه. وكتب أبو موسى إلى اليمن انّ خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس من أبى أن يقر بالحكومة، ثمّ مضى بسر إلى اليمن وعامل اليمن لعلي عبيد الله بن العباس فلما بلغه أمر بسر فرّ إلى الكوفة حتى أتى عليّاً واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي فأتى بسر فقتله وقتل ابنه وبقي ثقل عبيد الله بن العباس وفيه ابنان

صغيران لعبيد الله بن العباس فقتلهما ورجع إلى الشام ـ اهملخصاً ـ.

أقـول: قاتل الله السقيفة والشورى وما أنتجتاه من خلافة سوء وخلفاء باطل طلعوا على دنيا بني آدم بلاء طالت مدته وكثرت وحشيته وبلغت مبلغاً يستفرغ كل وسع أفهكذا يكون دين محمّد وبمثل هذا تأتى نتائجه فما الفرق إذاً بين هذه الحالة وحالة الإنسان بين الكلاب العاوية والذئاب الضارية تحمل هذه عليه من جانب وتلك من جانب ثمّ بعد ذلك يأتي ابن حجر ونظراؤه من حفاظ الإسـلام فيبررون مواقع هذه الجرائم المستشرية بـما تـعود بـتزويقاتهم حسـنات تـلمع صفحاتها اشراقاً ونوراً ـ قتل الإنسان ما أكفره ـ.

(حبيب بن مسلمة الفهري)

وذكر ابن حجر [١]: حبيب بن مسلمة الفهري وقال: قال البخاري: له صحبة. وقال ابن سعد عن الواقدي: كان له يوم توفي النبي ﷺ اثنتا عشرة سنة. وقال ابن معين: أهل الشام يثبتون صحبته وأهل المدينة ينكرونها. وروى الطـبرانـي وسعيد بن عبد العزيز: انّه كان مجاب الدعوة. وقال ابن سعد: لم يزل مع معاوية في حروبه وله ذكر في صحيح البخاري في قصة الحكمين لما تكلم معاوية قال ابن عمر: فاردت أن أقول أحق بهذا الأمر من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجمع فقال له حبيب بـن مسـلمة: حـفظت وعـصمت ـ اهملخصاً ـ.

وهكذا يقول ابن عبد البر [٢] حاكياً عن سعيد بن عبد العزيز انّ حـبيب بـن

(١) في حرف الحاء من الاصابة: ج ١ ص ٣٠٨.

(٢) في ترجمته من الاستيعاب: ج ١ ص ٣٢٨.

مسلمة كان فاضلاً مجاب الدعوة، من دون أن يستنكر ذلك في حال انّه في عين الترجمة يقول: وروينا انّ الحسن بن علي قال لحبيب بن مسلمة في بعض خرجاته بعد صفين: يا حبيب ربّ مسير لك في غير طاعة الله، فقال له حبيب: أما إلى أبيك فلا، فقال له الحسن: بل والله لقد طاوعت معاوية على دنياه وسارعت في هواه فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في دينك فليتك إذ أسأت الفعل أحسنت القول فتكون كما قال الله تعالى: **﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾** ولكنك كما قال الله تعالى **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**.

هذا ولا يفوت القارىء انّ حبيب بن مسلمة هذا هو الذي كان يقنت عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام باللعن في صلاته لتشدده عليه في العداوة والتأليب بضده وبنفع معاوية ويصحر بهذه الروح فيه قوله للحسن عليه السلام: امّا إلى أبيك فلا، في حال انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حقّ علي عليه السلام: لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق. وعن الترمذي والنسائي وابن ماجة: عادى الله من عادى عليّاً. وعن ابن منده عن رافع مولى عائشة: عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب. والخطيب في التاريخ عن أنس: من آذى عليّاً فقد آذاني. وأحمد في المسند والبخاري في التاريخ والحاكم في المستدرك: من أحبّ عليّاً فقد أحبني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني. والحاكم عن سلمان: من سبّ عليّاً فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله. وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك عن أُم سلمة: علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله. والحاكم في المستدرك عن جابر [١].

---

(١) راجع على الأقل: منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٣٠.

فليت شعري من يكون عدواً لله ومبغضاً له تعالى وحرباً له وساباً له عزوجل كيف يجوز أن يقال في حقه انّه كان فاضلاً مستجاب الدعوة ومن الصحابة المتفق على عدالتهم ؟ لكن أبناء التسنن يرجحون أهوائهم على مقاييس الشرع المقدس ولذلك تراهم يقولون القول ولو كان مخالفاً لضرورة العقول ومناقضاً لصريح النقول.

وقد ضلّ ابن عمر في اخفائه لكلمة الحق حيث قال: فأردت أن أقول أحقّ بهذا الأمر من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجمع فإنّ الجمع إذا كان على باطل وجب إلفات نظره إلى جانب الحق وكل الدعوات التي قام بها الأنبياء شرعوا بها في محيط هادء متفق الروية على ملازمة الباطل فلم يمنعهم تفرق الجمع عن الاصحار بالحق وان افترق الناس عليهم آلاف الطوائف وهذا نبينا نبي الإسلام بدعوته وسكان الجزيرة بأسرهم متفقوا الكلمة والجماعة ليس بينهم اثنينية مبدأية فلم يمنعه اتفاقهم وهدوئهم عن الاصحار بالحق وبيان ضلالهم وانحرافهم عن الواقع فحدثت على اثر دعوته تحزبات وافترقت الناس فيه جماعات فمصدق له ومكذب به ولم تزل الحروب بينه وبينهم قائمة قاعدة تسيل بالدم جري الوادي بماءه المفعهم، فلو كانت مراعاة الجمع بما هو جمع ولو كان من باب التصامد على الباطل لها حرمة قاطعة وحريم يجب احترامه لكان النبي أولى الناس كلهم بمراعاة ذلك بطور قاطع ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن انّه لم يراع ذلك بأقل طرف نفخ بذلك التصامد نفخات فرت به جزيرة العرب عصابات ووحداناً ولم يعد لهم اجتماعهم على الإسلام كما كان لهم على الباطل إلّا بعد عشرات السنين ومئات الوقائع الدامية في زمانه هو صلى الله عليه وآله وسلم وزمان الخلفاء من بعده، ولقد ازهقت في سبيل ذلك من الأرواح ما يصعد بها العدد إلى مئات الأُلوف بطور قاطع، فالذي يبرر هذا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللخلفاء من بعده يبرر ما هو منه بنسبة

العشر أو أقل لعلي عليه السلام بلا ريب والهدف واحد، فتارة يكون الجلاد في سبيله لتثبيت أُصوله وأُخرى يكون لحفظها وبقاء الاستمرار لها، وعلي عليه السلام قام بالثاني كما قام النبي بالأوّل ولقد أصحر صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الحقيقة لعلي وللناس جميعاً حيث قال: انّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قيل: أبو بكر وعمر قال: لا ولكنه خاصف النعل ـ يعني عليّاً ـ.

أحمد في المسند وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في شعب الايمان والحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور في سننه [١].

(الحكم بن العاص)

وذكر ابن حجر [٢]: الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس عمّ عثمان بن عفان ووالد مروان، قال ابن سعد: أسلم يوم الفتح وسكن المدينة ثمّ نفاه النبي إلى الطائف ثمّ أُعيد إلى المدينة في خلافة عثمان ومات بها. وقال ابن السكن: يقال انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليه ولم يثبت ذلك.

انظر إلى عمق هذه العصبيات التي تقدم حفظ عثمان في عمه ولا تلتفت إلى حفظ حيثية الرسول بهتك هذا الوزغ لها على انّ ابن حجر ساق عقيب كلمة ابن السكن ما يرويه الفاكهي من طريق حماد بن سلمة عن أبي سنان عن الزهري وعطاء الخراساني انّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخلوا عليه وهو يلعن الحكم بن أبي العاص فقالوا: يا رسول الله ماله ؟ قال: دخل علي شق الجدار وأنا مع زوجتي فلانة فكلح في وجهي فقالوا: أفلا نلعنه نحن ؟ قال: لا كأني أنظر إلى بنيه

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٣٣، وسيأتي لهذا الباب بحث ضافي فانتظره.

(٢) في حرف الحاء من الاصابة: ج ١ ص ٣٤٤.

يصعدون منبري وينزلون عنه، فقالوا: يا رسول الله ألا نأخذهم؟ قال: لا، ونفاه رسول الله.

أقـول: لا شبهة انّ هذه القطعة من الرواية المزبورة ـ فقالوا: أفلا نلعنه نـحن قال: لا ـ مدسوسة من هواة عثمان، فإنّ النبي الذي هو أنزه الخلق لو كان يجد في لعنه حزازة لما أقدم عليه بطور قاطع، فكيف يمنعنا من لعنه ونحن نراه ﷺ يلعنه بحرارة، لكن هواة عثمان أحبوا أن يطيروا هذه النكتة بين الناس حـتى لا يعود له ساب، وامّا لعن النبي بمفرده له وقد انتوى عن هذه الدنـيا ظـعناً فـمما لا يبقى له أثر، والناس كما فرضناه سكوت عن لعنه وهذا هدف له وزنه انصافاً.

قال: وروى الطبراني من حديث حذيفة قال: لما ولي أبو بكر كلّم في الحكم أن يرده إلى المدينة فقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها رسـول الله ﷺ. وروى أيضاً من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كان الحكم بن أبي العاص يجلس عند النبي فإذا تكلم اختلج فبصر به النبي فقال: كن كذلك، فما زال يختلج حتى مات. في اسناده نظر، وأخرجه البيهقي في الدلائل من هذا الوجه، وفيه ضـرار بن صرد وهو منسوب للرفض.

أقـول: وحتى في الحكم بن أبي العاص تخدش الرواية بالرفض تارة وبخلق العيوب في الرواة تارة أُخرى، وما قيمة الحكم في نفسه لكنه التعصب وهو مـا هو. وأخرج أيضاً من طريق مالك بن ديـنار حـدثني هـند بـن خـديجة زوج النبي ﷺ مرّ النبي بالحكم فجعل الحكم يغمز النبي ﷺ باصبعه فالتفت فرآه فقال: اللهم اجعله وزغاً فرجف مكانه.

وذكره ابن عبد البر [١] فقال: كان من مسلمة الفتح وأخرجه رسـول الله مـن

---

(١) في الاستيعاب: ج ١ ص ٣٠٦.

المدينة وطرجه عنها فنزل الطائف وخرج معه ابنه مروان، وقيل: انّ مرواه ولد بالطائف إلى ان ولي عثمان فرده عثمان إلى المدينة وبقي فيها، واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ايّاه فقيل كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته إلى أُمور غيرها ذكرها. ذكروا انّ النبي كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه فالتفت النبي يوماً فرآه يفعل ذلك فقال ﷺ: فكذلك فلتكن، فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ فعيره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوه:

انّ اللعين أبوك فارم عظامه ... ان ترم ترم مخلجاً مجنونا
يمسي خميص البطن من عمل التقي ... ويظل من عمل الخبيث بطينا

فأمّا قول عبد الرحمن: انّ اللعين أبوك فروي عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره انها قالت لمروان إذ قال في أخيها عبد الرحمن ما قال: أمّا أنت يا مرواه فأشهد انّ رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله: يدخل عليكم رجل لعين وكنت قد تركت عمراً يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله، فلم أزل مشفقاً أن يكون أوّل من يدخل فدخل الحكم بن أبي العاص.

وذكر عبد البر في ترجمة هند بن أبي هالة [1] قال: وروى عنه أهل البصرة حديثاً واحداً فذكر سنداً مطولاً وأنهاه إلى هند بن أبي هالة المذكور، قال: مرّ

---

(١) من الاستيعاب: ج ٣ ص ٥٧٠.

النبي بالحكم أبي مروان بن الحكم فجعل يغمزه فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: اللهم اجعل به وزغاً، فرجف مكانه، والوزغ الارتعاش. وبمثل هذا ذكره ابن حجر في الاصابة ولكنه نسبه لهند بن هند بن أبي هالة أي لولد هند بن أبي هالة لا له نفسه ولا مساس لذلك بمتن الحديث ولهذا الفصل تتمة تأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ويكذب عثمان في اعتذاره عن ردّ عمه من منفاه الذي طرده النبي إليه بأنّه كان استأذن النبي في ردّه فوعده ذلك. لأنّ عثمان كان حريصاً على ردّه وحتى في حياة الرسول، فإذا كان الرسول قد وعده كما يدعي فلم لم يرده؟ ثمّ لما توفي النبي ﷺ وصارت الأُمور لأبي بكر وكلم في ردّ الحكم فأبى وقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله، لم لم يتصدر له عثمان ويقول له: يا خليفة رسول الله انّ رسول الله وعدني برده، فالرسول الذي عقد العقدة هو الذي حلّها لا أنت حتى تلحظ بذلك مكايدة الرسول ومخالفته، وكان عثمان صديقاً لأبي بكر ولعمر أيضاً وحتماً يصدقانه في اخباراته كما يصدقانه في مروياته في حال انّا لم نر مؤرّخاً ولا محدثاً قال بذلك أصلاً، فلما انتهت النوبة إليه وكانت أزمة الأُمور موصولة به ولا يكاد يلحظ من انسان قام برد عمه بيده وأبطل غوغاء العامة بكلمته العابرة المومأ اليها انّ النبي في حال حياته كان وعدني برده وإلّا فأنا لست ممن يجترأ على مخالفة الرسول ونقض عهوده وعقوده.

وما أقبح عذر عثمان عندما تكلم الناس عليه في ضربه على عمه الحكم بسطاطاً يوم مات بأنّه ما المانع عن ذلك وقد ضرب فسطاط على زينب بنت جحش في عهد عمر بن الخطاب فإنّ الناس إنّما نعوا عليه ذلك لواسع معرفتهم بهوية الحكم وانّه من الأعداء الألداء للرسول الأكرم وانّ تعظيمه بضرب الفسطاط عليه توهين بمقام رسول الله وايذاء له وهو في قبره، ولا يستوي الحكم

بن أبي العاص وزينب بنت جحش، فإنّ هذه زوجة رسول الله ومن أُمهات المؤمنين مضافاً إلى انّ السيرة أطرتها بالمعروف وفعل الخير وبالعكس من ذلك حكم التاريخ على الحكم، فما أبعد هذا المقاس عن ذاك المقاس عليه.

(الخريت بن راشد الناجي)

وذكر ابن حجر [١] الخريت بن راشد الناجي وقال: ذكره سيف بن عمر في الفتوح وأخرج عن زيد بن اسلم قال: لقى الخريت بن راشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين مكة والمدينة في وفد بني سلمة بن لؤي ـ إلى أن يقول ـ وقال الزبير بن بكار كان مع علي حتى حكم الحكمين ففارقه إلى بلاد فارس مخالفاً فأرسل علي إليه معقل بن قيس وجهز معه جيشاً فحشد الخريت من قدر عليه من العرب والنصارى فأمر العرب بمنع الصدقة والنصارى بمنع الجزية وارتد كثير ممن كان أسلم من النصارى فقاتلهم معقل ونصب راية ونادى من لحق بها فهو آمن فانصرف اليها كثير من أصحاب الخريت وانهزم الخريت فقتل ـ اهـ ملخصاً ـ.

فهذا كما ترى صحابي محكوم عند أبناء العامة بالعدالة اخذاً بقاعدتهم مع اعترافهم بأنّه ممن أوجب ردة كثير ممن كان أسلم وأمر المسلم منهم بمنع الصدقة والذمي بمنع الجزية وفعل الأفاعيل المنكرة كما قرأت.

(ربيعة بن يزيد السلمي)

وذكر ابن حجر [٢] ربيعة بن يزيد السلمي وقال: قال البخاري: له صحبة.

---

(١) في الاصابة: ج ١ ص ٤٢٣.

(٢) في الاصابة: ج ١ ص ٤٩٩.

وقال ابن حبان: يقال انّ له صحبة. وقال العسكري: قال بعضهم انّ له صحبة، وقد استدركه ابن فتحون وأبو علي الغساني وابن معوز على أبي عمر اعتماداً على قول البخاري. فالى هنا أثبته هؤلاء في الصحابة الذين هم بأسرهم عدول عند أبناء السنة كما قرئت عن ابن حجر آنفاً. هذا وانّ ابن عبد البر يقول في حقه[1]: وأمّا ربيعة بين يزيد السلمي فكان من النواصب يشتم عليّاً، قال أبو حاتم الرازي لا يروى عنه ولا كرامة له ولا يذكر بخير ومن ذكره في الصحابة لم يصنع شيئاً.

ونحن نقول: يا ابن عبد البر نعم ما التفت إليه من هذا المعنى ولكن فاتك وفات نظرائك من أبناء العامة الالتفات إلى هذا المعنى المنظور في ربيعة بن يزيد السلمي في غيره من أعداء أمير المؤمنين على المتجاهرين ببغضه المذكورين بأقلامكم في الصحابة المنعوتين منكم بنعوت لا تلائم روحياتهم حسب مقاييس الشريعة كمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن كان على هذه الطريقة وهم كثيرون. وهؤلاء متجاهرون ببغضه الداء في عداوته سبابون له على شعف المنابر فهلا إذ ذكرتموهم في معاجمكم قلتم فيهم كما قلتم في ربيعة بن يزيد السلمي في حال انّ ربيعة ان يكن درس هذ الضلال في أمير المؤمنين علي فعلى أُولئك المردة درس، ومنهم أخذ، وبسطوتهم تمكن من التجهر بالحط من كرامة هذا اللاهوتي العظيم والمقدس الذي ما جاء في الإسلام له عديل ولا نظير.

(سفيان بن عوف الغامدي)

وذكر الحاكم في المستدرك (ج ٣ ص ٤٤٦) عن مصعب بن عبد الله قال:

---

(١) ج ١ ص ٤٩٨ من الاستيعاب.

سفيان بن عوف الغامدي من أهل حمص صحب رسول الله وكان له بأس ونجدة وسخاء وهو الذي أغار على هيت والانبار في أيّام علي فقتل وسبى وكان ممن قتل حسان بن حسان البكري أخا الحارث بن حسان الوافد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع قيلة بنت مخرمة فخطب علي وقال في خطبته انّ أخا غامد قد أغار على هيت والأنبار.

وقد ذكر غير الحاكم أوسع مما ذكره الحاكم، فهذا أيضاً صحابي عدل على قاعدة القوم، وهو كما ترى يغير على المسلمين ويقتل منهم ويسبي فيهم، فماذا ليت شعري يقول أبناء العامة في هذا وأمثاله ؟ أتراهم يقولون لا غضاضة عليه فإنّه مجتهد تأوّل فأخطأ فهو مأجور بأجر واحد؟ فضلاً عن كونه معذوراً ؟ فكل جناية بسلامة هذه القاعدة عندهم لا يفوتها الأجر الواحد حدّ الأقل فليطب محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم نفساً بهذا الدين.

(المغيرة بن شعبة)

وذكر الحاكم [١] عن عبد الرحمن بن سعيد الكندي قال: شهد جنازة المغيرة بن شعبة فلما دلى في حفرته وقف عليها رجل فقال: من هذا المرموس ؟ فقلنا: أمير الكوفة المغيرة بن شعبة فوالله ما لبث أن قال:

أرسم ديار بالمغيرة تعرف	عليه زواني الجن والانس تعزف
فإن كنت قد لاقيت فرعون بعدنا	وهامان فاعلم انّ ذا العرش منصف

قال: فأقبلوا عليه يشتمونه، فوالله ما أدري أي طريق أخذ، أقول: نحن

---

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ٤٤٩.

أصلحنا الشعر الذي أثبته طابعوا المستدرك بما أثبته الشارح الحديدي في شرح النهج كما سيأتي.

وقال (ج ٣ ص ٤٥٠) أبو بكر بن عياش عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال: كان المغيرة بن شعبة ينال في خطبته من علي وأقام خطباء ينالون منه فبينا هو يخطب ونال من علي وإلى جنبي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي قال: فضربني بيده وقال: ألا ترى ما يقول هذا، أو قال هؤلاء.

هذا وقد روى الحاكم[١] عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أُم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله فيكم؟ فقلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله يقول: من سبّ عليّاً فقد سبني. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وقد رواه بكير بن عثمان البجلي عن أبي اسحاق بزيادة ألفاظ. أقرّه الذهبي كما هو.

بكير بن عثمان البجلي قال: سمعت أبا اسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله البجلي يقول: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على أم سلمة زوج النبي فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أُمتاه، قالت: يسب رسول الله في ناديكم؟ قال: وانى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب، قال: انا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فاني سمعت رسول الله يقول: من سبّ عليّاً فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله تعالى. أقرّه الذهبي كما هو.

قال الشارح الحديدي[٢]: قال أبو جعفر رحمه الله تعالى: وكان المغيرة بن

---

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ١٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٣٦٠.

شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النزر منها يرضى معاوية بذكر علي بن أبي طالب قال يوماً في مجلس معاوية : انّ عليّاً لم ينكحه رسول الله ابنته حباً ولكنه أراد أن يكافي بذلك احسان أبي طالب إليه ، قال : وقد صحّ عندنا انّ المغيرة لعنه على منبر العراق مرات لا تحصى ، ويروى انّه لما مات ودفنوه أقبل رجل راكب ظليم فوقف قريباً منه ثمّ قال : ـ أرسم الخ ـ البيتين السابقين .

وذكر الخطيب البغدادي [١] قال : حج سنة أربعين بالناس المغيرة بن شعبة وذلك انّ المغيرة كان معتزلاً بالطائف فافتعل كتاباً عام الجماعة بامارة الموسم فقدم الحج يوماً خشية أن يجيء أمير فتخلف عنه ابن عمر وصار عظم الناس مع ابن عمر قال نافع : فلقد رأيتنا ونحن غادون من منى واستقبلونا مفيضين من جمع وأقمنا بعدهم ليلة بمنى .

أقول : انظر إلى هذا الصحابي العدل في نظر أبناء السنة فالذي يقدم على ابطال حج جماهير مهمة من المسلمين هوى بامارة الموقف يكون اقدامه على تزوير الحديث تبلغاً من هواه من أيسر ما يتصور . وهو بعد ناصب لآل الله منحرف عن الدين بصراحة .

(عمرو بن العاص)

وذكر ابن عبد البر [٢] سنداً أنهاه إلى المزني قال : سمعت الشافعي يقول : دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلّم عليه وقال : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً وأفسدت من ديني كثيراً ،

---

(١) ج ١ ص ١٩١ عند تعرضه لترجمة المغيرة بن شعبة من تاريخ بغداد.

(٢) في ترجمة عمرو بن العاص من الاستيعاب: ج ٢ ص ٥٠٦.

فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمنجنيق بين السماء والأرض لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن أخي، فقال له ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله صار ابن أخيك أخاك ـ الخ ـ فأنت تراه كما قال الله سبحانه: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

وروى الحاكم [١] فقال: أبو هلال الراسبي عن قتادة قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال: كيلوا مالي فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مداً فقال: من يأخذه بما فيه ياليته كان بعراً، قال: وكان المدستة عشر أوقية الأوقية منه مكوكان.

وروى أحمد [٢] عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً، فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال: يا أبا عبد الله ما هذا الجزع وقد كان رسول الله يدنيك ويستعملك، قال: أي بني قد كان ذلك وسأخبرك عن ذلك اني والله ما أدري أحباً ذلك كان أم تألفاً يتألفني، ولكن أشهد على رجلين انّه قد فارق الدنيا وهو يحبهما ابن سمية (يعني عماراً) وابن ام عبد فلما حدثه وضع يده موضع الغلال من ذقنه وقال: اللهم أمرتنا فتركنا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا إلّا مغفرتك وكانت تلك هجيراه حتى مات.

وروى المتقي الهندي [٣] عن عمرو بن مرة قال: قالوا لعمرو بن العاص: قد

---

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ٤٥٣.

(٢) في المسند: ج ٤ ص ١٩٩.

(٣) ج ٥ ص ٢٥١ من منتخب كنز العمال.

كان رسول الله يستشيرك ويؤمرك على الجيوش، فقال: وما يدريكم لعلّ رسول الله كان يتألفني بذلك. ابن أبي شيبة.

وهذا قليل من كثير، ولا بدع منه إذا جزع أشد الجزع، فهو جد عارف بحركات نفسه وسكناتها، ولو كان الله يقبل التوبة من مثل هذا الذي لا يحرز محبة النبي له في ادناءه اياه ويظنها تأليفاً له وتقليصاً من مديد شره وقد قضى عمره المتجاوز ثمانين سنة في أشد المعاصي والفتن والجنايات بما يأتي بعض من شروحه تالياً لقبلها من فرعون باستسلامه له عندما أخذه الماء اجترافاً، ولكن هيهات على الحكمة الربانية والعدل الالهي أن يبيح لهؤلاء الجناة المشاهير في ارتكاباتهم الفاسدة كل ما لله ولعباد الله بمجرد جزع يظهرونه ساعة الموت ولم يكونوا طيلة أعمارهم الطويلة يتصورون من مغبة أعمالهم أقل رادع وزاجر.

(معاوية بن أبي سفيان وحزبه)

وذكر الشارح الحديدي[١] عند تعرضه لقوله ﷺ: إلّا انّه سيأمركم بسبي والبراءة مني ـ الخ ـ فقال: انّ معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علي والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنة في أيّام بني امية.

ذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ: انّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم انّ أبا تراب ألحد في دينك وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً وعذبه عذاباً أليماً، وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر.

---

(١) ج ١ ص ٣٥٦ وما بعدها من شرحه.

وذكر أبو عثمان أيضاً: انّ هشام بن عبد الملك لما حج خطب بالموسم فقام إليه انسان فقال: يا أمير المؤمنين انّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب، فقال: اكفف فما لهذا جئنا، وذكر المبرد في الكامل انّ خالد بن عبد الله القسري لما كان أمير العراق في خلافة هشام كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر رسول الله على ابنته وأبا الحسن والحسين ثمّ يقبل على الناس فيقول: هل كنيت؟

وروى أبو عثمان أيضاً انّ قوماً من بني امية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين انك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل، فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً.

وقال أبو عثمان أيضاً: وما كان عبد الملك مع فضله وأناته وسداده ورجحانه ممن يخفى عليه فضل علي وانّ لعنه على رؤوس الأشهاد وفي اعطاف الخطب وعلى صهوات المنابر مما يعود عليه نقصه ويرجع إليه وهنه لأنهما جميعاً من بني عبد مناف والأصل واحد والجرثومة منبت لهما وشرف علي وفضله عائدان عليه ومحسوبان له، ولكنه أراد تشييد الملك وتأكيد ما فعله الأسلاف وان يقرر في أنفس الناس انّ بني هاشم لا حظ لهم في هذا الأمر وان سيدهم الذي يه يصولون وبفخره يفخرون هذا حاله وهذا مقداره فيكون من ينتمي إليه ويدلي به عن الأمر أبعد وعن الوصول إليه أشحط وأنزح.

وروى أهل السيرة انّ الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر علياً عليه السلام فقال: لعنه الله ـ بالجر ـ كان لص ابن لص، فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ومن نسبة علي إلى اللصوصية وقالوا: ما ندري أيّهما أعجب، وكان الوليد لحاناً.

وأمر المغيرة بن شعبة وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية حجر بن عدي أن يقوم في الناس فيلعن علياً عليه السلام فأبى ذلك فتوعده فقام فقال: أيّها الناس انّ

أميركم أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه، فقال أهل الكوفة لعنه الله وعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد.

وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي ولعنه وأن يقتل كل من امتنع من ذلك ويخرب منزله فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون فمات ـ لا رحمه الله ـ بعد ثلاثة أيّام، وذلك في خلافة معاوية.

وكان الحجاج لعنه الله يلعن عليّاً عليه السلام ويأمر بلعنه وقال له متعرض به يوماً وهو راكب: أيّها الامير انّ أهلي عقوني فسموني عليّاً فغير اسمي وصلني بما أتبلغ به فاني فقير، فقال: للطف ما توصلت به قد سميتك كذا ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه.

فأمّا عمر بن عبد العزيز فإنّه قال: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود فمرّ بي يوماً وأنا العب مع الصبيان ونحن نلعن عليّاً عليه السلام فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رآني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني أنت اللاعن عليّاً منذ اليوم؟ قلت: نعم، قال: فمتى علمت انّ الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ فقلت: يا ابت وهل كان علي من أهل بدر؟ فقال: ويحك وهل كانت بدر كلّها إلّا له، فقلت: لا أعود، فقال: الله انك لا تعود، قلت: نعم، فلم ألعنه بعدها، ثمّ كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة وهو حينئذ أمير المدينة فكنت أسمع أبي يمر في خطبته تهدر شقاشقة حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجم ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك فقلت له يوماً: يا أبت أنت أفصح الناس وأخطبهم فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عيياً؟ فقال: يا

بني انّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد فوقرت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي معلمي ، اهـ ملخصاً .

وأنت ترى انّ هذه الأعمال الفظيعة والوحشية النابية عن افق الانسانية فضلاً عن محاذاة ذلك لأي دين يفرض إنّما أسّسها ووضع أساسها الحكم وبنى عليها والزم الناس بها وعرضهم على السيف ان أبوا عن ركوب خططها الصحابة من معاوية وحزبه المنسوبين لصحبة رسول الله الذين يعدهم أبناء العامة عدولاً ومن أهل الجنة ومن أعلا طبقات المسلمين روحانية ، وان أقوالهم سابقة في الحجّية على كل أقوال المسلمين ، وهكذا أفعالهم ، فهل ليت شعري يصلح أن يوزن مقام أي واحد من هؤلاء إلّا بما يوزن به الفاسق الفاجر الملحد بلا ريب . لأنّ الذي يقرض اعراض الأولياء المقدسين المقربين عند الله سبحانه النازلين من نبي الإسلام منزلة النفس والكائنين منه مكان هارون من موسى بأصرح اللعن وأفظعه ويشتم من يطريه الله والرسول بأحسن اطراء ويصر على شتمه وسبه ويمشي بذلك سنة واسعة على منابر المسلمين وفي أعقاب الصلوات بما يجعل الناس متخذين لهذه السيئة المفتضحة حسنة لازمة ـ لا يفوته الملحد بصفة من صفاته ـ بل قد يكون الملحد الجاهل أخف منه خطيئة ، وأبعد عن مساوي الانسانية بمراحل شاسعة .

بل الأمر في هؤلاء المردة كما قال محمّد بن الحنفية لابن الزبير وجموعه المتراصين تحت منبره المتشاغلين بشتم علي وقذفه بالأباطيل : والله ما يشتم عليّاً إلّا كافر يُسر شتم رسول الله ويخاف أن يبوح به فيكني بشتم علي عليه السلام .

وهذه المقالة من ابن الحنفية يشفعها الاعتبار الصادق ، فإنّه ليس من المعقول أن يؤمن الإنسان بنبي الإسلام ويعتد بأقواله وأفعاله قلباً وقالباً ثمّ يجيء عن

خبث طوية وظلمة ضمير يعادي أحباءه وأودائه وشتم النازلين منه منزلة النفس من ذي النفس، والنبي من النبي، ويحمل الناس على شتمهم وقذفهم بالموبقات العظائم ومن أبى قتله أو شرّد به أو فعل به ما تستثقله النفوس جداً ـ فإنّ ذلك من جمع المتناقضات المستحيلة ـ بل هذا معناه انّه لم يؤمن بنبي الإسلام ولم يعتد بأقواله وأفعاله أصلاً، وعن هذه الروح انحدر بخبثه. وما النواصب المحكومون بأحكام أهل الكفر إلّا دون اولئك في الأثر الخارجي قطعاً وشاهده ما قرأت من هذه النقول المتواترة التي قدمناها لك الهادمة بمضامينها للاسلام الصحيح والبانية لأُسس الكفر الصريح.

طرف من فضائل علي (ع)

ودونك فاستعرض هنا صفحة مشرقة مما عرضه نبي الإسلام لكافة المسلمين في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام وبه تدرك ما ارتكب ذاك الجمع المتزندق من هتك حريم الله سبحانه وحرماته في انتقاصهم لهذا الرجل العظيم في عين الله وعين الرسول وعين أُولي الكرامة عليهما.

روى المتقي الهندي [1]: لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق. قاله لعلي، (الترمذي والنسائي وابن ماجة عن علي).

وروى (المصد نفسه): عادى الله من عادى عليّاً. (ابن منده عن رافع مولى عائشة).

وروى (المصدر نفسه): عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب. (الخطيب في التاريخ عن أنس).

---

(١) في كتابه منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٣٠.

وروى أيضاً : من آذى عليّاً فقد آذاني . (أحمد في المسند والبخاري في التاريخ والحاكم في المستدرك) .

وروى أيضاً : من أحب عليّاً فقد أحبني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني . (الحاكم عن سلمان) .

وروى أيضاً : من سبّ عليّاً فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله . (أحمد في المسند والحاكم في المستدرك عن أُم سلمة) .

وروى أيضاً : علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله (الحاكم في المستدرك عن جابر) .

وروى أيضاً : علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً . (الدارقطني عن ابن عباس) .

وروى أيضاً : أنت أخي في الدنيا والآخرة ، قاله لعلي . (الترمذي والحاكم في السمتدرك عن ابن عمر) .

وروى أيضاً : أنت مني وأنا منك ، قاله لعلي . (الشيخان عن البراء والحاكم في المستدرك عن علي) .

وروى أيضاً : ما تريدون من علي ؟ ما تريدون من علي ؟ ما تريدون من علي ؟ انّ عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي . (الترمذي والحاكم في المستدرك) .

وروى أيضاً : علي مني بمنزلة رأسي من بدني . (الخطيب في التاريخ والديلمي في الفردوس عن ابن عباس) .

وروى أيضاً : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب . (العقيلي في الضعفاء وأبو عدي في الكامل والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن ابن عباس أبو عدي والحاكم عن جابر) .

وروى أيضاً: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. (الحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط عن أُم سلمة).

وروى أيضاً: ذكر علي عبادة. (الديلمي في الفردوس عن عائشة).

وروى أيضاً: النظر إلى وجه علي عبادة. (الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود).

وروى أيضاً: (ج ٥ ص ٣١) الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس قال: يا قوم اتبعوا المرسلين، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم. (أبو نعيم في المعرفة وابن عساكر عن أبي ليلى).

وروى أيضاً: علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين. (أبو عدي في الكامل عن علي).

وروى أيضاً: علي يزهر في الجنة ككواكب الصبح لأهل الدنيا. (البيهقي في فضائل الصحابة والديلمي في الفردوس عن أنس).

وروى أيضاً: كفّي وكفّ علي في العدل سواء. (ابن الجوزي في الواهيات عن أبي بكر).

وروى أيضاً: ما أنزل الله تعالى آية ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾ إلّا وعلي رأسها وأميرها. (أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس، وقال: لا نكتبه مرفوعاً إلّا من حديث ابن أبي خيثمة والناس رووه موقوفاً.

وروى أيضاً: قم فما صلحت أن تكون أبا تراب أغضبت عليّ حين واخيت بين المهاجرين والأنصار ولم اواخ بينك وبين أحد منهم، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه ليس بعدي نبي، ألا من أحبك حق بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية وحوسب بعمله في الإسلام.

(الطبراني في الكبير عن ابن عباس).

وروى أيضاً: يا أُم سليم انّ عليّاً لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى. (العقيلي في الضعفاء عن ابن عباس).

وروى أيضاً: (ج ٥ ص ٣٢) يا علي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة. (الحاكم في المستدرك عن جابر).

وروى أيضاً: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأعن من أعانه. (الطبراني في الكبير عن حبشي بن جنادة).

وروى أيضاً: اللهم اشهد عليهم اللهم قد بلغت هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي اللهم كب من عاداه في النار. (الشيرازي في الألقاب وابن النجار عن ابن عمر).

وروى أيضاً: انّ وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب. (الطبراني في الكبير عن أبي سعيد عن سلمان).

وروى أيضاً: أُوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب فمن تولاه فقد تولاني ومن تولاني فقد تولى الله ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عزوجل. (الطبراني في الكبير وابن عساكر عن أبي عبيدة بن محمّد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده).

وروى أيضاً: اللهم أعنه وأعن بن وارحمه وارحم به وانصره وانصر به اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ـ يعني عليّاً ـ (الطبراني في الكبير عن ابن عباس).

وروى أيضاً: ألا ارضيك يا علي، أنت أخي ووزيري تقضي ديني وتنجز

موعدي وتبرأ ذمتي فمن أحبك في حياة مني فقد قضى نحبه ومن أحبك في حياة منك بعدي ختم الله له بالأمن والايمان ومن أحبك بعدي ولم يرك ختم الله له بالأمن والايمان وآمنه يوم الفزع ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية يحاسبه الله بما عمل في الإسلام. (الطبراني في الكبير عن ابن عمر).

وروى أيضاً: اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب فإنّ ولايته ولايتي وولايتي ولاية الله. (الطبراني في الكبير عن محمّد بن أبي عبيدة بن محمّد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده عن عمار).

وروى أيضاً: (ج ٥ ص ٣٣) من فارقك يا علي فقد فارقني ومن فارقني فقد فارق الله. (الحاكم في المستدرك عن أبي ذر).

وروى أيضاً: انّ هذا أوّل من آمن وأوّل من يصافحني يوم القيامة وهذا الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأُمّة يفرق بين الحق والباطل وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين ـ قاله لعلي ـ (الطبراني في الكبير عن سلمان وأبي ذر معاً والبيهقي في السنن وأبو عدي في الكامل عن حذيفة).

وروى أيضاً: (ج ٥ ص ٣٤) لو انّ السموات والأرض موضوعتان في كفة وايمان علي في كفة لرجح ايمان علي. (الديلمي عن ابن عمر).

وروى أيضاً: أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي. (الديلمي عن ابن عباس).

وروى أيضاً: أنا وهذا حجة على امتي يوم القيامة ـ يعني عليّاً ـ (الخطيب عن أنس).

وروى أيضاً: الله ورسوله وجبريل عنك راضون. (الطبراني في الكبير عن محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده انّ رسول الله بعث عليّاً مبعثاً فلما قدم قال فذكره ـ أي الحديث الآنف ـ).

وروى أيضاً : يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك . (الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والخطيب عن عمار بن ياسر) .

وروى أيضاً : ثلاث من كنّ فيه فليس مني ولا أنا منه بغض علي ونصب أهل بيتي ومن قال الايمان كلام . (الديلمي عن جابر) .

وروى أيضاً : (ج ٥ ص ٣٥) يا علي انّ فيك من عيسى مثلاً أبغضته اليهود حتى بهتوا أُمّه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها . (أبو عدي في الكامل والحاكم في المستدرك وأبو نعيم في فضائل الصحابة) .

وروى أيضاً : مكتوب على باب الجنة : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علي أخو رسول الله قبل أن تخلق السموات والأرض بألفي عام . (الطبراني في الأوسط والخطيب في المتفق والمفترق وابن الجوزي في الواهيات عن جابر) .

وروى أيضاً : ما انتجيته ولكن الله انتجاه . (الترمذي حسن غريب ، والطبراني في الكبير عن جابر ـ قال : دعا رسول الله ﷺ عليّاً يوم الطائف وانتجاه فقال الناس أطال نجواه لابن عمه ، قال : فذكره أي الحديث الآنف ـ) .

وروى أيضاً : يا علي انّ الله تعالى قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها زينة الأبرار عند الله الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك اماماً . (أبو نعيم في الحلية عن عمار بن ياسر) .

وروى أيضاً : (ج ٥ ص ٣٦) يا علي انّ لك كنزاً في الجنة وانك ذو قرنيها . (ابن أبي شيبة وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك وأبو نعيم في المعرفة) .

وروى أيضاً : يا علي يدك في يدي تدخل معي يوم القيامة حيث أدخل . (أبو بكر الشافعي في الغيلانيات وأبو نعيم في فضائل الصحابة وابن عساكر عن عمر) .

وروى أيضاً: يا بنية لك رقة الولد وعلي أعز علي منك. (الطبراني في الكبير عن ابن عباس).

وروى أيضاً: يا علي أنت عبقريهم. (الخطيب عن ابن عباس).

وروى أيضاً: عن أبي ذر قال: كنا لا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلاة وببغضهم علي بن أبي طالب. (الخطيب في المتفق).

وروى أيضاً: (ج ٥ ص ٣٨٩) عن ابن عباس قال: ما أنزل الله سورة في القرآن إلّا وكان علي أميرها وشريفها وقد عاتب الله أصحاب محمّد وما قال لعلي إلّا خيرا. (أبو نعيم).

وروى أيضاً: (ج ٥ ص٤٣) عن عبد الله بن الحارث قال: قلت لعلي بن أبي طالب: أخبرني بأفضل منزلتك من رسول الله؟ قال: نعم، بينا أنا نائم عنده وهو يصلي حتى إذا فرغ من صلاته قال: يا علي ما سألت الله من الخير إلّا سألت لك مثله، وما استعذت من الشر إلّا استعذت لك مثله. (المحاملي في أماليه).

وروى أيضاً: عن علي قال: وجعت وجعاً فأتيت النبي فأقامني في مكانه وقام يصلي والقى علي طرف ثوبه ثمّ قال: برئت ياابن أبي طالب فلا بأس عليك ما سألت الله لي شيئاً إلّا أعطانيه غير انّه قيل لي انّه لا نبي بعدك، فقمت فكأني ما اشتكيت. (ابن أبي عاصم وابن جرير وصححه، والطبراني في الأوسط وابن شاهين في السنة).

وروى أيضاً: (ج ٥ ص ٤٦) عن علي قال: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني وإذا سكت ابتداني. (ابن أبي شيبة والترمذي والشاشي وأبو نعيم في الحلية والدورقي والحاكم في المستدرك وسعيد بن منصور في سننه).

وروى أيضاً: عن عروة انّ رجلاً وقع في علي بمحضر من عمر فقال عمر:

تعرف صاحب هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب لا تذكر عليّاً إلّا بخير فانك إن آذيته آذيت هذا في قبره.

وروى أيضاً: عن أبي صادق قال: قال علي: حسبي حسب رسول الله وديني دينه فمن تناول مني شيئاً فإنّما تناوله من رسول الله ﷺ. (الخطيب في المتفق وابن عساكر في التاريخ).

وروى أيضاً: عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أُم سلمة: أيسب رسول الله فيكم ثمّ لا تغيرون؟ قلت: ومن سبّ رسول الله؟ قال: يسب علي ومن يحبه وقد كان رسول الله يحبه. (ابن أبي شيبة).

وروى أيضاً: (ج ٥ ص ٤٧) انّ الله عزوجل باهى بكم وغفر لكم عامة وغفر لعلي خاصة واني رسول الله اليكم غير محاب لقرابتي هذا جبريل يخبرني انّ السعيد حق السعيد من أحب عليّاً في حياته وبعد موته وانّ الشقي كل الشقي من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته. (الطبراني في الكبير والبيهقي في فضائل الصحابة وابن الجوزي في الواهيات عن فاطمة الزهراء).

وروى أحمد في المسند (ج ١ ص ٨٤) عن زر بن حبيش قال: قال علي: انّه مما عهد اليّ رسول الله انّه لا يبغضني إلّا منافق ولا يحبني إلّا مؤمن. وبرواية أُخرى له أوردها (ج ١ ص ٩٥) عن علي قال: عهد إليّ النبي انّه لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق.

وروى أيضاً: (ج ١ ص ١٤٦) عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي قال: قال لي رسول الله: يا علي اني أحب لك ما أحب لنفسي وأكره لك ما أكره لنفسي.

وروى أيضاً: (ج ٢ ص ٤٤٢) عن أبي هريرة قال: نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم.

وروى الحاكم في المستدرك (ج ٣ ص ١٢١) عن أبي ذر قال: قال رسول

الله: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي.

وروى أيضاً: عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام فسبّ علياً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس فقال: يا عدو الله آذيت رسول الله ﷺ، **﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً﴾** لو كان رسول الله حيّاً لآذيته. (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، أقرّه الذهبي كما هو).

وروى أيضاً: (ج ٣ ص ١٢٢) عن عمرو بن شاس الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال: خرجنا مع علي إلى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله قال: فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فلما رآني أبدني عينيه قال يقول حدد إلي النظر حتى إذا جلست قال: يا عمرو أما والله لقد آذيتني فقلت: أعوذ بالله أن أُوذيك يا رسول الله، قال: بلى من آذى علياً فقد آذاني. (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي كما هو).

وروى الحاكم (ج ٣ ص ١٢٨) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: نظر النبي ﷺ إلى علي فقال: يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله والويل لمن أبغضك بعدي. (صحيح على شرط الشيخين، وأبو الأزهر باجماعهم ثقة وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح).

وروى أيضاً: عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاعك فقد أطاعني ومن

عصاك فقد عصاني. (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ولم يتعرض له الذهبي بشيء).

وروى أيضاً: (ج ٣ ص ١٣٠) عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال: قال رجل لسلمان: ما أشد حبك لعلي؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحب عليّاً فقد أحبني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني. (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي).

وروى أيضاً: (ج ٣ ص ١٤٢) عن حيان الأسدي سمعت عليّاً يقول: قال لي رسول الله: انّ الأُمّة ستغدر بك بعدي وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني وانّ هذه ستخضب من هذا يعني لحيته من رأسه. (صحيح وأقرّه الذهبي).

ولنكتف بهذ المقدار في هذا المقام فإنّ الاستقصاء متعسر بل متعذر وقد سبق لك على طول الأبواب السالفة في القسم الثاني والثالث وهذا القسم من هذه السلسلة متنوع من فنون الحديث حسب المناسبات المبحوث عنها وفي تتمة هذا القسم أنواع أُخر سوف توافيك فانتظر.

(أبو موسى الأشعري)

وذكر ابن عبد البر [١] عند تعرضه لترجمة أبي موسى الأشعري فقال في جملة كلامه ـ وعزله ـ أي أبا موسى ـ علي رضي الله عنه عن الكوفة فلم يزل واجداً منها على علي حتى جاء منه ما قال حذيفة، فقد روى فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره.

(١) الاستيعاب: ج ٢ ص ٣٦٤.

وقد وصل ابن أبي الحديد كلام ابن عبد البر هذا بقوله [١]: قلت: الكلام الذي أشار إليه أبو عمر ابن عبد البر ولم يذكره قوله ـ أي قول حذيفة ـ فيه وقد ذكر عنده بالدين أما أنتم فتقولون ذلك وامّا أنا فأشهد انّه عدو لله ولرسوله وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين أسر إليه رسول الله أمرهم وأعلمه أسمائهم.

وروى انّ عماراً سئل عن أبي موسى فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً سمعته يقول: صاحب البرنس الأسود ثمّ كلح كلوحا علمت منه انّه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط.

وروى عن سويد بن غفلة قال: كنت مع أبي موسى على شاطيء الفرات في خلافة عثمان فروى لي خبراً عن رسول الله قال سمعته يقول: انّ بني اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا وأضلا من اتبعهما ولا ينفك أمر أُمتي حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من يتبعهما، فقلت له: احذر أبا موسى أن تكون أحدهما، قال: فخلع قميصه وقال أبرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا.

وذكر ابن أبي الحديد غير ذلك من التنديد حتى ختم الفصل بقوله: ذكرت ذلك لك لتعلم انّه عند المعتزلة من أرباب الكبائر وحكمه حكم أمثاله ممن واقع كبيرة ومات عليها ـ اهـ ملخصاً ـ.

---

(١) ج ٣ ص ٢٨٨ من شرحه الحديدي.

(أبو هريرة وفضائحه)

وذكر ابن كثير [١] ترجمة أبي هريرة وقد فتح الله لنا بترجمة هذا السني المتعصب لهذا الصحابي الدجال باباً واسعاً فنحن نذكر صريح أقواله ونشفعها بما عثرنا عليه من أقوال غيره، فقال: قال أبو داود الطيالسي وغير واحد عن أبي خلدة خالد بن دينار عن أبي هريرة قال: لما أسلمت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أنت؟ فقلت: من دوس فوضع يده على جبهته وقال: ما كنت أرى انّ في دوس رجلاً فيه خير.

أقول: صدق رسول الله، وحتى في أبي هريرة وإن كان أبو هريرة في روايته لهذا الأثر يريد به الترفيه عن شخصيته وانّه هو الرجل الدوسي الذي فيه الخير. فإنّ مخازي هذا الرجل في حياته مما تصحر بأنّ دوساً لا خير فيها على الإطلاق.

قال: وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة قال: شهدت مع رسول الله خيبر.

أقول: يكذبه ما بعده وهو قوله: وروى عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن اسماعيل عن قيس قال: قال أبو هريرة: جئت يوم خيبر بعدما فرغوا من القتال، والذي يقول شهدت الوقعة يريد اني كنت حاضرها بلا ريب وإن كان يريد غير هذا المعنى فقد دلس.

وروى البخاري عن أبي هريرة نفسه [٢] انّه قال: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة وإنّما غنمنا البقر والابل والمتاع والحوائط ـ الخ ـ وعلّق على ذلك

---

(١) في تاريخ البداية والنهاية: ج ٨ ص ١٠٣ وما بعدها.

(٢) ج ٣ ص ٣٦ باب غزوة خيبر.

محشيه فقال: قوله يقول: افتتحنا خيبر أي افتتح المسلمون خيبر وإلّا فأبو هريرة لم يحضر فتح خيبر، نعم حضرها بعد الفتح - اهـ - ولا ريب انّ قوله: افتتحنا ظاهر في انّه كان من جملة الحاضرين في حال انّه لم يكن فيهم فهو تدليس مفضوح، وامّا الأوّل وهو قوله: شهدت مع رسول الله خيبر فهو كذب صريح لا تأويل فيه.

قال: وقد ثبت في صحيح البخاري انّه ضلّ غلام له في الليلة التي اجتمع في صبيحتها برسول الله ﷺ وانّه جعل ينشد:

فياليلة من طولها وعنائها ... على انها من دارة الكفر نجت

فلما قدم على رسول الله قال له: هذا غلامك فقال: هو حرّ لوجه الله عزوجل.

أقول: يكذب ذلك بصراحة اطباق كل من كتب عن أبي هريرة انّه كان أفقر كل انسان يتصور بحقيقة هذه الكلمة ومن يكون كذلك فمن أين له الغلام المملوك وبأي ثمن اشتراه ومن أي شيء أنفق عليه زاد أو كسوة؟

فقد ذكر الشعراني (١) قال: وكان يخدم الناس قبل صحبته لرسول الله ﷺ على ملأ بطنه.

وها هو ابن كثير نفسه في سياق ما سبق يقول عنه: وكان يلزمه على شبع بطنه، ويحكي عن أبي هريرة نفسه في التعبير عن سوء حالته: لقد رأيتني اخر فيما بين المنبر والحجر من الجوع فيمر المار فيقول به جنون وما بي إلّا الجوع والله الذي لا إله إلّا هو لقد كنت أعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد كنت استقرأ أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه وما بي إلّا أن يستتبعني إلى منزله فيطعمني شيئاً وهذا قليل من كثير ما ذكره كل من

(١) في الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٤ عند تعرضه لأبي هريرة.

تعرّض لذكره.

قال: وقال الامام أحمد: حدثنا عكرمة بن عامر حدثني أبو كثير وهو يزيد بن عبد الرحمن بن أُذينة السحيمي الأعمى حدثني أبو هريرة قال: والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلّا أحبني قلت: وما علمك بذلك يا أبا هريرة؟ قال: انّ أُمي كانت امرأة مشركة واني كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى علي فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ما أكره فأتيت رسول الله وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله اني كنت أدعو أُمي إلى الإسلام فكانت تأبى علي واني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أُم أبي هريرة، فقال: اللهم اهد أُم أبي هريرة، فخرجت أعدو ابشرها بدعاء رسول الله لها فلما أتيت الباب إذا هو مجاف وسمعت خضخضة (خشخشة) وسمعت خشف رجل ـ يعني وقعها ـ فقالت: يا أبا هريرة كما أنت ثمّ فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها أن تلبسه وقالت: اني أشهد أن لا إله إلّا الله وانّ محمّداً عبده ورسوله فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن فقلت: يا رسول الله أبشر فقد استجاب دعائك قد هدى الله أُم أبي هريرة، وقلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني وأُمي إلى عباده المؤمنين، فقال: اللهم حبب عبيدك هذا وأُمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم اليهما. قال أبو هريرة: فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أُمي إلّا وهو يحبني، الحديث.

أقول: هذا مكذوب كحديث الغلام الآنف ولكن هذا أكثر تشعباً في الكذب من ذاك، وذلك:

أمّا أوّلاً ـ فقد قرأت عن الشعراني آنفاً انّه كان قبل صحبته لرسول الله يخدم الناس على ملأ بطنه والذي يكون بهذه الحالة ليس إلّا السائبة الذي لا يجد أحداً يأوي إليه ويقوم به وهذا أخس حالاً من المكدي لأنّ المكدي يسأل الناس فقد

يكون يجمع بسؤاله منهم ما يقيم به صلبه وصلب من يعول به إن كان عنده من ذلك شيء. والشعراني يقول في حق أبي هريرة في سياق ما اسلفناه عنه: وكان لا يسأل الناس شيئاً، فقط كان يخدم الناس قبل صحبته لرسول الله ﷺ على ملأ بطنه فمثل هذا حتى لو فرضت له أم في الوجود فليست عنده ولا هو عندها بطبيعة الحال إذ لا يخلو أن تكون هذه الأم المفترضة امّا بها ان تقوم بمعيشة نفسها ومعيشة ولدها فهي لا تدعه يخدم الناس على ملأ بطنه بل تملأ بطنه وامّا أن لا تكون كذلك فهي في شاغل بنفسها عنه وقد يتصور فرض ثالث وهو تصوير مكنتها مع طردها له أو عقوقه لها وواحد من هذه التصويرات لابد منه وكلها عليه لا له.

وأمّا ثانياً ـ فإنّ أحداً من الذاكرين له لم يذكر في حديث هجرته إلى المدينة هجرة اُمّه معه، ودليلهم على ذلك واضح بأنّ حروف التاريخ مطبقة على انّه كان من الفقر بالحالة التي قرأت عنها سابقاً على اسلامه، وبعدما أسلم ومثل هذا لا يكون معه أحد. هذا على انّ امّه باعترافه كانت مشركة وحتى بعد هجرته وفضلاً عن شركها كانت تتناول النبي بالمكروه فمثل هذه كيف يتصور في حقها هجرة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام؟ وما الذي يقلقها عن محل اقامتها الذي كانت فيه إلى دار تعد أهلها على جانب يبعد عن عقائدها وروحياتها، هذا ما لا يعقل سواء قلنا انها كانت ثرية أم مملقة.

وأمّا ثالثاً ـ فكيف يصح قوله: فخرجت أعدو ابشرها بدعاء رسول الله لها مع انّه معترف بأنّه دعاها يوماً إلى الإسلام فاسمعته في رسول الله ما يكره وهل يسعى الإنسان إلى ملحد جاحد يطعن في دعاة التوحيد وينال منهم مبشراً له بأنّ داعي التوحيد دعى له ربه بالهداية إلى الايمان بهذا الرب وهل ليت شعري تمشي به قدماه في هذا الغرض الذي يعتقد كونه من الخرافات عند من يسعى إليه به،

هذا ما لا يعقل بطور قاطع فإنّ البشارة بمثل هذا إنّما تزف للمؤمن المعتقد الخالص في الولاء قلباً وقالباً بلا ريب.

وأمّا رابعاً ـ فإنّ المحبة للشيء فرع المعرفة به وكل الناس لا يعرفون أُم أبي هريرة حتى يحبوها ولولا انّه ذكرها في حديثه هذا لما عرفت، وامّا محبوبيته هو عند كل المؤمنين فذلك أوّل الكلام وهي دعوى فارغة، وكل دعوى ينسبها إلى نفسه فهي من هذا النمط لأنّها من رواية لسانه في خصائص نفسه لم يشركه في التحديث بها غيره وتكليفه هو واضح كما عرفت وكما ستعرف.

قال: وقال هشام بن عمار: حدثنا سعيد حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن المقبري عن سالم مولى النضريين انّه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله يقول: إنّما محمّد بشر أغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأيما رجل من المسلمين آذيته أو شتمته أو جلدته فاجعلها له قربة بها عندك يوم القيامة. قال أبو هريرة: لقد رفع على رسول الله يوماً الدرة يضربني بها فلأن يكون ضربني بها أحب إليّ من حمر النعم ذلك بأنّي أرجو أن أكون مؤمناً وان يستجاب لرسول الله دعوته.

أقول: وهذا مكذوب كسابقه، بل هذا أشد، فإنّ رسول الله بالملاك العقلي اللازم يجب أن يكون مصوناً لتكون أفعاله وأقواله حجة على غيره بواضح الضرورة هذا وانّ ايذاء المسلم للمسلم وشتمه له وجلده اياه من غير طريق مشروع موجب لمعصيته، لأنّ كل تيك الارتكابات المومأ اليها محرمة عند الشارع فكيف يجيء النبي الناهي عنها عاملاً بها فاعلاً لها ونحن لا ننكر بشرية محمّد ﷺ ولا نمنع عروض الغضب له لكن لا بهذا النحو الذي يدعيه أبو هريرة له من انّه إذا اعترته هذه الحالة آذى ذاك وشتم هذا وجلد ذياك، فإنّ هذا لا يصدر إلّا ممن يبلغ بهم الغضب حالة الجنون، وحاشا رسول الله من قليل ذلك

فضلاً عن كثيره ، ولا شبهة انّ القماش الذي يقول فيه ربّ العزة : **﴿وانّك لعلى خلق عظيم﴾ ﴿رحماء بينهم﴾ ﴿لا ينطق عن الهوى﴾** غير القماش الذي يعرضه لنا أبو هريرة في حديثه هذا ، فإنّ ذاك وهذا من سنخين والله هو الصادق ، فأبو هريرة هو الكاذب .

كما وانّ القماش الذي يعرضه لنا الأثر الوارد عن السنة فضلاً عن الشيعة بمثل ما يرويه ابن عبد البر [١] عند تعرضه لترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص قال : واستأذن ـ أي عبد الله بن عمرو المذكور ـ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن يكتب حديثه فأذن له قال : يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك في الرضا والغضب ؟ قال : نعم ، فاني لا أقول إلّا حقاً .

وما يرويه البخاري [٢] عن عائشة انّ اليهود أتوا النبي فقالوا : السام عليك ، قال : وعليكم ، فقالت عائشة : السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مهلاً يا عائشة عليك بالرفق ، وإيّاك والعنف أو الفحش ، قالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ .

وما يرويه أيضاً [٣] عن عبد الله بن عمرو قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول : ان من خياركم أحسنكم أخلاقاً . وما يرويه المصدر نفسه عيناً : عن عائشة انها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أمرين إلّا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثماً ، فإن كان اثما كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم رسول الله لنفسه إلّا

---

(١) في الاستيعاب : ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٢) ج ٤ ص ٧٣ باب قول النبي يستجاب لنا في اليهود من صحيحه .

(٣) ج ٢ ص ١٧٤ باب صفة النبي من صحيحه .

أن تهتك حرمة الله فينتقم لله بها . وعن أبي سعيد الخدري قال : كان النبي أشد حياءً من العذراء في خدرها . وعن أبي هريرة قال : ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط ان اشتهاه وإلّا تركه ـ اهـ ـ في ناحية بعيدة عن القماش الذي أراناه أبو هريرة في حديثه الآنف والحق هو ما تطابقت عليه العقول وآي الكتاب والآثار المتواترة لا ما يقوله هذا الدجال مستهدفاً به هدفاً مرموزاً وهو انّ النبي بما لا ريب فيه لعن اناساً لعناً صريحاً انتقم به لله سبحانه كلعنه للحكم وابنه مروان ومعاوية وأبي سفيان وعرضه لفضائح بني امية وانهم ينزون على منبره كالقردة . وأبو هريرة عثماني عمري صريح لا يداجي في ذلك وقد استخدمته هذه السياسات فأخلص لها فرأى من احسانه اليها أن يختلق الحديث السالف ليبين للناس انّ النبي في لعنه لأُولئك الأفراد كان في حالة غضب ففضلاً عن انّ لعنه ايّاهم لا مقيل له فإنّهم سوف يحرزون به يوم القيامة قربا من الله سبحانه بحكم النبي ﷺ .

قال : وقال ابن أبي ذيب : عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قلت : يا رسول الله اني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه ، فقال : ابسط رداءك فبسطته ثمّ قال : ضمه فضممته فما نسيت حديثاً بعد . رواه البخاري ، وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عبد الرحمن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة يقول : انكم تزعمون انّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ والله الموعد اني كنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله على ملأ بطني وكان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق وكانت الأنصار تشغلهم القيام على أموالهم فحضرت من رسول الله يوماً مجلساً فقال : من بسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثمّ يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني فبسطت بردة علي حتى قضى مقالته ثمّ قبضتها اليّ فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد ذلك . وقد رواه ابن وهب عن

يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وله طرق أُخرى عنه، وقد قيل: انّ هذا كان خاصاً بتلك المقالة لم ينس منها شيئاً بدليل انّه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرّح به في الصحيح، حيث نسى حديث لا عدوى ولا طيرة مع حديثه لا يورد ممرض على مصح، وقيل انّ هذا كان عاماً في تلك المقالة وغيرها والله أعلم.

أقول: وهذا مكذوب كسوابقه بأدلّة واضحة:

الدليل الأوّل: انّ أبا هريرة نفسه معترف بأنّه لم يصحب النبي أكثر من ثلاث سنين، روى البخاري [١] عن أبي هريرة قال: صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين. وقوله للنبي ﷺ في الحديث الذي ذكره ابن كثير عنه: يا رسول الله اني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه لم يكن موصولاً بأوّل صحبته له بدليل مفاد هذا الحديث نفسه اني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه وسماع الحديث الكثير خصوصاً عن النبي الذي تعتوره أشغال في سبيل الرسالة كثيرة يحتاج إلى زمن يعتد به طبعاً فاذاً الثلاث السنون ليست بثلاث سنين.

وأيضاً ذكر ابن كثير في هذه الترجمة التي ننقل عنها انّه أسلم كما قدمنا عام خيبر فلزم رسول الله ولم يفارقه إلّا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ووصاه به فجعله مؤذناً بين يديه. وقد قال الطبري [٢]: وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم فلما دخل ذو القعدة من هذه السنة أعني سنة عشر تجهز النبي إلى الحج فأمر الناس له ـ اهـ ـ وبين هذا البعث ووفاة النبي ﷺ فاصلة أشهر لم يكن أبو

(١) ج ٢ ص ١٧٨ باب علامات النبوة في الإسلام من صحيحه.

(٢) ج ٣ ص ١٦٧ عند تعرضه للسنة العاشرة.

هريرة فيها إلّا في البحرين. فعلى هذا وذاك تعود الثلاث السنون ليست بهذا المبلغ بل أقل منه كثيراً فهذه الفاصلة بطبيعتها لا تفي بما يدعيه أبو هريرة من الحفظ والاسناد عن الرسول ﷺ بما بذبه كافة الصحابة بلا استثناء بل لو جمع المحفوظ عن كثير من كبارهم وقدمائهم في الصحبة لما حاذاه في الكمية التي تذكر له.

فإن قلتَ: ما دليلك على هذه الدعوى انّه بذ كافة الصحابة بلا استثناء في الحفظ عن الرسول ؟

قلتُ: ما يذكره ابناء التسنن له فمن ذلك ما يقوله ابن حجر في الاصابة عند تعرضه لترجمة أبي هريرة في باب الكنى: وقد أجمع أهل الحديث على انّه أكثر الصحابة حديثاً، وذكر أبو محمّد بن حزم ان مسند تقي بن مخلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاث مأة حديث وكسر. وقال البخاري: روي عنه نحو الثمانمأة من أهل العلم وكان أحفظ من روى الحديث في عصره. قال وكيع في نسخته: حدثنا الأعمش عن أبي صالح قال: كان أبو هريرة أحفظ أصحاب محمّد ﷺ. وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق سعيد بن أبي الحسن قال: لم يكن أحد من الصحابة أكثر حديثاً من أبي هريرة. وقال الربيع: قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

فإن قلتَ: ما دليلك على قولك: بل لو جمع المحفوظ عن كثير من كبارهم وقدمائهم في الصحبة لما حذاه في الكمية التي تذكر له.

قلتُ: دليلنا على ذلك ما ذكره أبناء التسنن أنفسهم، فقد قال السيوطي في الباب الذي عقده لأبي بكر من كتابه تاريخ الخلفاء: فصل فيما روى عنه من الحديث المسند قال النووي في تهذيبه: روى الصديق عن رسول الله ﷺ مأة حديث واثنين وأربعين حديثاً. وقال في ترجمة عمر بن الخطاب من كتاب

المذكور: روي له عن رسول الله خمسماءة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً. وقال في ترجمة عثمان بن عفان من كتابه الآنف الذكر: روي له عن رسول الله مأة حديث وستة وأربعون حديثاً. وقال في ترجمة علي بن أبي طالب: روي له عن رسول الله خمسماءة حديث وستة وثمانون حديثاً. فمجموع ما ذكر للخلفاء الأربعة ألف وأربعمائة وثلاثة عشر حديثاً في حال انّ ما ذكر لأبي هريرة في مسند تقي بن مخلد خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر، وأنت ترى كم من فاصلة بعيدة بين الرقمين على أنّ الرقم القليل المستضعف بالنسبة إلى ما يذكر لأبي هريرة بضاعة أربعة خلفاء صحب اثنان منهم النبي ثلاثاً وعشرين سنة أي مدى نبوته جميعاً في مكة والمدينة واثنان منهم أقل من ذلك بشيء قليل وأبو هريرة حسبما آنفنا لك لا تبلغ مدة استفادته التي تم له فيها الحفظ عن النبي مقدار سنتين.

فإن قلتَ: لا يقول أبناء التسنن انّ جميع ما سمعه الخلفاء الأربعة من النبي وحفظوه عنه هو ذلك المقدار الذي عرضناه لك بحيث لا يزيد عليه بل يقولون انّ المقدار الذي حدثوا به كان هذا المقدار، فقد يكون في عياب معلوماتهم أكثر من ذلك ولم تدعهم الدواعي والمناسبات إلى ذكر أكثر مما ذكروه فحفظ عنهم.

قلنا: انّ أبا هريرة تفطن لهذا الاشكال من قديم فأجاب عنه كما يذكره ابن كثير في هذه الترجمة التي ننقل عنها قال: قال ابن أبي ذيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة انّه قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعائين فأمّا أحدهما فبثثته في الناس، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم. بل في حلية الأولياء لأبي نعيم[1] عن أبي هريرة قال: حفظت عن رسول الله ﷺ خمسة جرب

(١) ج ١ ص ٣٨١ عند ذكره لأبي هريرة.

فأخرجت منها جرابين ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة.

أقـول: ونسي أن يذكر الرابع والخامس مخافة أن يقتلوه في ساعته تلك.

الدليل الثاني: ضرورة العيان قاطعة بأنّ من الصحابة مـن اقـترنت صـحبته للرسول في أوّل آنات بعثته كعلي أو بعدها بقليل لا يعتد به أو بفاصلة طفيفة من الزمان وأهل هذا الملاك كثيرون اولهم علي بن أبي طالب فإنّه أوّل الناس اسلاماً وصحبة كما سقناه لك في الحلقات الآنفة وبعده أسلم زيد بن حارثة وأبو بكر، وأخذ المسلمون يزيدون بعد ذلك على مرور الأيّام والشهور والسنوات زيـادة محسوسة ويصحبون النبي للأخذ من علومه وكثير من هـؤلاء لم يـفارقوه بـل لازموه حلا ومرتحلاً مسالماً ومحارباً إلى أن توفي ﷺ وفي طليعتهم عـلي الذي تربى في حجره وعاش في بيته فهل ترى أشد من هذه المـلازمة شـيء؟ وكثير من هؤلاء لا يعرفون التجارة ولا غيرها كعلي فكيف حصل لأبي هريرة كما يدعيه أضعال ما حصل لأعرقهم صحبة وأطولهم مدة وأبـعدهم عـن المـفارقة لملازمة الرسول في حال انّ زمان صحبة أبي هريرة لا يزيد على نسبة العشر إلى زمان صحبة علي وأبي بكر ومن كان على هذا الطراز.

ثمّ أبو هريرة من أهل الصفة وهم كما يصفهم أبو هريرة نفسه [(١)] قال: وأهل الصفة أضياف الإسـلام لا يـلون عـلى أحـد ولا مـال لهـم إذا أتـته ـ أي أتت النبي ﷺ صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ـ قال: وكنت في سبعين رجلاً من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء، امّا بردة أو كساء قد ربطوها في أعناقهم، فهم لا مال لهم حتى يتجروا به ولا حوائط تشغلهم عن ملازمة النبي والاستماع لحديثه كما رمى

(١) ج ١ ص ٣٧٧ من حلية الأولياء.

أبو هريرة بذلك المهاجرين والأنصار. وفيهم من هو أقدم منه صحبة بكثير جداً وقد ذكرهم أبو نعيم في الجلد الأوّل من حليته فراجع تراجمهم إن أحببت، فعلام لم يؤثر عنهم ما أثر عن أبي هريرة؟ إذاً أفيصدق أبو هريرة في اجربته الخمس التي اثنتان منها فضحتاه على رؤوس الأشهاد فكيف بالأجربة الثلاث الباقية لو سردها.

هذا ولا يقال انّ أبا هريرة بامتداد حياته بعد الرسول استطاع أن يحدث بمسموعاته بخلاف غيره من أهل الصفة ومن عداهم من صحابة مهاجرين وأنصار، لأنّا نقول: انّ كثيراً من الصحابة القدماء في اسلامهم تأخرت حياتهم بعد النبي بمسافة من الزمان وأبو هريرة مات سنة تسع وخمسين وبعده بقي كثيرون وهذا المطلب مضبوط في التاريخ العمومي ولا حاجة بنا للتعرض له لأنّ كل من يستعرض التاريخ يقف على كل ما يريد في هذا الصدد.

الدليل الثالث: ما يشهد بكذب أبي هريرة ومدعيات أبناء العامة في حقه من انّه لم يكن أحد من الصحابة أكثر حديثاً منه اعتراف أبي هريرة نفسه ـ كما يذكره عن ابن كثير في هذه الترجمة ـ بأنّ عبد الله بن عمرو بن العاص أكثر حديثاً منه عن رسول الله، فإنّه قال: وقال سفيان بن عيينة عن معمر عن وهب بن منبه عن أخيه همام بن منبه قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أحد من أصحاب رسول الله أكثر حديثاً عنه مني إلّا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنّه كان يكتب ولا أكتب. وفي الاصابة في صحيح البخاري من طريق وهب بن منبه عن أخيه همام عن أبي هريرة قال: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني إلّا عبد الله بن عمرو فإنّه كان يكتب ولا أكتب.

أقول: ذكر البخاري ذلك في باب كتابة العلم من صحيحه وذكر ابن عبد البر في ترجمته لعبد الله بن عمرو بن العاص من الاستيعاب قال: قال أبو هريرة: ما

كان أحد أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني إلّا عبد الله بن عمرو فإنّه كان يعي بقلبه وأعي بقلبي وكان يكتب وأنا لا أكتب، استأذن رسول الله في ذلك فأذن له.
هذا وأنت ترى انّ هذا الحافظ بضبط الكتابة الذي يكون آكد في التثبت لم يسند له المحدثون ولا لأي صحابي معروف باكثار الرواية عن الرسول ما اسندوا عن أبي هريرة المعترف على نفسه انّ ذاك الضابط بالكتابة ـ وهو عبد الله بن عمرو ـ أكثر منه حديثاً عن رسول الله. وعبد الله بن عمرو مشت به سنه بعيداً في الزمن، قال ابن حجر في الاصابة عندما ترجم له: قال الواقدي: مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين، وقال ابن البرفي: وقيل: مات بمكة وقيل بالطائف وقيل بمصر وحكى البخاري انّه مات سنة تسع وستين. وكلما كان في عياب عبد الله هذا أفشاه لأنّه صحابي معروف عند الناس بالصحبة وسكن مدناً تقل فيها الصحابة ويكثر السائلون وما أفشاه اسند له إذن فأكثر ما ادعى روايته أبو هريرة عن رسول الله مزور مكذوب باعتراف أبي هريرة نفسه ان ما عند عبد الله بن عمرو أكثر مما عنده وما كان عند ابن عمرو نراه أقل مما أسند له والمحكم في ذلك احصاء المحدثين لمسانيد الطرفين. هذا مضافاً إلى انّ عبد الله بن عمرو لم يقل في حياته بثثت لكم وعاء من محفوظاتي وصنت أوعيتي الأُخرى حذراً منكم كما قال أبو هريرة المعترف على نفسه انّ عبد الله أكثر منه حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الدليل الرابع: يصدق أبو هريرة بلسانه ما جاء في المثل السائر: يكاد المريب أن يقول خذوني، فاننا لم نر صحابياً مكثراً عن رسول الله رواية الحديث استنكر على نفسه كثرة الحديث يروى له. والمكثرون في الصحابة كثيرون، وقد استنكر أبو هريرة ذلك على نفسه كثيراً فقال كما يرويه ابن كثير في هذه الترجمة التي ننقل عنها: انكم تزعمون انّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفي

الاصابة في الصحيح عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: انكم تزعمون انّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله. وفي الحلية [١] عن الزهري: حدثني سعيد وأبو سلمة انّ أبا هريرة قال: انكم تقولون انّ أبا هريرة يكثر الحديث عن النبي. وعن أبي هريرة أيضاً قال: انّ الناس يقولون يكثر أبو هريرة. وفي طبقات ابن سعد [٢] قال أبو هريرة: يقولون أكثرت يا أبا هريرة، والذي نفسي بيده لو اني حدثتكم بكل شيء سمعته من رسول الله ﷺ لرميتموني بالقشع يعني المزابل، ثمّ ما نظرتموني. وعن أبي هريرة انّه كان يقول: لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرماني الناس بالخرق وقالوا أبو هريرة مجنون. وقال أبو هريرة: لو أنبأتكم بكل ما في جوفي لرميتموني بالبعر. إلى غير ذلك مما هو رديف لما ذكرناه وكما استنكر هو على نفسه فقد أنكر عليه كثير من الناس وكذبوه وصرحوا بكذبه كما سيجيء.

الدليل الخامس: كذب أبي هريرة في قوله: فالوذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد ذلك يتجلى باعتراف ابن كثير وغيره من المحدثين انّه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرح به في الصحيح حيث نسي حديث لا عدوى ولا طيرة مع حديثه لا يورد ممرض على مصح.

أقول: روى مسلم في باب لا عدوى ولا طيرة [٣] عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة حين قال رسول الله ﷺ: لا عدوى ولا صفر ولا هامة فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الابل تكون في الرمل كأنّها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قال: فمن أعدى الأوّل.

---

(١) ج ١ ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٢) ج ٤ ص ١٧٩ عند تعرضه لذكره.

(٣) من ج ٧ ص ٣٠ وما بعدها من صحيحه.

وقال: حدثني أبو طاهر وحرملة (وتقاربا في اللفظ) قالا: أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب انّ أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف حدثه انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا عدوى، ويحدث انّ رسول الله قال: لا يورد ممرض على مصح، قال أبو سلمة كان أبو هريرة يحدثهما كلتيهما عن رسول الله ثمّ صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله لا عدوى وأقام على أن لا يورد ممرض على مصح، قال: فقال الحارث بن أبي ذباب (وهو ابن عم أبي هريرة) قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث حديثاً آخر قد سكت عنه، كنت تقول: قال رسول الله: لا عدوى، فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك وقال: لا يورد ممرض على مصح فما رآه الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فرطن بالحبشية فقال للحارث: أتدري ماذا قلت ؟ قال: لا، قال أبو هريرة: قلت: أبيت، قال أبو سلمة: ولعمري لقد كان أبو هريرة يحدثنا انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا عدوى فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر.

وساق سنداً آخر أنهاه إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن انّه سمع أبا هريرة يحدث انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا عدوى، ويحدث مع ذلك لا يورد الممرض على المصح؛ إلى آخر ما ذكر، والكفاية بما ذكرناه.

وهذه الحادثة تحصر أبا هريرة بين محذورين لابد من حصول أحدهما له: وهما امّا التزوير على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه من المستحيل عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لا عدوى ويقول مع ذلك لا يورد ممرض على مصح، فإنّ ذلك تناقض ما منه بدّ وامّا النسيان كما يقوله أبناء التسنن في حقه على انّ النسيان مآله إلى التزوير أيضاً، لأنّ الناسي للشيء أخيراً كان على ذكر منه بادئاً فهو عندما كان ذاكراً له وناسباً ايّاه إلى الرسول كان عامداً في روايته فقد عمد أبو هريرة إلى نسبة أمرين متناقضين إلى رسول الله، وحاشا الرسول أن يصدر عنه تناقض، ما ينطق عن

الهوى، اذاً فالتناقض صدر من أبي هريرة نفسه بأن يكون روى: لا عدوى أوّلاً ومرّت عليه مدة أغفلته عن هذه المادة فروى نقيضها: لا يورد ممرض على مصح، والإنسان الكاذب ليس على ذكر من أكاذيبه دائماً وإنّما يظهر كذبه للضابطين عليه مواقع كلمه وعند هؤلاء يفتضح الكاذب كما افتضح أبو هريرة هذا الافتضاح الشائن.

وأمّا احتمال النسخ في هذه الأُمور التكوينية فهو من الأغلاط المفضوحة بأن تكون العدوى مقررة من الله زماناً ثمّ تنسخ إلى نقيضها على انّ في بعض هذه الطرق انّ أبا هريرة كان مصراً على التحديث بكلا الأمرين لا عدوى ولا يورد ممرض على مصح فما أشد هذا التناقض وأقبحه.

ولا نطيل عليك بهذه التشقيقات الفاضحة لهذا الدجال، فلننقل الكلام إلى الفقرات الأُخرى مما سرده في حقه ابن كثير في ترجمته، وكفى بهذا الناصبي معواناً لنا على هذا المدلس المدسوس في زمرة الصحابة الأخيار.

وقال: قال أبو زرعة الدمشقي: حدثني محمّد بن زرعة الرعيني حدثنا مروان بن محمّد حدثنا سعين بن عبد العزيز عن اسماعيل بن عبد الله عن السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس، وقال لكعب الأحبار: لتتركن الحديث عن الأوّل أو لألحقنك بأرض القردة.

أقول: لا يفوت عمر وهو الحول القلب ما يصحر به هذا المدلس من سرد الحديث غثاً وسميناً عن رسول الله مع انّه يرى أبعد الصحابة زمناً في صحبة النبي وملازمته ايّاه لا يعرف كثيراً مما يقول به هذا الدوسي على انّه قليل المدة في الصحبة حتى لو فرض له حفظ كلما سمع فإنّ غيره من الصحابة لم يبتلوا بمرض النسيان ـ أوّلاً ـ ولم يبتعدوا عن ملازمة النبي حتى يتخصص به هذا

الإنسان ـ ثانياً ـ وقد شرحنا طرفاً من ذلك آنفاً فلا نعيد.

وأمّا ما ذكره ابن كثير عقيب روايته لهذا الأثر عن عمر بأنّ هذا محمول من عمر على انّه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها وانهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص وانّ الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط والخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك: فهو تافه بارد فاسد، فإنّ الحديث الذي يلقى على الناس لم يكن منحصراً بأبي هريرة والمكثروه من الأصحاب زمان عمر كثيرون كعلي وابن عباس وعائشة وغير اولئك برقم واسع فلم لم يمنعهم عن التحديث كما منع أبا هريرة، وامّا انّ الناس قد يضعونها على غير مواضعها فإنّه لا يمنع من سرد السنة للمسلمين حتى يتعرفوا بدينهم والقليل الادراك منهم يسأل عن مواضع جهله كما كانوا يفعلون ذلك، والتاريخ الناطق عن أحوال المسلمين من الصدر الأوّل يشرح لنا خصوص هذه النقاط شرحاً واسعاً وانهم كيف كانوا يزدحمون على باب ابن عباس ونظرائه ويسئله سائل عن الفقه وثان عن التفسير وثالث عن الحديث وهلم جرّا.

وأمّا وقوع الغلط أو الخطأ في الحديث فيحمله الناس على غلطه وخطأه فذلك ليس من تقصير الراوي إذا كان محتاطاً لدينه وامّا المتساهل فهو مظنة التزوير والكذب وعمر لوقوفه على هذه النقطة في أبي هريرة منعه عن التحديث وهدده.

وأمّا قوله وقد جاء انّ عمر أذن له بعد ذلك في التحديث فهو مزور حتماً بنفع أبي هريرة من هواة أبي هريرة. كيف وابن كثير نفسه بعد أسطر يحكي عن أبي هريرة انّ أبا هريرة كان يقول: اني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشج رأسي وقال صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة سمعت أبا هريرة يقول: ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله حتى قبض عمر،

فهذا مما ينطق بصراحة انّ عمر ما كان يجيز لأبي هريرة أن يروي ما ينفرد به عن غيره بل يجيز ما كان له شاهد من رواية غيره من الصحابة والأحاديث التي يشير اليها بقوله : اني لأُحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشج رأسي هي ما كان يستنكرها عمر لو سمعها منه لاستغرابه اياها وفقد الشواهد المعززة لها وقلّة الاطمئنان براويها ـ أبي هريرة ونظير أبي هريرة ـ .

وأمّا قوله : ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله حتى قبض عمر ، فذاك من تزوير أبي هريرة نفسه ، نعم لم يكن هو بخاصته بعد أن هدده عمر يستطيع أن يقول قال رسول الله خوفاً من هذا الخليفة الجبار وإلّا فعمر نفسه كان يحضر ابن عباس في مجلسه على انّه من أصغر الصحابة سناً ويسأله ويستفسر منه امّا كسباً من معلوماته وامّا بياناً لفضله وتشهيراً بمقام علمه ، فكيف ليت شعري يمنع أكابر الصحابة بل وحتى السائر منهم عن التحديث بسنة رسول الله وهو كان يفزع في مهماته اليهم سائلاً ومستفتياً كما يأتي خبر ذلك في محله من هذا الكتاب .

قال ابن كثير : وروى الامام أحمد بسنده عن ابن عمر انّه مرّ بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي انّه قال : من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط ، فإن شهد دفنها فله قيراطان القيراط أعظم من أُحد ، فقال له ابن عمر : أبا هر انظر ما تحدث عن رسول الله ، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها : يا أُمّ المؤمنين انشدك بالله أسمعت رسول الله يقول من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان ؟ فقالت : اللهم نعم ، فقال أبو هريرة : انّه لم يكن يشغلني عن رسول الله غرس بالوادي وصفق بالأسواق اني إنّما كنت أطلب من رسول الله كلمة يعلمنيها أو أكلة يطعمنيها فقال له ابن عمر : أنت يا أبا هر كنت الزمنا لرسول الله وأعلمنا بحديثه .

أقـول : هذا الخبر مزور من عدّة جهات :

الجهة الأُولى : انّ ابن عمر ليس له ظن حسن بأبـي هـريرة وقـد نسـبه إلى التزوير فيما رواه مسلم في صحيحه [١] عن ابن عمر انّ رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلّا كلب الصيد أو كلب غنم أو ماشية ، فقيل لابن عـمر : انّ أبـا هـريرة يقول : أو كلب زرع ، فقال ابن عمر : انّ لأبي هريرة زرعاً . وفي رواية ثانية : وكان أبو هريرة يقول : أو كلب حرث . وكان صاحب حرث . وفي ثالثة : قال الزهـري فذكر لابن عمر قول أبي هريرة فقال : يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع . وهذا كله صريح في انّ الزيادة من أبي هريرة ، والذي دعاه اليها انّه كان صاحب زرع لا انّ ذلك جرى على لسان الرسول فحفظه أبو هريرة عنه ، ولا شبهة انّ هذا الزرع الذي حصل لأبي هريرة كان بعد عهد النبي ﷺ بفاصلة ، لأنّ النـصوص عـن لسانه فضلاً عن غيره ناطقة بأنّه كان على عهد النبي من الفقر والاستئصال بدرجة يرثى لها ، وقد تقدم بيان ذلك ، فأبو هريرة اذاً لم يكن له داعي الفحص عن حال كلب الزرع حتى يستفسر ذلك من النبي كما تدعو الحاجة الماسة أن يسـتفسر عنها صاحبها بتعرف زائد وعندما حصل له الزرع لم يكن النبي مـوجوداً حـتى يستفيد منه هذه الخصوصية ولا انّه حصلها من صحابي آخر فتكون روايته لهـا بالواسطة ولو كانت لذكرها في حال انّ هذه الروايات كلها فاقدة لذكر الواسطة ، ومختلقات أبي هريرة كثيرة وهذه واحدة منها .

الجهة الثـانية : انّ عائشة كابن عمر لم يكن لها بأبي هريرة حسـن ظـن بـل صرحت بنسبته إلى الكذب وانّه يروي عن رسول الله ما لم يسمعه منه . ذكر ابن

---

(١) ج ٥ ص ٣٦ وما بعدها ، باب الأمر بقتل الكلاب .

سعد [١] انّ عائشة قالت لأبي هريرة: انك لتحدث عن النبي حديثاً ما سمعته منه، فقال أبو هريرة: يا امه طلبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة وما كان يشغلني عنها شيء.

أقول: اتخذ أبو هريرة هذه الكلمات ذريعة له في التخلص عن التهم توجه له، فالمرأة يرميها بأنّها ذات مكحلة ومرآة والمهاجر بأنّه يصفق في الأسواق والأنصاري بأنّه مشغول بالحوائط والنخيل، وأمّا هو فبريء من كل عيب.

وقال ابن كثير في سياق ما سبق: وقد روي انّ عائشة تأولت أحاديث كثيرة من أبي هريرة ووهمته في بعضها، وفي الصحيح انها عابت عليه سرد الحديث. أي هذه الكثرة المفقودة عند قدماء الأصحاب الملازمين للرسول الفاقدين للتجارة حتى ينشغلوا بها وللوحوائط حتى تنصرف هممهم اليها وهذا سوء ظن منها في محله كما أسلفناه القول فيه.

الجهة الثالثة: انّ الذي عرضه أبو هريرة على عائشة بحضرة ابن عمر هو قوله من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان، وليس فيه القيراط أعظم من أُحد، والذي سمعه ابن عمر واستنكره هو ما كان بهذه الضميمة، وعائشة على فرض تصديقها له في مادة الحديث لم تعترف بتلك الضميمة لأنّه زواها عنها، وقد يكون ابن عمر استكثر هذه المبالغات النابية ـ القيراط أعظم من أُحد ـ وإلّا فأصل تشييع الجنائز مما لا يكاد يخفى فضله على ابن عمر ولا على من دونه، كيف وهو محل ابتلاء كل أحد، ولا يتخالجني شك في انّ مثل هذه الضمائم ـ القيراط أعظم من أُحد ـ لم تصدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانّ جهة صدورها هو جهل الدجالين بلا ريب.

---

(١) في الطبقات: ج ٤ ص ١٧٩ عند تعرضه لذكر أبي هريرة.

ومن جملة الضمائم المزعومة فيما نحن فيه ما يذكره ابن كثير في سياق ما سبق قال: وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا بشر عن اسحاق عن سعيد انّ عائشة قالت لأبي هريرة: أكثرت الحديث عن رسول الله يا أبا هريرة، قال: اني والله ما كانت تشغلني عنه المكحلة والخضاب، ولكن أرى ذلك شغلك عما استكثرت من حديثي، قالت لعله. فإنّ قول الراوي في ذيل هذا الخبر: قالت لعله، تزوير على عائشة لخلو أخبار الباب عنه كما أسلفناه.

عن ابن سعد في الطبقات: وعائشة التي كانت تتأول أحاديث كثيرة من أبي هريرة وترميه بالوهم في بعضها وتعيب عليه سرد الحديث لا تعود تعترف له بخطأها فيه لأنّها كانت عالمة بوضع نفسها انّ المرآة والمكحلة والخضاب كانت شاغلة لها عما كان بمقدور أبي هريرة أن يستفيده في زمان تلك الأُمور الشاغلة أو لم تكن فليس ما حدثها به أبو هريرة حديثاً جديداً لم تكن على علم منه ولكن الدواعي التي دعت أهل الحديث إلى اضافة هذه الضمائم لمثل هذه الأحاديث هي تقليل العيوب في أبي هريرة ناصر دولة بني الحكم وبني امية حتى لا تمس كرامته في أحاديثه على طولها غثها وسمينها إن كان له سمين.

قال ابن كثير في سياق ما سبق: وقال أبو يعلى: حدثنا ابراهيم الشامي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع انّ رجلاً من قريش أتى أبا هريرة في حلة وهو يتبختر فيها فقال: يا أبا هريرة انك تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ فهل سمعته يقول في حلتي هذه شيئاً؟ قال: والله انكم لتؤذوننا ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ما حدثتكم بشيء، سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: انّ رجلاً ممن كان قبلكم بينما هو يتبختر في حلّة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة، فوالله ما أدري لعله كان من قومك أو من رهطك ـ شك أبو يعلى ـ.

أقـول : في هذا الحديث طرائف من الكلام :

أمّا أوّلاً ـ فكم كان أبو هريرة موضع تهمة لمعاصريه وانّه يرتجل الحديث عن النبي في المناسبات الطارئة بما يقع منها موقع القميص من بدن صاحبه حتى أدى ذلك أن يعرف بالتهمة كل أحد ومن جملتهم هذا الرجل القرشي .

وأمّا ثانيـاً ـ فإنّه كان موضع سخرية يسخر منه لما يشاهد عـنه انّ الدواهـي والعظائم المستنكرة تصدر منه بصلافة ووقاحة وبـذلك انـدفع له هـذا الرجـل القرشي بقوله : هل سمعته يقول في حلتي هذه شيئاً ، ولم يحدثنا الحـديث عـن انسان آخر بل وحتى عن هذا الرجل القرشي انّه اندفع بمثل هذا السؤال لراوٍ آخر متثبت في حديثه معروف بالوثاقة وممن تسكن النفس إليه فسأله عن مثل هذه الأسئلة النابية .

وأمّا ثالثـاً ـ فأبو هريرة شيطان وحتى في حديثه هذا فإنّه بعدما قدم لنـفسه مقدمة تشعر بتثبته فيما يقول وانّه مسؤول من ناحية الله ببيان ما سمعه أفاض في حديثه بما يدعي سماعه عن النبي في مثل حلة هذا القرشي ولولا انّـه يـخاف الافتضاح الذي ما منه بدّ لقال له : نعم سمعته ﷺ يقول في حلتك هذه ولكـنه حذفها وروى في نظيرها .

ثمّ انّ خسف الله الأرض بانسان لتبختره قد يكون تأديباً للغير ، لكن لا يرى العقل معنى لبقاء هذا المنخسف به آخذاً في النزول يتجلجل في طبقات الأرض وأحشائها حتى تقوم الساعة ، فإنّ العقوبة تحصل في أصـل الانـخساف وبـعد خسف الأرض به وتلائم ترابها عليها يموت طبعاً فما الداعي بعد موته لتسـرب جثته في تخوم الأرض وطبقاتها على انّ كرة الأرض المحدودة الطول والعرض لا يبلغ قطرها هذا المقدار وهو أن يأخذ النازل في أعماقها نزولاً إلى تحت مما قبل زمان النبي بمسافة لا تدرى كم هي إلى أن تقوم الساعة في حال انّ المسافة

مما بين زمان أبي هريرة وزماننا هذا تبلغ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة وما بيننا وبين قيام الساعة كم ؟ لا يعلمه إلّا الله ، فهل هذا الزمان كله يمر على هذا المنخسف به وهو مغذ في نزوله لا يني ولا يتريث ولا ينتهي معه قطر الكرة الأرضية ؟ هذا مما لا تمضغه العقول ولا تعرف له وجهاً ، والله سبحانه خلق العقول لأن تمضغ مثل هذا وتكون مقياساً لصحته وسقمه ولم يخلقها عبثاً ويتعبدها بمثل هذه الأقوال الوهمية خضوعاً من غير تدبر لا في أصل الحديث ولا في أطرافه والتعبد في الشرائع موجود بلا ريب لكن أُصول الشرائع وكلياتها عقلية صرفة وأطراف تعبدياتها ان لم تكن مدركة للعقول فهي ليست بنابية عنها مثلاً أصل تشريع الحدود الشرعية عقلي لحفظ نظام الجوامع ولكن تقدير بعضها بثمانين والبعض الآخر بمأة تعبدي ومع ذلك للعقل فيه مدخل فإنّه يرى المضرات الناشئة من الزنا المقدر له مأة أكثر من المضرات الناشئة من شرب الخمر المقدر له ثمانون وعلى مثل هذا التناسب .

وقال ابن كثير في سياق ما سبق : وقال محمّد بن سعد : حدثنا محمّد بن عمر حدثني كثير بن زيد عن الوليد بن رباح قال : سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت بوال وان الوالي لغيرك فدعه ـ يعني حين أرادوا أن يدفنوا الحسن مع رسول الله ـ ولكنك تدخل فيما لا يعنيك إنّما تريد بهذا ارضاء من هو غائب عنك ـ يعني معاوية ـ قال : فأقبل عليه مروان مغضباً فقال : يا أبا هريرة انّ الناس قد قالوا انك أكثرت على رسول الله الحديث وإنّما قدمت قبل وفاة النبي بيسير ، فقال أبو هريرة : نعم قدمت ورسول الله بخيبر سنة سبع وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات وأقمت معه حتى توفي أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأنا والله يومئذ مقل وأصلي خلفه وأغزو معه فكنت والله أعلم الناس بحديثه قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار وكانوا يعرفون لزومي

له فيسألوني عن حديثه منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبـير فـلا والله مـا يخفى علي كل حديث كان بالمدينة وكل من أحب الله ورسوله وكل من كانت له عند رسول الله منزلة وكل صاحب له وكان أبو بكر صاحبه في الغار وغـيره قـد أخرجه رسول الله ان يساكنه ـ يعرض بأبي مروان ، الحكم ـ ثمّ قال أبو هريرة : ليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فإنّه يجد عندي منه علماً جماً ومقالاً ، قال : فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ويتقيه بعد ذلك ويخافه ويـخاف جوابه .

أقـول : إن صحّ هذا الحديث عن أبي هريرة ففيه مؤاخذات جمّة :

أمّا أوّلاً ـ فأبو هريرة صنيعة معاوية بن أبي سفيان وخاصة مـروان ، فكـيف يقول فيهما هذا القول وهو قد كان يرصد لارضائهما كل مـظنة يسـتطيعها ، امّـا معاوية فقد كان أبو هريرة أجيره على وضع الحديث بالرضائخ كما سبق طـرف منه أوّل هذا القسم ، وكما سيجيء تفصيله أخيراً ، وامّا بالنسبة إلى مروان فأبـو هريرة عثماني خالص ومن لازم هذا أن يكون مروانياً . ثمّ أبو هريرة في ولايته على المدينة زمان معاوية كان نائباً عن مروان ، فإنّ ابن كثير نفسه يقول في سياق ترجمة هذا الرجل ـ من الفصل الذي ننقل عنه نقولنا هذه ـ المعروف انّ مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في امرة المدينة ولكن يكون عن إذن مـعاوية فـي ذلك . ومن يكون بهذه الحالة كيف يغضب مولاه وربّ نعمته وكيف يرد عليه ولم يكن أبو هريرة حراً في دنياه فضلاً عن دينه حتى يجابه مروان بـذلك ، كـما انّ مروان ليس من الذين يجازون المسيء اليهم بالاحسان له حتى يمضغ ذلك من أبي هريرة ثمّ يستنيبه في امرته على المدينة .

وأمّا ثانيـاً ـ فإنّ أبا هريرة يكذب في ادعائه انّ عمر وعثمان وعليّاً وطـلحة والزبير كانوا يسألونه عن حديث رسول الله ، فقد قال ابن حجر في الاصابة عند

تعرضه لترجمة أبي هريرة: وحدث أبو هريرة أيضاً عن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وأبي بن كعب وأُسامة بن زيد وعائشة وبصرة الغفاري وكعب الاحبار وروى عنه ولده المحرر بمهملات ومن الصحابة ابن عمر وابن عباس وجابر وأنس وواثلة بن الأسقع ومن كبار التابعين مروان بن الحكم ـ الخ ـ وقريباً من ذلك قال ابن عبد البر في الاستيعاب: فإنّه قال: وممن روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس ابن مالك وواثلة بن الأسقع. والاعتبار الصادق يؤيد ذلك، فإنّ عليّاً وعمر كانا يكذبان أبا هريرة ويتهمانه فكيف يستسيغان الرواية عنه، امّا تكذيب عمر له فقد سبق، وامّا تكذيب علي له فسيأتي. وأمّا الزبير فقد ذكر ابن كثير في سياق ما سبق فقال: قال ابن أبي خيثمة: حدثنا هارون بن معروف عن محمّد بن سلمة عن محمّد بن اسحاق عن عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه يعني عروة بن الزبير بن العوام قال: قال لي أبي الزبير: ادنني من هذا اليماني ـ يعني أبا هريرة ـ فإنّه يكثر الحديث عن رسول الله، قال: فأدنيته منه فجعل أبو هريرة يحدث وجعل الزبير يقول: صدق كذب صدق كذب، قال: قلت: يا أبة ما قولك صدق كذب؟ قال: يا بني امّا أن يكون سمع هذه الأحاديث عن رسول الله فلا شك ولكن منها ما يضعه على مواضعه ومنها ما وضعه على غير مواضع.

أقول: على فرض صحة هذا الخبر عن الزبير ـ وأنّى له الصحة ـ وعروة ابنه نظير أبي هريرة في التدليس والكذب، فأبو هريرة مخدوش فيه فإن وضع الحديث على غير مواضعه هو التدليس نفسه بأن تكون الرواية واردة عن النبي في شأن خاص ويدعي راويها صدورها في شأن آخر، أو كانت واردة في شخص معين فيدعي ورودها في غيره، وهذا كارتجال أصل الحديث في تزويره على الواقع.

وما يرويه ابن كثير في سياق ذلك: عن طلحة مؤيداً به مركزية أبي هريرة في الحديث فدعوى ارتجلها أبناء التسنن كارتجال ان أبا أيّوب الأنصاري كان لاعترافه بمعلومات أبي هريرة يسمع عنه ويأخذ منه، فانك قد قرأت انّ المذكورين من الصحابة في الرواية عن أبي هريرة ليس فيهم أبو أيّوب. هذا، وقد قال وجدي في دائرة معارفه ـ مادة روى ـ كان أكثر أصحاب رسول الله ﷺ رواية أبو هريرة، وقد صحبه صحبة ملازمة ثلاث سنين وعمر بعده نحواً من خمسين سنة، ولهذا كان عمر وعثمان وعلي وعائشة ينكرون عليه ويتهمونه وهو أوّل راوية اتهم في الإسلام، ومع اعتراف وجدي بهذه الوصمة الفاضحة في الرجل المزبور عاد يقول في ترجمته ـ في مادة هرر ـ أبو هريرة صحابي جليل وحافظ مشهور. فما أدري كيف يلتئم هذا مع ذلك في رجل واحد؟ فيا قاتل الله التعصب الممقوت.

وأمّا ثالثاً ـ فقول أبي هريرة في الخبر الآنف: وغيره قد أخرجه رسول الله أن يساكنه ـ يعرض بأبي مروان الحكم ـ كذب لم يصدر عن أبي هريرة، كيف وأبو هريرة هذا إنّما روى ـ كما أسلفناه ـ إنّما محمّد بشر أغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأيما رجل من المسلمين آذيته أو شتمته أو جلدته فاجعلها له قربة بها عندك يوم القيامة. قلعاً لجذور ما صحّ عن النبي في لعن الحكم وبنيه وأبي سفيان وذويه نزولاً من أهل هواه في أحسن موقع وقد أشبعنا هذا الفصل بحثاً فيما سبق فلا نعيد.

وأمّا رابعاً ـ فقول الراوي في آخر الخبر: فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ويتقيه بعد ذلك ويخافه ويخاف جوابه، مكذوب منقوض بما مرّ من انّ أبا هريرة كان يلي المدينة بالنيابة عن مروان، فهو لو لم يكن طيلة حياته مع مروان نازلاً منه منزل الرضا والقبول من كل وجه لما استنابه.

فإن قلتَ: انّ الرجل قد تحصل الولايات والمناصب للملاحظة منها أحياناً.

قلتُ: انّ أبا هريرة ليس من هذه الطبقة بل كان وضيعاً لا قيمة له، وإنّما يتحكك بالرجال ليتشرف بهم، والدليل عليه انّ نباهة أبي هريرة وشبعه إنّما صارا له بعدما التصق بعثمان وحزبه شديد لصوق وبعدما استخدمه معاوية في ارتجال الحديث عن النبي بنفعه وفي التشنيع على ضده، وهذا المعنى ثابت من التاريخ بوضوح.

فإن قلتَ: الرجل قد شبع منذ أن ولّاه عمر على البحرين.

قلتُ: ذلك شبع لم يتم له صفوه بالبيان الآتي خصوصاً بعدما تعقبته المصادرات والاهانات ومن مصادرة عمر له ومنعه عن التحديث قبع بالخمول واستشعر السكوت كما تعرب عنه أحاديثه السابقة، وما وسعت له ميدان العيش الآمن ومدّ اللسان بلا مزاحم إلّا دولة عثمان ورياستها كانت بيد مروان ودولة معاوية بن أبي سفيان.

وقال ابن كثير في سياق ما سبق: قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس، أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ولا يميز هذا من هذا، ذكره ابن عساكر وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه: من أصبح جنباً فلا صيام له، فإنّه لما حوقق عليه قال: أخبرنيه مخبر، ولم أسمعه من رسول الله.

أقول: قوله: ولا يميز هذا من هذا إن كان يريد به انّ أبا هريرة كان يستسيغ نسبة ما عن كعب إلى الرسول وما عن الرسول إلى كعب فهذا عين ادخال ما ليس من الدين في الدين، وأيّ جرم أكبر من نسبة أقوال اليهود ـ وكعب حتى مات يهودي منافق وقد تهدده عمر كما سبق لك ـ إلى رسول الله ﷺ، وإن كان يريد انّه كان ينسب ما يسمعه من كعب إلى رسول الله ليقوى بذلك موقع حديثه فذاك هو ارتجال الحديث والتزوير على الواقع وكلا الشقين ضلال وفسق والحاد في

دين الله.

وقوله: يشير بهذا إلى حديثه: من أصبح جنباً فلا صيام له فهو اختصار لقصة واسعة رواها مسلم [١] قال: حدثني محمّد بن حاتم حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج ـ ح ـ وحدثني محمّد بن رافع واللفظ له حدثنا عبد الرزاق بن همام أخبرنا ابن جريج أخبرني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر قال: سمعت أبا هريرة يقص يقول في قصصه من أدركه الفجر جنباً فلا يصم، فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث ـ لأبيه ـ أي ذكر أبو بكر ذلك لأبيه عبد الرحمن بن الحارث ـ فأنكر ذلك فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأُم سلمة فسألهما عبد الرحمن عن ذلك قال: فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حلم ثمّ يصوم، قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمن فقال مروان: عزمت عليك إلّا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول، قال: فجئنا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كله قال فذكر له عبد الرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم، قال: هما أعلم ثمّ رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي، قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك.

أقول: يتضمن هذا الحديث طعناً كبيراً في أبي هريرة، لأنّه عندما كان يقول في قصصه من أدركه الفجر جنباً فلا يصم فاما كان ينسبه لرسول الله ﷺ بروايته هو عنه ﷺ أو كان يرسله من دون نسبة، وعلى كلا الحالين فهو امّا مزور وامّا مدلس، لأنّه بتصريحه نسبة ذلك إلى الرسول أوّلاً واعترافه أخيراً انّه

---

(١) ج ٣ ص ١٣٧ باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب من صحيحه.

لم يسمعه من النبي قد كشف عن كذب نفسه بلسان نفسه ، ولأنّه عندما كان يرسل تلك الفتوى في ضمن سلسلة ما كان يقصه من أحكام الدين ولا ينص على نسبتها إلى أحد معين من رسول أو صحابي أو أي انسان يفرض حتى يلتفت السامع إلى مأخذ هذه الفتوى وانها حجة شرعية عليه أو لا مع ما هو معروف به من كثرة التحديث عن رسول الله بالكثرة الهائلة كان ماثلاً بنفسه إلى الناس ان ما يحدث به إنّما هو عن رسول الله بلا ريب خصوصاً من كانت هويته بهذا اللون فهو إذاً أطلق حديثاً أو فتوى حمل ذلك عنه بعنوان انّه سنة نبوية تلقاها أبو هريرة عن ذات النبي ، ولذلك لم يتميز السامعون سقم هذه الفتوى حتى فضحها عبد الرحمن بسؤاله من عائشة وام سلمة وآل أمر هذه الفضيحة إلى رجوع أبي هريرة عما كان يفتي به وان يكشط هذه الوصمة عن نفسه ويلوث بها انساناً ميتاً حين الواقعة ، فإنّ الفضل بن العباس توفي في خلافة أبي بكر كما ينص عليه أرباب المعاجم ، فانتهت هذه الحادثة بأبي هريرة إلى كونه امّا مزوراً أو مدلساً لا يخلو من أحدهما بطور قاطع .

وقال ابن كثير في سياق ما سبق : وقال شريك : عن مغيرة عن ابراهيم قال : كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة . وروى الأعمش عن ابراهيم قال : ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة . وقال الثوري : عن منصور عن ابراهيم قال : كانوا يرون في أحاديث أبي هريرة شيئاً ، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة إلّا ما كان من حديث صفة جنة أو نار أو حثّ على عمل صالح أو نهي عن شر جاء القرآن به . وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة وردّ هذا الذي قاله ابراهيم النخعي وقد قال ما قاله ابراهيم طائفة من الكوفيين والجمهور على خلافهم .

أقول : برهان ابراهيم وكل من قال بمقالته في أبي هريرة واضح بالأدلة الآنفة

حد الأقل ودفاع ابن عساكر عنه إنّما هو بالسفسطة الباردة التي لا تغني كما قرأت طرفاً من ذلك عن ابن كثير في توجيه منع عمر لأبي هريرة عن التحديث وإلّا ألحقه بأرض دوس. وما تغني هذه التعصبات الزائفة في حال انّ فيها دك الحق وهدم الدين بلون صريح وإذا لم تتم للراوي شرائط الوثاقة من جميع الوجوه فأي قيمة لمروياته وهل يحمل المكلف العاقل على عاتقه ما هو مشكوك النسبة إلى الدين ويعد ذلك دينه ووظيفته الشرعية من الله تعالى؛ وللبحث تتمة تأتي في آخر الفصل.

وقال ابن كثير في سياق ما سبق: ونحن نجمع هنا ما ذكره له من أحوال قدسه وعبادته: كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل وامرأته ثلثه، وابنته ثلثه، وقال أبو هريرة: اني أجزء الليل ثلاثة أجزاء، فجزء لقراءة القرآن وجزء أنام فيه وجزء أتذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لأبي هريرة مسجد في مخدعه ومسجد في بيته ومسجد في حجرته ومسجد على باب داره إذا خرج صلّى فيها جميعاً وإذا دخل صلّى فيها جميعاً. وكان أبو هريرة يسبح كل ليلة ثنتي عشرة ألف تسبيحة يقول: اسبح على قدر ديتي، وعن أبي هريرة انّه كان له خيط فيه اثنا عشر ألف عقدة يسبح به قبل أن ينام، وفي رواية ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به ـ اهملخصاً ـ.

أقول: يعد أبناء التسنن كل ذلك ولا يحاسبون أنفسهم عن معقوليته قبل البحث عن صحة روايته، فإنّ الرواية الأُولى تقول: انّه كان يقوم ثلث الليل والقيام هو عبادة الصلاة، والرواية الثانية تدفع هذه الرواية بأنّ أبا هريرة جزّء الليل أثلاثاً لقراءة القرآن وثلثاً للنوم وثلثاً لتذكر حديث الرسول، وهذه التجزءة سيالة في كل الليالي كما انّ الأُولى كذلك، ولا ريب انّ قراءة القرآن وتذكر حديث الرسول غير القيام بعبادة الصلاة، فكيف التوافق. ثمّ تسبيحه كل ليلة ثنتي

عشرة ألف تسبيحة هو في نفسه مما يستغرق أكثر الليل لوفور هذا العدد ومهما خفّ اللسان بقول سبحان الله مجرداً عن كل ضميمة ، وهذا منه غير قيام ثلث الليل المعمول له وغير قراءته للقرآن ثلثا من الليل وغير تذكره لحديث الرسول ثلثاً آخر من الليل أيضاً ؛ فليت شعري كم لليل من ثلث ؟ وكم يسع الليل من عمل من نمط هذه الأعمال الثقيلة الطويلة ؟ وأين يكون النوم أيضاً ؟ والخيط الذي تكون فيه اثنا عشرة ألف عقدة يسبح به قبل أن ينام هو في نفسه فضلاً عن التسبيح به يحتاج يكون بمئات الأذرع فإنّه يلزم حفظاً لتشخيص العقد حتى لا يغلط في التسبيح ولا يضل ان يكون بين عقدة وعقدة قليل فاصلة حتى تمرّ عليها الأصابع برشد وهداية ويكون قد احتاج في اعداد هذه العقد البالغة اثني عشرة ألف عقدة إلى فاصلة أيّام لاجراء هذه العملية ، فإنّ تعقيد هذه الكمية ليس بالأمر الهين على اللسان بعد تصورها فضلاً عن اخراجها لفعلية العيان .

وكم يجيد القدماء سرد هذه الأساطير من دون تصور لماهياتها وتطبيقها على المقاييس الصحيحة وانها هل يمكن أن تقع في الخارج بالوصف الذي ينعتونها به أو لا وليس كلما أمكن وقوعه ـ على فرضه ـ حكم بفعليته ، كيف والإنسان تنتابه الحوادث العادية فتصرفه حتى عن الأعمال الضرورية والحوادث تمشي ازاء الإنسان كتفاً إلى كتف بكثير أنواعها وكثرة تصادفها فأين يكون مجال هذه الكثرات الهائلة التي لو صادفت انساناً فارغاً من كل شيء لما تمكن القيام إلّا ببعض قليل منها والوجدان المحسوس شاهد على ذلك ؛ على انّ أبا هريرة إنّما توسع بسرد هذه الأحاديث عن نفسه بعد زمن عمر كما أعرب هو عن نفسه وأسلفناه ـ وهو في دولة بني امية لم يزل يركض بيده ورجله ناصراً وحامياً ومبلغاً ومهيجاً ومبعداً ومقرباً ووالياً و . و . فأين هذا من مرحلة الصلاة بتلك الكثرة وتلاوة القرآن بتلك الشدة وتذكر حديث الرسول بتلك الهمة وتسبيح اثني

عشرة ألف تسبيحة كل ليلة و. و. مما نقلوه له وأسلفنا نقله لك بل وكل ذلك كذب وتزوير ويكفى في انّه لا يعرف الله كذبه على الله والرسول بما مرّ عليك طرف واضح منه صريح فيه فكيف يلتقي هذا السارق الخائن وتلك العمليات الشاقة التي تعجز الأنبياء العظام المتخلين بأنفسهم مع باريهم على نقطة واحدة من الحياة. وفي البحوث الآتية عرض واسع لنفسية هذا الدجال بما ينفعك في هذا المقام نفعاً قوياً.

وقال ابن كثير في سياق ما سبق: قال عبد الرزاق: حدثنا معمر عن أيّوب عن ابن سيرين انّ عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه، فقال أبو هريرة: لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكن عدو من عاداهما، فقال: فمن أين هي لك؟ قال: خيل نتجت وغلة ورقيق لي وأعطية تتابعت علي فنظروا فوجدوه كما قال، فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى أن يعمل له، فقال له: تكره العمل وقد طلبه من كان خيراً منك طلبه يوسف عليه السلام فقال: انّ يوسف نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن اميمة وأخشى ثلاثاً واثنين، قال عمر: فهلا قلت خمسة؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم وأقضي بغير حلم أو يضرب ظهري وينزع مالي ويشتم عرضي، وذكر غيره انّ عمر غرمه في العمالة الأُولى اثني عشر ألفاً فلهذا امتنع في الثانية.

أقول: ما ذكره ابن كثير مبتور محرف، ويظهر تحريفه وتشويشه ما يذكره ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد وابن أبي الحديد في شرحه على النهج، فقال ابن عبد ربه [1]: باب ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم: ثمّ دعا ـ أي عمر بن

---

(١) العقد الفريد: ج ١ ص ١٦ من طبعته الأُولى.

الخطاب أبا هريرة فقال له: علمت اني استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين ثمّ بلغني انك ابتعت أفراساً بألف وستماءة دينار؟ قال: كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت، قال: قد حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فأده، قال: ليس لك ذلك، قال: بلى والله أوجع ظهرك، ثمّ قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه، ثمّ قال: ائت بها، قال: احتسبها عند الله، قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً، أجئت من أقصى هجر والبحرين يجبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين ما رجعت بك أميمة إلّا لرعية الحمر ـ وأميمة أُم أبي هريرة ـ وفي حديث أبي هريرة قال: لما عزلني عمر عن البحرين قال لي: يا عدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله، قال قلت: ما انا عدو الله ولا عدو كتابه ولكن عدو من عاداك، ما سرقت مال الله، قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف؟ قلت: خيل تناتجت وعطايا تلاحقت وسهام تتابعت، قال: فقبضها مني، فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين فقال لي بعد ذلك ألا تعمل؟ قلت: لا، قال: قد عمل من هو خير منك يوسف صلوات الله عليه، قلت: يوسف نبي وأنا ابن أميمة، أخشى أن يشتم عرضي ويضرب ظهري وينزع مالي ـ اهـ.

وذكر ابن أبي الحديد[1] فقال: كان عمر يصادر خونة العمال صادر أبا هريرة وأغلظ عليه، وكان عامله على البحرين فقال له: ألا تعلم اني استعملتك على البحرين وأنت حاف لا نعل في رجلك وقد بلغني انك بعت أفراساً بألف وستماءة دينار، قال أبو هريرة: كانت لنا أفراس فتناتجت، فقال: قد حبست لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل، قال أبو هريرة: ليس ذلك لك، قال: بلى والله وأوجع ظهرك، ثمّ قام إليه بالدرة فضرب ظهره حتى أدماه ثمّ قال: ائت بها، فلما

(١) ج ٣ ص ١٠٤ من شرحه الحديدي عند تعرضه لشيء من سيرة عمر.

أحضرها قال أبو هريرة: سوف احتسبها عند الله، قال عمر: ذاك لو أخذتها من حلّ وأديتها طائعاً، أما والله ما رجت فيك أميمة أن تجبى أموال هجر واليمامة وأقصى البحرين لنفسك لا لله ولا للمسلمين ولم ترج فيك أكثر من رعية الحمر، وعزله ـ اهـ.

أقول: لا ريب انّ عمر أدرك الخيانة الواضحة في هذا الدجال لاعتراف أبي هريرة على نفسه في كل وقت ومقام انّه كان عاجزاً عن شبع بطنه فمن أين جاءت له الغلة والأفراس؟ ولا شبهة انّ له ضريبة محدودة على عمله وهي التي استثناها عمر له وأخذ الباقي منه. هذا ويحتمل أن تكون كلمة رجعت في رواية ابن عبد ربه بمعنى نثلتك أميمة كما تنثل الدابة رجيعها وهو من أنكى المبالغات في الشتم والتقبيح. وأمّا حديث اباءه أن يعمل لعمر بعد ذلك مخافة أن يقول بغير علم ويقضي بغير حلم فذلك مكذوب من أصله، وعلى فرض ذاك فليس امتناعه للعلة التي ذكر بل خوفاً من عمر أن ينكل به أشد من المرة الأُولى، ذلك لأنّه يعلم انّ العمل مع العفة لا فائدة مادية وراءه ومع الخيانة يتعقبه تعذيب وتشهير ولذلك لما انقضى دور عمر وجاء دور بني امية أخذ يركض وراء المناصب والأموال ركض الجائع الذليل فينوب عن مروان في الولاية ويختلق الحديث بالرضائخ السمينة من معاوية وذويه على الإطلاق.

وقال ابن كثير في سياق ما سبق: قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب الحمار ويلحق الرجل فيقول: الطريق قد جاء الامير ـ يعني نفسه ـ وكان يمر بالصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب وهو أمير فلا يشعرون إلّا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه كأنّه مجنون يريد بذلك أن يضحكهم فيفزع الصبيان منه ويفرون ههنا وههنا يتضاحكون.

أقـول: وذكر نظير ذلك ابن قتيبة في المعارف (ص ١٢٠) عندما تصدى لذكر أبي هريرة في كتابه المذكور؛ وهذه الحركات منه تدل عـلى ضـعته فـي نـفسه وسقوط مروءته وهي حالة مبغوضة في الشرع حتى ورد انّه يـنبغي للـفقيه بـل ولأهل المروءات أن يتنزهوا عن حضور الخصومات بأنفسهم وينيبوا عنهم في ذلك من لا توهنه المصادمات التي تحصل نوعاً في المطالبات والخصومات.

وقال ابن كثير في سياق ما سبق: وقال أبو الزعيزعة كاتب مروان: بعث مروان إلى أبي هريرة بمأة دينار، فلما كان الغد بعث إليه اني غلطت ولم أردك بها واني إنّما أردت غيرك فقال أبو هريرة: قد أخرجتها فإذا خرج عطائي فـخذها مـنه، وكان قد تصدق بها ـ وإنّما أراد مروان اختباره ـ.

أقـول: يكذب هذا ارتكاب أبي هريرة للخيانة في جمع المـال زمـان عـمر وبعده فإنّ ابن كثير يروي في سياق ما سبق عن يحيى بن سعيد بن المسـيب انّ معاوية كان إذا أعطى أبا هريرة سكت وإذا أمسك عنه تكلم، هذا فضلاً عن بيعه للحديث يختلقه بنفع من يستأجره عليه ومن تكن هذه روحياته فـليس بأهـل للصدقة في ظرفية يوم واحد بمأة دينار. فالى هنا ننهي نقولنا عن ابن كثير فـي ترجمة أبي هريرة، وفيها بلغة وكفاية في تحليل هذا الإنسان مادياً ومعنوياً من كافة جهاته وعامة حيثياته.

ما تذكره المعاجم في حق جملة من الصحابة والتابعين

وذكر الشارح الحديدي [١] قال: ذكر شيخنا أبو جعفر الاسكافي انّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام

(١) ج ١ ص ٣٥٨ وما بعدها من شرحه على النهج.

تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم علـى ذلك جـعلاً يـرغب فـي مـثله ، فاختلقوا ما أرضاه؛ منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير ، روى الزهري : انّ عروة بن الزبير حدثه قال : حـدثتني عائشة قالت : كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي ، فـقال : يـا عـائشة انّ هذين يموتان على غير ملتي ، أو قال : ديني . وروى عبد الرزاق عن معمر قال : كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام فسألته عنهما يوماً فقال : ما تصنع بهما وبحديثهما الله أعلم بهما اني لأتهمهما في بني هاشم ، قـال : فأمّا الحديث الأوّل فقد ذكرناه ، وأمّا الحديث الثاني فهو انّ عروة زعم انّ عائشة حدثته قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل العباس وعلي فقال : يـا عـائشة ان سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا ، فـنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب .

وأمّا عمرو بن العاص فروى فيه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم فـي صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله يقول : انّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنّما وليي الله وصالح المؤمنين .

وأمّا أبو هريرة فروى عنه الحديث الذي معناه انّ علياً عليه السلام خطب ابـنة أبـي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسخطه فخطب على المنبر وقال : لاهـا الله لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله أبي جهل ، انّ فاطمة بضعة مـني يـؤذيني مـا يؤذيها ، فإن كان علي يريد ابنة أبي جهل فيلفارق ابنتي وليفعل ما يريد ، أو كلاماً هذا معناه ، والحديث مشهور من رواية الكـرابيسي ، قـال أبـو جـعفر : وروى الأعمش قال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثمّ ضرب صـلعته مراراً وقال : يا أهل العراق أتزعمون اني أكذب على الله وعلى رسـوله وأحـرق

نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله يقول: انّ لكل نبي حرماً وانّ حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأشهد بالله انّ عليّاً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولّاه امارة المدينة.

قال أبو جعفر: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية، ضربه عمر بالدرة وقال: قد أكثرت من الرواية واحربك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ. وروى سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم التيمي قال: كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلّا ما كان من ذكر جنة أو نار. وروى أبو سامة عن الأعمش قال: كان ابراهيم صحيح الحديث فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه فأتيته يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح عن أبي هريرة فقال: دعني من أبي هريرة انهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه. وقد روي عن علي عليه السلام انّه قال: ألا انّ أكذب الناس ـ أو قال أكذب الأحياء ـ على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي. وروى أبو يوسف قال: قلت لأبي حنيفة: الخبر يجيء عن رسول الله يخالف قياسنا ما تصنع به؟ قال: إذا جائت به الروات الثقات عملنا به وتركنا الرأي. فقلت: ما تقول في رواية أبي بكر وعمر؟ فقال: ناهيك بهما، فقلت: علي وعثمان؟ قال: كذلك، فلما رآني أعد الصحابة قال: والصحابة كلهم عدول ما عدا رجالاً ثمّ عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك.

وروى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار انّ أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال أبا هريرة: أنشدك الله أسمعت من رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟ فقال: اللهم نعم، قال: قال فاشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه، ثمّ

قام عنه.

قال: وقد تظافرت الرواية عن عروة بن الزبير انّه كان يأخذه الرمع عند ذكر علي عليه السلام فيسبه ويضرب باحدى يديه على الأُخرى ويقول: ما يغني انّه لم يخالف إلى ما نهى عنه وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق، قال: وقد كان في المحدثين من يبغضه عليه السلام ويروي فيه الأحاديث المنكرة، منهم حريز بن عثمان كان يبغضه وينتقصه ويروي فيه أخباراً مكذوبة.

قلت: قد روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة قال: حدثني أبو جعفر بن الجنيد ـ إلى أن أنهى سنده إلى حمزة بن حسان وكان مولى لبني امية وكان مؤذناً عشرين سنة وحج غير حجة وأثنى أبو البهلول عليه خيراً ـ قال: حضرت حريز بن عثمان وذكر علي بن أبي طالب فقال: ذاك الذي أحل حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى كاد يقع، قال محفوظ: قلت ليحيى بن صالح الوحاظي قد رويت عن مشايخ من نظراء حريز فما بالك لم تحمل عن حريز؟ قال: اني أتيته فناولني كتاباً فإذا فيه حدثني فلان عن فلان انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما حضرته الوفاة أوصى أن تقطع يد علي بن أبي طالب فرددت الكتاب ولم أستحل أن أكتب عنه شيئاً، قال أبو بكر: وحدثني أبو جعفر قال: حدثني ابراهيم قال حدثني محمّد بن عاصم صاحب الخانات قال: قال لنا حريز بن عثمان: أنتم يا أهل العراق تحبون علي بن أبي طالب ونحن نبغضه، قالوا: لم؟ قال: لأنّه قتل أجدادي، قال محمّد بن عاصم: وكان حريز بن عثمان نازلاً علينا.

قال أبو جعفر: وقد روي انّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مأة ألف درهم حتى يروي انّ هذه الآية أُنزلت في علي عليه السلام، **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾**، وانّ الآية الثانية نزلت في ابن

ملجم، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَؤُوفٌ بِٱلْعِبَادِ﴾ فلم يقبل فبذل له مأتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربعماءة ألف فقبل، وروى ذلك.

قال الشارح المعتزلي في سياق ما سبق: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين انّ عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعلن أعدائه ميلاً مع الدنيا وايثاراً للعاجلة فمنهم أنس بن مالك ناشد علي الناس بالكوفة أيّكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا أنس ما يمنعك أن تقوم فتشهد ولقد حضرتها؟ فقال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت، فقال: اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة، قال طلحة بن عمير: فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه.

وعن أبي سليمان المؤذن انّ علياً عليه السلام نشد الناس من سمع رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم فلم يشهد وكان يعلمها، فدعا عليه السلام عليه بذهاب البصر فعمى، فكان يحدث الناس بالحديث بعدما كفّ بصره. قالوا: وكان الأشعب بن قيس الكندي وجرير بن عبد الله البجلي يبغضانه. وكان أبو مسعود الأنصاري منحرفاً عنه عليه السلام، فعن زيد بن وهب قال: تذاكرنا القيام إذا مرّت الجنازة عند علي عليه السلام فقال أبو مسعود الأنصاري: قد كنا نقوم فقال عليه السلام: ذاك وأنتم يومئذ يهود، وعن عبد الرحمن بن معقل قال: حضرت علياً عليه السلام وقد سأله رجل عن امرأة توفي عنها زوجها وهي حامل فقال: تتربص أبعد الأجلين، فقال له رجل: انّ أبا مسعود يقول: وضعها انقضاء عدتها، فقال عليه السلام: انّ فروجاً لا يعلم.

وروى جماعة من أهل السير انّ علياً عليه السلام كان يقول عن كعب الأحبار: انّه لكذاب وكان كعب منحرفاً عن علي. وكان النعمان بن بشير الأنصاري منحرفاً عنه وعدواً له خاض الدماء مع معاوية خوضاً، وكان من امراء يزيد ابنه حتى قتل وهو على حاله. قال: وقد روي انّ عمران بن الحصين كان من المنحرفين عنه عليه السلام وانّ علياً سيره إلى المدائن وذلك انّه كان يقول: إن مات علي فلا أدري ما موته وان قتل فعسى ـ إن قتل رجوت له ـ ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة.

أقول: عدم درايته بذلك من الأعاجيب، كيف وانّ أبناء التسنن تزعم له انّه كان يكلم الحفظة من الملائكة فكيف لم يسألها عن ذلك حتى تخبره. ذكر ابن عبد البر [١]: يقول عنه أهل البصرة انّه كان يرى الحفظة وكانت كلمه حتى اكتوى.

أقول: لا ريب انّ ذلك كان من إخباره لهم وإلّا فأهل البصرة لم يدعوا رؤيتهم كما لم يشاهدوا الحفظة تكلمه وكفى بالمرء شكاً أن يدعي الكرامات لنفسه بنفسه.

قال: وكان سمرة بن جندب من شرطة زياد، روى عبد الملك بن حكيم عن الحسن قال: جاء رجل من أهل خراسان إلى البصرة فزكى مالاً كان معه في بيت المال وأخذ براءة ثمّ دخل المسجد فصلى ركعتين فأخذه سمرة بن جندب واتهمه برأي الخوارج فقدمه فضرب عنقه وهو يومئذ على شرطة زياد فنظروا فيما معه فإذا البراءة بخط بيت المال، فقال أبو بكرة: يا سمرة أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربّه فصلّى﴾، فقال: أخوك أمرني بذلك.

---

(١) في الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٢.

وروى الأعمش عن أبي صالح قال: قيل لنا: قد قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب وإذا عند احدى رجليه خمر وعند الأخرى ثلج فقلنا ما هذا؟ قالو به النقرس وإذا قوم قد أتوه فقالوا: يا سمرة ما تقول لربك غداً تؤتى بالرجل فيقال لك هو من الخوارج فتأمر بقتله ثمّ تؤتى بآخر فيقال لك ليس الذي قتلته بخارجي ذاك وجدناه ماضياً في حاجته فشبه علينا وإنّما الخارجي هذا فتأمر بقتل الثاني؟ فقال سمرة: وأي بأس في ذلك، إن كان من أهل الجنة مضى إلى الجنة وإن كان من أهل النار مضى إلى النار.

عن حجر بن عدي قال: قدمت المدينة فجلست إلى أبي هريرة فقال: ممن أنت؟ قلت: من أهل البصرة، قال: ما فعل سمرة بن جندب؟ قلت: هو حي، قال: ما أحد أحبّ إلى طول حياة منه، قلت: ولم ذاك؟ قال: انّ رسول الله قال لي وله ولحذيفة بن اليمان آخركم موتاً في النار، فسبقنا حذيفة وأنا الآن أتمنى أن أسبقه، قال: فبقي سمرة بن جندب حتى شهد مقتل الحسين عليه السلام. وروى أحمد بن بشير عن مسعر بن كدام قال: كان سمرة بن جندب أيّام سير الحسين عليه السلام إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد وكان يحرض الناس على الخروج إلى الحسين وقتاله.

أقول: قد سلخ أبناء العامة قوله ﷺ آخركم موتاً في النار عن ظهوره بل عن صراحته في النار المرادة للنبي وهي نار الله المؤصدة، فقال ابن عبد البر [١]: سقط في قدر مملوءة ماءً حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحارة فمات فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله له ولأبي هريرة ولثالث معهما ـ آخركم موتاً في النار ـ أقول: نفس خوف أبي هريرة من النار

(١) في ج ٢ ص ٧٦ من الاستيعاب عند تعرضه لترجمة سمرة هذا.

الواردة على لسان رسول الله ﷺ من أوضح الأدلّة على انّ المراد بها نار جهنم لا نار الدنيا.

وروى صاحب كتاب الغارات عن أبي صادق عن جندب بن عبد الله قال: ذكر المغيرة بن شعبة عند علي عليه السلام وجده مع معاوية قال: وما المغيرة إنّما كان اسلامه لفجرة وغدرة غدرها بنفر من قومه فتك بهم وركبها منهم فهرب فأتى النبي ﷺ كالعائذ بالاسلام والله ما رأى أحد عليه منذ ادعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً. وروى صاحب كتاب الغارات عن اسماعيل بن حكيم عن أبي مسعود الجريري قال: كان ثلاثة من أهل البصرة يتواصلون على بغض علي عليه السلام مطرف بن عبد الله بن الشخير والعلاء بن زياد وعبد الله بن شقيق. وقد روي انّ عمار بن ياسر دخل على أبي مسعود وعنده أبي الشخير فذكر عليّاً بما لا يجوز أن يذكر به فقال عمار: يا فاسق وانك لههنا فقال أبو مسعود: أذكرك الله يا أبا اليقظان في ضيفي.

وممن قيل عنه انّه يبغض عليّاً عليه السلام ويذمه الحسن بن أبي الحسن البصري روى عنه حماد بن سلمة انّه قال: لو كان علي يأكل الحشف بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه. ورووا عنه انّه كان من المخذلين عن نصرته. وروي عنه انّ عليّاً عليه السلام رآه وهو يتوضأ للصلاة وكان ذا وسوسة فصب على أعضائه ماءً كثيراً فقال له: أرقت ماءً كثيراً يا حسن، فقال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر، قال: أوسائك ذلك؟ قال: نعم، قال: فلا زالت مسوءً، قالوا فما زال الحسن عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات.

قال أبو جعفر الاسكافي ووجدته أيضاً في كتاب الغارات وقد كان بالكوفة من فقهائها من يعادي عليّاً ويبغضه مع غلبة التشيع على الكوفة فمنهم مرّة الهمداني ـ ونقلت عنه شنائع في علي عليه السلام ـ روى الفضل بن دكين عن الحسن بن صالح قال: لم يصل أبو صادق على مرّة الهمداني. قال الفضل بن دكين: وسمعت

انّ أبا صادق قال في أيّام حياة مرّة: والله لا يظلني وايّاه سقف بيت أبداً.

ومنهم الأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع، روى سلمة بن كهيل: أنّهما كانا يمشيان إلى بعض أزواج رسول الله فيقعان في علي عليه السلام فأمّا الأسود فمات على ذلك وأمّا مسروق فلم يمت حتى عدل عن ذلك ـ فيما يروى له ـ ولا ريب انّ هذا البعض من أزواج الرسول الذي اتخذ مكنه مباءة لمبغضي علي هو عائشة ابنة أبي بكر. وروى أبو نعيم عن عمرو بن ثابت عن أبي اسحان قال: ثلاثة لا يؤمنون على علي بن أبي طالب: مسروق ومرّة وشريح. وروي انّ الشعبي رابعهم.

ومنهم أبو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانياً يقع في علي ويقال انّه كان يرى رأي الخوارج.

ومن المبغضين القالين أبو بردة بن أبي موسى الأشعري وأبو عبد الرحمن السلمي القاري وعبد الله بن عكيم وكان قيس بن أبي حازم يبغض عليّاً وكان سعيد بن المسيب منحرفاً عنه وكان الزهري من المنحرفين عنه وكان زيد بن ثابت عثمانياً شديداً في ذلك وكان عمرو بن ثابت عثمانياً بل من أعداء علي ومبغضيه، روي عنه انّه كان يركب ويدور القرى بالشام ويجمع أهلها ويقول: أيّها الناس انّ عليّاً كان رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول الله ليلة العقبة فالعنوه فيلعنه أهل تلك القرية ثمّ يسير إلى القرية الأُخرى فيأمرهم بمثل ذلك وكان في أيّام معاوية. وكان مكحول من المبغضين له عليه السلام، وروى المحدثون عن حماد بن زيد انّه قال: أرى انّ أصحاب علي أشد حباً له من أصحاب العجل لعجلهم وهذا كلام شنيع.

وروى الشارح الحديدي (١) عن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة ـ إلى أن يقول ـ فدعا نسائه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه في الأرض عاصباً رأسه حتى دخل بيته، قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فحدثت عبد الله بن العباس بهذا الحديث فقال: أتدري من الرجل الآخر ؟ قلت: لا، قال: علي بن أبي طالب لكنها كانت لا تقدر أن تذكره بخير وهي تستطيع . ـ اهـ ملخصاً بكثير ـ .

كلمة في ختام البحث

على انّ الذي ذكرناه من أوّل هذا القسم إلى هنا نموذج مختصر من النقد في الصحابة والجرح في التابعين، ولو أردنا أن نستقصي الحديث عن الناصبي العداوة لأعظم آل محمّد من كافة طبقات الرواة والمنافقين والمدلسين منهم ومن غيرهم لاحتجنا إلى سرد سلسلة حافلة ولكننا في غنى عن ذلك لوجوده في متشتت مظانه وإنّما كتبنا هذا النموذج لندل بصراحة على انّ جلّ ما في كتب الحديث مختلق لا أصل له اختلقته الدواعي المتوفرة لخلقه . ولعمري انّ المحدث الذي يعتبر حديثه تلو القرآن الكريم عند أبناء العامة ومع ذلك يقدم على الرواية من طريق الخوارج والمقدوحين والمعلوم دجلهم وتدليسهم فقد عرف من مشيه مشي من هو دونه ومكاناً وشخصية عند الناس من المحدثين فلا يغترن مغتر باسم الصحيح والمسند والسنن وما إلى ذلك من الأسماء فإنّها كلمات قابعة على مجموع من الغثاء والهراء باسم الدين والسنة وما أبعدها عن الدين

---

(١) ج ٣ ص ١٨٩ في عرضه طرفاً من مرض النبي الذي توفي فيه.

وأضلّها عن الواقع وأزيفها في محك العقول الراجحة. ومن جراء انستار الواقع على طالبيه المتنورين بهذه الغشى المظلمة والستور الكثيفة ترى أبناء الدنيا اليوم عازبين عن أصل الدين مائلين إلى اللادينية الصرفة، فإنّهم يجدون في تيك المجاميع عين أحاديث السندباد البحري من ألف ليلة وليلة، فكيف تراهم يصيخون لها والحق معهم في أصل الاستنكاف عن قبول هذه الخرافات ولكن كان من واجبهم البحث عن الحقائق الضائعة ولو كلفهم قطع مشاق وفيرة من الزمن والتفكير، فإنّ الحقائق أهل لأن يبحث عنها ولو كلفت ما كلفت ولأجل اعطاء النمونة نذكر جملة من ذلك:

روى مسلم [١] قال: حدثني محمّد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلّا انّه آدر، قال: فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه، قال: فجمح موسى بأثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل إلى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد حتى نظر إليه قال فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً، قال أبو هريرة: والله انّه بالحجر ندب ستة أو سبعة ضرب موسى عليه السلام بالحجر ـ اهـ.

فهل يجيز المتنور على الله أن يفضح نبياً عظيماً من أنبيائه لمجرد تهمة معاصريه له بأنّه آدر؟ وذلك إن كان فليس بعيب ديني ولا يخص العباد منه شيء على فرض وجوده وفرض عدمه وقدرة الله التي مشت بالحجر سعياً ليست

---

(١) في صحيحه: ج ٧ ص ٩٩ وما بعدها، باب فضائل موسى عليه السلام.

عاجزة عن إفهام بني اسرائيل بسلامة موسى عن كل عيب من طريق مستور صحيح بوحي أو الهام وغيرهما، ثمّ الرشد العقلي الذي يوجد في الأنبياء لا يوجد عند غيرهم من الخلق السائر فكيف جوّز رشد موسى لموسى أن يوقع بالحجر ضرباً بحيث أثر فيه أثراً في ستة محال منه أو سبعة وهل الحجر موضع للتأديب ؟

ثمّ قال: وحدثني محمّد بن رافع وعبد بن حميد قال عبد: أخبرنا وقال ابن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه ـ الخ ـ.

أقول: هل ادعى أحد من الناس انّ الملك من سنخ البشر له عين وجوارح حتى يجوز في حقه فقأ عينه ؟ وعلى فرض ذاك فكيف جاز لنبي من أعظم الأنبياء أن يتجاسر على رسول ربه بمثل هذه الجسارة العظيمة ؟ كل ذلك غير معقول وإنّما هي خرافة.

وروى مسلم (١) قال: حدثني هارون بن سعيد الايلي وحرملة بن يحيى قالا حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمّد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب انّ أباه حدثه عن عبد الله بن عمر انّ رسول الله قال: إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثمّ يذبح ثمّ ينادي منادياً: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم.

أقول: خرافة بشعة المنظر والمسمع انصافاً، ليت شعري ما هو الموت في هويته حتى يجوز عليه الذبح ؟ وعلى فرض نحت هوية له تقبل ذلك فما كان

---

(١) في صحيحه: ج ٨ ص ١٥٣ وما بعدها.

تقصيره حتى يستوجب هذا الجزاء ؟ أفليس كان مأموراً عن الله فهو إنّما فعل الذي فعل اطاعة لأمر مولاه ؟ فكيف يستسيغ الله عمل الذبح به والله قادر بوسيلة جنوده القائمين بامتثال أوامره أن يبلغ العالمين جميعاً أن لا موت بعد هذا فنازل الجنة كنازل النار لا انقطاع لبقائهما كل في دار نزله وهذا عمل يتم به المقصود ولا يكون معه تنكيل بذاك البائس ـ الموت ـ.

وقال: حدثني سريج بن يونس حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن هارون بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث.

أقول: وهذا معناه انّ في فم الكافر حد الأقل ثمانية وعشرين جبلاً كل جبل منها بعظم جبل أُحد وقطر جلده وحده بضخامة أربعة وعشرين فرسخاً حد الأقل، وبهذا المقياس تقيس سائر أعضائه ومحصله انّ مجموع بدنه يحتاج إلى حيز يقدر حدّ الأقل بعشرات اُلوف الفراسخ وهذا معناه انّ مليون كافر بهذا الحجم يملؤن كل فضاء يتصور ـ وليت شعري بعد صحة تصوير ذلك ـ ما الداعي إلى الخروج عن حيز الخلقة المتداولة للانسان في دنياه وفي تعذيب الإنسان بما يوهنه ويعجزه ويؤذيه أذية تامة كل البلاغ في التأديب ؟ ومن هذا النمط بل ما هو أغرب منه شيء كثير في أحاديث الصحاح فضلاً عن غيرها وقد أسلفنا نموذجاً منه في القسم الثاني من سلسلة هذا الكتاب فلا نطيل.

وروى الحاكم [١] بسنده عن وهب بن منبه عن أبي هريرة قال: دخلت على رقية بنت رسول الله ﷺ وبيدها مشط فقالت: خرج رسول الله من عندي آنفاً فرجلت رأسه فقال لي: كيف تجدين عثمان ؟ قالت: فقلت: بخير، قال: أكرميه

(١) في المستدرك: ج ٤ ص ٤٨.

فإنّه من أشبه أصحابي بي خلقاً. قال الحاكم: ولا أشك انّ أبا هريرة روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابة انّه دخل على رقية لكني قد طلبته جهدي فلم أجده في الوقت. وعلّق عليه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال: صحيح منكر المتن فإنّ رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة أسلم وقت خيبر.

أقول: قد ضلّ الحاكم في دفاعه عن هذا المتن وعن أبي هريرة ضلالاً واضحاً فإنّ قوله: ولا أشك انّ أبا هريرة روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابة انّه دخل على رقية؛ فانّا نقول له: يا هذا الإنسان ما الذي جعلك لا تشك انّ أبا هريرة روى هذا الحديث عن انسان أدرك بحياته حياة رقية، فإنّ السند عار عن رائحة هذه الواسطة وصريح في انّ أبا هريرة نفسه كان الداخل على رقية وتزوير الواسطة لأجل تبرءة أبي هريرة من الاختلاق والكذب وتصحيح متن الحديث قول بالتشهي لا يعضده أقل عاضد، فهو مردود بضرس قاطع على المزور، وليت شعري كيف تجتمع صحة السند ونكارة المتن الخالي عن المبالغات المكذوبة والمحتويات المخالفة لاعتبار العقل ولشهرة النقل؟ فإنّ كون رقية مرجلة لشعر النبي أبيها وروايتها عنه في حق زوجها انّه من أشبه أصحابي خلقاً بي من الأُمور العادية التي لا تحرك النفس على التكذيب أو الاستبعاد وإنّما النكارة جاءت إلى متن الحديث من سنده بأنّ المروي عنه مات قبل اتصاله بالراوي بعدة سنين، والراوي مصارح جاهر بأنّه ممن لقيه بنفسه وكلمه بلسانه وسمع منه باذنه، فقد كان الاعتراف من الحاكم والذهبي بتزوير أبي هريرة هذا الحديث أولى بهما من ارتكاب الخطط العوجاء المفتضحة.

فإن قلتَ: أبو هريرة حتى لو اعترفنا بتدليسه فإنّه عاقل يراعي وزن نفسه في الناس، فكيف يروي لهم مباشرة عن رقية بنت النبي المتوفاة وقت بدر مع انّ اسلامه كان سنة سبع وقت خيبر؟

قلنا: مراعاة العاقل لهذه النقاط حتمي لو كان هناك داع عقلائي وهو الملاحظة من المستمعين له، فإذا كان المستمع من طبقة العامة والهمج فمن أين له هذا التشخيص انّ رقية ماتت وقت بدر وانّ أبا هريرة متى أسلم وعلى مثل هذه الطبقات راجت أحاديثه من فقأ موسى لعين ملك الموت وفرار الحجر بلباسه وتبريحه بالحجر ضرباً وهلم دواليك. وأكثر الناس يومئذ بسطاء والمتنور الشعور منهم أنكر عليه كعمر وعائشة وابن عمر وفوق كل ذلك على أمير المؤمنين، وإذا كانت الرواية عن هذا الدجال تعد في الصحاح التي ما عليها غبار فأجدر بما دونها أن يوضع في المهملات المتروكة وعليه فأحر بكتب الحديث نوعاً أن تكون ألفاظاً مرصوفة لا عن مبدأ يتعبد به ولا هي في نفسها من الحكم والآداب التي يعتبرها العقل حتى تتخذ لنفسها لا لمن صدرت عنه.

فإن قلت: هذه الآفات والبلايا كما توجد في الرواة والروايات السنية توجد في غيرها من الفرق المذهبية فلم يجيء الشيعي مثلاً منتقداً لهؤلاء وناسياً لنفسه.

قلنا: مادة الاشكال صحيحة بلا مرية ولكن هناك فروق تنجي الشيعة وتندد بالسنة، فإنّ الشيعة لا يعتبرون العدالة لازماً لا ينفك عن كل صحابي كما يراها السني كذلك بصراحة بل يرون العدالة ملاكاً يتخلف عن كل من تتخلف عنه شرائطه صحابياً كان أم غير صحابي. وهكذا لا تعتبر الشيعة أي كتاب يفرض من كتب حديثها انّه بأسره صحيح وأحاديثه كلها صحاح كما يعتبر السني ذلك في صحاحه، ودليلنا على ذلك انّ الشيعة الذين يعتبرون كتاب الكافي للكليني أوّل كتاب في الحديث من جميع وجوهه يعترفون انّ فيه الصحيح والموثق والقوي والضعيف، قال الشيخ فضل الله بن شمس الدين الالهي في رسالته الموضوعة في

ذيل الكافي من طبعته الحجرية الجيدة[١]: وعدة ما اشتمل عليه الكافي من الأحاديث كما نقل صاحب لؤلؤة البحرين عن مشائخنا المتأخرين منحصرة في ستة عشر ألف حديث ومأة وتسعة وتسعين حديثاً ـ الصحيح منها ـ باصطلاح المتأخرين مأتان وخمسة آلاف واثنان وسبعون حديثاً ـ والموثق ـ مأة حديث وألف وثمانية عشر حديثاً ـ والقوي ـ منها اثنان وعشرون وثلاث مأة ـ والضعيف منها ـ أربعمأة وتسعة آلاف وسبعة وثمانون حديثاً، فأنت كمى ترى انهم يصارحون ولا يجاملون بأنّ أكثر حديثه ضعيف.

هكذا يقول الشيعة وهو دليل انصافهم، وأمّا السنة فيقولون في صحيح البخاري ناقلين عنه انّه قال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلّا اغتسلت قبل ذلك وصلّيت ركعتين. وعنه انّه قال: صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستماءة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله[٢]، ويكفي في نقص هذا الكتاب انّ كثيراً من رواياته عن أبي هريرة الذي عرفت حاله، وجملة وافرة منه عن النواصب والخوارج، وفي الخرافات النابية، وفي التجسيم الصريح الذي تفنده العقول قبل الصحيح النقول، عن انّ النقل لا قيمة له في اثبات الصانع وما يجوز وما لا يجوز عليه فإنّ قيمته مرتهنة بالأُصول، وقد تعرضنا لطرف من ذلك في سلسلة هذا الكتاب على طول حلقاته فلا نكرر.

فمن هنا يتجلى لك انّ خبث العصبية عند الشيعة أو عند السنة.

كما لا تعتبر الشيعة قول أي أحد يفرض ـ ما عدا الامام المعصوم عندهم ـ

---

(١) ص ٣ تحت عنوان لائدة.

(٢) انظر: ج ٢ ص ٢٩ من تاريخ ابن خلكان عند تعرضه لترجمة محمّد بن اسماعيل البخاري.

حجة في نفسه وحجيته ينيطونها بمعاضدة المدرك القاطع لها كما لا يحددون الاجتهاد بشخص معين أو أشخاص محدودين، وأبناء السنة يعتزون بأقوال كثير من رجالهم اعتزازاً قوياً ويحصرون الاجتهاد بعدد معين، فأنت كما ترى انّ المباني العلمية والمدارك الفنية والأذواق الصحيحة تساعد السنة في هذا الميدان أو تؤيد الشيعة دون خصومهم.

ولكن من المؤسف انّ التعصبات السنية كانت ولا تزال ما دام للاسلام اسم يذكر وتداً ثابتاً يدور حواليه رجالها عمياً بكماً صماً لا يحاسبون أنفسهم على هذه النقاط أصلاً، فيا لضياع العلم وخسارة الفن وهضم الأذواق والعقول.

فهذا كله قليل من كثير الكلام في نقد الصحابة بالحق الصريح وإذا كانت هذه الموبقات العظائم توجد في دفاتر الصحابة الملزومين للعدالة باللزوم البين عند أبناء التسنن فالكلام على المقدوحين بالكذب والتدليس والنصب من التابعين وتابعيهم ذو ذيل عريض وفي ختام الفصل الآنف تعرضنا بالمام لجملة منهم ممن عرف بالعداوة لآل محمّد وتزوير الحديث في ذمهم واخفاء أحاديث فضلهم فبعد الذي مرّ عليك من أوّل هذا القسم إلى هنا تعرف قيمة ما يذكره ابن كثير [١] وان كلّ كلمة من هاته الكلمات مكذوبة مزورة بعيدة عن الصدق كبعد ذاكرها عن الانصاف والوثاقة والحق فلنلو عنان الكلام إلى الحوادث المهمة التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبيان الزائف منها عن الصحيح واستخلاص الحقيقة من اطباق ظلمات العصبية العمياء.

---

(١) ج ٥ ص ٢٣١ من تاريخه بقوله: ذكر أمره عليه السلام أبا بكر الصديق أن يصلي بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم وخروجه عليه السلام فصلى وراءه مقتدياً به في بعض الصلوات واماماً له ولمن بعده من الصحابة.

قال ابن كثير [١]

(فصل)

في ذكر امور مهمة وقعت بعد وفاته (ص) وقبل دفنه

ومن أعظمها وأجلّها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبي بكر الصديق، وذلك لأنّه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصديق قد صلّى بالمسلمين صلاة الصبح وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله افاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع وكشف ستر الحجرة ونظر إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر فأعجبه ذلك وتبسم صلوات الله وسلامه عليه حتى همّ المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم، وأرخى الستارة وكان آخر العهد به، فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة: ما أرى رسول الله إلّا قد أقلع عنه الوجع وهذا يوم بنت خارجة يعني احدى زوجتيه وكانت ساكنة بالسنح شرقي المدينة فركب على فرس له وذهب إلى منزله وتوفي رسول الله حين اشتد الضحى من ذلك اليوم وقيل عند زوال الشمس والله أعلم.

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم فمن قائل يقول مات رسول الله ﷺ ومن قائل لم يمت فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق إلى السنح فأعلمه بموت

---

(١) في تاريخه: ج ٦ ص ٢٤٤.

رسول الله ﷺ فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله منزله وكشف الغطاء عن وجهه وقبله وتحقق انّه قد مات خرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المنبر وبيّن لهم وفاة رسول الله كما قدمناه وأزاح الجدل وأزال الاشكال ورجع الناس كلهم إليه وبايعه في المسجد جماعة من الصحابة ووقعت شبهة لبعض الأنصار وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار وتوسط بعضهم بين أن يكون أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار حتى بيّن لهم الصديق انّ الخلافة لا تكون إلّا في قريش فرجعوا إليه وأجمعوا عليه.

أقول: كلّ ما في هذا الفصل ارتجال للتاريخ وتزوير للحديث وتغطية لوجه الواقع مع وقاحة زائدة وصلافة غريبة.

أمّا أمر الصلاة فقد كشفنا وجه الحديث عنه في الفصل السابق، فلا نطيل الكلام عليه. وأمّا انّ الصحابة اختلفوا بينهم انّه ﷺ مات أو لم يمت فذلك مما لا ربط له بالصحابة لا كلاً ولا جلاً وإنّما هو لخاصة عمر بن الخطاب.

فقد روى الطبري [١] عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: انّ رجالاً من المنافقين يزعمون انّ رسول الله توفي وانّ رسول الله والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع بعد أن قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون انّ رسول الله مات، قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ورسول الله

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٩٧.

مسجى في ناحية البيت عليه برد حبرة فأقبل حتى كشف عن وجهه ثمّ أقبل عليه فقبله ثمّ قال: بأبي أنت وأُمي أمّا الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثمّ لن يصيبك بعدها موتة أبداً ثمّ ردّ الثوب على وجهه ثمّ خرج وعمر يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر فأنصت فأبى إلّا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ـ إلى أن يقول: قال أبو هريرة: ـ قال عمر: والله ما هو إلّا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت انّ رسول الله قد مات.

وروى أيضاً حديثاً في سياق ذلك يقول فيه: وكان عمر يقول: لم يمت وكان يتوعد الناس بالقتل في ذلك. وفي حديث ثالث رواه عقيب الحديث الآنف: فوجد عمر بن الخطاب قائماً يوعد الناس ويقول: انّ رسول الله حي لم يمت وانّه خارج إلى من أرجف به وقاطع أيديهم وضارب أعناقهم وصالبهم، وذكر ابن الأثير نظير ذلك [١].

وذكر ابن سعد [٢] عدّة أحاديث في ذلك:

أحدها: عن أنس بن مالك قال: لما توفي رسول الله ﷺ بكى الناس فقام عمر بن الخطاب في المسجد خطيباً فقال: لا أسمعن أحداً يقول انّ محمّداً قد مات... الخ.

ثانيها: عن عكرمة انّ عمر قام خطيباً يوعد المنافقين فقال: انّ رسول الله لم يمت... الخ.

---

(١) راجع: ج ٢ ص ٢١٩ من تاريخه.

(٢) في الطبقات: ج ٤ ص ٨٢ وما بعدها.

وثالثها: عن عائشة انّ المغيرة قال لعمر: يا عمر مات رسول الله، فقال عمر: كذبت ما مات رسول الله ولكنك رجل تحوشك فتنة... الخ.

ورابعها: عن أبي هريرة، وهو ما أسلفناه عن الطبري.

وخامسها: عن عروة عن عائشة انّ عمر جعل يقول: والله ما مات رسول الله.

وسادسها: عن الزهري عن أنس قام عمر في الناس خطيباً فقال: لا أسمعنّ أحداً يقول انّ محمّداً مات.

وسابعها: عن سعيد بن المسيب قال عمر في خطبته: اني لأرجو أن يقطع رسول الله أيدي رجال وأرجلهم يزعمون انّه قد مات.

وثامنها: عن ابن عباس انّ أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس... الخ.

وسرد الحديث في ذلك طويل وإذا شبه على اغرار الناس موت الرسول فذلك من انكار عمر له واصراره عليه وتشقيق وجوه كلامه في الجهة المومأ اليها وسواد الناس ماذا يعقلون.

وامّا انّ أبا بكر بويع في المسجد من ناحية جماعة من الصحابة قبل اجتماع السقيفة فهو حديث ظاهر البطلان لاطباق المؤرخين على انّ حديث الخلافة إنّما جرى في السقيفة بل اجتماع السقيفة من الأنصار هو الذي هيج خاطرة الخلافة لأبي بكر وعمر وبعد جرّ وبحث اختار أبو بكر للحاضرين واحداً من عمر وأبي عبيدة وبعد ابائهما عليه من قبول التقدم صفق من صفق على يده بالبيعة ولو انّه بويع له في المسجد قبل حضور السقيفة لذكر عمر وأبو عبيدة ذلك لحضارها وبيّنا لهم انّ حديث الخلافة قد تم لأبي بكر إلّا قليلاً ولما صحّ لأبي بكر أن يقدم واحداً من عمر وأبي عبيدة للبيعة فإنّ المفروض انّه مسبوق بأخذ البيعة له ممن بايعه من الصحابة كما يدعي ابن كثير في حديثه.

غسل رسول الله وجهازه ومن تولى ذلك منه ﷺ

قد سلف لنا أن ذكرنا حضور علي عند النبي مدة مرضه وانّه ﷺ مات في حضنه وحجزته فالآن نذكر حديث غسله وجهازه ومن تولى ذلك من أهله وخاصته.

ذكر ابن سعد [١] بسنده الذي ينهيه إلى اسماعيل بن أبي خالد عن عامر قال: غسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وأُسامة بن زيد وكان علي يغسله ويقول: بأبي أنت وأُمي طبت ميتاً وحياً.

وبسنده عن زكريا عن عامر قال: كان علي يغسل النبي والفضل وأُسامة يحجبانه. عن أشعث عن الشعبي قال: غسّل رسول الله ﷺ والعباس قاعد والفضل محتضنه وعلي يغسله وعليه قميص وأُسامة يختلف.

وبسنده عن مغيرة عن ابراهيم قال: غسّل رسول الله العباس وعلي والفضل، قال الفضل بن دكين في حديثه والعباس يسترهم. وعن صالح بن كيسان عن ابن شهاب انّ رسول الله ﷺ ولي غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله. وعن معمر عن الزهري قال: ولي غسل النبي العباس وعلي بن أبي طالب والفضل وصالح مولى رسول الله. وعن كيسان أبي عمر القصار عن مولاه يزيد بن بلال قال: قال علي: أوصى النبي ﷺ ألّا يغسله أحد غيري فإنّه لا يرى أحد عورتي إلّا طمست عيناه، قال علي: فكان الفضل وأُسامة يناولاني الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين، قال علي: فما تناولت عضواً إلّا كأنّما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتى

---

(١) في الطبقات: ج ٤ ص ٩٣ وما بعدها.

فرغت من غسله.

وعن الزهري: عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال: غسّل النبي ﷺ علي والفضل وأُسامة بن زيد وشقران وولي غسل سفلته علي والفضل محتضنه وكان العباس وأُسامة بن زيد وشقران يصبون الماء. وعن سعيد بن المسيب قال: غسل النبي علي وكفنه أربعة علي والعباس والفضل وشقران. وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: غسل النبي ﷺ علي والفضل وأمروا العباس أن يحضر عند غسله فأبى فقال: أمرنا النبي أن نستتر. وساق مثل ذلك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم. ومثله أيضاً عن موسى بن محمّد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه. ونظيره أيضاً عن عبد الله بن محمّد عن أبيه عن جده عن علي. وهكذا عن أبي بكر بن أبي جهم وعن أبي جعفر محمّد بن علي.

وساق عن عبد الله بن الحارث انّ عليّاً لما قبض النبي قام فارتج الباب قال: فجاء العباس معه بنو عبد المطلب فقاموا على الباب وجعل علي يقول: بأبي أنت وأُمي طبت حياً وميتاً ... الخ. وعن عبد الواحد بن أبي عون قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب في مرضه الذي توفي فيه: غسلني يا علي إذا متّ. فقال: يا رسول الله ما غسلت ميتاً قط، فقال رسول الله ﷺ: انك ستهيأ أو تيسر، قال علي: فغسلته فما آخذ عضواً إلّا تبعني، الخ. وعن ابن جريج قال: سمعت أبا جعفر قال: ولي سفلة النبي عليه السلام علي.

وقال ابن أبي الحديد[1]: وروى محمّد بن حبيب في أماليه قال: تولى غسل النبي ﷺ علي والعباس وكان علي يقول بعد ذلك: ما شممت أطيب من ريحه

(١) في شرحه على النهج: ج ٣ ص ١٩٤.

ولا رأيت أضوأ من وجهه حينئذ ولم أره يعتاد فاه ما يعتاد أفواه الموتى. قال محمّد بن حبيب: فلما كشف الازار عن وجهه بعد غسله انحنى عليه فقبله مراراً وبكى طويلاً وقال: بأبي أنت وأُمي طبت حياً وطبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوة والأنباء وأخبار السماء خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك وعممت حتى صارت المصيبة فيك سواء ولولا انك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفذنا عليك ماء الشؤن ولكن أتى ما لا يدفع، أشكو اليك كمداً وادباراً مخالفين وداء الفتنة فإنّها قد استعرت نارها وداؤها الداء الأعظم بأبي أنت وأُمي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك وهمك ثمّ نظر إلى قذاة في عينه فلفظها بلسانه ثمّ رد الازار على وجهه ـ اهـ.

أقول: يريد عليه السلام بقوله: أشكو اليك كمداً وادباراً مخالفين وداء الفتنة فإنّها قد استعرت نارها، ما حدث بالقهر عليه من قضية السقيفة لانشغاله بتجهيز النبي ﷺ واسراعهم إلى تهيأة سلطان الدنيا ولا ريب انّ موضوع السقيفة هو مفتاح الفتن ورأس الجنايات كما يجيء البحث عن ذلك.

وقد أساء ابن أبي الحديد تعبيره عند قوله [1]: واختلف في تجهيزه أي يوم كان؟ فقيل: يوم الثلاثاء الغد من وفاته وقيل إنّما دفن بعد وفاته بثلاثة أيّام اشتغل القوم عنه بأمر البيعة، وقد روى الطبري ما يدل على ذلك عن زياد بن كليب عن ابراهيم النخعي انّ أبا بكر جاء بعد ثلاث إلى رسول الله ﷺ وقد اربد بطنه فكشف عن وجهه وقبل عينيه وقال: بأبي أنت وأُمي طبت حياً وطبت ميتاً. قلت: وأنا أعجب من هذا، هب انّ أبا بكر ومن معه اشتغلوا بأمر البيعة فعلي بن أبي طالب والعباس وأهل البيت بماذا اشتغلوا حتى يبقى النبي مسجى بينهم

---

(١) ج ٣ ص ١٩١ وما بعده من شرحه المزبور.

ثلاثة أيّام بلياليهن لا يغسلونه ولا يمسونه ـ إلى أن يقول ـ فأقول: يغلب على ظني إن صحّ ذلك ان يكون قد فعله شناعة على أبي بكر وأصحابه حيث فاته الأمر واستؤثر عليه به فأراد أن يتركه صلى الله عليه وآله وسلم بحاله لا يحدث من جهازه أمراً ليثبت عند الناس انّ الدنيا شغلتهم عن نبيهم ثلاثة أيّام حتى آل أمره إلى ما ترون وقد كان عليه السلام يتطلب الحيلة في تهجين أمر أبي بكر حيث وقع في السقيفة ما وقع بكل طريق ـ اهـ.

فإنّ عليّاً لو كان تاركاً تجهيز النبي لسعى وراء سعي القوم وشاركهم في الجلسات وأدلى بدلوه مع دلائهم، امّا انّه يترك تجهيزه صلى الله عليه وآله وسلم ويترك السعي معهم لمغالبتهم فذلك ما لا يحدث به عاقل نفسه، ثمّ كيف يرضى وجدان علي وهو شاهد وضع النبي من أوّل مرضه إلى حين وفاته أن يتركه من غير تجهيز وليس هناك من ضرورة تشغله حتى يربد بطنه وينتفخ من طول المكث بلا تغسيل ولا تكفين ولا دفن، بل حتى لو تكالبت عليه الضرورات لشقها على جانبيه وتوصل إلى تجهيز حبيبه وأخيه، هذه الحيلة التي يذكرها ابن أبي الحديد لعلي لا يفعلها أقل ذي غيرة من سائر الناس فضلاً عن مقام علي الذي داس جلّ حقوقه تحت قدميه مشياً مع ايمانه ووجدانه ودينه الرصين.

نعم فعلها ابن أبي قحافة وابن الخطاب ومن كان على مقربة منهما في الروح سعياً وراء الدنيا في أحسن مظانها وأفرغ ساعة من ساعاتها حيث الأذهان عازبة والخواطر عن موضوع الخلافة وعقد البيعة لأي انسان يكون بعيدة، كيف وكافة الناس ان دروا ألا يدرون الأقرب وفاة النبي وانّه بعد لم يجهز؟ فكيف في هذه الفاصلة تعقد الجلسات لتبادل الرأي في موضوع الخليفة والخلافة ويترك النبي بين ظهراني أهله الأدنين فيكونوا هم الذين يتولون منه ما يتولى من الميت والباقون لا يحسبون له أقل حساب؟

وأمّا اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة فما ذلك إلّا اجتماع لفيف منهم قد لا يبلغ المأة انسان وأمّا اجتماعهم كلهم في تلك الجلسة فغير معقول لأنّ السقيفة لا تسع عامتهم وموت النبي كان قبل آنات من هذا الاجتماع فكيف علم كافة الأنصار بما عند أهل السقيفة من نية وروية حتى تناذروا بذلك واجتمعوا له من كافة نواحي المدينة، هذا ما لا يكون بطبيعة الحال.

وفي أكثر النقول: انّ النبي لم يبق ثلاثة أيّام بعد موته، وما أربد بطنه، وانشغال أهل السقيفة بسقيفتهم لم يمنع أهل النبي من القيام بتجهيزه لأنّهم لم يكونوا من حضار السقيفة ولم يبارحوا النبي طرفة علين منذ اشتكى ومرض إلى ما بعد دفنه، وحديث التاريخ بذلك صريح.

فمن جملة ذلك: ما رواه ابن سعد [١] عن ابن شهاب قال: توفي رسول الله ﷺ حين زاغت الشمس يوم الاثنين فشغل الناس عن دفنه بشبان الأنصار فلم يدفن حتى كانت العتمة ولم يله إلّا أقاربه، ولقد سمعت بنو غنم صريف المساحي حين حفر لرسول الله ﷺ وانهم لفي بيوتهم. وعن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله حتى سمعنا صوت المساحي ليلة الثلاثاء من السحر. وعن يحيى بن عبد الرحمن بن محمّد بن لبيبة عن جده قال: توفي رسول الله يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس. وعن عبد الله بن محمّد بن عمر عن أبيه عن جده عن علي مثله. وبسند آخر انّ رسول الله توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء ـ اهملخصاً ـ.

هذا وقد أسلفنا مراراً انّ استخلاص الحقيقة من اطباق العصبيات المتراكمة يعد من الأمور العسرة جداً، فإنّ ابن كثير الشامي صاحب البداية والنهاية يعد من

---

(١) في الطبقات: ج ٤ ص ١٢٠ وما بعدها.

المؤرخين، وله كتاب واسع في التاريخ، فلو فرضنا انّ انساناً قليل المطالعة والاطلاع أحب أن يتعرف بالتاريخ العمومي من طريق هذا الكتاب فتناوله واستلمه ثمّ شاءت له الظروف أن يتوسع من عرض مطالب التاريخ من كتب شتى فطالع كتباً عديدة وراء ذلك هنالك يتضح له بصراحة انّ ابن كثير دجال صرف، يجنح في عامة مطالبه إلى اخفاء الواقع بجهده ولا يعرف في بحوثه غير ارضاء عصبيته، وأنت بدورك قد قرأت كلمته عن السقيفة فاتضح لك من كلامه انّ بيعة أبي بكر حصلت في المسجد وإنّما دعى أبا بكر لحضور السقيفة هو رفع شبهة حصلت لبعض الأنصار لا أكثر وبمجرد أن بيّه لهم وجه شبهتهم رجعوا إليه وأجمعوا عليه هكذا يعطي ابن كثير صورة السقيفة، إذاً فهلم بنا إلى غيره من المؤرخين لننظر ماذا يقولون وكيف يكتبون ؟

سقيفة بني ساعدة

قال اليعقوبي [١]: واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجلست سعد بن عبادة الخزرجي وعصبته بعصابة وثنت له وسادة وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين فأتوا مسرعين فنحوا الناس عن سعد، وأقبل أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالوا: يا معشر الأنصار منّا رسول الله فنحن أحق بمقامه، وقالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: منّا الامراء وأنتم الوزراء، فقام ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الأنصار فتكلم وذكر فضلهم فقال أبو بكر: ما ندفعكم عن الفضل وما ذكرتم من الفضل فأنتم له أهل، لكن قريش أولى بمحمد منكم، وهذا عمر بن الخطاب الذي قال رسول الله

---

(١) ج ٢ ص ١٠٢ من تاريخه، تحت عنوان خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر.

أعزّ الدين به ، وهذا أبو عبيدة بن الجراح الذي قال رسول الله أمين هـذه الأمّـة فبايعوا أيّهما شئتم فأبيا وقالا : والله ماكنا نتقدمك وأنت صاحب رسول الله وثاني اثنين ، فضرب أبو عبيدة على يد أبي بكر وثنى عمر ثمّ بايع من كـان مـعه مـن قريش ثمّ نادى أبو عبيدة : يا معشر الأنصار انكم كنتم أوّل من نصر فلا تكـونوا أوّل من غيّر وبدّل ، وقام عبد الرحمن بن عوف وتكلم فقال : يا معشر الأنـصار انكم وان كنتم على فضل فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي ، وقام المنذر بن الأرقم فقال : ما ندفع فضل من ذكرت وان فيهم لرجلاً لو طـلب هـذا الأمـر لم ينازعه فيه أحد ـ يعني علي بن أبي طالب ـ فوثب بشير بن سعد مـن الخـزرج فكان أوّل من بايعه من الأنصار واسيد بن حضير وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر وسادة سعد بن عبادة حتى وطئوا سعداً ، وقال عمر : اقتلوا سعداً قـتل الله سعداً ، وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال : يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر ، فقال بعضهم : ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عـنه ونحن أولى بمحمد ، فقال العباس : فـعلوها ورب الكـعبة ، وكـان المـهاجرون والأنصار لا يشكون في علي ، فلما خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس وكان لسان قريش ، فقال : يا معشر قريش انّه ما حقت لكم الخلافة بـالتمويه ونـحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم ، وقام عتبة بن أبي لهب فقال :

ماكنت أحسب انّ الأمـر مـنصرف ... عن هاشم ثمّ منها عن أبـي حسـن
عـن أوّل النـاس ايـماناً وسـابقة ... وأعـلم النـاس بـالقرآن والسـنن
وآخر النـاس عـهداً بـالنبي ومـن ... جبريل عون له في الغسل والكـفن
مـن فـيه مـا فـيهم لا يـمترون بـه ... وليس في القوم ما فيه من الحسـن

فبعث إليه علي فنهاه وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار

ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي بن كعب، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقي العباس بن عبد المطلب فتجعل به في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب حجة لكم على علي إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة حتى دخلوا على العباس ليلاً فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ثمّ قال: انّ الله بعث محمّداً نبياً وللمؤمنين ولياً فمن عليهم بكونهم بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أُموراً ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم فاختاروني عليهم والياً ولأُمورهم راعياً فوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجئاً فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع فامّا دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه وامّا صرفتموهم عما مالوا إليه ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عمّ رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك فعدلوا بالأمر عنكم على رسلكم بني هاشم فإنّ رسول الله منا ومنكم. فقال عمر بن الخطاب: أي والله وأُخرى انا لم نأتكم لحاجة اليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم.

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: انّ الله بعث محمّداً كما وصفت نبياً وللمؤمنين ولياً فمنّ على أُمته به حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده فخلى على

المسلمين أُمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق لا مائلين بزيغ الهوى فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم ما تقدمنا في أمرك فرطا ولا حللنا وسطا ولا برحنا سخطا وإن كان هذا الأمر إنّما وجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين ما أبعد قولك من انهم طعنوا عليك من قولك انهم اختاروك ومالوا اليك وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلى على الناس أُمورهم ليختاروا فاختاروك فأمّا ما قلت انك تجعله لي فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه وإن كان لنا فلا نرضى ببعضه دون بعض وعلى رسلك فإنّ رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.
وكان فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب فقال: أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم وقال لعلي بن أبي طالب امدد يدك أُبايعك وقال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلّا فيكم واليكم ... وليس لها إلّا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كفّ حازم ... فانك بالأمر الذي يرتجى ملي
وان امرءاً يرمي قصي وراءه ... عزيز الحمى والناس من غالب قصي

وكان خالد بن سعيد غائباً فأتى عليّاً فقال: هلم أُبايعك فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمّد منك واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة له فقال لهم اغدوا على هذا محلقي الرؤوس فلم يغد عليه إلّا ثلاثة نفر.

وبلغ أبا بكر وعمر انّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله فأتوا في جماعة حتى هجموا على

الدار وخرج علي ومعه السيف فلقيه عمر فصارعه عمر فصرعه وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم أيّاماً ثمّ جعل الواحد بعد الواحد يبايع ولم يبايع علي عليه السلام إلّا بعد ستة أشهر، وقيل أربعين يوماً.

وفي هذا الفصل أغلاط مطبعية أو من الناسخ تصححها النقول الآتية:

أقول: في هذا المقام فصول يجب التعرض لها بتوسع حتى يتجلى حادث السقيفة لقراءه أحسن تجلي:

الفصل الأوّل: أين كان أبو بكر وعمر حين انعقاد ندوة السقيفة بالأنصار ومن أخبرهم بهذه الجلسة وأي الدواعي حركهم لذلك؟

الفصل الثاني: ما هو مقال أبي بكر وعمر للأنصار وما مقال الأنصار لهم وما وزن مقال الطرفين من المنطق؟

الفصل الثالث: الهوى النوعي لرؤوس المهاجرين وجماعة الأنصار كان مع أي انسان ولولا ضبط كفة الأُمور بسرعة هل فاز علي بالخلافة؟

الفصل الرابع: كيف قتل سعد بن عبادة ومن قتله؟

الفصل الخامس: من كانوا هواة علي الذين لو خلي سراحهم لما بايعوا غيره؟

الفصل السادس: هل خصّ أبو بكر وعمر بذل الرشوة بالعباس أم هناك غير العباس ممن بذلت له الرشوة؟

الفصل السابع: كيف كان لون الهجوم على بيت فاطمة وعلي؟

الفصل الثامن: ما كان الداعي لسكوت علي بهذا اللون؟

الفصل التاسع: كيف كانت مغبة الأنصار في أخذ الأمر منهم ومن بني هاشم؟

الفصل العاشر: لِمَ لَم يبسط علي حججه الدامغة في مبارزة القوم من طريق المنطق ثمّ ما هي حججه المنطقية التي بها يستوجب الخلافة دون كل انسان؟

الفَصْلُ الأَوَّلُ

أين كان أبو بكر وعمر حين انعقاد ندوة السقيفة بالأنصار ومن أخبرهم بهذه الجلسة وأي الدواعي حركهم لذلك؟

روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة [١] انّ النبي لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا: انّ رسول الله قد قبض فقال سعد بن عبادة لابنه قيس أو بعض بنيه اني لا أستيطع أن أسمع الناس كلامي لمرضي ولكن تلق مني قولي فأسمعهم فكان سعد يتكلم ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليسمع قومه واتى الخبر عمر فأتى منزل رسول الله ﷺ فوجد أبا بكر في الدار وعليّاً في جهاز رسول الله وكان الذي أتاه بالخبر معن بن عدي فأخذ بيد عمر وقال: قم فقال عمر: اني عنك مشغول، فقال: انّه لابد من قيام، فقام معه، فقال له: انّ هذا الحي من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة معهم سعد بن عبادة يدورون حوله ويقولون أنت المرجى ونجلك المرجى، وثمّ أُناس من أشرافهم وقد خشيت الفتنة فانظر يا عمر ماذا ترى؟ واذكر لاخوتك من المهاجرين واختاروا لأنفسكم فاني أنظر إلى باب فتنة قد فتح الساعة إلّا أن يغلقه الله ففزع عمر أشد الفزع حتى اتى أبا بكر فأخذ بيده فقال: قم فقال أبو بكر: أين نبرح حتى نواري رسول الله اني عنك مشغول فقال عمر لابد من قيام وسنرجع إن شاء الله، فقام أبو بكر مع عمر فحدثه الحديث ففزع أبو بكر أشد الفزع وخرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة.

---

(١) ج ٢ ص ٣ وما بعدها من الشرح الحديدي.

قال الزبير بن بكار: وقد كان مالأ أبا بكر وعمر على نقض أمر سعد وافساد حاله رجلان من الأنصار ممن شهد بدراً وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدي، قلت: كان هذان الرجلان ذوي حب لأبي بكر في حياة رسول الله ﷺ واتفق مع ذلك بغض وشحناء كانت بينهما وبين سعد بن عبادة ولهما سبب مذكور في كتاب القبائل لأبي عبيدة معمر بن المثنى فليطلب من هناك.

قال الزبير: لما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر أكرمت قريش معن بن عدي وعويم بن ساعدة فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس ودعوهما فلما أحضرا أقبلت الأنصار عليهما فعيروهما بانطلاقهما إلى المهاجرين وأكبروا فعلهما وانبرى لهما فروة بن عمرو فقال لهما أنسيتما قولكما لقريش انا قد خلفنا وراءنا قوماً قد حلت دمائهم بفتنتهم هذا والله ما لا يغفر ولا ينسى ثمّ أنشد:

ألا قل لمعن إذا جئته ... وذاك الذي شيخه ساعدة

بأنّ المقال الذي قلتما ... خفيف علينا سوى واحدة

مقالكم انّ من خلفنا ... مراض قلوبهم فاسدة

حلال الدماء على فتنة ... فيا بئسما ربت الوالدة

فلم تأخذا قدر أثمانها ... ولم تستفيدا بها فائدة

وقد ايّد محتويات هذا الفصل ابن هشام(١) وابن عبد ربه الأندلسي في عقده(٢) وابن الأثير في تاريخه(٣) والطبري في تاريخه(٤).

---

(١) في سيرته: ج ٢ ص ٦٥٦ تحت عنوان: أمر سقيفة بني ساعدة.

(٢) ج ٢ ص ٢٠٤ تحت عنوان: سقيفة بني ساعدة، من طبعته المحشاة بزهر الآداب.

(٣) ج ٢ ص ٢٢١ في حديثه عن السقيفة.

(٤) ج ٣ ص ٢٠٠ و ص ٢٠١ من طبعته الأولى.

فأنت من هذا الفصل تتبين انّ أصل حركة السقيفة واستدعاء أبي بكر وعمر لحضورها كان عن دواعي نفسية وأغراض شخصية ودوافع إحن سابقة وتنافس غريزي وحسد طائفي وكل هذه الدواعي المرموزة كانت أوّل أجزاء العلة في تشبث أبي بكر وعمر بأمر الخلافة وما تلوناه عليك آنفاً صريح فيما نقول.



الفَصلُ الثَّاني

ما هو مقال أبي بكر وعمر للأنصار وما مقال الأنصار لهم وما وزن مقال الطرفين من المنطق؟

قال ابن الأثير [١]: لما قبض النبي اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الأمر، وكان مريضاً فقال بعد أن حمد الله: يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لأحد من العرب انّ محمّداً ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به إلّا القليل ما كانوا يقدرون على منعه ولا على اعزاز دينه ولا على دفع ضيم حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً وأعطى البعيد المقادة صاغراً فدانت لرسوله بأسيافكم العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنّه لكم دونهم، فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت وأصبت الرأي ونحن نوليك هذا الامر فانك مقنع ورضا للمؤمنين.

ثمّ انهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا: فإن أبى المهاجرون من قريش وقالوا: نحن المهاجرون وأصحابه الأولون وعشيرته وأوليائه فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده فقالت طائفة منهم فانّا نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا أبداً، فقال

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ٢٢٢.

سعد: هذا أوّل الوهن وسمع عمر الخبر فأتى منزل رسول الله وأبو بكر فيه فأرسل إليه أن اخرج إليّ فأرسل إليه اني مشتغل فقال عمر: قد حدث أمر لابد لك من حضوره، فخرج إليه فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة، قال عمر: فأتيناهم وقد كنت زورت كلاماً أقوله لهم فلما دنوت أقول أسكتني أبو بكر وتكلم بكل ما أردت أن أقول، فحمد الله وقال: انّ الله قد بعث فينا رسولاً إلى خلقه وشهيداً على امته ليعبدوه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والايمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم ايّاه وكل الناس لهم مخالف زأر[١] عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف[٢] الناس لهم فهم أوّل من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم إلّا ظالم وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الإسلام رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تفاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأُمور.

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإنّ الناس في ظلكم ولن يجترء مجترء على خلافكم، ولا يصدر الناس إلّا عن رأيكم أنتم أهل العزّ والثروة وأُولوا العدد والنجدة وإنّما ينظر الناس إلى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى

---

(١) الزئير صوت الأسد.

(٢) الشنف البغض والتنكر.

هؤلاء إلّا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير ، فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة على من ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته .

فقال الحباب بن المنذر : يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأُمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنّه بأسيافكم دان الناس لهذا الدين انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب انا أبو شبل في عرينة الأسد والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة ، فقال عمر : إذاً يقتلك الله ، فقال : بل ايّاك يقتل ، فقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار انكم أوّل من نصر وآزر فلا تكونوا أوّل من بدّل وغيّر ، فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يا معشر الأنصار انا والله وان كنا أُولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلّا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً إلّا أنّ محمّداً من قريش وقومه أولى به وأيم الله لا يراني الله أُنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم ، فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيّهما شئتم فبايعوا ، فقالا : والله لا نتولى هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله في الصلاة وهي أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ابسط يدك نبايعك .

فلما ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر عققت عقاق ما أحوجك إلى ما صنعت أنفست على ابن عمك الامارة ، فقال : لا والله ولكني كرهت أن أُنازع القوم حقاً جعله الله لهم . ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير

وما تطلب الخزرج من تأمير سعد قال بعضهم لبعض: وفيهم اسيد بن حضير: والله لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فبايعوه فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه.

وفي الامامة والسياسة لابن قتيبة [١] فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه فبادروا إليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة فقال: فعلتموها يا معشر الأنصار أما والله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء، قال أبو بكر: أمنّا تخاف يا حباب؟ قال: ليس منك أخالف لكن ممن يجيء بعدك، قال أبو بكر: فإذا كان ذلك كذلك فالأمر اليك وإلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة، قال الحباب هيهات يا أبا بكر إذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم.

أقول: هذا جماع الحديث عن محاورة أهل السقيفة مهاجرهم الحاضر وأنصاريهم وكل المؤرخين لا يزيدون على هذا بشيء له قيمة فمن الشطط ذكر ما سواه من عباراتهم وإذا شئت فراجع الطبري والامامة والسياسة والعقد الفريد والسيرة الهشامية وتاريخ اليعقوبي وشرح النهج الحديدي وما سوى ذلك تجد مطابقة ما نقوله لما في هذه الصحف.

فالأهم إذاً تحليل مقال الطرفين على ضوء المنطق لنرى أيّهما أحق بمقاله في نفسه ثمّ ما هو ميزان مجموع المنطقين مما هو لازم الخليفة الشرعي عقلاً ومنطقاً.

أمّا مقالة الأنصار فكلها حق وصدق، ولهم من الفضيلة أضعاف ما ذكروه مما لم تأت عليه عباراتهم، فهم عدة الإسلام وعديده بما تحت هاتين الكلمتين من

---

(١) ج ١ ص ٩ في ذيل هذا الحديث.

معنى واسع، وليس الذي لهم من الفضل لكل مهاجر فإنّ كثيراً من المهاجرين تأخرت هجرتهم عن هجرة النبي ﷺ والهجرة حينذاك قليلة الأهمية، نعم السابقون الأولون من المهاجرين الذين تحملوا في سبيل تدينهم بالاسلام من مشركي مكة كل وبال وضيم وهوان، ثمّ لما هاجروا شعشعوا بمواقفهم المعروفة أُفق الشريعة الإسلامية لهم ميزة على الأنصار وان كانوا مدينين لهؤلاء بكسب العزة في ديارهم واظهار العقيدة براحة في آفاقهم.

كما انّ هذا الوصف لا يوجد لكل سابق من المهاجرين، فإنّ أبا بكر وعمر من جملة هؤلاء ولكنهما لم يعذبا في الدين كما عذب عمار ونظراء عمار، ولم يقلقهما حصار الشعب كما أقلق بالنبي وعلي وآلهما، ثمّ لما كانت الهجرة لم يتعرض واحد منهما لخطر المبيت على فراش النبي كما تعرض له علي. وصحبة أبي بكر للنبي كانت محفوفة بالأمن مقرونة بالبعد عن مظان الخطر، فإنّ النبي إنّما ترك المبيت على فراشه مخافة أن يهدر دمه فتحرى أحفظ الأشياء لنفسه وهو التخفي بها في الغارات وأبو بكر في هذه المظان كان معه وبعد أن استقرت بالمهاجرين دار الهجرة وانتصبت ميادين الحروب لم يكن لمسلم من المسلمين ما كان لعلي من الغناء بواضح الضرورة، وامّا أبو بكر وعمر حسابهما في ذلك طفيف للغاية، فلم تبتل شباة سيفيهما بدم في سبيل الله ولم يعرف لها قتيل من أعداء الله ولا شعشعة موقف في المواقف الحرجة، بل كانا وهكذا أخوهما ابن عفان من الناكصين في شدة المواقف والفارين عن النبي. وقد فصّلنا تمام هذا القول في وقعة أُحد وخيبر وحنين وما سوى هذه الوقعات على طول خط السيرة فراجع.

ولا يشك من يستعرض التاريخ انّ موقف أكثر الأنصار بل كلهم كان أجدى وأجدر بالذكر من موقف هذين الرجلين، فكم أطاحت الحروب النبوية من

الأنصار أيدياً وأرجلاً وأطارت رؤوساً وأراقت دماء وأتلفت نفوساً مرابطة تسيل دماؤها على أقدامها ثباتاً وجلداً وهذه احصاءات المؤرخين للقتلى في الوقعات النبوية تبرهن على ما قلناه بسعة فأين مقام هذين ممن خاصموا؟

وأنت قد قرأت آنفاً انّ الأنصار شاطروا المهاجرين بأموالهم وبذلوا من ذلك الشيء الكثير في سبيل الإسلام كما قرأت انّ أبا بكر الثري مشى إلى بدر يعتقب هو وعمر وعبد الرحمن بن عوف بعيراً واحداً وانّه باع على النبي راحلته التي ارتحلها وقت الهجرة بالثمن، فأين هذان من هؤلاء في كل شيء؟ وهذا الذي جسمناه لك يعد من محسوسات الضرورة التاريخية والمماري في هذا المطلب يعد من جناة البشر المصرّين على خنق الحق والحقيقة.

نعم يتخلف في الأنصار ملاك واحد وهو فقدان شخص فيهم تكون فيه القابليات المرموقة في علي بن أبي طالب، ومن كان على هذا الطراز. وليس في معاصري النبي ولا فيمن بقوا بعده من يكون على الطراز المذكور. فالسابقة التي لعلي وتحمّله المحن جنباً لجنب رسول الله قبل الهجرة والمواقف اللامعة التي كانت له في سبيل الإسلام بعدها والعلم والعبادة والشدة في الله والقرب من رسوله ونزوله منه منزلة النفس وغير ذلك من المؤهلات القيّمة بما نشرحه في محله ليست لأي انسان يفرض في المسلمين مهاجرياً كان أم أنصارياً، والأنصار معترفون بذلك كما سيأتي، وعظماء المهاجرين على هذه الوتيرة إلّا من ملكته الأنانية بتحصيل سلطنة الوقت.

والخليفة الاسلامي من شرطه ذلك فليس يصح أن يتقدم لزعامة الإسلام والمسلمين إلّا من كان جامعاً لأدوات هذه الرياسة بطور مسلم مقطوع له وبه كفاءة معروفة. وليس تحلي المسلم بصفة أو صفتين أو بثلاث ولو كن صفات لامعات مما يكفي في أن يتسنم هذه المنصة العظيمة التي هي بعينها منصة النبوة

ولا يتخلف عنها إلّا أحداث التشريع ونزول الوحي فقط. فصفة الأمانة وحدها أو العلم وحده أو الشجاعة وحدها أو الكرم وحده أو العبادة وحدها أو الشدة في الله وحدها أو الزهد وحده أو. أو. أو. لا تخوّل صاحبها لياقة الجلوس على منصّة النبي واشغال مقامه الشرعي بل لابدّ من أن تأتلف هذه الصفات وتتمركز في ذات واحدة حتى تكون كل شعبة منها ممداً قوياً لشعبة من شعب الجامعة المتكثرة.

وأبو بكر إن استعرض ما للمهاجرين من فضل فقد استعرض عرضاً اجمالياً لمجملهم ولم يأت على ما لمختلف طبقاتهم من ميزات مهمة؛ وما ذلك إلّا لأنّه هو وصاحبيه ليسوا من أهل تلك الميزات وإنّما هي حصة علي بن أبي طالب كما أشعرنا بطرف من ذلك؛ ولأجل هذا اقتصر على ذكر القرشية الجامعة له ولصاحبيه بالنبي وانهم من عشيرته صلى الله عليه وآله وسلم؛ وحق له أن يقتصر هو وعمر على ذلك ـ نحن أولياؤه وعشيرته ـ إذ لا يربطه بالنبي رابط أكثر مما ذكر وبهذه الحجة التي جعلاها ظاهرة على استحقاقهما سلطان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم خصما الأنصار وكم عليهما في هذه الحجة التي أدليا بها من مؤاخذات:

أمّا أوّلاً ـ فإنّ القرشية التي كانت النبوة فيها ليست من الملاكات التي بها تستحق النبوة والامامة لا عقلاً ولا شرعاً فإنّ العقل والدين لا يعتدان بالأنساب في مقابل القابليات العالية إلّا اعداد زينة وتحسين لا أكثر وما يروى في ذلك من انّ الأئمّة من قريش بعنوان انشاء هذا المطلب فذلك تزوير جيىء به لمصلحة القوم وأولادهم ومن قوموه فقام بعدهم.

وأمّا ثانياً ـ فعلاقة القرشية ـ حين أدليا بهذه الحجة ـ مستشرية في كثير من الجالين على المدينة من مهاجرين وغير مهاجرين ـ وسهمهما منها ـ طرف قليل من معنى متسع فكيف يقوم لهما بما يدعيانه من اولوية الأمر بهما وغيرهما من قريش المسلمين لم يوكلهما عن نفسه وكالة مطلقة بأنّهما مهما فعلا وكيفما عقدا

فهو ماض عليه إذ لم يكن مسبوقاً قبل حضورهما السقيفة بهذا المطلب ولا هو عند حضورهما فيها كان حاضراً معهما فقرر كل ما فعلا .

وأمّا ثالثاً ـ فإذا كان الرجلان يريان القرشية وكونهما من عشيرة محمّد ومن أوليائه كافياً في استخلاص الزعامة من أيدي الأنصار لهما فالملاك الذي قرره الله في كتابه بقوله : **﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** يحذفهما كما يحذف غيرهما من هذه السلسلة فإنّ هناك بني هاشم وهم أولى من سائر قريش بمحمد ، وبنو هاشم أيضاً يتفاوتون في القرب والبعد بالنسبة إلى محمّد وليسوا كلهم على حدّ سواء .

وأي ذلك كان فلم لم يستشيرا في هذا الموضوع من هو شريكهما في هذه الحجة من هاشمي ومخزومي وسهمي وجمحي و . و . و . ويتبادلا معهم الرأي وأهم اولئك كان حضوراً في المدينة وعلى مقربة منهم ولا تحتاج مشاورتهم إلى أكثر من يوم واحد بطور قاطع ، وفي هذا اليوم لا يفوت عليهم قليل من الأُمور ولا كثير ولا يحدث صغير حادث ولا كبير ولا خوف من الأنصار على كل الوجوه ، فإنّهم ان يفرض منهم اتفاق مجدد بعد حضور الرجلين في سقيفتهم بأن يكون بعضهم يحض بعضاً على الائتلاف والاتفاق ـ وأنّى يكون ذلك في نفوس بعض القوم على بعض ما فيها من تحاسد وتنافس ـ فانقيادهم ليس بعزيز على كبراء المهاجرين من بني هاشم وغيرهم من سائر بيوتات قريش ورجالها ، وهم كما ترى قد انقادوا لعدد منزور وحكموا أنفسهم لكلمات واهية لا مبلغ لها من الحجّية ـ وان لم يفرض لهم اتفاق ـ كما هو المعلوم من روحياتهم ، فهو المراد .

ولو فرض بأبعد الوجوه انتهازهم للفرصة وتغلبهم على المهاجرين وضبطهم لأُمور دار الهجرة فهل ترى يكون هناك من المحاذير أكثر مما حصل في بيعة أبي بكر ـ لا والله ـ فإنّ في الأنصار دهاة ومحنكين وبواسل وشجعاناً وعدداً غير

منزور وليس كل المهاجرين ممن يمتنع عن الانقياد لهم لأنّ لهم محبوبية في القلوب واسعة ووصايا النبي في حقهم جليلة ولم ينفك عن التمجيد بهم والتعظيم لحقهم حتى قبيل موته، فلا يبقى إذاً إلّا أهل النخوة والشخصيات من المهاجرين ممن لا يصيخون لحكومة الأنصار ويجدون أنفسهم أليق من ذلك وقسر اولئك من ناحية الأنصار على متابعتهم لهم ممكن مقدور وقد حصل نظيره في خلافة أبي بكر بل وأكثر مما صورناه ومع ذلك فقد سارت مع الزمن على علاتها أفلا تسير خلافة اولئك لو فرضت كما سارت خلافة آل أبي قحافة وآل الخطاب وبني امية، نعم والله تسير ولا يمنعها شيء ما دامت التشبثات صحيحها وسقيمها ممكنة مقدورة، ويكون الإسلام فيها كالاسلام في دولة الأشياخ من حيث الجوهر وان اختلف في بعض صوره ورسومه.

لكن الرجلين لم يجدا فرصة أحسن من هذه الفرصة خصوصاً وهما يريان كيف تتفكك عرى الأنصار بسرعة من انحياز بشير بن سعد اليهما قبل كل أحد وقبل ذلك ما كان من دعوة عويم بن ساعدة ومعن بن عدي لهما بالحضور في السقيفة ومغالبة الأنصار على ما اجتمعوا له كما يعلمون بوضوح انّ بين الأوس والخزرج من التباين العاطفي ما هو جلي في نفوس الفريقين، ومن هذا الينبوع استقى أسيد بن حضير فقال لقومه بعدما بايع بشير بن سعد لأبي بكر: والله لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، فكان اجتماع السقيفة الذي هيء من جهة الأنصار لخاصة أمر الأنصار من أحسن المظان لتحصيل الرجلين مرامهما.

ولو لم يكن هناك اجتماع من الأنصار كما لم يكن للمهاجرين حينذاك أقل مجتمع بل لم يخطر في بال أحد منهم ذلك للانشغال بتجهيز النبي وانّه ﷺ بعد لم يكفن ولم يدفن لما نال ابن أبي قحافة طرفاً مما ناله، كيف ولو توسط ميدان

الاجتماع المكتض بالمهاجرين والأنصار علي ورداه بنو هاشم وطفقت الحجج تأخذ حقها وتعطي حقها لفشل رجلا تيم وعدي أيّما فشل. هذا وأنت سوف تقرأ انّ الأنصار لما اطلعت على طرف من كلمات علي بعد بيعة السقيفة ندمت على ما فات منها، وأكثر المهاجرين مثلهم.

نعم لا أرتاب انّ أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص والمؤلفة قلوبهم من قريش الذين كانوا يومذاك بالمدينة لا يكونون إلّا في جانب غير علي لما لهـذا الإنسان فيهم من نكاية واضحة ووتر، بل أوتار لها وزنها في قلوبهم. فالى هنا قد تميزت ان لا حجة ـ تقوم بدرهم واحد فضلاً عما فـوقه ـ أدليت يـومذاك مـن جانب الرجلين، ولكن الكوامن الخافية عـندما طـفحت بأهـلها مـن بـيوتات الأنصار من عويم بن ساعدة ومعن بن عدي ـ أوّلاً ـ ومن بشير بن سعد ـ ثانياً ـ ومن الأوس ـ ثالثاً ـ هي التي ضربت بعضاً ببعض منهم ودفعت كلا إلى أن يهدم هذا الاجتماع بكل صورة وبأي لون يفرض حتى تستريح نفسه ويطمئن قلبه بأنّ رقيبه قد أخفق في مسعاه ومنوياته ولم يكونوا عندما اندفعوا لأبي بكر بـصدد أنهم وجدوا الأصلح من كل مسلم للاسلام، وإنّما كان هدفهم الوحيد ما بيّناه وهو ايجاد العقم الأبدي لمن ينافسونه ويحذرون تغلبه عليهم، فكان مثل أبـي بكـر وعمر ومثل الأنصار في اجتماعهم ورجوع ثمرته إلى ذينك الرجلين كـما قـال صاحب المثل:

أنـــعمي أمّ خـــالد   ربّ ســـاع لقـــاعد

ولهذا الفصل تتمات واسعة توافيك في الفصول الآتية إن شاء الله.

الفصل الثالث

الهوى النوعي لرؤوس المهاجرين وجماعة الأنصار كان مع أي إنسان؟ ولولا ضبط كفّة الأُمور بسرعة هل فاز علي بالخلافة؟

تقدم عن اليعقوبي [١] أن قال: وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأُبي بن كعب.

وسبق عنه أيضاً [٢]: وقام المنذر بن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت وانّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد ـ يعني علي بن أبي طالب ـ إلى أن يقول: وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر، فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه، ونحن أولى بمحمد، فقال العباس: فعلوها ورب الكعبة، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي، الخ.

وفي تاريخ ابن الأثير [٣] عند تعرّضه لحديث السقيفة: فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلّا عليّاً، قال: وتخلف علي وبنو هاشم والزبير.

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ١٠٣.

(٢) ج ٢ ص ١٠٢ في تحديثه عن محاورة أبي بكر وصاحبيه مع الأنصار في سقيفة بني ساعدة.

(٣) ج ٢ ص ٢٢٠.

وقال في (ص ٢٢٤) : قال الزهري : بقي علي وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة .

وفي الامامة والسياسة لابن قتيبة [١] فقال علي كرّم الله وجهه : الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقصور بيوتكم وتدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنّا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية الدافع عنهم الأُمور السيئة القاسم بينهم بالسوة والله انّه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا عن الحق بعداً . فقال بشير بن سعد الأنصاري : لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك .

قال : وخرج علي كرّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو انّ زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول علي كرّم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفنه وأخرج أُنازع الناس على سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم .

وفي الشرح الحديدي [٢] على اثر كلام علي عند اكراهه على البيعة لأبي بكر فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم

---

(١) ج ١ ص ١١ عند استطراده لحديث السقيفة .

(٢) ج ٢ ص ٥ عند استعراضه لحديث السقيفة بمتشتت أنواعه ناقلاً عن غيره .

لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان ولكنهم قد بايعوا.

وقال (المصدر نفسه): قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري: انّ علياً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل لو كان ابن عمك سبق الينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي: أكنت أترك رسول الله ميتاً في بيته ولا أُجهزه وأخرج إلى الناس أُنازعهم في سلطانه، وقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه.

وقال: (المصدر نفسه: ص ٨) قال الزبير بن بكار: فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفاً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم فاجتمع قوم من الأنصار وقوم من المهاجرين فتعاتبوا فيما بينهم فقال عبد الرحمن بن عوف: يا معشر الأنصار انكم وان كنتم أولي فضل ونصر وسابقة ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا علي ولا أبي عبيدة، فقال زيد بن أرقم: انّا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن، وانّ منّا لسيد الأنصار سعد بن عبادة ومن أمر الله رسوله أن يقرءه السلام ومن يؤخذ عنه القرآن أبي بن كعب ومن يجيء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل، ومن أمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت وانّا لنعلم انّ ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد علي بن أبي طالب.

قال الزبير (ص ٩): لما بويع أبو بكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه وانّه في داره لم يخرج اليهم وجزع لذلك المهاجرون وكثر في ذلك الكلام، وكان أشد قريش على الأنصار نفر منهم سهيل بن عمر واحد بني عامر بن لؤي والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان وهؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا

النبي ثمّ دخلوا في الإسلام وكلهم موتور قد وتره الأنصار، امّا سهيل بن عـمرو فأسره مالك بن الدخشم يوم بدر وامّا الحارث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحه يوم بدر وهو فار عن أخيه وامّا عكرمة بن أبي جهل فقتل أباه ابنا عفراء وسلبه درعه يوم بدر زياد بن لبيد وفي أنفسهم ذلك ـ وتتمة الحديث تأتي فيما بعد ـ إلى أن يقول في هذا السياق: ولأنّ الأنصار كانت تعظم عليّاً وتهتف باسمه، إلى أن يقول (ص ١٨): قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: مرّ المغيرة بن شـعبة بأبي بكر وعمر وهما جالسان على باب النبي حين قبض فقال: مـا يـقعدكما؟ قالا: ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه يعنيان عليّاً، فقال: أتريدون أن تنظروا حبل الحبلة من أهل هذا البيت وسعوها في قريش تتسع قال: فقاما إلى سـقيفة بـني ساعدة أو كلاماً هذا معناه.

وقال أبو بكر: حدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي قال: سمعت ابياً يقول: ذكر سعد بن عبادة يوماً عليّاً بعد يوم السقيفة فذكر أمراً من أمره نسيه أبو الحسن يوجب ولايته، فقال له ابنه قيس بن سعد: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب ثمّ تطلب الخلافة؟ ويقول أصحابك منّا أمير ومنكم أمير؟ لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبداً.

وقال[1]: روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز انّ سلمان والزبير والأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليّاً، قال: وقال سلمان يومئذ: أصبتم ذا السن منكم وأخطأتم أهل بيت نبيكم لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ولأكلتموها رغداً.

قال (ص ١٣٢): وقال أبو بكر أحمد بن عـبد العـزيز: غـضب رجـال مـن المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة وغضب علي والزبير.

---

(١) ج ١ ص ١٣١ عند تعرضه لحديث السقيفة أيضاً.

قال: وقال أبو بكر بسنده الذي ينهيه إلى أبي سعيد الخدري قال: سمعت البراء بن عازب يقول: لم أزل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله تخوفت أن يتمالأ قريش على اخراج هذا الأمر عن بني هاشم فأخذني ما يأخذ الواله العجول ـ إلى أن يقول ـ فمكثت أُكابد ما في نفسي فلما كان بليل خرجت إلى المسجد فلما صرت فيه تذكرت اني كنت أسمع همهمة رسول الله بالقرآن فامتنعت من مكاني فخرجت إلى الفضاء فضاء بني بياضة واجد نفراً يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم فعرفوني وما أعرفهم فدعوني اليهم فأتيتهم فأجد المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسي وأبا ذر وحذيفة وأبا الهيثم بن التيهان وإذا حذيفة يقول لهم: ليكونن ما أخبرتكم به والله ما كذبت ولا كذبت وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين، ثمّ قال: ائتوا أبي بن كعب فقد علم كما علمت قال: فانطلقنا إلى أُبي فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: افتح عليك بابك فإنّ الأمر أعظم من أن يجري من وراء حجاب، قال: ما أنا بفاتح بابي وقد عرفت ما جئتم له كأنكم اردتم النظر في هذا العقد؟ فقلنا: نعم، فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم، قال: فالقول ما قال وبالله ما يفتح عني بابي حتى تجري على ما هي عليه جارية، ولما يكون بعدها شر منها وإلى الله المشتكى.

وقال (ص ١٣٤): وقال أبو بكر: وقد روى في رواية أُخرى انّ سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة والمقداد بن الأسود أيضاً وانهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليّاً.

قال أبو بكر: وكان خالد بن سعيد بن العاص من عمال رسول الله على اليمن فلما قبض رسول الله جاء المدينة وقد بايع الناس أبا بكر فاحتبس عن أبي بكر فلم يبايعه أيّاماً وقد بايع الناس وأتى بني هاشم فقال: أنتم الظهر والبطن والشعار

دون الدثار ـ الخ ـ وفي هذه النقول كفاية لتأييد الكلام على هذا الفصل.

فأنت قد تميزت من هذه الفصول على تنوّع حديثها، وانّ الهوى النوعي كان مع علي بن أبي طالب، خصوصاً في قسم الأنصار وأخيار المهاجرين من سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار ومن سواهم ممن كان على وتيرتهم، نعم هناك من مسلمي قريش الذين كانوا حاضري المدينة زمان هذه الحوادث من لا يجنح إلى علي لو خيّر وهم مسلمة الفتح ومن كان على وتيرتهم في ضعف الدين أوّلاً ونكاية علي بهم وبذويهم في متشتتة حروب النبي مع المشركين ثانياً، وهؤلاء لا وزن لهم في الشريعة وان حازوا على بعض الاعتبار بين الناس لسابقة شرفهم في الشرك، ولو انّ عليّاً كا نفارغ البال حين هذه التجمعات ودخل أوساط الجماعات فرأوا شخصه وسمعوا منطقه لما استطاع أبو بكر وعمر أن يقولا للناس بمحضر منه من ينازعنا سلطان محمّد ونحن عشيرته وأولياؤه بالضرورة، لأنّ هذه الحجة مما تبعد بهم عن المرام الذي يقصدانه من استفادة الخلافة دون كل أحد.

وتقرب علي إلى النفوس أكثر من اللازم لالتفات الناس جميعاً إلى انّ هذه المقالة التي اريد بها التخصص بمقام محمّد دون كل مسلم هي ألصق بعلي من نواحي عديدة، ففضلاً عن كونه من عشيرة محمّد ومن أولياءه كونه من بني هاشم ومن بني عبد المطلب وابن أبي طالب شقيق عبد الله أبي النبي وزوج أعز بناته عنده وأشرفهن في نظره، وأبا سبطيه الحسن والحسين، ومن رباه في حجره وآمن به قبل كل أحد، ومن عرض بنفسه في حفظه للهوات الأخطار، ومن قاتل دونه ودون اعلاء كلمته كل من يريدهما بسوء قتالاً قد اشتهر له وعرف به، مضافاً إلى ما سمعوا من النبي في حقه، وغيره ذلك من الملاكات المهمة التي نأتي عليها في فصلها المعدّ لها، وهذه القابليات العظيمة في علي لم تكن لتخفى

على كل من صحب النبي وعرف ابن أبي طالب.

لكن صادف اجتماع الأنصار عند سعد في غيبة من كل أحد سواهم ولا أرى المجتمعين في السقيفة منهم إلّا بعضاً منزوراً بالنسبة إلى عدتهم كلها، فإنّ السقيفة لا تسع أُمة كثيرة العدد أوّلاً، ونفس اخطارهم للحضور جميعاً مما يحتاج إلى وقت ثانياً، واجتماعهم لم يكن إلّا يوم وفاة محمّد وهو مات يوم الاثنين ظهراً وكل حوادث السقيفة من أولها إلى آخرها تمت عصراً أو قبل العصر بحيث لم يبسط الليل جناحه إلّا والقضايا كلها متصرمة والخلافة منعقدة. ويعطيك هذه الصورة خبر البراء بن عازب فيما سلف لك، وكما يأتي أيضاً، فهذه الساعات القصار ضربت بعضاً في بعض وألهت الجميع عن تصفح منادح القول والحجة فلم يعرف الأنصاري رشده ساعة حضوره عند سعد لانشغاله بالاستماع لحديثه، وفي نفس الوقت حضر أبو بكر وعمر فتبدل المجلس إلى اللجاج والتنافس وبأسرع وقت حرك الحسد بشير بن سعد إلى أن يصامد الرجلين ويبايعهما وعلى أثره صارح الأوس بمنوياتهم وفتّوا بعضد الخزرج فانهالوا على أبي بكر يبايعونه، ثمّ انجرفت هذه الغوغاء من السقيفة إلى المسجد لا تعثر بأحد إلّا وتأخذ بيده لبيعة أبي بكر رضى ذاك الإنسان أو أبى.

قال البراء بن عازب [١]: لم أزل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله خفت أن تتمالأ قريش على اخراج هذا الأمر عنهم فأخذني ما يأخذ الواله العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي في الحجرة واتفقد وجوه قريش فاني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر،

(١) ج ١ ص ٧٣ من الشرح الحديدي.

فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة وهم محتجزون بالازر الصنعانية لا يمرون بأحد إلّا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلي وخرجت أشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر، أما انّي قد أمرتكم فعصيتموني فمكثت أُكابد ما في نفسي ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعماراً وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين وبلغ ذلك أبا بكر وعمر فأرسلا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأي، وتتمة الحديث تأتي مستقبلاً.

فأنت ترى انّ هذه الحادثة كم أُخذ فيها من السرعة والعنف حتى امتلكت وانها انتهبت انتهاباً، فكانت من الفلتات الغريبة التي استشرى شرها في طبقات المسلمين فولدت الأحزاب القوية والعصبيات النازعة اغراقاً في صميم الأفئدة وإن كان عمر يقول في حقها: انّ الله وقى شرها ـ لا ـ لم يوق شرها، لا بادئاً لما فيها من الاعنات بعباد الله من ناحية والاجحاف بآل الله من ناحية ثانية؛ ولا أخيراً لما ولدت من هذا التحيّز بين الناس فصاروا فرقاً شتى سنية وشيعية غلاة ونواصب كما قسمت الدين إلى قسمين ففتوى سنية مأخوذة عن عمر وابن عمر وفتوى شيعية مأخوذة عن علي وآل علي، وأيّ شرّ أعظم من هذا الشر. وأمّا سلاسل الانفراجات التي استقت من ينبوع السقيفة فما أكثرها وكل الجنايات الحادثة فيما بين الناس من ذاك التاريخ إلى هذا اليوم وإلى ما بعد وليدة ذاك التمخض العنيف وليس بي الساعة أن أعدد لك مجملات هذه الجنايات كيف وهذه السلاسل المهمة للحوادث التاريخية التي دون المحفوظ منها في عشرات

المجلدات بأسرها تشرب من تيك العين الحمئة بارتباط صريح لا يجهله أي كاتب لذلك وأي قارىء له.

ولا ريب انّ هذه الخلافة لو كانت عن حسن تفاهم وعن اطلاع من بني هاشم واخيار المهاجرين وطوائف الأنصار لما طلبها سعد لنفسه، ولو كان في بدوه زواها في ذهنه لعدل عنها في مثل هذا المجتمع المفروض ولكانت سهم علي بلا ريب بعد أن يبايعه بنو هاشم وسلمان وعمار وأبو ذر والمقداد والزبير وغير اولئك ممن لا أحصيه عداً ولحصل المجال لبشير بن سعد والأوس في النزوع عن سيادة سعد وخلافته ولما طلعت إلى جامعة المتدينين اوليات أبي بكر وعمر ولا كانت حوادث الشورى وانقلابات حصر عثمان ولما سار طلحة والزبير بعائشة إلى حرب البصرة ولما دار في المخيال حديث صفين ووقعة النهروان وقتل الشيعة القتل الذريع وسبّ علي على المنابر، ولما كان زياد والحجاج ويوسف بن عمر ويزيد بن معاوية، ولما جزر آل أبي طاب بل آل الله في طف كربلاء ذاك التجزير الفظيع، ولما، ولما، ولما، إلى آخر ما تشاء أن تقول؛ فيا عمر الخطاب أي شرّ وقيناه من هذه الفلتة المتعوسة، وكل فلتة بمقدارها يكون شرها فإنّ الآثار الوضعية لا تتفلت على منابعها بقهر الطبيعة.

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع

كيف قتل سعد بن عبادة ومن قتله؟

قال ابن عبد ربه الأندلسي [١] عند تعرضه للمتخلفين عن بيعة أبي بكر: وأمّا سعد بن عبادة فإنّه رحل إلى الشام. أبو محمّد عن الكلبي قال: بعث عمر رجلاً إلى الشام فقال: ادعه إلى البيعة واحمل له بكل ما قدرت عليه فإن أبى فاستعن الله عليه، فقدم الرجل الشام فلقيه بحوران في حائط فدعاه إلى البيعة فقال: لا أُبايع قرشياً أبداً، قال: فاني أقاتلك، قال: وإن قاتلتني، قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأُمّة؟ قال: أمّا من البيعة فأنا خارج، فرماه بسهم فقتله.

وقال ابن أبي الحديد [٢]: وأبوه ـ أي أبو قيس بن سعد ـ سعد رئيس الخزرج وهو الذي حاولت الأنصار اقامته في الخلافة بعد رسول الله ولم يبايع أبا بكر حين بويع، وخرج إلى حوران فمات بها قيل قتلته الجن لأنّه بال قائماً في الصحراء ليلاً، ورووا بيتين من شعر قيل انهما سمعا ليلة قتله ولم ير قائلهما:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

ويقول قوم: انّ أمير الشام يومئذ كمن له من رماه وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الامام، وقد قال بعض المتأخرين في ذلك:

يقولون سعد شكت الجن قلبه ألا ربما صححت دينك بالغدر

---

(١) في كتابه العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٠٥.

(٢) ج ٢ ص ٥٤٠ من شرحه على النهج.

وما ذنب سعد انّه بال قائماً ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر
وقد صبرت عن لذة العيش أنفس وما صبرت عن لذة النهي والأمر

وعين الواقع ما قاله هذا الشاعر، فإنّ الناس قديماً وحديثاً يبول أكثرهم عن قيام في الصحاري وفي البلدان وفي ظلام الليل وفي ضياء النهار فلم نر جنياً قصد أحد هؤلاء بسوء لبوله قائماً في الصحراء ليلاً ولكن هذه المزاعم أُذيعت يومذاك حين كانت هذه الاشاعات تسمع كما تسمع أحاديث أبي هريرة انّ موسى صك ملك الموت ففقأ عينه، وانّ الحجر شرد بثياب موسى، وما إلى ذلك.

وأمّا من اعترف بأنّ ابن الخطاب قتله مصارحاً بذلك وادعى في جهة اباحة قتله انّه خرج عن الطاعة فاعترافه في محله، وامّا خروج سعد عن الطاعة فذاك أوّل الكلام في انسان مفرد لا حزب عنده في محله الذي قتل فيه، ولو انّه أراد التحزيب والتشويش واثارة الفتن لكان ذلك من السهل عليه في دار اقامته التي خرج منها وهي المدينة لا في حوران وهي بلد غربته، ولو كان سعد في المدينة لما استطاع ابن الخطاب أن يقتطف منه شعرة واحدة لما في ذلك من الهياج العمومي لكافة الأوس والخزرج، ولهذه العلة ما استطاع القوم أخذ البيعة منه يوم السقيفة ولا بعده في حال انهم أضرموا بيت فاطمة ناراً لما تخلف علي عن البيعة لهم لأنّهم لا يجدون في مثل هذا البيت بأساً يقلقهم كما يجدون في بيت سعد، والمنطق معهم في هذه الفذلكات، إلّا انّ قتلهم له بهذه الغيلة وهو منحاز عنهم منفرد بنفسه منعزل عن كل أحد وعن كل شيء يعد من الخبث الغارق نزعاً في النفوس وهكذا كان ابن الخطاب خبيثاً في كل شيء وهذا من نماذجه فقد ابتلت يداه بدم حرام في هذا الرجل دون أقل مبرر ديني أو سياسي.

الفصل الخامس

من هم هواة علي الذين لو خلي سراحهم لما بايعوا غيره؟

وهذا الفصل تستبين نتائجه وتستنير آفاقه مما كتبناه في الفصل الثالث، فإنّ ما ذكرناه في الفصل المزبور يعطيك صورة واضحة عن هواة علي ونزيد ذلك بما نسوقه لك ذيلاً:

روى الحاكم[1] بسنده عن الأسود بن يزيد النخعي قال: لما بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر رسول الله قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا — أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس انّه — أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وانّ قريشاً ما تشق غباره — إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كله — وما فيهم كل الذي فيه من حسن

فهذه الحرارة التي انبعث عنها خزيمة في علي وفضله لم ينبعث بها أي مبايع عرفه التاريخ لأي خليفة يفرض، وهي من الأدلّة الناصعة على انّ عليّاً عند خزيمة هذا الصحابي العظيم من الفضل على مكانة عظيمة بحيث كان لا يتخالجه شك انّ كلما في قريش من خير فهو فيه ولا عكس، فما فيهم كل الذي فيه من حسن، وهذه العقائد قديمة في خزيمة ونظراء خزيمة، وبمثل هذه الحرارة قال

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ١١٤.

حذيفة فيما رواه الحاكم في المستدرك أيضاً[١] بسنده عن أبي راشد قال: لما جاءت بيعة علي إلى حذيفة قال: لا أُبايع بعده إلّا أصعر أو أبتر ـ أي معرضاً عن الحق وذاهباً بنفسه وذليلاً ـ وكما أسلفنا لم يعرف التاريخ في بيعة أحد من الخلفاء ما عرف من مثل هذه المقالة القوية في بيعة علي عليه السلام وهذا من نتائج مزيد العقيدة وقدمها.

وذكر ابن عبد البرّ[٢] عند تعرضه للحارث بن غزية الصحابي: انّ الحارث بن غزية هذا هو القائل يوم الجمل: يا معشر الأنصار انصروا أمير المؤمنين آخراً كما نصرتم رسول الله أوّلاً، انّ الآخرة لشبيهة بالأُولى، إلّا انّ الأُولى أفضلهما. وهذه مقالة تعرب عن قديم المعرفة وعظيم العقيدة لم تسمع من انسان في حق انسان ما سوى علي بن أبي طالب.

وذكر اليعقوبي[٣] عند تعرضه لبيعة علي وخلافته: وقام قوم من الأنصار فتكلموا وكان أوّل من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وكان خطيب الأنصار فقال: والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك في ما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك.

ثمّ قام خزيمة بن ثابت الأنصاري وهو ذو الشهادتين فقال: يا أمير المؤمنين ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب إلّا اليك ولئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت

---

(١) ج ٣ ص ١١٥.

(٢) ج ١ ص ٣٠٦ من الاستيعاب.

(٣) ج ٢ ص ١٥٥ من تاريخه.

أقدم الناس ايماناً وأعلم الناس بالله وأولى بالمؤمنين برسول الله لك ما لهم وليس لهم مالك .

ثمّ قام صعصعة بن صوحان فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ، ولهي إليك أحوج منك اليها .

ثمّ قام مالك بن الحارث الأشتر فقال : أيّها الناس هذا وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء العظيم البلاء الحسن الغناء الذي شهد له كتاب الله بالايمان ورسوله بجنة الرضوان من كملت فيه الفضائل ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر والأوائل .

ثمّ قام عقبة بن عمرو فقال : من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان والامام الأهدى الذي لا يخاف جوره والعالم الذي لا يخاف جهله .

ومما يدل على تبادل العواطف وقرب الروحيات بين علي والأنصار قوله عليه السلام [١] في مدح الأنصار : هم والله ربو الإسلام كما يربي الفلومع غنائهم بأيديهم السباط وألسنتهم السلاط . وقال الشارح المعتزلي عقيب ذلك : وقالت الأنصار لولا علي بن أبي طالب في المهاجرين لأنفنا لأنفسنا أن يذكر المهاجرون معنا أو أن يقرنوا بنا ، ولكن ربّ واحد كألف بل كألوف .

والحديث في هذا الموضوع طويل ربما تأتي له تتمة في أثناء الفصول والأبحاث الآتية .

❊ ❊ ❊

(١) ج ٤ ص ٥٠٦ من النهج الحديدي .

الفَصْلُ السَّادِسُ

هل خصّ أبو بكر وعمر بذل الرشوة بالعباس أم هناك غير العباس ممن بذلت له الرشوة؟

الرشوة تاريخها بعيد في الزمان، وقد حرّمها الإسلام جد التحريم، لكن جددها الشيخان يوم السقيفة بصور بديعة، فمن ذلك ما عن البراء بن عازب [١] وقد سلف صدر هذه الرواية آنفاً: فمكثت أُكابد ما في نفسي ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعماراً وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين وبلغ ذلك أبا بكر وعمر فأرسلا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأي فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذه الامرة نصيباً ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال: انّ الله ابتعث لكم محمّداً ﷺ نبياً وللمؤمنين ولياً فمنّ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أُمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين فاختاروني عليهم والياً ولأُمورهم راعياً فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين يتخذكم لجئاً فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع فاما دخلتم

---

(١) ج ١ ص ٧٤ من الشرح الحديدي.

فيما دخل فيه الناس أو صرفتموهم عمّا مالوا إليه فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ ومكان أهلك ثمّ عدلوا بهذا الأمر عنكم وعلى رسلكم بني هاشمم فإنّ رسول الله منا ومنكم فاعترض كلامه عمرو خرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد واتيان الأمر من أصعب جهاته فقال: أي والله وأُخرى انا لم نأتكم حاجة اليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتهم.

ثمّ سكت فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: انّ الله ابتعث محمّداً نبياً كما وصفت ولياً للمؤمنين فمنّ الله به على امته حتى اختار له ما عنده فخلى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوى، فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم ما تقدمنا في أمركم فرطا ولا حللنا وسطا ولا نزحنا شحطا فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤممنين فما وجب إذ كنا كارهين، وما أبعد قولك انهم طعنوا من قولك انهم مالوا اليك، وأمّا ما بذلت لنا فإن يكن حقك أعطيتناه فأمسكه عليك وإن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه وإن يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض، وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه ولكن للحجة نصيبها من البيان، وأمّا قولك انّ رسول الله منّا ومنكم فإنّ رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، وأمّا قولك يا عمر انك تخاف الناس علينا فهذا الذي قدمتموه أوّل ذلك وبالله المستعان ـ اهـ وقد وطأ كافة المؤرخين على هذا العقب من هذا الحديث.

وقد أخطأ الشيخان في كلّ ما أدليا به من حجة يزعمان انها من المنطق، وأصاب العباس في كل حرف من جوابه لهما ونقضه عليهما، ولو كان هذا الحوار

في محكمة عدل وانصاف لمشى الحكم الصارم على رجلي تيم وعدي من جراء هذا التعدي الفاحش على حق أهله، ولفاز العباس بنجاح الجلسة ولكـان هـذا الحجر الأساسي بعض الدعائم التي تقوم عليها خلافة علي وبقية الدعـائم هـي المواهب العالية والمؤهلات الثمينة والقابليات الفاضلة التي يختص بها علي في ذاته خارجاً عن كل ملاك يشترك مـعه غـيره، ودونك وجـه الخـطأ فـي مـقال الجماعة والصواب في مقالة العباس.

أمّا قول أبي بكر فخلى على الناس أُمـورهم ليـختاروا لأنـفسهم، فـتفسيره اللازم سيأتي في الفصول الآتية بتوسع، وقوله: متفقين غير مختلفين فهو عليه لا له لأنّ خلافته كما قرأت عنها اغتصاب وانتهاب وإعـنات بـعباد الله واجـحاف بحقوق آل الله فضلاً عن التعدي الشائن والجسارات الممقوتة وستقرأ عـن هـذا فيما يجيء.

وقوله: وما انفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قوله عامة المسلمين، فـهو كسابقه يعود عليه وليس له، لأنّ العامة الذين ادعى اتفاقهم معه فضلاً عن كون كثير منهم اختطفوا للبيعة من عرض الطريق هم في أنفسهم لا وزن لهم لأنّهم من هذا الغثاء الذي لا قيمة لدنياه ولا أهمية لدينه وممن يلفه الرهج السائد في أوّل زوبعة والطاعنون عليه هـم أهـل السـوابـق والفـضائل والشـخصيات الديـنية والمقامات الوزينة عند الله ورسوله وقد تقدم عرض من القول فيهم.

وقوله: نحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك فهذا منه أوّل بيع لدين الله وعبث بحقوق عباده، وارشاء لحيازة السلطان في خـاصة نفسه بحقوق الغير التي ائـتمن عـلى حـفظها وإن يكـن تألف النـبي نـاساً مـن المشركين بأموال غنمها المسلمون فذاك لأن يسلموا لا لأن يترأس عليهم محمّد بن عبد الله. والعباس بن عبد المطلب هو وعقبه الموجود زمان هذه الحادثة كانوا

مسلمين معترفين بالله وبنبوة رسوله فهم إذاً ليسوا من مظان التألف ولا الذي بذله أبو بكر لهم من جنس ما تألف به النبي مشركي عصره، فإنّ النبي بذل الدراهم وحدها وقد اريد منه قبل أن تكفله جماعة الأنصار وتتعهد بحمايته حين كان أحوج الناس إلى الاتباع والأعوان أن يسمح بالرياسة من بعده لعشائر مهمة من المشركين حتى يقوموا بنصره فامتنع عليهم كل الامتناع وأبو بكر أراد أن يقطع العباس وآله من جانب علي لجانبه هو وان يعطيه طرفاً من رياسة المسلمين لا طرفاً من ماله الخاص إن كان له مال، فكم من فرق بين الحالين.

وقوله: وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ ومكان أهلك ثمّ عدلوا بهذا الأمر عنكم، فمزور مكذوب لأنّك قرأت في البحوث الآنفة ان مجتمع السقيفة لم يحصل فيه أقل تشاور في موضوع الخلافة والذي كان فيه ليس إلّا اللجاج والتعنت والتنافس وحضارها من المهاجرين لم يزيدوا على ثلاثة، وبعد الخروج عن محوطة السقيفة بمن بايع من الأنصار أخذ الانتهاب مأخذه من أيدي المستطرقين بالبسط على يد أبي بكر للمبايعة وهلم دواليك، ولم يشعر آل الرسول وغيرهم بوقوع هذه الحادثة إلّا بعد أن مشت القضايا في مجاريها كيفما جرت، وأراد عدة من عظماء المسلمين اعادة الأمر كأن لم يكن مسبوقاً بشيء فلم يتيسر لهم، لخروج الأوضاع عن مجاريها العادية.

وقد كذب عمر في قوله: انا لم نأتكم حاجة اليكم، فإنّه لم يدعه إلى المجيء للعباس ورضخ الرضائخ له إلّا حاجته إليه وهو قطعه عن جانب علي لتخف كفته وتسهل مخالفته وما حرك الجمع إلى هذا المجيء إلّا ما طرق أسماعهم من انّ جماعة من أجلّاء الصحابة من أنصار ومهاجرين يريدون اعادة الأمر شورى ولم يرضوا بهذه البيعة.

وقد ردّ العباس على فقرات ما جاء في كلامهم بأحسن ردّ فقال: على فرض

انّ النبي ﷺ وسع على الناس في الاختيار لأنفسهم، لكن ذلك مشروط باصابة الحق بعد تصفح مظانه ومجانبة الهوى المردي والبعد عن التسويلات النفسانية.

وقد أصاب العباس انصافاً محز الواقع بقوله: فإن كنت برسول الله طلبت الخلافة لنفسك فذاك حقنا المختص بنا، وقد اغتصبته من عندنا بالصراحة، وان كنت بالمؤمنين فنحن حدّ الأقل من حلقات سلسلتهم فمتى خايرتنا وطلبت رضانا حتى رضينا بك خليفة علينا، اذاً فكيف وجبت لك الامارة علينا وعلى من سوانا ونحن كارهون لها ورضا من رضى بك لا يسد ما لنا من ثغرة بواضح الضرورة، وأمّا ما بذلت لنا فإن كان من حقوقك الاختصاصية بك فنحن أغنياء عنها كما كنا أغنياء عنك آنفاً، وإن كان حق المؤمنين فكيف يجوز لك أن تخون أمانتهم التي ائتمنوك عليها كما لا يجوز لنا أن نتصرف به عن غير رضا منهم، وإن كان حقنا فما توسطك فيه ودخالتك في منحه وحبسه.

وقد ألقمه حجراً بقوله: فإنّ رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، أي أنتم أجانب ونحن أجزاء فكم الفاصلة ليت شعري بين الأجنبي عن الشيء وبين جزء ذلك الشيء بالنسبة إليه؟ وهكذا ما أصلب قوله لعمر: وأمّا قولك يا عمر انك تخاف الناس علينا فهذا الذي قدمتموه أوّل ذلك، وهو بتجهمه وتشدده علينا واستخفافه بحقوقنا وحيثياتنا يشعر بوضوح انّ ما يأتي علينا أشد وأنكى؛ وقد صدقت فراسة العباس فإنّ التوهين الذي دخل على أهل البيت في حوادث السقيفة هو الذي جرأ عليهم حتى أوباش الناس إلى أن أدّى تنزل التوهين بهم أن يفتخر الأعرابي الجلف على رؤوس الأشهاد بسب علي وبغضه، ولا أرى درجة في التوهين تنحط عن هذه الدرجة وباني هذا الأساس المتعوس هو رجلا تيم وعدي بلا تحاش منهما.

وقول العباس: وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه ولكن للحجة نصيبها من البيان، معناه انني آيس من انصرافك ـ كيف وكلمات عمر: انّا لم نأتكم حاجة اليكم ـ قريبة من سمعه راسخة في نفسه فهو يعلم علماً قاطعاً انّه لو كال لهم الحجج والبراهين بأوفي مكيال لما أثر في عواطفهم أقل أثر، كيف وهم قد قنصوا صيداً ما كان في حسبانهم أن يقنصوه بهذه السرعة وقلة المؤنة ولكن لله في خلقه أسرار وشؤون، فمن يرى انّ الحجاج بن يوسف على هويته الساقطة يحكم المشارق والمغارب باطلاق سراح وبحرية أوسع من محيط الأرض والسماء لا يعود يستكثر حكومة ابن أبي قحافة وابن الخطاب على آل الله وآل الرسول بتلك الحكومة اليابسة والخطة الرعناء.

وروى ابن عبد ربه [١]: عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو سفيان غائب في مسعاة أخرجه فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما انصرف لقى رجلاً في بعض طريقه مقبلاً من المدينة فقال له: مات محمّد، قال: نعم، قال: فمن قام مقامه؟ قال: أبو بكر، قال أبو سفيان: فما فعل المستضعفان علي والعباس؟ قال: جالسين، قال: أما والله لئن بقيت لأرفعن من أعقابهما، ثمّ قال: اني أرى غبرة لا يطفئها إلّا دم فلما قدم المدينة جعل يطوف في أزقتها ويقول:

بني هاشم لا يطمع الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلّا فيكم واليكم ... وليس لها إلّا أبو حسن علي

فقال عمر لأبي بكر: انّ هذا قد قدم وهو فاعل شراً، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) في كتابه العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٠٤.

يتألفه على الإسلام فدع له ما بيده من الصدقة، ففعل فرضي أبو سفيان وبايعه، وذكر ابن أبي الحديد مثل هذا عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز فراجع [١].

قد أسلفنا انّ تألف النبي لهذا وأمثاله إنّما كان لتحصيل الإسلام فيهم لا لأن يتأمر عليهم وأبو سفيان في هذه الحادثة كان بظاهر الإسلام كما كان في عهد رسول الله لكنه لم يكن في ظاهره راضياً بخلافة أبي بكر فأرضاه أبو بكر ببيت مال المسلمين لمنفعة تعود لخاصة نفسه وليس للمسلمين فيها نصيب، فإنّ ولاية غير أبي بكر على المسلمين ان لم تكن أحسن من ولايته عليهم لا تكون أسوأ بطبيعة الحال خصوصاً والمنوه به هو علي لا غيره.

وذكر ابن أبي الحديد [٢] فقال: وكان أوّل من بايعه بشير بن سعد والد النعمان بن بشير، فلما اجتمع الناس على أبي بكر قسم قسماً بين نساء المهاجرين والأنصار فبعث إلى امرة من بني عدي بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت فقالت: ما هذا؟ قال: قسم قسمه أبو بكر للنساء، قالت: أتراشونني عن ديني والله لا أقبل منه شيئاً فردته عليه.

وليس بنا استقصاء جزئيات هذه الأمور فإنّها كثيرة والتبعيضات في هذا لخلافات الجائرة وفيرة ربما نتعرض لبعض منها في أثناء مباحثنا هذه، وانك تجد الفرق الواضح بين هذه السيرة المرموزة وسيرة علي منذ أوّل خلافته إلى منتهاها.

ذكر اليعقوبي [٣] كما ذكر غيره تحت عنوان: مبايعة الناس لعلي بعد عثمان:

---

(١) ج ١ ص ١٣٠.

(٢) ج ١ ص ١٣٣ من الشرح الحديدي في ضمن نقوله عن حادثة السقيفة.

(٣) ج ٢ ص ١٥٤ من تاريخه.

وبايع الناس إلّا ثلاثة نفر من قريش مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة وكان لسان القوم ، فقال : يا هذا انك قد وترتنا جميعاً ، امّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر ، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر ، وكان أبوه من نور قريش ، وامّـا مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه أفتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفو لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا ؟ فغضب علي عليه السلام وقال : أمّا ما ذكرت من وتري اياكم فالحق وتركم ، وامّا وضعي عنكم ما في أيديكم فليس لي أن أضع حق الله ، وأمّا عفوي عمّا في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم ، وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً ولكـن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق على الحق فـالباطل عـليه أضيق وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم .

هكذا تكون الحرية الصادقة والدين الصحيح والسيرة العادلة ومـثل هـذا لم يوجد عند أحد أصلاً ما سوى الأنبياء فقط ولا بدع فعلي من محمّد كهارون من موسى .

❊ ❊ ❊

الفَصلُ السّابعُ

كيف كان لون الهجوم على بيت فاطمة وعلي؟

قال ابن عبد ربه الأندلسي [١]: الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر علي والعباس والزبير وسعد بن عبادة، فأمّا علي والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار.

وذكر ابن قتيبة [٢] تحت عنوان: كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه؟ قال: انّ أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل: إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن. فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً فإنّه زعم انّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن فوقفت فاطمة على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا، فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر: لقنفذ وهو مولى له: ادع لي عليّاً، قال: فذهب إلى علي فقال: ما حاجتك؟ قال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال: لسريع ما كذبتم على رسول الله، فرجع فأبلغه الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً

---

(١) ج ٢ ص ٢٠٥ من عقده.

(٢) في الإمامة: ج ١ ص ١٢.

فقال عمر الثانية لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه فقل انّه يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به فرفع علي صوته فقال: سبحان الله لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً.

ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلا صوتها: يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكائها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك، قال: تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم.

وفي تاريخ اليعقوبي [١]: وبلغ أبا بكر وعمر انّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار وخرج علي ومعه السيف فلقيه عمر فصارعه عمر فصرعه وكسر سيفه ودخلوا الدار خرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار.

أقول: قوله: وخرج علي ومعه السيف تحريف، والصحيح فخرج الزبير.

وفي تاريخ الطبري [٢]: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة، فخرج عليه الزبير

---

(١) ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) ج ٣ ص ١٩٨.

مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه.

وفي (ص ١٩٩): وتخلف علي والزبير واخترط الزبير سيفه وقال: لا أغمده حتى يبايع علي فبلغ ذلك أبا بكر وعمر فقال عمر: خذوا سيف الزبير فاضربوا به الحجر، قال: فانطلق اليهم عمر فجاء بهما تعباً وقال: لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان فبايعا.

وذكر ابن أبي الحديد[1] عند تعرضه لشرح قوله عليه السلام ـ فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت وأغضيت على القذى وشربت على الشجا وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمرّ من طعم العلقم ـ فقال: اختلفت الروايات في قصة السقيفة، فالذي تقوله الشيعة وقد قال قوم من المحدثين بعضه ورووا كثيراً منه انّ علياً عليه السلام امتنع من البيعة حتى أُخرج مكرهاً، وان الزبير بن العوام امتنع من البيعة وقال: لا أُبايع إلّا علياً، وكذلك أبو سفيان بن حرب وخالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس والعباس بن عبد المطلب وبنوه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وجميع بني هاشم وقالوا: انّ الزبير شهر سيفه فلما جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم قال في جملة ما قال: خذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر، ويقال انّه أخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجراً فكسره وساقهم كلهم بين يديه إلى أبي بكر فحملهم على بيعته، ولم يتخلف إلّا علي وحده فإنّه اعتصم ببيت فاطمة فتحاموا اخراجه منه قسراً وقامت فاطمة إلى باب البيت فأسمعت من جاء يطلبه فتفرقوا وعلموا انّه بمفرده لا يضر شيئاً فتركوه، وقيل: انهم أخرجوه فيمن أُخرج وحمل إلى أبي بكر فبايعه.

---

(١) ج ١ ص ١٢٢.

وقد روى أبو جعفر الطبري كثيراً من هذا، فأمّا حديث التحريق وما جرى مجراه من الأمور الفظيعة وقول من قال انهم أخذوا عليّاً يقاد بعمامته والناس حوله فأمر بعيد، والشيعة تنفرد به، على انّ جماعة من أهل الحديث قد رووا نحوه وسنذكر ذلك.

أقول: لم يستبعد ابن أبي الحديد إلّا أمراً واقعاً قد احتضنه العيان وما أسلفناه صفحة من أدلته والذين ذكروه من أهل السنة وأغلبهم معروفون بالتعصب فلا وزن لاستبعاده، وما نذكره لاحقاً عنه وعن غيره مما يجعل المطلب في وضوحه كالشمس الطالعة.

وعن ابن أبي الحديد (١) من جملة رواية له عن أحمد بن عبد العزيز قال: لما بويع لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى علي وهو في بيت فاطمة فيتشاورون ويتراجعون أُمورهم، فخرج عمر حتى دخل على فاطمة وقال: يا بنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب الينا من أبيك وما من أحد أحدب الينا منك بعد أبيك وأيم الله ما ذاك بمانعي أن اجتمع هؤلاء النفر عندك ان آمر بتحريق البيت عليهم.

وقال في حديثه (٢) عن تمنيات أبي بكر عند موته: فأمّا الثلاث التي فعلتها وددت اني لم أكن فعلتها فوددت اني لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب.

وروى (٣) عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز قال: لما أكثر في تخلف علي عليه السلام

---

(١) في شرح النهج: ج ١ ص ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه من جميع الوجوه.

(٣) ج ١ ص ١٣١ من شرحه.

عن بيعة أبي بكر واشتداد أبي بكر وعمر عليه في ذلك خرجت أُم مسطح بن اثاثة فوقفت عند القبر وقالت:

كانت أُمور وأنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

وروى ايض عن أبي بكر المذكور [١] قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة وغضب علي والزبير فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر في عصابة منهم اسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش وهما من بني عبد الأشهل فصاحت فاطمة وناشدتهم الله، فأخذوا سيفي علي والزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ثمّ أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا.

وذكر أيضاً [٢] عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري انّ عمر كان يومئذ ـ يعني يوم بويع أبو بكر ـ محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول ألا انّ الناس قد بايعوا أبا بكر، وقال: لما جلس أبو بكر على المنبر كان علي والزبير وناس من بني هاشم في بيت فاطمة فجاء عمر اليهم فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم، فخرج الزبير مصلتاً سيفه فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن لبيد فدق به فندر السيف فصاح به أبو بكر وهو على المنبر اضرب به الحجر قال أبو عمرو بن حماس فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة ويقال هذه ضربة سيف الزبير. قال أبو بكر: وقد روي في رواية أُخرى انّ سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة والمقداد بن الأسود أيضاً وانهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت فخرج إليه الزبير

---

(١) ج ١ ص ١٣٢.

(٢) ج ١ ص ١٣٣ و ١٣٤ من شرحه.

بالسيف وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فنهنهت من الناس.

وروى أيضاً عن الشعبي قال: سأل أبو بكر فقال: أين الزبير؟ فقيل: عند علي وقد تقلد سيفه، فقال: قم يا عمر قم يا خالد بن الوليد انطلقا حتى تأتياني بهما فانطلقا فدخل عمر وقام خالد على باب البيت من خارج فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ فقال: نبايع علياً فاخترطه عم فضرب حجراً فكسره ثمّ أخذ بيد الزبير فأقامه ثمّ دفعه وقال: يا خالد دونكه فأمسكه ثمّ قال لعلي: قم فبايع لأبي بكر فتلكأ واحتبس فأخذ بيده وقال: قم فأبى أن يقوم فحمله ودفعه كما دفع الزبير فأخرجه ورأت فاطمة ما صنع بهما فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله.

وقال عليه السلام عند دفنه لسيدة النساء فاطمة كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره: السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي، ألا انّ لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك فانا لله وانا إليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة وأُخذت الرهينة، امّا حزني فسرمد وامّا ليلي فمسهد إلى أن يتخار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وستنبأك ابنتك بتضافر امتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطلق العهد ولم يخلق منك الذكر ـ الخ ـ.

وفي قوله عليه السلام مع كمال متانته وعظيم تصبره ـ وستنبأك ابنتك بتظافر أُمتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ـ من تأثير هذه الحوادث في قلبه وقلب حليلته فاطمة ما لا يعلمه إلّا الله، إذاً فكم زوى التاريخ المدلس من أطراف حقيقة الهجوم من رجلي تيم وعدي على هذا البيت المقدس على ما اظهر من حواشيه الملتهبة بالنار.

ومن نقول ابن أبي الحديد [١]: وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة منهم اسيد بن حضير وسلمة بن سلامة فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه وخرج اليهم الزبير بسيفه فقال عمر: عليكم الكلب فوثب عليه سلمة فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار ثمّ انطلقوا به وبعلي ومعهما بنو هاشم.

وروى ابن أبي الحديد [٢] عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز بسنده عن ليث بن سعد قال: تخلّف علي عن بيعة أبي بكر فأخرج ملبباً يمضي به ركضاً.

وروى أبو بكر سنده عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد قال: سمعت عليّاً يقول: أما وربّ السماء والأرض ثلاثاً انّه لعهد النبي الأمي إليّ لتغدرنّ بك الأُمّة من بعدي.

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة باسناد رفعه إلى ابن عباس قال: اني لأُماشي عمر في سكة من سكك المدينة يده في يدي فقال: ياابن عباس ما أظن صاحبك إلّا مظلوماً، فقلت في نفسي والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ثمّ مرّ يهمهم ساعة ثمّ وقف فلحقته فقال لي: ياابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلّا انهم استصغروه، فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأُولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر.

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز [٣] عن ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة وغضب علي والزبير فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر في عصابة فيهم اسيد بن حضير

---

(١) ج ٢ ص ٥ من شرحه على النهج.

(٢) ج ٢ ص ١٨ من شرحه.

(٣) ج ٢ ص ١٩ من الشرح الحديدي.

وسلمة بن سلامة فاقتحما الدار فصاحت فاطمة وناشدتهما الله فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا.

قال أبو بكر: وحدثني أبو زيد عمر بن شبة عن رجاله قال: جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم، فخرج إليه الزبير مصلتاً بالسيف فاعتنقه زياد بن لبيد ورجل آخر فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره، ثمّ أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتى بايعوا أبا بكر.

قال أبو بكر: وأخبرني أبو بكر الباهلي عن اسماعيل بن مجالد عن الشعبي قال: قال أبو بكر: يا عمر أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، فقال: انطلقا اليهما ـ يعني عليّاً والزبير ـ فاتياني بهما، فانطلقا فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعددته لأُبايع عليّاً، قال: وكان في البيت ناس كثير منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره ثمّ أخذ بيد الزبير فأقامه ثمّ دفعه فأخرجه وقال: يا خالد دونك هذا فأمسكه خالد وكان في خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر ردءاً لهما، ثمّ دخل عمر فقال لعلي: قم فبايع فتلكأ واحتبس فأخذ بيده فقال قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير حتى أمسكهما خالد وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون وامتلاءت شوارع المدينة بالرجال ورأت فاطمة ما صنع عمر فصرخت وولولت واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن فخرجت إلى باب حجرتها ونادت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ـ اهـ ملخصاً ـ.

أقول: والحديث في ذلك طويل، وفيما ذكرناه حجة واضحة لا تطلب المزيد

فلنتسائل الآن عن مسوغ ذلك ؟ لا ريب انّ أبناء التسنن يجيبون عن مشـايخهم في وجه العذر عن ارتكابهم لهذه الجنايات انّ مصلحة الخلافة اقتضت ذلك لتتم امور المسلمين وتتألف جماعتهم وتبطل كل قالة في هـذا الشأن حـتى يـلتفت الخليفة لفت مصالح الاجتماع وتوسيع نطاق الأُمّة المسلمة عن بال هادىء وأمر مستحكم، ولو انّ أبا بكر ترك عليّاً وسعداً وعباساً وكل من أبى عن بيعته مـمن مضى له ذكر في البحوث الآنفة لكان كثير وساوس الصدر من ناحيتهم، ومشغول البال كثير تشعب الفكر لا يكون منه عمل له وزن ولا يستطيع أن يقوم بكـل مـا تصدر له. هذا غاية ما يعقل مما يريدون الجواب به وقد لا يعبرون عنه كما عبرنا.

ونحن نعتبر هذا الجواب من أوزن الأجوبة التي لا يجوز أن يتخطاها انسان له لب وشعور لكننا نسألهم قبل كل شيء عن موجب الخلافة لأبي بكر حتى نلتزم بهذا الجواب القاطع، وموجب الخلافة الدينية لأي انسـان يـفرض لا يـعدو أن يكون واحداً من اُمور:

الأوّل: النصّ الصريح ممن له ذلك على انسان بخصوصه، انك أنت الخـليفة من بعدي على اُمتي، وهذا مفقود في أبي بكر وأهل هواه عموماً باعتراف أنفسهم جميعاً.

الثاني: أن يكون أفضل أهل زمانه في كل شيء وفيه من القابليات ما ليس في غيره، مضافاً إلى كفاءته التامة لما يراد له علماً وعملاً، وهذا كسابقه مفقود فـي أبي بكر وأهل هواه عموماً والتاريخ الذي حرره أهل هواه له معترف بذلك كـما سيجيء البحث عنه على ان من كان بهذه الميزة هل يجوز له أن يقسر الناس على أن يقدموه بالرغم على آنافهم، هذا أوّل الكلام في ذلك.

الثالث: أن ينتخبه الناس للخلافة عليهم، ولا ريب انّ من شرائط المـنتخب الذي يريد أن يصدر عليه انساناً يخوله أزمة دينه ينبعث ببعثه وينزجر بـزجـره

ويكون من رعيته في الدين أن يكون عارفاً بمضمون ما يصفق به على يد من يبايعه بالخلافة الدينية واقفاً على هويته كماً وكيفاً وانّه هل يستحق هذه الصفقة من يدي ليده لما عنده من بضاعة دينية ثمينة تقدمه على من سواه علماً وعملاً وقابليات فاضلة أو لا ، لا أن يكون الصافق بيده من العوام الذين لا يعرفون معنى ما يصفقون به لبعدهم عن المعرفة كما لا يتدبرون هوية من يصفقون على يده وانّه بالمقياس الذي حررناه فإنّ رعيل العوام كانوا ـ ولا يزالون ـ يعبدون الأحجار والأخشاب بل والأوهام والخرافات المفتضحة ومن يكون بهذه المنزلة في فهمه كيف يحصل له تمييز الفاضل من الجاهل والشقي من التقي وكيف يعقد به ملاك التقديم من التأخير .

وأنت قد قرأت فيما سلف جريان بيعة أبي بكر وان ملفت نظر الرجلين في بدأ الأمر إلى حضور السقيفة هما عويم بن ساعدة ومعن بن عدي وذلك لتوتر قديم كان لهما مع سعد بن عبادة وان مشجعهما بعد ذلك على تنفيذها هو بشر بن سعد وأتباعه والأوس ومن كان في حوزتهم مناوءة لسعد بن عبادة أيضاً ، ثمّ خروجهم من السقيفة محتجزين بالازر الصنعانية لا يمرون بأحد في طريقهم إلّا خبطوه ومدوا يده فمسحوا بها على يد أبي بكر ، رضي ذلك الإنسان أو أبى ، ثمّ تهجمهم على آل الله باللون الذي قرأت عنه وسوقهم للجماعات التي فيه سوقاً عنيفاً للمبايعة أفهذا يقال له انتخاب ؟ أو اعنات وانتهاب ؟ لا بل إنّما هو اعنات وانتهاب كما يعترف رجلا تيم وعدي أنفسهما بذلك .

والانتخاب الصحيح إنّما يكون بتصدر الأخيار الأثبات العارفين له وقيامهم قبل كل أحد به وارشادهم للعوام إلى من يقلدون وتقدمهم أمام الجماهير بعد افصاحهم بقيمة من يقدمونه للبيعة بصفق أيديهم قبل كل أحد على يده ليكون ذلك من البينات الواضحة على صدق القضية وسلامتها من التزويرات والتهم

الباطلة، ولا ريب انّ هذه الصلاحيات منوطة بمثل سلمان الفارسي وعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري والمقداد بن عمر وخزيمة ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وحذيفة بن اليمان ومن كان على هذا الطراز من الأفاضل المعروف دينهم عند كل أحد المشهود لهم بالفضيلة من كل انسان وليس ذلك من شأن الغوغاء والهمج الرعاع والمتهمين في دنياهم البعيدين عن تمييز الصلاحيات.

ولا ريب انّ الحضور الذين قنعوا من الحجة بأن كون الإنسان من عشيرة النبي يكفيه في تقدمه للرياسة الدينية مع علمهم بأنّ في حاضري المدينة ساعة هذا الجدال من هو ألصق بهذه الحجة ممن احتج بها كجميع بني هاشم فضلاً عما في أفرادهم من تفاوت المقامات والصلاحيات ومع ذلك لم يلتفتوا إلى وضوح هذا النقصان من المحتج وان الحجة التي أدلى بها ليحكم حاضري السقيفة لنفسه مما تعود عليه لا له ـ طغام عوام ـ بجميع شراشر وجودهم ليسوا أهلاً لأن يقدموا انساناً ويؤخروا آخر، وأمثال هؤلاء في حاجة ماسة إلى مرشدين يدلونهم على الطريق الصحيح والمرشد من يعرف وزن الحجة من الخطأ والصواب مع دين متمكن فيه يحفظه من التمايل النفساني واتباع الهوى المردي وهذا لا يوجدان في كل انسان إلّا في أمثال اولئك النفر الأفاضل الأثبات.

ألا ترى انّ شيخي تيم وعدي لما كلما العباس بغاية ما زوراه لأنفسهما في تمامية الحجة لهما فيما يظنان كيف لقيا منه انساناً تام العيار في المنطق وكيف نثل كلماتهم واحدة واحدة ونقضها واحدة واحدة بما لا يستطيع انسان أن يخدش رده ولا أن ينقض نقضه.

وفي حين انك قد قرأت فيما سلف انّ الأفاضل المزبورين فضلاً عن انّ شيخي تيم وعدي لم يستشيراهم لهذه المهمة أجبراهم على البيعة اجباراً، وانهم لم يكونوا راضين بهذا العمل وكان هو أهم في رجل غير أبي بكر وعمر

وصارحوا بذلك ، ولكن الوضع المرهب أسكتهم والرأي إنّما يبرز للاطاعة ومن لا طاعة له لا رأي له بواضح الضرورة .

ولا تغتر إذا أسمعك الخصم انّ صحابة النبي بايعوا لأبي بكر ، فما معنى امتناع فلان ، فإنّ اسم الصحابي يطلقونه على كل من رأى النبي وهو بظاهر الإسلام ، ومادة هذا المعنى وسيعة جد السعة ، لانطباقها على أجلاف الأعراب والفسقة والمنافقين والعوام الحفاة من كل شيء ، وليست رؤية النبي في نفسها مما تكهرب الرائي فتغرس فيه روح الفضيلة وتنزع منه نحوة الرذيلة ، ولو كانت كذلك لأثرت حد الأقل على منافقي المدينة الذين عاشرهم وعاشروه مدة عشر سنين وهم مع ذلك كانوا يشاطرون المسلمين الغير المتهمين بالنفاق في العدد ، وأظنك لا يفوتك ما تحدث التاريخ به اليك انّ النبي عندما خرج إلى تبوك خرج في عدة تناهز الثلاثين ألفاً ، وخرج ابن أبي أشهر منافقي المدينة بمثل تلك العدة ثمّ انخزل عن النبي توهيناً له وتضعيفاً به في جماعته ، ومع ذلك كان في جيشه الذي سار به ﷺ إلى تبوك منافقون كثيرون ، وقد مرّ عليك هذا الحديث بتمامه ، فلو كانت الرؤية بل والمعاشرة للنبي مما تزرع في نفس صاحبها روح الايمان والعرفان لأثرت في هذه الجموع المتراصة بل ولا تنس ما حدثك التاريخ به عن ـ شجرة ذات أنواط ـ عندما خرج النبي إلى حنين فقال له أتباعه المتظاهرون بالايمان به : اجعل لنا مثل ما للمشركين يشيرون إلى شجرة ذات أنواط المزبورة ، فقال ﷺ لهم : لم تبعدوا بأرواحكم عن قوم موسى إذ سألوه أن يجعل لهم الهاً كما للأقباط من آلهة .

كما لا يجوز لك أن تنسى حديث اختلافهم ولغطهم عنده ﷺ وهو في مرض موته عندما أمرهم باحضار صحيفة ليكتب لهم ما لا يضلون معه أبداً فعارض عمر في ذلك وقال : حسبنا كتاب الله ، وافترق الحاضرون فرقتين فرقة

تقول: القول ما قال رسول الله وفرقة تقول: القول ما قال عمر. فإنّ هذا شعار عاميتهم بل حيوانيتهم الصرفة، وهل يجيز عاقل لنفسه أن يترك قول نبيه المؤمن به ولا يمتثل أمره الذي ألقاه إليه وإلى غيره ويقول القول ما قال عمر وهو انسان مثله في كونه ملزوماً لاطاعة النبي مسؤولاً بالرضوخ لكل ما يقول به مندرجاً في سلسلة المكلفين بلا مماراة في ذلك في كل انسان يعقل.

فهؤلاء حضار النبي وهؤلاء صحابته غير ما مرّ بك في تحديثنا عن فضائح الكثير منهم آنفاً، اذاً فتهجم أبي بكر وعمر على أي انسان ذكره التاريخ أعم من سعد بن عبادة واولئك الذين خبطوهم في طريق خروجهم من السقيفة إلى المسجد وأخذوا منهم البيعة قهراً ومن احتوى عليه بيت فاطمة من ناس كثيرون في طليعتهم علي بن أبي طالب يعد من الجرائم الدينية المحضة بواضح الضرورة، وكان الهدف منه تشييد شخصياتهم وتأمين رياساتهم كما يفعل كل طالب رياسة ومستهدف سلطان.

فإن قلتَ: نحن نعترف لك بكل ما قلت ولكن نشكل عليك بفعل علي مع طلحة والزبير وجيش البصرة وبفعله أيضاً مع معاوية بن أبي سفيان وبأهل النهروان فما الجواب؟

قلنا: لا مشابهة بين المقامين من جميع الوجوه، فإنّ طلحة والزبير مما ثبت بالنقول المستفيضة أنهما بايعاه طائعين غير مكرهين، ثمّ غدرا به ونكثا بيعته لا لداع معقول، وخرجا بعائشة يدعيان المطالبة بدم عثمان الذي ما قتله إلّا دعايتهم ضده، وسيجيء بيان ذلك مشروحاً فكفاً لافسادهما خرج عليهما، ولو انهما نكثا وجلسا ساكتين هادئين كسعد بن أبي وقاص وأُسامة بن زيد وابن عمر لما تعرض لهما بأقل شيء، وهنا تتبين عفة علي وعظمة نفسه من خبث رجلي تيم وعدي، فإنّ علياً لم يزاحم النفر المذكورين عندما تخلفوا عن بيعته بشيء

وشيخا تيم وعدي فعلا الأفاعيل بالناس عموماً وبآل محمّد خصوصاً في احراز بيعتهما ، على انّ هؤلاء الممتنعين عن بيعته عليه السلام لم يكونوا بمثابة سلمان وأبي ذر وعمار وأشباه هؤلاء الأعاظم من وجوه عديدة لا في عظمة الشخصية ولا انهم كانوا غير مبايعين لانسان قبله حتى يتأنفوا من البيعة له ولا ان من بايعوه قبله كان خيراً منه بواضح الضرورة ، والذي أدرك من هؤلاء خلافة معاوية ومن بعد معاوية أرسل ببيعته إليه مختاراً غير مجبور حتى انّ ابن عمر بايع رجل الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان ولكن الذي غرهم من علي تكرمه وعظمته وهاتان الصفتان لم يجدهما هذا النفر المخذول لا في الذين استخلفوا قبله ولا فيمن بعده وقد قضت الطبيعة أنّ العنف بمثل هؤلاء أجدى وأجدر لكن المتورعين يهمهم من أمر دينهم أكثر مما يهمهم من أمر السلطان وحياز التاج والصولجان .

والذي جرّأ هؤلاء الزعانف ونظرائهم على علي ومقامه العظيم هو ابن الخطاب الذي ما زال يتمنى وجود سالم مولى أبي حذيفة في وجود وحضور من علي ليوليه خلافة المسلمين مباشرة ، وهذا معناه بطبيعة الحال انّ سالماً أرقى في نظره من علي بن أبي طالب ودليله انّه لم يعلق خلافة سالم على الشورى وعلّق خلافة علي على شورى مرموزة نتيجتها بطبيعة وضع تشكيلها عليه لا له فيالله من هذا الخبث .

وأمّا معاوية فقد رآه علي ورآه كل انسان غير علي انّه يطلب الخلافة لنفسه والزعامة على الناس بشبهة الطلب بثأر عثمان وأخذ يجمع الجموع ويثير الفتن ويستخدم السعاة في تمهيد هذه المنويات التي يزويها لنفسه وهذا في نفسه افساد ونثر لجامعة المسلمين ومحق للدين ولو انّ معاوية اتخذ خطة اسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص لما حركه عن مقره الذي يقر فيه ولكنه

وجده طالب رياسة ومثير فتن وخالق حيل وهذا المعنى ليس له في قبال علي الذي صفق على يده للبيعة كل أهل الحل والعقد من معاصريه صحابة وغير صحابة باصرار زائد منهم وتنصل زائد منه كما سيجيء في محله فأين هذا من اجبار رجلي تيم وعدي كل مار ومستطرق ومنجحر في بيته على البيعة من غير مشورة ولا اقامة بينة أو ادلاء حجة. وامّا أهل النهروان فأمرهم أعجب من كل عجيب، فقد ألجأوه بدورهم معه إلى التحكيم وأرادوا الجائه في الأخير إلى نقيض ما صدر منه بادئاً ويظهرون التخشن في ذات الله ويقتلون الناس الأبرياء وعلى مثل هذه التناقضات ولم يكتفوا باظهار عقائدهم شفهياً ولكن عززوا ذلك منهم بالأعمال اليدوية الفاسدة فموجوا الكون بالفتن واثارة الفساد فكان من واجبه كما هو واجب كل مسلم قمع نخوتهم وقلع أُصولهم الخبيثة.

فإن قلتَ: ذكرت آنفاً انّ شيخي تيم وعدي باعتراف صريح منهما يقولان انّ خلافتهما كانت عن انتهاب وتفلت لا عن مشورة وانتخاب فما مدركك على ذلك؟

قلنا: ذكر ابن أبي الحديد [١] فقال: أمّا حديث الفلتة فقد كان سبق من عمر أن قال: انّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. وفسّر ابن أبي الحديد هذه الكلمة فقال [٢]: ذكر صاحب الصحاح انّ الفلتة الأمر الذي يعمل فجأة من غير تردد ولا تدبر وهكذا كانت بيعة أبي بكر لأنّ الأمر لم يكن فيها شورى من المسلمين وإنّما وقعت بغتة لم تمحض فيها الآراء ولم يتناظر فيها الرجال وكانت كالشيء المستلب المنتهب، وكان عمر يخاف أن يموت من

(١) ج ١ ص ١٢٣ من شرحه.

(٢) ج ١ ص ١٢٧ من شرحه المذكور.

غير وصية أو يقتل قتلاً فيبايع أحد من المسلمين بغتة كبيعة أبي بكر فخطب بما خطب به .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز [١] أخبرنا عمر بن شبة عن ابراهيم بن المنذر عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود قال : غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة وغضب علي والزبير فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر في عصابة منهم اسيد بن حضير وسلمة بن سلامة فصاحت فاطمة وناشدتهم الله فأخذوا سيفي علي والزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ثمّ أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا ثمّ قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر اليهم وقال : انّ بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها .

وقد وطأ كل المؤرخين على هذا العقب فذكروا ذلك من غير تحاش ، فالى هنا تجلى لك كمال التجلي انّ القوم استغلوا موت النبي وانشغال آله بتجهيزه واجتماع الأنصار فيما بينهم حينذاك فرصة فعبثوا بما عبث واعنتوا الناس أيما اعنات وأغاروا على آل الرسول في حين انّ الرسول بعد لم يجهز فأساؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اساءات جمة بتركهم له جنازة غير مهتمين بشأنه وفضلاً عن ذلك أوقعوا في هذه الحال بأكابر اصحابه ايقاعاً شائناً واغتصبوهم اغتصاباً واضحاً وأغاروا على أهل بيته اغارة لا يجوز لأخف المسلمين ديناً أن يزويها في نفسه لنبيه فضلاً عن أن يقوم بها يدوياً ، وبعد ذلك تمردهم على حقوق أهله زاعمين انّ النبي لا يورث ، وسيأتي البحث عن ذلك مفصلاً كل ذلك طلباً للرياسة من أسوء مظانها وأتعس وجوهها .

---

(١) ج ١ ص ١٣٢ من الشرح الحديدي.

الفَصلُ الثَّامِنُ

ما كان الداعي لسكوت علي بهذا اللون؟

بطبيعة الحال يسأل السائل فيقول: انّ من هو أدون من علي مقاماً في الشهامة والقوة والشجاعة والغيرة على حيثيته وناموسه لا يصيخ لمثل ما ارتكب من علي بالهجوم على داره وفيها زوجته وأطفاله وأحبائه واخراج من فيها بالعنف والزور والذلة واخراجه هو كذلك يساق به سوقاً عنيفاً ويجرّ إلى البيعة ملبباً يسعى بـه ركضاً، وهنا نحن نرى من شهامة سائر العرب انّه يفني نفسه وكل أفراد اسرته في الدفاع عن حقوق الجار الأجنبي إذا ضامه الغير خسفاً وذلاً فضلاً عـن حـقوق نفسه والدفاع عن حريم حرمه واحترام كيانه، ولا شبهة انّ الشرع يساعده على ذلك، فإنّ الدفاع عن النفس والحريم والحـيثية جـائز، بـل واجب، خـصوصاً وعلي قاطع بأنّ هجوم هؤلاء النفر ومن كان هوى لهم عـلى داره لأجـل تـنفيذ مرامهم وأهدافهم من التعديات التي لا تغتفر، فما الجواب إذاً؟

نعم، الجواب الوحيد هو علمه عليه السلام باليقين المحتم انّه إذا نهض فـنهض مـعه أهل بيته والخلص من أهل هواه انقسم الناس بينه وبين حزب السقيفة قسـمين وعند ذلك يركض النفاق مراكضه ويستغل الفرصة كل من يـريد ديـن الإسـلام بسوء وهم أكثر من الكثير بدليل انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مآخير حياته انتكث عـليه كثير مما أبرمه وارتد عن دينه جملة من القبائل والعشائر وأخذ ذلك يسري في الناس سراية مدهشة ومات النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقضايا على حالها، بل أخذت تزداد التهاباً بموته حتى أثبت المؤرخون انّه لم يبق من لم يـرتد أو يـتوقف إلّا أهـل الحرمين على ما فيهم من منافقين قديمي النفاق ومسـلمين جـدد فـي العـقيدة

ككافة مسلمي الفتح ، وهذه الحوادث كلها منظورة مسموعة ملموسة لعلي بجهار وصراحة فهو قاطع أشد القطع انّ الإسلام الذي ما قام إلّا بقيامه وما تشيّد إلّا بسيفه وما فتح إلّا بتركزه في ميادين حروبه المشهورة إذا لم يتابع القوم على منشودهم بل جمع أشده لمبارزتهم ومقاومتهم يكون تمام انهياره على يده ومحقه تماماً عن مخالفته وتصلبه في امتناعه ، فأرخص نفسه أخيراً لما أرخصها أوّلاً .

وهذا الذي بيّناه شيء محسوس ، وإلّا فما قيمة عمر وهو بمفرده داخل البيت يتل عليّاً تلا ويقيمه قائماً ويدفع به إلى خارج البيت فيأخذه خالد ركضاً إلى المسجد ؟ ولو أراد من هو أدون من علي قوة وبأساً مصارعته ومماطلته لتمكن بطور قاطع أفلا يستطيع علي وهو قالع باب خيبر الذي عجز عدة من الأفراد عن تحريكه وقلبه من وجه إلى وجه والمترس في هذه الحرب نفسها بباب كان عند حصن من حصونها لم يستطع ثمانية نفر ـ بعد أن ألقاه من يده ـ أن يقلبوه ـ وفالق الهامات الضخمة والقاسم لأبدان الأبطال والذي بلغ من قوته وباسه أن كان مضرب المثل في الأيد والفروسية وكان الشجعان لا يعدون الفرار عنه عيباً ولا نقصاً ـ أفلا يستطيع مثل هذا ـ وهو محاصر في بيته أن يفتك برجل واحد أو اثنين أو ثلاثة ، ولو كانوا حاملي سيوف ومسلحين ؟ ـ هذا ما لا يعقل ـ كيف وعلي أحرز في معركة بدر نصف القتلى وفي أُحد نظير ذلك وفي كافة الوقعات كان المجلي بين فرسانها وفي حروبه التي وقعت في خلافته كان يخوض في أوساط عشرات الأُلوف المجهزة فينكل بالجيش كله تنكيلاً ما عرف له التاريخ من نظير . إذاً فاصاخة علي لعمر ومطاوعته له في الانسياق معه ورضاؤه بهذا الهوان من أهم الكواشف عن اثبات دينه وعظيم تورعه ومزيد حبه للاسلام بلا ريب ، وله عليه السلام في ذلك كلمات ومقالات نذكرها تعزيزاً للمقام وإن كان من الوضوح

بمكان.

قال الرضي [١]: ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة: أيّها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير أرضه، فإنّ أقل يقولوا حرص على الملك وإن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أُمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة.

عقّب ذلك الشارح المعتزلي فقال: لما قبض رسول الله واشتغل علي بغسله ودفنه وبويع أبو بكر خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعباس وعلي لاجالة الرأي وتكلموا بكلام يقتضي الاستنهاض والتهييج، فقال العباس: قد سمعنا قولكم فلا لقلة نستعين بكم ولا لظنة نترك آرائكم فامهلونا نراجع الفكر فإن يكن لنا من الاثم مخرج يصر بنا وبهم الحق صرير الجدجد ونبسط إلى المجد أكفاً لا نقبضها أو نبلغ المدى وان تكن الأُخرى فلا لقلة في العدد ولا لوهن في الأيد والله لولا انّ الإسلام قيد الفتك لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحل العلي فحل علي عليه السلام حبوته وقال: الصبر حلم والتقوى دين والحجة محمّد والطريق الصراط، أيّها الناس شقوا أمواج الفتن ـ الخطبة ـ ثمّ نهض فدخل إلى منزله وافترق القوم.

---

(١) ج ١ ص ٧١ من النهج الحديدي.

وذكر الرضي أيضاً [١] فقال: ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولّاه امارتها: امّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين فلما مضى صلى الله عليه وآله وسلم تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي انّ العرب تزعج هذا إلّا من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمئن الدين وتنهنه.

وقال الرضي أيضاً [٢]: من كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان: لقد علمتم اني أحق بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أُمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه ـ هـ ـ وسنتعرض لهذا الفصل عند كلامنا على أوضاع الشورى.

وروى ابن عبد البرّ [٣] عند تعرضه لترجمة رفاعة بن رافع الزرقي الأنصاري من طريق عمر بن شبة عن المدائني عن أبي مخنف عن جابر عن الشعبي قال: لما خرج طلحة والزبير كتبت أُم الفضل بنت الحارث إلى علي بخروجهم فقال علي: العجب لطلحة والزبير انّ الله عزوجل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلنا نحن

---

(١) ج ٤ ص ١٦٤ من النهج الحديدي.

(٢) ج ٢ ص ٦٠ من النهج الحديدي.

(٣) في الاستيعاب: ج ١ ص ٤٩٠.

أهله وأولياءه لا ينازعنا سلطانه أحد فأبى علينا قومنا فولوا غيرنا وأيم الله لولا مخافة الفرقة وأن يعود الكفر ويبور الدين لغيرنا فصبرنا.

وقال ابن أبي الحديد [١]: وقد روي عنه عليه السلام انّ فاطمة عليها السلام حرضته يوماً على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فقال لها: أيسرك زوال هذا النداء من الأرض؟ قالت: لا، قال: فإنّه ما أقول لك.

وذكر ابن أبي الحديد [٢] فقال: وروى الزبير بن بكار قال: لما بايع بشير بن سعد أبا بكر وازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه مرّ أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب فوقف وأنشد:

بني هاشم لا يطمع الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلّا فيكم واليكم ... وليس لها إلّا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم ... فانك بالأمر الذي يرتجى ملي
وأي امرىء يرمي قصياً ورأيها ... منيع الحمى والناس من غالب قصي

فقال علي لأبي سفيان: انك تريد أمراً لسنا من أصحابه وقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهداً فأنا عليه فتركه أبو سفيان.

قال [٣]: وروى الزبير بن بكار قال: روى محمّد بن اسحاق انّ أبا بكر لما بويع فاتخرت تيم بن مرة، قال: وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكون انّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الفضل بن العباس: يا معشر

---

(١) ج ٣ ص ٣٨.

(٢) ج ٢ ص ٧ من شرحه.

(٣) ص ٨ من المجلد المذكور.

قريش وخصوصاً يا بني تيم انكم إنّما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهية الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسداً منهم لنا وحقداً علينا وانا لنعلم انّ عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه، وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب شعراً:

ما كنت أحسب انّ الأمر منصرف — عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم — وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن — جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به — وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردهم عنه فنعلمه — ها ان ذا غبن من أعظم الغبن

قال الزبير: فبعث إليه علي فنهاه وأمره أن لا يعود، وقال: سلامة الدين أحبّ إلينا من غيرها.

❊ ❊ ❊

الفصل التاسع

كيف كانت مغبة الأنصار في أخذ الأمر منهم ومن بني هاشم؟

قد سلف في التحديث عن حوار أهل السقيفة انّ الحباب بن المنذر قال للأنصار عندما سبق بشير بن سعد ولفيفه والأوس ولفيفهم إلى بيعة أبي بكر: فعلتموها يا معشر الأنصار، أما والله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء، قال أبو بكر: أمنّا تخاف يا حباب؟ قال: ليس منك أخاف لكن ممن يجيء بعدك، قال أبو بكر: فإذا كان ذلك كذلك فالأمر اليك وإلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة، قال الحباب: هيهات يا أبا بكر إذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم.

أقول: لقد صدقت كل فراسة الحباب بن المنذر، ولكنها أبعدت في الهدف ولم تدر انّ ارجاف القوم بها حاضر عتيد فإنّ الأنصار ما انفصلت أيديهم من يد أبي بكر في البيعة وشعروا بسوء ما فعلوا إلّا وأخذتهم الكلمات الموجعة من هواة أبي بكر بل من أعداء الإسلام في الواقع وانهالت عليهم التهديدات والتوهينات الخارجة عن الحدّ، ودونك الحديث عن ذلك:

قال الزبير بن بكار [١]: حدثنا محمّد بن موسى الأنصاري المعروف بابن مخرمة عن ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال: لما بويع أبو بكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً،

---

(١) ج ٢ ص ٩ وما بعدها من الشرح الحديدي.

وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه وانّه في داره لم يخرج اليهم وجزع لذلك المهاجرون وكثر في ذلك الكلام، وكان أشد قريش على الأنصار نفر منهم وهم سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان، وهؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا النبي ﷺ ثمّ دخلوا في الإسلام وكلهم موتور قد وتره الأنصار، أمّا سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدخشم يوم بدر، وأمّا الحارث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحه يوم بدر وهو فار عن أخيه، وأمّا عكرمة بن أبي جهل فقتل أباه أبنا عفراء وسلبه درعه يوم بدر زياد بن لبيد، وفي أنفسهم ذلك. فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء فقام سهيل بن عمرو فقال: يا معشر قريش انّ هؤلاء القوم قد سماهم الله الأنصار وأثنى عليهم في القرآن فلهم بذلك حظ عظيم وشأن غالب، وقد دعوا إلى أنفسهم وإلى علي بن أبي طالب، وعلي في بيته لو شاء لردهم فادعوهم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته فإن أجابوكم وإلّا قاتلوهم فوالله اني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم.

ثمّ قام الحارث بن هشام فقال: ان يكن الأنصار تبوأوا الدار والايمان من قبل ونقلوا رسول الله إلى دورهم من دورنا فآووا ونصروا ثمّ ما رضوا حتى قاسمونا الأُمور وكفونا العمل فإنّهم قد لهجوا بأمر إن ثبتوا عليه فإنّهم قد خرجوا مما وسموا به وليس بيننا وبينهم معاتبة إلّا السيف، وان نزعوا عنه فقد فعلوا الاولى بهم والمظنون معهم، ثمّ قام عكرمة بن أبي جهل فقال: والله لولا قول رسول الله: الأئمّة من قريش ما أنكرنا امرة الأنصار ولكانوا لها أهلاً ولكنه قول لا شك فيه ولا خيار معه، وقد عجلت الأنصار علينا والله ما قبضنا عليهم الأمر ولا أخرجناهم من الشورى وانّ الذي هم فيه من فلتات الأُمور ونزغات الشيطان وما لا تبلغه المنى ولا يحمله الامل اعذروا إلى القوم فإن أبوا فقاتلوهم فوالله لو

لم يبق من قريش كلها إلّا رجل واحد لصير الله هذا الأمر فيه.

قال: وحضر أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش انّه ليس للأنصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقروا بفضلنا عليهم فإن يفعلوا فحسبنا حيث انتهى بنا وإلّا فحسبهم حيث انتهى بهم، وأيم الله لئن بطروا المعيشة وكفروا النعمة لنضربنهم على الإسلام كما ضربونا عليه، فأمّا علي بن أبي طالب فأهل والله أن نسوده على قريش وتطيعه الأنصار فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال: يا معشر الأنصار إنّما كان إنّما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش، فأمّا إذا كان من أهل الدنيا لا سيما من أقوام كلهم موتور فلا يكبرن عليكم، إنّما الرأي والقول مع الأخيار من المهاجرين، فإن تكلمت رجال قريش الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء فعند ذلك قولوا ما أحببتم وإلّا فأمسكوا، وقال حسان بن ثابت يذكر ذلك:

تنادى سهيل وابن حرب وحارث ... وعكرمة الشاني لنا ابن أبي جهل

قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه ... فأصبح بالبطحا أذل من النعل

فأمّا سهيل فاحتواه ابن دخشم ... أسيراً ذليلاً لا يمر ولا يحلي

وصخر بن حرب قد قتلنا رجاله ... غداة لوا بدر فمرجله يغلي

وراكضنا تحت العجاجة حارث ... على ظهر جرداء كباسقة النخل

يقلبها طوراً وطوراً يحثها ... ويعدلها بالنفس والمال والأهل

اولئك رهط من قريش تبايعوا ... على خطة ليست من الخطط الفضل

وأعجب منهم قابلوا ذاك منهم ... كانا اشتملنا من قريش على ذحل

وكلهم ثان عن الحق عطفه ... يقول اقتلوا الأنصار يا بئس من فعل

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف ... صروف الليالي والبلاء على رجل

بـذلنا لهـم انـصاف مـال أكـفنا — كقسمة أيسار الجـزور مـن الفـضل
ومن بعد ذاك المـال انصاف دورنـا — وكـنا أنـاساً لا نـعير بـالبخل
ونحمي ذمار الحـي فـهر بـن مـالك — ونوقد نار الحرب بـالحطب الجـزل
فكـان جـزاء الفـضل مـنا عـليهم — جـهالتهم حـمقاً ومـا ذاك بـالعدل

فبلغ شعر حسان قريشاً فغضبوا وأمروا ابن أبي عزة شاعرهم أن يجيبه فقال:

معشر الأنصار خافوا ربكـم — واستجيروا الله من شرّ الفتن
انـني أرهب حـرباً لاقـحاً — يشرق المرضع فيها بـاللبن

إلى آخر ما قال.

قال الزبير: لما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر أكرمت قريش معن بن عدي وعويم بن ساعدة وهما الرجلان اللذان مشيا إلى أبي بكر وعمر بـخبر اجـتماع الأنصار في السقيفة واستحثاهما على حضور هذا المجمع فـاجتمعت الأنـصار لهما في مجلس ودعـوهما فـلما أحـضرا أقـبلت الأنـصار عـليهما فـعيروهما بانطلاقهما إلى المهاجرين وأكبروا فعلهما في ذلك، وقال فروة بن عمرو وكـان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر وكان ممن جاهد مع رسول الله وقاد فـرسين فـي سبيل الله وكان يتصدق من نخله بألف وسق في كل عام وكان سـيداً وهـو مـن أصحاب علي وممن شهد معه يوم الجمل، قال: فذكر معناً وعويماً وعاتبهما على قولهما خلفنا وراءنا قوماً قد حلت دماؤهم بفتنتهم، قالا ذلك لأبي بكـر وعـمر عندما توجها اليهما بخبر اجتماع الأنصار في السقيفة:

ألا قـل لمـعن إذا جـئته — وذاك الذي شيخه ساعدة
بأنّ المـقال الذي قـلتما — خفيف علينا سوى واحدة

مقالكم انّ من خلّفنا مراض قلوبهم فاسدة
حلال الدماء على فتنة فيا بئسما ربّت الوالدة
فلم تأخذا قدر أثمانها ولم تستفيدا بها فائدة

قال: ثمّ اجتمعت جماعة من قريش يوماً وفيهم ناس من الأنصار وأخلاط من المهاجرين وذلك بعدما انصرفت الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه فجاء اليهم فأفاضوا في ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الأمر، فقال عمرو بن العاص: والله لقد دفع الله عنا من الأنصار عظيمة ولما دفع الله عنهم أعظم كادوا والله أن يحلوا حبل الإسلام كما قاتلوا عليه ويخرجوا منه من أدخلوا فيه، والله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله ﷺ الأئمّة من قريش ثمّ ادعوها لقد هلكوا وأهلكوا وان كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين ولا سعد كأبي بكر ولا المدينة كمكة ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة، فلم يجبه أحد وانصرف إلى منزله، فلما بلغ الأنصار مقالته بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن العجلان وكان رجلاً أحمر قصيراً تزدريه العيون وكان سيداً فخماً، فأتى عمراً وهو في جماعة من قريش فقال: والله يا عمرو ما كرهتم من حربنا إلّا ما كرهنا من حربكم وما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن أدخلكم فيه إن كان النبي قال الأئمّة من قريش فقد قال: لو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، والله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا منّا أمير ومنكم أمير، وأمّا من ذكرت فأبو بكر لعمري خير من سعد لكن سعداً في الأنصار أطوع من أبي بكر في قريش، فأمّا المهاجرون والأنصار فلا فرق بينهم أبداً ولكنك يا ابن العاص وترت بني عبد منافس بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه ووترت

بني مخزوم باهلاك عمارة بن الوليد ثمّ انصرف فقال:

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ... ويوم حنين والفوارس في بدر
وأصحاب أُحد والنضير وخيبر ... ونحن رجعنا من قريضة بالذكر

إلى أن يقول

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم ... عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خير قائم ... وان علياً كان أخلق بالأمر
وكان هواناً في علي وانّه ... لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى ... وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر
وصي النبي المصطفى وابن عمه ... وقاتل فرسان الضلالة والكفر

إلى آخر ما قال.

فلما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش غضب كثير منها والفى ذلك قدوم خالد بن سعيد العاص من اليمن وكان رسول الله استعمله عليها وكان له ولأخيه اثر قديم عظيم في الإسلام وهما من أوّل من أسلم من قريش ولهما عبادة وفضل فغضب للأنصار وشتم عمرو بن العاص وقال: يا معشر قريش انّ عمراً دخل في الإسلام حين لم يجد بداً من الدخول فيه فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه وان من كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار والله ما حاربناهم للدين ولا للدنيا لقد بذلوا دمائهم لله تعالى فينا وما بذلنا دمائنا لله فيهم وقاسمونا ديارهم وأموالهم وما فعلنا مثل ذلك بهم وآثرونا على الفقير وحرمناهم على الغنى، ولقد وصى رسول الله بهم وعزاهم عن جفوة السلطان فأعوذ بالله أن أكون واياكم الخلف المضيع والسلطان الجافي.

قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا خالد بن سعيد بن العاص هو الذي امتنع عن بيعة أبي بكر وقال: لا أُبايع إلّا عليّاً، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم، وأمّا قوله في الأنصار: وعزاهم جفوة السلطان فاشارة إلى قول النبي ﷺ: ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تقدموا عليّ الحوض. وهذا الخبر هو الذي يكفر به كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به وذلك انّ النعمان بن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية فشكوا إليه فقرهم وقالوا: لقد صدق رسول الله ﷺ في قوله لنا: ستكون بعدي إثرة فقد لقيناها، قال معاوية: فماذا قال لكم؟ قالوا: قال لنا فاصبروا حتى تردوا عليّ الحوض، قال: فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غداً عند الحوض كما أخبركم، وحرمهم ولم يعطهم شيئاً.

وأقول أنا: انّ هذا بعض من فراسة الحباب بن المنذر وأبعاضه الكثيرة الأُخر سوف نذكرها.

قال الزبير: ثمّ انّ رجالاً من سفهاء قريش ومثيري الفتن منهم اجتمعوا إلى عمرو بن العاص فقالوا له: انك لسان قريش ورجلها في الجاهلية والإسلام فلا تدع الأنصار وما قالت، فأكثروا عليه من ذلك فراح إلى المسجد وفيه ناس من قريش وغيرهم فتكلم وقال: انّ الأنصار ترى لنفسها ما ليس لها، وايم الله لوددت أن الله خلى عنا وعنهم وقضى فيهم وفينا بما أحب، ولنحن الذين أفسدنا على أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه وقدمناهم إلى كل محبوب حتى أمنوا المخوف، فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا ولم يراعوا ما أعظمنا من حقوقهم. ثمّ التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب فندم على قوله للخؤلة التي بين ولد عبد المطلب وبين الأنصار ولأنّ الأنصار كانت تعظم عليّاً وتهتف باسمه حينئذ، فقال الفضل: يا عمرو انّه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك وليس لنا أن نجيبك وأبو الحسن شاهد بالمدينة إلّا أن يأمرنا فنفعل، ثمّ رجع الفضل إلى علي فحدثه

فغضب وشتم عمر أو قال آذى الله ورسوله ، ثمّ قام فأتى المسجد فاجتمع إليه كثير من قريش وتكلم مغضباً فقال : يا معشر قريش انّ حبّ الأنصار ايمان وبغضهم نفاق ، وقد قضوا ما عليهم وبقي ما عليكم واذكروا انّ الله رغب لنبيكم عن مكة فنقله إلى المدينة وكره له قريشاً فنقله إلى الأنصار ، ثمّ قدمنا عليهم دارهم فقاسمونا الأموال وكفونا العمل فصرنا منهم بين بذل الغني وايثار الفقير ثمّ حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم وقد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن جمع لهم فيها بين خمس ، نعم فقال : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ألا وانّ عمرو بن العاص قد قام مقاماً آذى فيه الميت والحي ساء به الواتر وسرّ به الموتور فاستحق من المستمع الجواب ومن الغائب المقت وانّه من أحبّ الله ورسوله أحبّ الأنصار فليكفف عمرو عنّا نفسه .

قال الزبير : فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص فقالوا : أيّها الرجل أمّا إذا غضب علي فاكفف . قال الزبير : وقال علي للفضل : يا فضل انصر الأنصار بلسانك ويدك فإنّهم منك وانك منهم ، فقال الفضل :

قلت يا عمرو مقالاً فاحشاً ... ان تعديا عمرو والله فلك
إنّما الأنصار سيف قاطع ... من تصبه ظبة السيف هلك
وسيوف قاطع مضربها ... وسهام الله في يوم الحلك
نصروا الدين وآووا أهله ... منزل رحب ورزق مشترك
وإذا الحرب تلظت نارها ... بركوا فيها إذا الموت برك

ودخل الفضل على علي فأسمعه شعره ففرحه به وقال : وريت بك زنادي

يا فضل أنت شاعر قريش وفتاها ، فأظهر شعرك وابعث به إلى الأنصار ، فلما بلغ ذلك الأنصار قالت لا أحد يجيب إلّا حسان الحسام فبعثوا إلى حسان بن ثابت فعرضوا عليه شعر الفضل فقال : كيف أصنع بجوابه ، إن لم اتحرّ قوافيه فضحني ، فرويداً حتى أقفوا أثره في القوافي ، فقال له خزيمة بن ثابت : اذكر عليّاً وآله يكفك عن كلّ شيء ، فقال :

جزى الله عنّا والجزاء بكفه ... أبا حسن عنّا ومَن كأبي حسن

سبقت قريشاً بالذي أنت أهله ... فصدرك مشروح وقلبك ممتحن

تمنت رجال من قريش أعزة ... مكانك هيهات الهزال من السمن

وأنت من الإسلام في كل موطن ... بمنزلة الدلو البطين من الرسن

غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة ... أمات بها التقوى وأحيى بها الإحن

فكنت المرجى من لؤي بن غالب ... لما كان منهم والذي كان لم يكن

حفظت رسول الله فينا وعهده ... اليك ومن أولى به منك من ومن

ألست أخاه في الهدى ووصيه ... وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن

فحقك ما دامت بنجد وشيجة ... عظيم علينا ثمّ بعد على اليمن

قال الزبير : وبعثت الأنصار بهذا الشعر إلى علي بن أبي طالب فخرج إلى المسجد وقال : لمن به من قريش وغيرهم : يا معشر قريش انّ الله جعل الأنصار انصاراً فأثنى عليهم في الكتاب فلا خير فيكم بعدهم انّه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتره الإسلام ودفعه إلى الحق وأطفأ شرفه وفضّل غيره عليه يقوم مقاماً فاحشاً فيذكر الأنصار ، فاتقوا الله وارعوا حقهم فوالله لو زالوا لزلت معهم ، لأنّ رسول الله قال لهم : أزول معكم حيثما زلتم ، فقال المسلمون جميعاً : رحمك الله يا أبا الحسن قلت قولاً صادقاً .

قال الزبير: وترك عمرو بن العاص المدينة وخرج عنها حتى رضي عنه علي والمهاجرون.

قال الزبير: ثمّ انّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يبغض الأنصار لأنّهم أسروا أباه يوم بدر فضربوا عنقه بين يدي رسول الله قام فشتم الأنصار وذكرهم بالهجر، فقال: انّ الأنصار لترى لها من الحق علينا ما لا نراه، والله لئن كانوا آووا لقد عزوا بنا ولئن كانوا آسوا لقد منوا علينا والله ما نستطيع مودتهم لأنّه لا يزال قائل منهم يذكر ذلنا بمكة وعزنا بالمدينة ولا ينفكون يعيرون موتانا ويغيظون أحيانا فإن أجبناهم قالوا غضبت قريش على غاربها ولكن قد هوّن على ذلك منهم حرصهم على الدين أمس واعتذارهم من الذنب اليوم ثمّ قال:

تباذخت الأنصار في الناس باسمها ونسبتها في الأزد عمرو بن عامر

إلى آخر ما قال من هذا السنخ، ففشا شعره في الناس فغضبت الأنصار وغضب لها من قريش قوم منهم ضرار بن الخطاب الفهري وزيد بن الخطاب ويزيد بن أبي سفيان فبعثوا إلى الوليد فجاء فتكلم زيد بن الخطاب فقال: ياابن عقبة بن أبي معيط أما والله لو كنت من الفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا لأحببت الأنصار ولكنك من الجفاة في الإسلام البطاء عنه الذين دخلوا فيه بعد أن ظهر أمر الله وهم كارهون، انّا نعلم انا أتيناهم ونحن فقراء فأغنونا ثمّ أصبنا الغنى فكفوا عنا ولم يرزؤونا شيئاً فأمّا ذكرهم ذلة قريش بمكة وعزها بالمدينة فكذلك كنا وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ فنصرنا الله تعالى بهم وآوانا إلى مدينتهم، وأمّا غضبك لقريش فانا لا ننصر كافراً ولا نواد ملحداً ولا فاسقاً، ولقد قلت وقالوا فقطعك الخطيب وألجمك الشاعر،

وأمّا ذكرك الذي كان بالأمس فدع المهاجرين والأنصار فانك لست من ألسنتهم في الرضا ولا نحن من أيديهم في الغضب.

وتكلم يزيد بن أبي سفيان فقال: ياابن عقبة الأنصار أحق بالغضب لقتلى أُحد فاكفف لسانك فإنّ من قتله الحق لا يغضب له.

وتكلم ضرار بن الخطاب فقال: أما والله لولا انّ رسول الله ﷺ قال: الأئمّة من قريش لقلنا الأئمّة من الأنصار ولكن جاء أمر غلب الرأي فاقمع شرتك أيّها الرجل ولا تكن امرء سوء فإنّ الله لم يفرق بين الأنصار والمهاجرين في الدنيا وكذلك لا يفرق بينهم في الآخرة ـ اهملخصاً ـ.

وهذا الحديث الذي قصصناه عليك مضغه الأنصار بشراشره على رغم آنافهم وهم بعد على جدة عهد بهذه البيعة، ثمّ أتت عليهم الحوادث تترى تباعاً إلى أن اشتدت الوطأة عليهم من معاوية ويزيد ابنه وهلم دواليك، وليس بنا في هذه العجالة شرح هذه الحوادث لتشعبها الكثير وطول ذيلها الممتد ولقد تجاهر بنو امية أخيراً بأنّ كل هذا الاحتقار منهم للأنصار إنّما هو استرداد للحوادث التي تلقاها سلفهم من سيوف الأنصار ومواقفهم المشهورة مع رسول الله ضد قريش وسائر المشركين، ولو كان الأنصار يملكون قليلاً من عقل وشيئاً من نضوج فكر لما أصاخوا لبيعة أهل السقيفة ولانحشروا مع بني هاشم في محشر واحد، فإنّ الفريقين جميعاً موتوران للعرب، وبخاصة قريش، وهذه الأحقاد لا تذهب من صدور أهلها بقهر الطبيعة ولذلك لما استوسقت الأُمور لغير بني هاشم والأنصار جاءت نتائج تلك الأحقاد جذوات تلتهب ناراً حامية فتجترف كلّ من وجدته أمامها من هاشمي وأنصاري وبالأخص سلالة آل أبي طالب، فقد عانوا الأمرّين في حياتهم الدنيوية من كل سلطان ملك المشرق ـ فيالله ـ.

الفصل العاشر

لِـمَ لَم يبسط علي حججه الدامغة في مبارزة القوم من طريق المنطق؟ ثمّ ما هي حججه المنطقية التي بها يستوجب الخلافة دون كل انسان؟

وأنت أيّها القارىء بعد أن عرفت بوضوح انّ بيعة السقيفة استلبت من كل أحد استلاباً وانتهبت من المهاجرين والأنصار انتهاباً باعتراف شيخي تيم وعدي وقرأت انّ عمر حكم بقتل كل من عاد لمثلها بعد أن أحرزها لصاحبه ولنفسه وجسم لك التاريخ القضية بتمام جريها، فقال: كان أهل بيت محمّد وفي طليعتهم علي بن أبي طالب مشغولين بتجهيز رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر كانا في الدار ينتظران تمام التجهيز، وإذا بمعن بن عدي وعويم بن ساعدة الأنصاريين جاءا يشتدان فطلبا عمر باصرار وانعزلا به ناحية وقصا عليه حديث اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لمبايعة سعد بن عبادة وحثاه على حضور هذا المجمع فطلب عمر أبا بكر باصرار أيضاً فلما خلا به أفضى إليه بما حدثه ذانك الأنصاريان فمضيا من غير تمهل للسقيفة فتحاورا هم والأنصار بعض حوار وتقدم عمر أو أبو عبيدة للصفق على يد أبي بكر فاستغل بشير بن سعد هذه الفرصة خلاصاً من توثب أنانيته به للاصاخة لسعد بن عبادة فصفق على يد أبي بكر مبايعاً وتبعه من يتبعه فرأى الأوس انّ ذلك من أحسن مظان التخلص أيضاً كما تسرع بشير فانتثر بطبيعة الحال ما كان نظمه الأنصار من برنامج اجتماعهم ولم يلبث المبايعون دون أن خرجوا بصاحبهم يزفونه يحتجز كثير منهم الازر الصنعانية مهرولين لا يمرون بأحد إلّا خبطوه وبسطوا يده للبيعة شاء ذلك أو أبى،

وجاؤوا إلى المسجد فاستغل أيضاً كثير ممن وتره الإسلام بسيف علي وآل النبي هذه الفرصة السانحة فبايعوا أيضاً.

تجري كل هذه الحوادث وأهل البيت مغلق عليهم باب دارهم لاجراء عملية التجهيز فلم يطرق مسامعهم هذا الحديث إلّا وهو تام ببيعة سواد الناس وأكثرهم، فأسقط في أيدي أهل البيت كما اسقط في أيدي عظماء الصحابة من سلمان وأبي ذر وعمار والمقداد وحذيفة وأبي وابن التيهان وخزيمة والزبير وغيرهم ممن أسلفنا ذكرهم، ولما ذهبوا يتشاورون في كيفية اعادة الأمر شورى بين المسلمين جاءتهم العصابات كتلاً كتلاً تهدد بالتحريق والقتل فمزق شمل هؤلاء الأفراد ودفع بالزبير كما دفع بعلي وجيء بهما وبغيرهما سوقاً عنيفاً قد أخذ منهم بالمخنق حتى دفعوا إلى البيعة دفعاً ما وراءه منفذ لكلام وخصام.

فبربك أفي مثل هذه الحالة يستطيع المتكلم أن يتكلم؟ ثمّ ليت شعري ما هو وزن الكلام وحالة المتكلم والسامع بهذا اللون من العنف والصرامة وكل ذي شعور وانصاف يعترف ان بسط الحجج وتنظيم أقيسة الدليل مما يحتاجان إلى هدوء بال في المتكلم واصاخة واستماع وحسن تلقي وحضور للتفاهم من المستمع، وهذه الأُمور كانت معدومة حين أخذ البيعة.

ثمّ الذي يعترف بأنّ بيعته كانت فلتة وانتهاباً واستلاباً وعن غير مشورة معترف أيضاً بصراحة ما عليها غبار انها لم تكن بمحاجّة ومخاصمة وأخذ باحقاق حق من كل من يدعيها لنفسه أو لغيره، فقول أبناء التسنن عموماً انّ عليّاً لو كان يملك حجة قاطعة ونصاً صريحاً على خلافته لأدلى بذلك ولخصم القوم به عاطل من كل منطق باطل في سوق العلم، فإنّ الارهاب لا يجامع المنطق، والاعنات يناقض بسط الأدلّة، واستحثاث الأُمور لانهاء مطلب ليس من وادي المناظرات وخبط القضايا بكل لون مستطاع لأجل تهيأة منشود مخصوص

لا ربط له بالمخاصمات ومن هو المدعي حتى تكون عليه البينة فيغذ في تهيأتها وبسطها ومن يكون المنكر حتى يجرح تلك البينة ان تهيأ له جرحها واسقاطها فهذه المطالب التي يريدها أهل الاستدلال بعيدة كل البعد عمّا جرى من الوضع في بيعة السقيفة ولا يتريث في تصديق ما بسطناه إلّا متعنت كمتعنتي يوم السقيفة بلا أدنى تفاوت.

على انّ عليّاً وهو يقاد به ويدفع إلى البيعة بالسوق العنيف لم يسكت عن بيان المناسبات الوقتية لكنها لم تسمع منه والقوم لم يدفعوا بقفاه إلى البيعة بالعنف وهم في قصد الاستماع لحديثه وانّه أي فقرة من فقرات كلامه صحيحة أو مخدوشة فإنّ قاصد استماع المنطق ـ كما يفعل في كل المحاكمات القانونية ـ يعطي الناطق كل اختياره فيما يدافع به عن نفسه ويطيل له تشكيل الجلسات ويجوز له استيناف الحكم احتياطاً في تثبيت الحكم عليه أو له. وهؤلاء القوم هم بأنفسهم لم يدلوا بأي حجة لها وزن في نفس مجمع السقيفة الذي لم يكن على من تكلم فيه أقل جرم وكان المتكلم هو وهواه وما شاء، فإنّ قصارى ما أدلوا به نحن عشيرة محمّد وأولياؤه من ينازعنا سلطان محمّد؟ وبذلك تمّ لهم ما أرادوا من تفريق كلمة ذلك الحزب، وإن كان التنافس القومي هو الذي فرقهم لا هذه الكلمات قطعاً، وهم أُناس يعلمون بصراحة المنطق انّ هذه الحجة التي تمت لهم فعلاً إذا لم يستحثوا الفرص لانجازها في حقهم فإنّها ستعود عليهم لتيقظ من هو أولى بها منهم ككافة بني هاشم. وهذا أمر لا يذهب على بسطاء الرجال فكيف على متلونيهم؟ ألا ترى انهم لما أعادوا عين ما القوه في مجمع السقيفة باضافات أُخرى للعباس بن عبد المطلب كيف رأوا منه ما أعجزهم ونقض عليهم كل كلماتهم حرفاً حرفاً لكنهم لم يجيئوه بهذه الجيئة إلّا وهم في أمن من أثر الاحتجاجات والمخاصمات، فإنّ السلطان غني بقواه عن كل منطق، فأحسن

التدبر فيما قلناه واغتنم.

قال ابن قتيبة في الامامة والسياسة من جملة حديث له تحت عنوان كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب [١] ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكائها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تتفطر وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أُبايع فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك، قال: تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا.

فأنت من هذا الحديث ونظيره كثير في كتب التاريخ تفهم جد الفهم انّ الصرامة التي بذلها شيخا تيم وعدي وأتباعهما لم تكن تعهد في ذاك التاريخ وتعرف ان القلوب التي اندفع بها القوم كانت متحجرة لم يستفزها للرحمة أعظم الملينات، فانك لتقرأ من كتب انّ ابنة محمّد لما أبدت جزعها وهي الوقور لم يصبر على مشاهدة هذا الوضع منها كثير من المسلمين بل بكوا لبكائها وتصدعت قلوبهم لانصداع فؤادها وتفطرت أكبادهم لتفطر كبدها، هذا وانّ ابن الخطاب في هذه المعمعة المدهشة كان أثبت من الحجر الصلد وأقسى من الجلمود، وليت إنّ ثباته هذا كان مصاحباً له يوم أُحد وخيبر وحنين حين فرّ بها عريضة طويلة، لكن يحق له في هذه أن لا يصبر لأنّ في صبره زهوق روحه العزيزة، وفي مقابل امرأة يتيمة مصابة أن يبدي كمال الجلادة لأنّ فيه فضلاً عن السلامة المحرزة كسب جاه واحراز سلطان، وأين هذا من ذاك، وكل جبان متحجر العاطفة يكون مثله

(١) ج ١ ص ١٣.

في الموقفين المزبورين.

ثمّ لاحظ ذيل الحديث الآنف وجوابهم لعلي عندما قال لهم: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك، تجدهم في أمضى تصميم على قتله إن امتنع من بيعته لشيخهم، فقال لهم مع ما انكم تعلمون انـي عبد الله وأخو رسوله، فأجابه عمر بكل وقاحة: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا، وقد كان يكفيه في لزوم التبري من اظهار قتله اعترافه له بأنّه عبد الله، فإنّ عبد الله لا يجوز قتله من دون مسوغ شرعي، وليس من مسوغاته الاباء عن بيعة أبي بكر التي حصلت فلتة واُخذت بالانتهاب، وها هو ابن الخطاب نفسه حكم على كل من يعود لمثلها بلزوم القتل فما أبعد ما بين قتله عباد الله على امضاء الفلتة وتهديده بالقتل لمن عاد لمثلها. هذا وانكاره لكون علي أخا رسول الله من انكار المسلمات الحديثية، وقد شهدت التواترات القاطعة على ان رسول الله لما آخى بين اصحابه آخى بين نفسه وبين علي في حديث واسع أسلفناه في تحديثنا عن السيرة النبوية بتوسع، وهذا الانكار لهذا الأمر المسلم يعطينا صورة واضحة انّ القوم قد جهزوا أنفسهم لانكار كلما يوهن بمقامهم وتضعيف كلمتهم وتشتيت جماعتهم واختلاق كلما يدعم حجتهم في مقابل من يريدونه بسوء مثل تزوير أبي بكر مقابل فاطمة لما جاءته مطالبة بحقها مما ترك أبوها نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، إذاً فما هو منطق علي أمام هذه السباع الكاسرة في الأمن؟؟

وهل تسوغ نفس العاقل للعاقل في مثل هذه المواطن المحرجة بهذا اللون الضعيف أن يتريث فاغراً عن شدقيه مسترسلاً بخطاب يطول ذيله وتكثر شعبه ويحتاج فيه إلى مصدقين لكثير من دعاويه السمعية وهي ترى الاعنات آخذاً من صاحبها بالمخنق لا يلوي لسماع منطق وان سمع ما لا يهواه أنكره بصلافة ـ لا ـ

وقال ابن قتيبة في موضع آخر [١]: وأمّا علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر في عصابة فيهم اسيد بن حضير فقالوا: انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام بالسيف فقال عمر عليكم الرجل فخذوه فوثب عليه سلمة فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضاً فبايعوا ثمّ انّ عليّاً أُتي به أبا بكر وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله، فقيل له بايع أبا بكر، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أُبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار انكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد فيكم فأعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة فإذاً أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فأنصفوا إن كنتم تؤمنون، وإلّا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون، فقال له عمر: انك لست متروكاً حتى تبايع، فقال له علي: احلب حلباً لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غداً، ثمّ قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أُبايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أُكرهك، فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي: يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مث تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً واستطلاعاً فسلم لأبي بكر هذا الأمر فانك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك، فقال علي كرم الله وجهه: الله الله معاشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقصور بيوتكم وتدفعون أهله عن

---

(١) من كتابه الامامة والسياسة: ج ١ ص ١١.

مقامه في الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنّا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية الدافع عنهم الأُمور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انّه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً، فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك.

فأنت ترى انّ عليّاً مع اعنات القوم ايّاه واستحثاثهم له ولمن كان على هواه على البيعة بكل صورة لم يترك مجاله الضنك خالياً من الحجج الدامغة الملزمة وقال لهم: لا أُبايع وأنتم أولى بالبيعة لي، فكأنّه قيل له: وبم أحرزت هذه الأولوية لنفسك دون أبي بكر ودون سائر قريش؟ فحرر لهم متن الحجة التي عهدها لهم من مخاصمة الأنصار يوم السقيفة وبها خصموا الأنصار واخذوا بيعتهم لأنفسهم دون سعد وغير سعد من أوسي وخزرجي، فقال: لانكم أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتهم عليهم بالقرابة من النبي وانكم عشيرته وأولياءه فكيف ينازعكم الغير سلطان محمّد فإذا تم لكم هذا وقد تم فكيف تأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟ وما هي جهة غصبهم لك يا علي؟ فقال: ألستم زعمتم للأنصار انكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد فيكم فأصاخوا لحجتكم وأعطوكم المقادة التي زووها لأنفسهم قبل سماع هذه الحجة منكم وسلموا اليكم الامارة.

وهنا مقام أخذ النتيجة من قياسه البرهاني الذي ما منه بد لاعترافهم بصحة جميع مقدماته وانّه لا شبهة فيه ولا خدشة تعتريه، فقال: أنا إذاً أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، فانكم من سائر قريش وأنا من صميم بني هاشم وألصق الناس بالنبي نسباً وصهراً واخاءً وكل هاشمي أقرب من كل قريش لمحمد وأنا أقرب من كل هاشمي له، ودليل ذلك انّ كل بني هاشم معي وكلهم

يريدون البيعة لي بلا استثناء انسان منهم حقر أو خطر. إذاً فنحن أولى برسول الله حيا وميتاً فأنصفوا ان كنتم تؤمنون.

يقول عليه السلام هذه المقالة وهو جد قاطع بأنّ الانصاف بعيد عن القوم من عدة جهات: بتركهم تجهيز رسول الله الذي يطالبون الناس بحق قرابته ثمّ لا يفون له بالقيام بتجهيزه وهو من أقل الخدمات عند الناس لأنّ الأجانب بدافع المروءة وتحصيل الثواب قد يقومون أحسن مقام في موتى الناس احتساباً وتفضلاً وهؤلاء تركوا رسول الله ميتاً ولم يعودوا يدرون من أمره بشيء، وبتركهم اخبار بني هاشم المشغولين بتجهيز النبي عما وصل اليهم من علم السقيفة ليعرفوا ما هو نظرهم في الموضوع، وبانزوائهم بأنفسهم دون كل صحابي محترم الأثر في الإسلام عند الله وعند الرسول كسلمان وأبي ذر وعمار والمقداد وغيرهم ممن نوهنا بهم آنفاً. وبخروجهم على الناس بعد احرازهم لبيعة أكثر الأنصار في السقيفة بأبشع صور الخروج محتجزين بالازر الصنعانية يخبطون الناس خبطاً في أخذ البيعة منهم شاؤوا ذلك أو أبوا، وبهجومهم على بيت فاطمة ذلك الهجوم الشائن وادخالهم عليها كل رعب وأذى مكان تسليتهم لها عن موت أبيها، وبسوقهم له ولكل من كان معه في بيتها سوقاً عنيفاً ملببين يطحى بهم ومدفوعين يمضى بهم ركضاً، فالذين تكون منهم كل هذه الحركات أين يكون منهم الانصاف؟ لا والله، ولذلك قال لهم: وإلّا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون، أي ترتكبون ما ترتكبون وأنتم جد عالمين بمواقع ارتكاباتكم وانها ما تجر من سخط الله ولكن من يعتني برضا الله وأمامه سلطان الدنيا؟

ولا شبهة انّ عليّاً قد حكمهم بهذه الحجة لاعترافهم بها من دون ريب، وبما هو أقل منها خصموا الأنصار في مجمع السقيفة لكن هذا الحديث لم تمضغه أسماع القوم وهم قد استقبلوا سلطاناً عظيماً لذلك قال له عمر: انك لست متروكاً

حتى تبايع ، فلا تشغل نفسك ببسط الأدلّة وتوسيع نطاق الحجاج ولا تتلف علينا فرصتنا ـ بايع لا محالة ـ فقال له علي لا بدع من موقفك هذا يا ابن الخطاب فانك لم يدفعك إليه حب ابن أبي قحافة وتشييد الامرة له ولكنك إنّما تمهد لنفسك فاحلب حلباً لك شطره اليوم ، فإنّ أبا بكر خليفة بالاسم والعمل كله لك وشد له اليوم يردده عليك غداً من دون تلكأ ولا استشارة وكذلك فعل أبو بكر ببيعته لعمر .

ثمّ ما أزيف مقالة أبي عبيدة لعلي : يا ابن عم انك حديث السن ، فإنّ هذه الحقوق لو كانت مرتهنة بالشيخوخة لكان أبو قحافة أولى من ابنه بالخلافة وقد كان ذلك اليوم حاضراً عتيداً ، وأمّا التجارب والمعرفة بالأُمور فهي ليست منوطة بطول العمر وإنّما هي قرينة شحذ الحواس بالحوادث وقد تتهيأ هذه الأُمور للشبان أبناء الثلاثين ولا تتهيأ للشيوخ أبناء السبعين وهذا العين حاكم صدق على ذلك .

ثمّ لم يكتف علي بحجته الدامغة السالفة بل عززها بقوله : الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب ، الذي أنكرتم على الأنصار منازعتهم لكم فيه وأنتم عشيرته وأوليائه فيما ادعيتم ، من داره وقعر بيته إلى دوركم وقصور بيوتكم وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فكما انكم أنكرتم على الأنصار ارادتهم مقام محمّد في الناس لأنفسهم دونكم فنحن أهل بيت محمّد ننكر عليكم ذلك ونلزمكم بما ألزمتم به الأغيار ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنّا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية الدافع عنهم الأُمور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انّه لفينا ـ مشيراً بذلك إلى نفسه وهو فوق ما وصف أي فما دام فينا أهل البيت رجال بهذه الأوصاف لا

يجوز لأي أحد يفرض مزاحمتهم على حقهم.

نعم إذا انعدمت هذه العناصر فينا فحق المزاحمة طلق لقارىء كتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله بالنسبة إلى كل عاطل من آل محمّد، فلا تتبعوا الهوى ـ أيّها القوم ـ فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً، فقال بشير بن سعد الأنصاري لما تشبع سمعه وروحه من هذا الكلام الطري الذي كان مسبوقاً بطرف ناقص منه في مجمع السقيفة وبذلك انتثر عقد الأنصار وتحولت البيعة منهم لقريش: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي يوم السقيفة قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت عليك.

وقد صدق بشير بمقالته هذه، لأنّ دوافع الأنصار إلى بيعة أبي بكر لا تعدو أن تكون امّا للحجة وجدوها خاصمة فحجة علي ألزم بطور قاطع، أو للدواعي التعصبية الموجودة بين بشير بن سعد وسعد بن عبادة وما بين الأوس والخزرج وكما انّ هذه تتحقق في بيعة أبي بكر تتحقق في بيعة علي بلا أدنى تفاوت ولا ريب كما أسلفناه في انّ عليّاً لو كان حاضراً في هذا المحضر حين لم يكن آنذاك إعنات من أحد ولا سوق عنيف ولا هجوم على البيوت ولا انتهاب للقضايا وكان الكلام حراً لكل متكلم والمجال واسعاً لكل أحد لفاز بالبيعة من دون تمهل ولتداك الناس عليه تداكاً ما عليه مزيد ولتابع وطاوع كل من كان يكره عليّاً من خالد بن الوليد والوليد بن عقبة وأشباه هؤلاء بطور قاطع فإنّ عليّاً إذا أحرز بيعة الأنصار من ناحية وبيعة بني هاشم عموماً من ناحية ثانية وبيعة أكابر المهاجرين من سلمان وأبي ذر وعمار والمقداد والزبير وخالد بن سعيد وغيرهم وهم كثيرون من ناحية ثالثة لما كان بأي انسان يفرض مقاومة أصلاً ولسكتوا بدورهم عن كل كلام كما سكت من سكت عن بيعتهم من المهاجرين وهو كاره لها وهذا من الوضوح بمكان واسع.

هذا ما تسنى لعلي أن يبرزه ويصحر به في موقف السقيفة، وقد عرفت انّ ما قام به حجاج قاطع وإلزام لازم لاعتراف القوم أنفسهم بكفاية قليل منه في خصم خصومهم.

ثمّ الحجج التي كانت جاهزة لعلي ولم تسمح له الأوقات ببسطها كما لم تسمح له باصاخة من يستمع لحديثه فيزنه بميزانِهِ الراجح ويعطيه حق التدبر أنواع متنوعة بعضها يرجع إلى الكمالات النفسية وبعضها الآخر إلى النصوص السمعية، أمّا الكمالات النفسية فمنها:

١ ـ مرحلة التقوى والدين والعبادة.

٢ ـ مرحلة الحلم وصفاء النفس والكرم والشهامة.

٣ ـ مرحلة العلم والفهم والفضيلة.

٤ ـ مرحلة البيان الناضج والفصاحة والبلاغة.

٥ ـ مرحلة الأيد والبطولة والشجاعة.

٦ ـ مرحلة الشرفين العصامي والعظامي.

وأمّا النصوص السمعية فلسانها في بيان فضله مديد، وما ورد عن صاحب الشريعة في حقه أكثر من كل كثير، وفيها ما يخص الامامة الدينية ويختص بالزعامة الشرعية بلسانه الصريح الذي لا تأويل له ولا صارف عن معناه الذي أفضى به من أجله ومما يحشر في زمرة المتواترات القطعية الصدور باعتراف الخصم، ونحن نفيض أوّلاً في الحديث عن الفريق الأوّل ونتبعه بالتحديث عن الفريق الثاني.

١ ـ تقواه ودينه وعبادته

يعلم كل انسان بالعلم الوجداني الحاضر عنده انّ موقفه بين دينه وشهوته موقف فيه من الخطر ما شاء أن يتحدث عنه، فإنّ الدنيا التي هي اُمّ البشر وأبوهم بل الطابع الذي عليه طبعوا أو القالب الذي فيه كبسوا والمكيال الذي به كيلت جميع شراشر وجودهم في نوع مزاياهم المادية والمعنوية البعيد عن حدود الاحصاء في جانب عن الدين الصحيح وفي معزل عن المثالية البريئة وهاتان نقطتاها المهمتان المادة وما يتفرع عليها والجاه وما يتبعه اللذان هما من أشخص المجالي لعين الإنسان هما تدلانِ في الأعم الأغلب من مسيرهما مع جامعة البشر ومسير الجامعة معهما على انّ منابعهما كدرة قذرة ومصبهما أشد كدورة وأجلى قذارة والمثالية النزيهة في بعد شاسع عن ما يكون كدرا وقذرا بواضح الضرورة ولذلك كم افتضح مدعي مثالية وزاعم دين بهذا المحك، هذا فضلاً عن المتلبسين بلباس الروح الداعين إلى الدين الغارقين في تيارات الدنيا الهائجة المشغوفين ببضاعتها الرائجة ولا تسل عن كم مصاديق هذا وذاك فإنّ أفراد العالم الديني نوعاً من مصاديقهما وإن اختلفوا في الشدة والضعف وكثرة الارتكاب وقلته. وأمّا حساب الفساق المتجاهرين بالفسق البعيدين عن دعوى الدين والتظاهر بمظاهر المثاليين فذاك من مقولة الاعداد التي لا تتناهى.

فإذا تمكنت أن تمحض انساناً من بين أفراد الملك والملكوت مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه خشناً في دنياه مقبلاً على اُخراه قد باعد ما بين عقله وشهوته فأيد الأوّل وحطم الثاني وراض نفسه رياضة عراها عن المادة وشوائبها فاعتقد انّ سيره اعجازي وكماله من غرائب الاُمور التي تكاد تقضي النفس منها عجباً.

وقد تسالم التاريخ والمؤرخون وكل أبناء الدنيا والدين وجميع ملل العالم

وفرقه على انّ عليّاً من المصاديق الواضحة بجلاء للكلية المزبورة ، وهذا التطابق من كافة العناصر لم يحصل لأي انسان يفرض بعد الأنبياء العظام إلّا لعلي ، نعم ، ما أكثر المنوه بدينهم وتقواهم عن آحاد الناس لكن ذلك لا قيمة له في الموضوع الذي نتكلم عنه لأنّ تقريظ الآحاد لآحاد مثلهم من الدعاوى المجردة التي لا تزال الأفواه توالي بها على آنات الدقائق والساعات ولكن الكلام في المدرك وصحته .

وليس بمقدورنا في هذه الموسوعة العلمية التي من واجبها أن تؤدي أنواعاً من الواجبات أن نقوم بضبط كلما قيل في هذا الإنسان المثالي العظيم عن لسان أكابر الدين والدنيا الأولياء له والأعداء لكننا نعطيك نموذجاً منه ليكون لك مدلاً على باقيه .

روى ابن عبد البرّ[1] بسنده عن العكلي عن الحرمازي قال : قال معاوية لضرار الصدائي : يا ضرار صف لي عليّاً ، قال : اعفني يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفنه ، قال : امّا إذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبئناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظّم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غرّي غيري

---

(١) ج ٣ ص ٤٣ في ترجمة علي من الاستيعاب .

ألي تعرضت أم إليّ تشوقت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك حقير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها.

وقال ابن عبد البر في الترجمة نفسها: وكان عليه السلام إذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلّا قسمه ولا يترك في بيت المال منه إلّا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، ويقول يا دنيا غري غيري، ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء ولا يخص به حميماً ولا قريباً ولا يخص بالولايات إلّا أهل الديانات والأمانت وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ، إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا حتى نبعث اليك من يتسلمه منك ثمّ يرفع طرفه إلى السماء فيقول: اللهم انك تعلم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك وخطبه ومواعظه ووصاياه لعماله إذ كان يخرجهم إلى أعماله كثيرة مشهورة لم أر التعرض لذكرها لئلا يطول الكتاب وهي حسان كلها، وقد ثبت عن الحسن بن علي من وجوه انّه قال: لم يترك أبي إلّا ثمانمأة درهم أو سبعمأة درهم فضلت من عطائه كان يعدها لخادم يشتريها لأهله.

وأمّا تقشفه في لباسه ومطعمه فأشهر من هذا كله، وساق بسنده عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: رأيت عليّاً خرج وعليه قميص غليظ دارس إذا مدّ كم قميصه بلغ إلى الظفر وإذا أرسله صار إلى نصف الساعد.

وعن أبجر بن جرموز عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريتان متزر بواحدة ومرتد بأُخرى وازاره إلى نصف

الساق وهو يطوف في الأسواق ومعه درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث وحسن البيع والوفاء بالكيل والميزان.

وعن مجمع التيمي: انّ عليّاً قسّم ما في بيت المال بين المسلمين ثمّ أمر به فكنس ثمّ صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة. وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي مال من اصبهان فقسمه سبعة أسباع ووجد فيه رغيفاً فقسمه سبعة كسر فجعل على كل جزء كسرة ثمّ أقرع بينهم أيهم يعطى أوّلاً.

واخباره في مثل هذا من سيرته لا يحيط بها كتاب، فعن معاذ بن العلاء أخي عمرو بن العلاء عن أبيه عن جده قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: ما أصبت من فيئكم إلّا هذه القارورة أهداها الي الدهقان، ثمّ نزل إلى بيت المال ففرق كل ما فيه ثمّ جعل يقول: أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة. وعن عنترة الشيباني قال: كان علي يأخذ في الجزية والخراج من أهل كل صناعة من صناعته وعمل يده حتى يأخذ من أهل الابر الابر والمسال والخيوط والحبال ثمّ يقسمه بين الناس وكان لا يدع في بيت المال مالاً يبيت فيه حتى يقسمه إلّا أن يغلبه شغل فيصبح إليه، وكان يقول: يا دنيا لا تغريني غري غيري وينشد:

هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

وذكر عبد الرزاق عن الثوري عن أبي حيان التيمي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب على المنبر يقول: من يشتري مني سيفي هذا، فلو كان عندي ثمن ازار ما بعته، فقام إلى رجل فقال: نسلفك عن ازار. قال عبد الرزاق: وكانت بيده الدنيا كلها إلّا ما كان من الشام.

وعن اسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: علي مخشوشن في ذات الله. وعن عطاء قال: رأيت على علي قميص كرابيس غير

غسيل. وعن ابن أبي الهذيل قال: رأيت على علي بن أبي طالب قميصاً رازياً إذا أرخى كمه بلغ أطراف أصابعه وإذا أطلقه صار إلى الرسغ. الثوري عن أبي قيس الأودي قال: أدركت الناس وهم ثلاث طبقات: أهل دين يحبون عليّاً وأهل دنيا يحبون معاوية وخوارج ـ اهملخصاً ـ.

وروى الحافظ أبو نعيم [١] عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي انّ الله تعالى قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها هي زينة الأبرار عند الله عزوجل الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً. وروى أيضاً (ج ١ ص ٨١) عن علي بن ربيعة الوالبي قال: جاءه ابن النباج فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر فقام متوكئاً على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

ياابن النباج علي بأسباع الكوفة، قال فنودي في الناس، فأعطي جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء غري غيري. وعن مجمع التيمي قال: كان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه يتخذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة. وعن عبد الله بن شريك عن جده انّ عليّاً أتى بفالوذج فوضع قدامه بين يديه فقال: انك طيب الريح حسن اللون طيب الطعم لكن أكره أن أعوّد نفسي ما لم تعتده.

وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق

---

(١) في الحلية: ج ١ ص ٧١ من ترجمة علي عليه السلام.

وهو يرعد تحت سمل قطيفة فقلت يا أمير المؤمنين انّ الله جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك ما تصنع ، فقال : والله ما أرزأكم من مالكم شيئاً وانها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي ـ أو قال من المدينة ـ .

وعن زيد بن وهب قال : قدم على علي وفد من أهل البصرة فيهم رجل من الخوارج يقال له الجعد بن نعجة فعاتب عليّاً في لبوسه فقال علي : مالك وللبوسي إنّ لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم . عن عمرو بن قيس قال : قيل لعلي : يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك قال : ليخشع القلب ويقتدي بي المؤمن . وعن أبي سعيد الأزدي قال : رأيت عليّاً أتى السوق وقال : من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم ؟ فقال رجل : عندي ، فجاء به فأعجبه قال : لعله خير من ذلك قال ـ لا ـ ذاك ثمنه ، قال : فرأيت عليّاً يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه .

عن علي بن الأرقم عن أبيه قال : رأيت عليّاً وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول : من يشتري مني هذا السيف ؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته .

وعن عنبسة النحوي قال : شهدت الحسن بن أبي الحسن وأتاه رجل من بني ناجية فقال : يا أبا سعيد بلغنا انك تقول : لو كان علي يأكل من حشف المدينة لكان خيراً له مما صنع ؟ فقال الحسن : ياابن أخي كلمة باطل حقنت بها دماً والله لقد فقدوه سهماً صائباً من مرامي الله ليس بسروقة لمال الله ولا بنؤمة عن أمر الله أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله أحلّ حلاله وحرّم حرامه حتى أورده ذلك على حياض غدقة ورياض مونقة ذلك علي بن أبي طالب ، يا لكع والقول في هذا الباب ـ كما أسلفنا ـ طويل الذيل كثير المادة وفيما أوردناه بلغة وكفاية .

٢ـ حلمه وصفاء نفسه وكرمه وشهامته

مما اتفقت عليه كلمة علماء العالم وطابقتهم عليه العقول ان تحمل الحوادث المزعجة بسعة صدر وطهارة ضمير عن كل حقد وسهولة النفس ببذلها ما تملك والترفع عن كل ما في أيدي الناس من أهم الفضائل الخلقية التي تكسب صاحبها انشراحاً في الصدر ورضاء بالحياة المتيسرة ومهما كانت هويتها وبعداً عن العبوس والتجهم وعلواً في صدور الناس وأعينهم ومحبوبية عند أفاضل أبناء الدنيا قاطبة، وهذه الصفات متى حصلت للانسان أبعدته عن الضراعة وأدنته إلى القناعة ووصلته بالايمان وقربته من الدين فإنّ من يكون بهذه الصفة لا يكون حسوداً فلا تستشري منه نتائج الحسد والتنافس ووجود صفة الحسد في الأقوياء مما يعود وبالأعلى كل من يحسدونه فيما حسدوه فيه وفي غيره فلا يزالون يوقعون بالأبرياء احرازاً لطمأنينة نفوسهم المغتلمة ولا حقوداً يحتفظ بحزازات البوادر الصادرة عن غيره بالنسبة إليه ولو بعد ما شاء الله من طرو الطوارىء وتحول الحوادث وانقلابات الأزمنة فتراه فضلاً عن ايقاعه بصاحب البادرة يوقع بأولاده وأحفاده وكل من يمت إليه بنسبة فهذه الصفة إذاً مما توجب قيام صاحبها بتعديات غاشمة ما كان له أن يرتكب قليلاً منها لولا دوافع هذه الرذيلة المنطوية فيه، ولا بخيلاً يتذمر حتى من غيره إذا رأى منه مواساة لغيره ولا ساقط الهمة بحيث تخضمه الحوادث للتنزل المتلف للشرف المذهب للحيثية.

وقلما تعرى خليفة أو وال من خلفاء الإسلام وولاته من أوّل أزمنة الشيخين إلى ما شاء الله بقاء لهذه الدنيا ولما فيها من ملوك وولاة عن هذه الرذائل المسقطة لكفة الانسانية انصافاً وبتبع سقوط الانسانية من الإنسان يسقط دينه كما تسقط

مزايا دنياه.

فهذا الشيخان أبو بكر وعمر من أوّل ما وضعا رجليهما في غرز الرياسة حقدا على خالد بن سعيد بن العاص تريثه عن بيعتهما زماناً فلما هم أبو بكر أن يستعمله كما كان رسول الله مستعملاً له وبخه عمر على ذلك وقال له: أنسيت تلكأه عليك في البيعة وحفظا هذا الحقد بأشده لعلي بن أبي طالب حتى أتلفا حيثيته ومقامه فكان عمر يتظاهر بين الناس متلهفاً ان سالماً مولى أبي حذيفة لو كان حياً لاستخلفته، وهذا معناه سقوط كل معاصريه وفيهم علي وهو المقصود بهذا الاستنقاص عن هذه الصلاحية في حال ان سالماً باعتراف كل أهل الدنيا موحدهم وملحدهم لا يساوي عليّاً بل ولا شسع نعل علي عند التحقيق، وهلم الحديث في باقي خلفاء الإسلام وولاته بأبشع صورة في الحسد والحقد وفي البخل عن ايصال الحقوق لأهلها الواقعيين لا التوسع في البذل على الخمارين والمغنين والطبالين والمأبونين والعواهر وفي الضراعة الزائدة والتملق الخارج عن حده في كل مقام يحرجهم وحادثة تشتد بهم ولو أردنا أن نستعرض نتف القضايا التي أبرزها العيان لمن تكلمنا عنهم لجاء ما نكتبه في ذلك كتاباً مبسوطاً ولكن وجوده متشتتاً في كتب الأخلاق والأدب مغن لنا عن تحمل هذه المؤنة.

امّا علي فكان من حلمه انّه عندما ظفر بعائشة يوم الجمل وهي التي شوهت عليه منظرة الدنيا حقاً بما أرخصته بتحريكها في هذه المعركة من دماء طاهرة لأولياء الله فضلاً عن مجموعة النفوس التي أُزهقت في هذا الميدان الملتهب وجرأت بقيامها عليه كل متحفز للوثبة، صان حرمتها وحفظ وجودها وأكرم حيثيتها وأرجعها إلى معطنها مكرمة محتشمة ولم ينل منها أقل سوء في حال انّ أبناء التسنن تعترف بملأ ألسنتها انّ عائشة لو كانت مجابهة لعمر بمثل الذي جابهت به عليّاً لقطعها ارباً ارباً والاعتبار الصادق يشفع ذلك، فإنّ عمر الذي لا

يمنعه عن تحريق بيت فاطمة مانع لأجل تجمع عدة من خيار الصحابة فيه للمفاوضة في أمر الخلافة التي اغتصبت منهم اغتصاباً واضحاً لا يمتنع عن قتل عائشة أو لا أقل من تأديبها التأديب الواسع وهي تشن عليه الغارات وتفرق كلمة المسلمين وتحزبهم عليه وتسيل من أثر فتنتها الدماء المحترمة من غير داع سوى التفلت المحض والعيث في أرض الله فساداً لا يدرى ما هو داعمه وهكذا كان علي في حلمه وصفاء نفسه وعلو همته مع المتخلفين عن بيعته تعنتاً ومع غيرهم طول حياته فلم يحسد انساناً على ما آتاه الله ولم يحقد على انسان ولم يبخل بشيء من حطام الدنيا كما لم يخضع للحوادث فيمد يده صاغراً إلى غيره كائناً من كان.

٣ـ مرحلة العلم والفهم والفضيلة

أطبقت أحاديث التاريخ وأقلام المؤرخين وكل من درس وضع الأجيال الإسلامية خصوصاً البحث عن رجالها وأعيان أفاضلها على انّ عليّاً أعلم من كل صحابي درس على رسول الله لاطباق الجميع على انّه لم يحتج في علم أي قضية إلى أي أحد يفرض واحتاج إليه الجميع، وقد صرحت السنة المتواترة بمتشتت مضامينها على انّ عليّاً مدخل علم رسول الله وبابه ـ فمن ذلك ـ:

ما رواه أبو نعيم [١] بعد أن قال هو في حقه من جملة كلام له: باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات ومستنبط الاشارات راية المهتدين ونور المطيعين وولي المتقين وامام العادلين أقدمهم اجابة وايماناً وأقومهم قضية وايقاناً وأعظمهم حلماً وأوفرهم علماً علي بن أبي طالب قدوة المتقين وزينة العارفين

---

(١) في الحلية: ج ١ ص ٦١ وما بعدها من ترجمة علي عليه السلام.

المنبىء عن حقائق التوحيد المشير إلى لوامع علم التفريد صاحب القلب العقول واللسان السؤول والأُذن الواعي والعهد الوافي .

بسنده عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دار الحكمة وعلي بابها . رواه الأصبغ بن نباتة والحارث عن علي نحوه ، ومجاهد عن ابن عباس عن النبي مثله . وبسنده عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علي فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءً واحداً .

وبسنده عن أبي اسحاق عن هبيرة بن مريم انّ الحسن بن علي قام وخطب الناس وقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون بعلم . وبسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عمر: علي أقضانا . وبسنده عن معاذ بن جبل قال: قال النبي: يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش: أنت أولهم ايماناً بالله وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية وأعدلهم في الرعية وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية .

وبسنده عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعلي وضرب بين كتفيه: يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة: أنت أوّل المؤمنين بالله ايماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأرأفهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأعلمهم بالقضية وأعظمهم مزية يوم القيامة .

وبسنده عن الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد خير عن علي قال: لما قبض رسول الله أقسمت ـ أو حلفت ـ أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن . وبسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نمشي مع النبي ﷺ فانقطع شسع نعله فتناولها علي

ليصلحها ثمّ مشى فقال: يا أيّها الناس ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبو سعيد: فخرجت فبشرته بما قال رسول الله فلم يكترث به فرحاً كأنّه قد سمعه. وبسنده عن عمر عن أبيه علي قال: قال رسول الله: يا علي انّ الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي، وأنزلت هذه الآية: ﴿**وتعيها أذن واعية**﴾ فأنت أُذن واعية لعلمي.

وعن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم أُنزلت وأين أُنزلت انّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً. وعن مسعر عن عمرو بن مرة عن أبي البختري قال: سئل علي عن نفسه فقال: كنت إذا سألت أُعطيت وإذا سكت ابتديت. وعن ابن عباس قال: كنا نتحدث انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهد إلى غيره ـ اهملخصاً ـ.

وروى ابن سعد [١] عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي، وعن سماك عن حنش بن المعتمر عن علي، وعن عمرو بن حبشي عن حارثة عن علي واللفظ للسند الأوّل قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن فقلت: يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء، فضرب صدري بيده ثمّ قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه، فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين.

وبسنده عن نصير عن سليمان الأحمسي عن أبيه قال: قال علي: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، انّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً. وعن أبي الطفيل قال: قال علي عليه السلام سلوني عن كتاب الله فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل، وعن عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه انّه قيل لعلي: مالك أكثر

---

(١) في الطبقات: ج ٤ ص ١٥٤ وما بعدها.

أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً ؟ فقال: اني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني . وعن سماك بن حرب قال: سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها . وعن عبد الرحمن بن يزيد عن علقمة عن عبد الله قال: كنا نتحدث انّ من أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب . عن أبي اسحاق انّ عبد الله كان يقول: أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب . وعن أبي هريرة قال عمر بن الخطاب: علي أقضانا . وعن يحيى بن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن . وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خطبنا عمر فقال: علي أقضانا . وعن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: قال عمر: أقضانا علي . وعن عبد الملك عن عطاء قال: كان عمر يقول: علي أقضانا للقضاء .

وقال ابن عبد البر [١]: وزوجه رسول الله ﷺ ابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ما خلا مريم بنت عمران ، وقال لها: زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة ، وانّه لأوّل أصحابي اسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن وهو شاب يقضي بينهم فقال: يا رسول الله اني لا أدري ما القضاء ، فضرب رسول الله ﷺ بيده صدره وقال: اللهم اهد قلبه وسدد لسانه ، قال علي: فوالله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين .

وروي عن النبي ﷺ انّه قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه . وقال ﷺ في اصحابه أقضاهم علي بن أبي طالب . وقال عمر بن الخطاب: علي أقضانا . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال عمر: علي أقضانا . وعن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: قال عمر: علي

---

(١) في الاستيعاب عند تعرضه لترجمة علي عليه السلام : ج ٣ ص ٣٥ وما بعدها .

أقضانا . وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن .

وقال في المجنونة التي أمر برجمها وفي التي وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجمها فقال له علي : انّ الله تعالى يقول : وحمله وفصاله ثلاثون شهراً الحديث . وقال له : انّ الله رفع القلم عن المجنون . الحديث . فكان عمر يقول : لولا علي لهلك عمر . وعن علقمة عن عبد الله قال : كنا نتحدث انّ أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب . وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : ما كان أحد من الناس يقول : سلوني غير علي بن أبي طالب . وعن عبد الملك بن أبي سليمان قال : قلت لعطاء : أكان في أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أحد أعلم من علي ؟ قال : لا والله ما أعلمه . وعن سفيان عن قليب عن جبير قال : قالت عائشة : من أفتاكم بصوم عاشوراء ؟ قال : علي ، قالت : علي أما انّه لأعلم الناس بالسنة . وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به . وعن الضحاك بن مزاحم عن عبد الله بن عباس قال : والله لقد أُعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم ، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر . وعن أبي اسحاق عن أبي ميسرة قال : قال ابن مسعود : انّ أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب . وعن سعيد بن وهب قال : قال عبد الله : أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب . وعن أبي بكر بن عياش عن المغيرة قال : ليس أحد منهم أقوى قولاً في الفرائض من علي ، قال : وكان المغيرة صاحب الفرائض .

وروى عبد الرحمن بن أُذينة العبدي عن أبيه أُذينة بن مسلمة العبدي قال : أتيت عمر بن الخطاب فسألته من أين أعتمر ؟ فقال : ائت عليّاً فاسأله ، وذكر الحديث . وفيه وقال عمر : ما أجد لك إلّا ما قال علي . وروى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال : شهدت عليّاً يخطب وهو يقول : سلوني فوالله

لا تسألونني عن شيء إلّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آيـة إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: قلت لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم لم كان صفو الناس إلى علي ؟ فقال: ياابن أخي انّ عليّاً عليه السلام كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الإسلام والصهر لرسول الله والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في الماعون. وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب عن ذلك فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب. فقال أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: ما رأيت أحداً أقرأ من علي. وسئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب فقال: كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ورباني هذه الأُمّة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله لم يكن بالنؤمة عن أمر الله ولا بالملومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ذلك علي بن أبي طالب يا لكع ـ اهـ ملخصاً ـ.

وأورد المحب الطبري [1] عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله يقول: انّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله ؟ قال: لا، لكن خاصف النعل في الحجرة، وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها. أخرجه أبو حاتم. وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا دار الحكمة وعلي بابها. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن علي قال: قال

---

(١) في كتابه ذخائر العقبى: ص ٧٦ وما بعدها تحت عناوين مختلفة.

رسول الله ﷺ : أنا دار العلم وعلي بابها. أخرجه البغوي في المصابيح في الحسان وخرجه أبو عمر وقال: أنا مدينة العلم ـ وزاد ـ فمن أراد العلم فليأته من بابه.

وعن معقل بن يسار انّ النبي ﷺ دخل على فاطمة وهي شاكية فقال: كيف تجدينك؟ قالت: لقد اشتدت فاقتي وطال سقمي، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وجدت بخط أبي في هذا الحديث قال: أو ما ترضين اني زوجتك أكرمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً، أخرجه القلعي. وعن ابن عباس قال: والله لقد أُعطي علي تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر. أخرجه أبو عمر.

وعن علي انّ النبي قال له: ليهنك العلم أبا الحسن لقد شربت العلم شربا ونهلته نهلاً. أخرجه الرازي. أو عن أبي ظبيان قال: شهدت عمر بن الخطاب أُتي بامرأة قد زنت فأمر برجمها فذهبوا ليرجموها فلقيهم علي فقال: ما لهذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها علي من أيديهم فردهم فرجعوا إلى عمر فقالوا: ردنا علي، فقال: ما فعل هذا إلّا لشيء، فأرسل إليه فجاءه فقال: مالك رددت هؤلاء: قال: أما سمعت النبي يقول: رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المبتلي حتى يعقل؟ فقال: بلى، فقال: هذه مبتلاة بني فلان فلعله أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدري، قال: فأنا أدري فترك رجمها، أخرجه أحمد.

وروي انّ عمر أراد رجم المرأة التي ولدت لستة أشهر فقال له علي: انّ الله عزوجل يقول: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، وقال تعالى: وفصاله في عامين، فالحمل ستة أشهر، والفصال في عامين فترك عمر رجمها وقال: لولا علي هلك عمر. خرجه القلعي وأخرجه ابن السمان. وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر

يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن. أخرجه أحمد وأبو عمر. وعن سعيد بن المسيب قال: لم يكن احد من أصحاب رسول الله يقول سلوني إلّا علياً. أخرجه أحمد في المناقب والبغوي في المعجم وأبو عمر ـ اهـ ملخصاً ـ وما ذكرناه عنه قليل من كثيره.

وذكر المتقي الهندي[1] عن محمّد بن الزبير قال: دخلت مسجد دمشق فإذا بشيخ قد التفت ترقوتاه من الكبر، فقلت له: يا شيخ من أدركت؟ قال: النبي ﷺ، قلت: فما غزوت؟ قال: اليرموك، قلت: حدثني بشيء سمعته، قال: خرجت مع فتية من عك والأشعريين حجاجاً فأصبنا بيض نعام فذكرنا ذلك لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأدبر وقال: اتبعوني حتى انتهى إلى حجر رسول الله ﷺ فضرب في حجرة منها فأجابته امرأة فقال: أثم أبو حسن؟ فقالت: لا هو في مقناة، فأدبر وقال: اتبعوني، حتى انتهى إليه فقال: مرحباً يا أمير المؤمنين قال: انّ هؤلاء من عك والأشعريين أصابوا بيض نعام وهم محرمون؟ قال: ألا أرسلت الي، قال: أنا أحق باتيانك، قال: يضربون الفحل قلائص أبكارا بعدد البيض فما نتج منها اهدوه، قال عمر: فإنّ الابل تخدج، قال علي: والبيض يمرق، فلما أدبر قال: اللهم لا تنزل بي شدة إلّا وأبو حسن إلى جنبي، (ابن عساكر في تاريخه). أقول أنا: وأخرجه ابن السمان أيضاً، كما في ذخائر العقبى فانظر ذلك في الفصل الذي عقده لفضائل علي عليه السلام.

وذكر المتقي الهندي أيضاً[2]: أنا دار الحكمة وعلي بابها. الترمذي: عن علي أيضاً: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب. العقيلي في

(١) في كتابه منتخب كنز العمال: ج ٢ ص ٣٤٥.

(٢) في ذخائر العقبى: ج ٥ ص ٣٠.

الضعفاء وأبو عدي في الكامل والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك أيضاً: علي عيبة علمي. أبو عدي عن ابن عباس.

أيضاً (ج ٥ ص ٣١) قاله لفاطمة: أما ترضين اني زوجتك أقدم أُمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً. أحمد في المسند والطبراني في الكبير عن معقل بن يسار. وكرر هذا الحديث في مكان آخر عن مصادر أُخرى. أيضاً (ج ٥ ص ٣٣) انّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قيل: أبو بكر وعمر؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل، يعني عليّاً. أحمد في المسند وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في شعب الايمان والحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور في سننه. وكرر هذا الحديث في أماكن أُخرى من كتابه عن مصادر عديدة. أيضاً: أعلم أُمتي من بعدي علي بن أبي طالب. الديلمي عن سلمان، أيضاً: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فاعطي علي تسعة أجزاء والناس جزء واحداً وعلي أعلم بالواحد منهم. أبو نعيم في الحلية والأزدي في الضعفاء وأبو علي الحسين بن علي البردعي في معجمه وابن النجار وابن الجوزي في الواهيات.

أيضاً (ج ٥ ص ٤٨) عن علي في قوله تعالى: وتعيها أُذن واعية قال: قال لي رسول الله: سألت الله أن يجعلها أُذنك يا علي فما سمعت من رسول الله شيئاً فنسيته. الضياء المقدسي في المختارة وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة ـ اهـ ملخصاً ـ وهذا قليل مما ذكر في الباب الذي عقده لفضائل علي.

وروى الكنجي [١] بسنده المفصل عن علقمة عن عبد الله قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن علي فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي علي

---

(١) في كفاية الطالب: ص ٨٤ تحت عنوان تخصيص علي بتسعة أعشار العلم.

تسعة أجزاء والناس جزءً واحداً. قلت: هذا حديث حسن عال تفرد به أحمد بن عمران بن مسلمة، وكان ثقة عدلاً مرضياً، وأخرجه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء في فضائل علي. وروى أيضاً (ص ٨٥) بسنده المفصل عن الأعمش عن عباية عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: علي عيبة علمي هكذا رواه ابن عساكر في تاريخه.

وروى أيضاً عن جعفر بن محمّد عن آبائه عن جده علي عليه السلام قال: كنت أدخل على رسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً فكنت إذا سألته أجابني وان سكت ابتدأني، وما نزلت آية إلّا قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها ودعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علمني اياه فما نسيته من حرام وحلال وأمر ونهي وطاعة ومعصية وقد وضع يده على صدري وقال: اللهم املأ قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً، ثمّ قال لي: أخبرني ربي عزوجل انّه قد استجاب لي فيك، قلت: هكذا رواه الحافظ الدمشقي في مناقبه.

وروى أيضاً (ص ٩٨) بسنده المفصل عن الحارث عن علي وعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: قال رسول الله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد المدينة فليأتها من بابها. قلت: هكذا رواه الخطيب في تاريخ وطرقه.

وروى أيضاً بسنده (ص ٩٩) عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الحديبية وهو آخذ بضبع علي وهو يقول: هذا أمير البررة قاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله ثمّ مد بها صوته وقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها. هكذا رواه ابن عساكر في تاريخه وذكر طرقه عن مشائخه.

وروى أيضاً عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله: انا مدينة العلم وعلي بابها، قلت: هذا حديث حسن عال. وختم هذه الأحاديث

بقوله: ومع هذا فقد قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل علي وزيادة علمه وغزارته وحدة فهمه ووفور حكمته وحسن قضاياه وصحة فتواه وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام ويأخذون بقوله في النقض والابرام اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله ورجاحة عقله وصحة حكمه وليس هذا الحديث في حقه بكثير لأنّ رتبته عند الله وعند رسوله ﷺ وعند المؤمنين من عباده أجلّ وأعلا من ذلك ـ اهـ ملخصاً ـ وما ذكرناه عنه قليل من كثيره.

وروى النسائي [١] عن الأعمش عن اسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج الينا وقد انقطع شسع نعله فرمى به إلى علي فقال: انّ منكم رجلاً يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبو بكر: أنا، قال: لا، قال عمر: أنا، قال: لا، ولكن خاصف النعل. وروى أيضاً عن عوف عن عبد الله بن عمرو عن علي قال: كنت إذا سألت رسول الله ﷺ اعطيت وإذا سكت ابتدأني.

وعن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي قال: كنت إذا سألت أُعطيت وإذا سكت ابتديت. وعن أبي حرب عن أبي الأسود ورجل آخر عن زاذان قال: قال علي: كنت والله إذا سألت أُعطيت وإذا سكت ابتديت، الخصائص ص ٤٤.

وروى أيضاً [٢]: عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي قال: بعثني

(١) في خصائصه: ص ٥٨ تحت عنوان: قوله ﷺ: تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

(٢) ص ١٥ تحت عنوان: قوله ﷺ: انّ الله سيهدي قلبك.

رسول الله إلى اليمن وأنا شاب حديث السن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم تكون بينهم أحداث وأنا شاب حديث السن؟ قال: انّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال: فما شككت في حادث أقضي بين اثنين. وفي سند ثان له: قال ﷺ: انّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال: فما شككت في حكومة بعد. وفي ثالث له: اللهم اهد قلبه وسدد لسانه، فما شككت في قضاء بين اثنين. وفي رابع له: فوضع يده على صدري ثمّ قال: انّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال: فما أشكل عليّ قضاء بعد ذلك ـ اهملخصاً ـ.

وفي الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي (ص ١٦ تحت عنوان: ذكر شيء من علومه) فمنها: علم الفقه الذي هو مرجع الأحكام ومنبع الحلال والحرام فقد كان علي عليه السلام مطلعاً على غوامض أحكامه مشهوداً له فيه بعلو محله ومقامه ولهذا خصه رسول الله بعلم القضاء كما نقله الامام البغوي في مصابيحه مروياً عن أنس بن مالك، إلى آخر ما ذكر.

وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ص٥٣) قال أحمد في الفضائل: حدثنا ابراهيم بن عبد الله عن محمّد بن عبد الله الرومي عن شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها. وفي رواية: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وفي رواية: أنا مدينة الفقه وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. ورواه عبد الرزاق فقال: فمن أراد الحكم فليأت الباب ـ اهملخصاً ـ.

وروى الحاكم [١] عن ابن عباس قال: مرّ علي بن أبي طالب بمجنونة بني فلان وقد زنت وأمر عمر بن الخطاب برجمها فردها علي وقال لعمر: يا أمير

---

(١) في المستدرك: ج ١ ص ٢٥٨.

المؤمنين أترجم هذه ؟ قال : نعم ، قال : أوما تذكر انّ رسول الله قال : رفع القلم عن ثلاث عن المجنون المغلوب على عقله وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم ، قال : صدقت فخلى عنها . صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ولم يتعقبه الذهبي ، وكرر الحاكم مادة الحديث بتغيير يسير [١].

وروى أيضاً (ج ١ ص ٤٧٢) عن عبد الرحمن بن حرملة قال : سمعت سعيد بن المسيب قال : حج علي وعثمان فلما كان ببعض الطريق نهى عثمان عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، فقيل لعلي انّه قد نهى عن التمتع فقال : إذا رأيتموه قد ارتحل فارتحلوا فلبى علي وأصحابه بالعمرة ولم ينههم عثمان فقال علي : ألم أخبر انك تنهى عن التمتع بالعمرة ، قال : بلى ، قال علي : ألم تسمع رسول الله تمتع ، قال : بلى . صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي .

وروى أيضاً (ج ٢ ص ٣٥٢) عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : سمعت عليّاً قام فقال : سلوني قبل أن تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي ، فقام ابن الكواء فقال : من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار ؟ قال : منافقوا قريش ، قال : فمن الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ؟ قال : منهم أهل حروراء . هذا حديث صحيح عال ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي .

وروى أيضاً (ج ٣ ص ١٢٢ و ١٢٣) عن أبي سعيد قال : كنا مع رسول الله فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلاً ثمّ قال : انّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها وفيهم أبو بكر وعمر قال أبو بكر : أنا هو ، قال : لا . قال عمر : أنا هو ، قال : لا ، ولكن خاصف النعل ، يعني

---

(١) ج ٢ ص ٥٩.

عليّاً ، فأتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنّه كان سمعه من رسول الله ﷺ . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، أقرّه الذهبي كما هو .

وروى أيضاً (ج ٣ ص ١٢٦) عن أبي العباس محمّد بن يعقوب حدثنا محمّد بن عبد الرحيم الهروي بالرملة حدثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب . هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وأبو الصلت ثقة مأمون فاني سمعت أبا العباس محمّد بن يعقوب في التاريخ يقول : سمعت العباس بن محمّد الدوري يقول : سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت الهروي فقال : ثقة ، فقلت : أليس قد حدث عن أبي معاوية عن الأعمش : أنا مدينة العلم ، فقال : قد حدث به محمّد بن جعفر الفيدي وهو ثقة مأمون سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه القباني إمام عصره ببخارى يقول : سمعت صالح بن محمّد بن حبيب الحافظ يقول : وسئل عن أبي الصلت الهروي فقال : دخل يحيى بن معين ونحن معه على أبي الصلت فسلم عليه فلما خرج تبعته فقلت له : ما تقول رحمك الله في أبي الصلت فقال : هو صدوق ، فقلت له : انّه يروي حديث الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها ، فقال : قد روى هذا ذاك الفيدي عن أبي معاوية عن الأعمش كما رواه أبو الصلت .

تعقب الذهبي الحديث فقال : قلت : بل موضوع وأبو الصلت لا والله لا ثقة ولا مأمون .

أقول أنا : امّا الحكم بوضعه من الذهبي فهو تحكم بارد لا قيمة له لأنّه محجوج بمن رواه وهم كثيرون وقد سبق جملة منهم ويأتي الباقون كما لا قيمة لتضعيفه لأبي الصلت فإنّه قول مبعوث عن تشه محض وما ذكره الحاكم في حقه

مما يكتفي العامة ببعضه في التعديل ، بل هذا التوثيق زائد على من يروى عن الخوارج والنواصب والفساق المعروفين بفسقهم بعنوان انهم صحابة أو تابعون أعاظم. وقال الحاكم عقيب ذلك (ص ١٢٧): حدثنا بصحة ما ذكره الامام أبو زكريا حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو الحسين محمّد بن أحمد بن تميم القنطري حدثنا الحسين بن فهم حدثنا محمّد بن يحيى بن الضريس حدثنا محمّد بن جعفر الفيدي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب ، قال الحسين بن فهم: حدثناه أبو الصلت الهروي عن أبي معاوية قال الحاكم: ليعلم المستفيد لهذا العلم انّ الحسين بن فهم بن عبد الرحمن ثقة مأمون حافظ.

ولهذا الحديث شاهد من حديث سفيان الثوري باسناد صحيح: حدثني أبو بكر محمّد بن علي الفقيه الامام الشاشي القفال ببخارى وأنا سألته حدثني النعمان بن هارون البلدي من أصل كتابه حدثنا أحمد بن عبد الله بن يزيد الحراني حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. قال الذهبي: قلت: العجب من الحاكم وجرأته في تصحيحه هذا وأمثاله من البواطيل وأحمد هذا دجال كذاب.

أقول أنا: إذا كان ابداء التعجب بالتشهيات فالعجب منك أنت ومن جرءتك على الحاكم باختلاق هذه المادة ونظائرها وقد حكم بصحتها من تعترف أنت بمهارته الحديثية في تلخيصك هذا. وانّ علياً لحري بأضخم من هذه المادة فقد ثبت توسعه في العلم لغاية سبق بها كل انسان بعد النبي ومرحلة علمه بهذه الصبغة مما ثبت له بالتواتر الصريح في جميع العصور لا بهذه المادة وحدها بل

باعتراف الناس جميعاً له بذلك حتى أعدائه الألداء من الأشياخ وغيرهم وأنت قد قرأت طرفاً من ذلك وستقرأ الطرف الآخر.

وتحكم الذهبي في هذه القضايا الواضحة تحكم مردود عليه من كل انسان بلا ريب، وليت شعري لم سكت الذهبي عن انكار المنكرات الواضحة الثابتة في صحاحهم مثل انّ موسى صك ملك الموت فأتلف عينه، وان الحجر هرب بثياب موسى فلما لحق به أوجعه ضرباً حتى انّ اثر التبريح لموجود فيه، وان البقرة تتكلم والذئب ينطق بفضل الأشياخ، ومثل هذا أكثر من كل كثير في كتب القوم الصحيحة التي يعدون حديثها تلو القرآن، وللبحث بقية نوافيك بها بعد حين.

وروى الحاكم أيضاً (ج ٣ص ١٣٥) عن علقمة عن عبد الله قال: كنا نتحدث انّ أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أقرّه الذهبي كما هو.

وروى عن أبي البختري قال: قال علي: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: فقلت: يا رسول الله اني رجل شاب وانّه يرد علي من القضاء ما لا علم لي به، قال: فوضع يده على صدري وقال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه فما شككت في القضاء أو في قضاء بعده. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أقرّه الذهبي كما هو.

وروى الحاكم أيضاً (المصدر هو الأوّل بعينه) عن زيد بن أرقم قال: بينا أنا عند رسول الله إذ جاءه رجل من أهل اليمن فجعل يحدث النبي ﷺ ويخبره فقال: يا رسول الله اتى علياً ثلاثة نفر يختصمون في ولد وقعوا على امرأة في طهر واحد، فقال لأثنين طيبا نفساً بهذا الولد ثمّ قال: أنتم شركاء متشاكسون اني مقرع بينكم فمن قرع له فله الولد، وعليه ثلثا الدية لصاحبيه، فأقرع بينهم فقرع لأحدهم فدفع إليه الولد، قال: فضحك النبي حتى بدت نواجذه وقال اضراسه

(حدثناه) علي بن حمشاذ حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الأجلح بهذا وزاد فيه فقال النبي ﷺ : ما أعلم فيها إلّا ما قال علي . وهذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقد زاد الحديث تأكيداً برواية ابن عيينة وقد تابع أبو اسحاق السبيعي الأجلح في روايته . أقرّه الذهبي كما هو .

وروى الحاكم أيضاً [١] عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : أتى عمر بمبتلاة قد فجرت فأمر برجمها فمرّ بها علي بن أبي طالب ومعها الصبيان يتبعونها فقال : ما هذه ؟ قالوا : أمر بها عمر أن ترجم ، قال : فردها وذهب معها إلى عمر وقال : ألم تعلم انّ القلم رفع عن المجنون حتى يعقل وعن المبتلى حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه شعبة عن الأعمش بزيادة ألفاظ . أقرّه الذهبي . عن شعبة عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : أتى عمر بامرأة مجنونة حبلى فأراد أن يرجمها فقال له علي : أو ما علمت انّ القلم قد رفع عن ثلاث عن المجنون حتى يعقل وعن الصبي حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ ، إلى آخر ما ذكر .

وروى أبو الفرج الاصفهاني [٢] عن الحسن بن علي وعيسى بن الحسين الوراق قالا حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني صالح بن عبد الرحمن الهاشمي عن العمري عن العبسي قال : أتى عمر بن الخطاب بجماعة فيهم أبو محجن الثقفي وقد شربوا الخمر فقال : أشربتم الخمر بعد أن حرّمها الله ورسوله ؟ فقالوا : ما حرمها الله ولا رسوله انّ الله تعالى يقول : ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا**

---

(١) في كتاب الحدود من مستدركه : ج ٤ ص ٣٨٨ و ٣٨٩ .

(٢) ج ١ ص ٣٣٠ من أغانيه .

الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾ فقال عمر لأصحابه: ما ترون فيهم؟ فاختلفوا فيه فبعث إلى علي بن أبي طالب فشاوره فقال علي: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير، فسكتوا فقال عمر لعلي: ما ترى فيهم؟ قال: أرى ان كانوا شربوها مستحلين لها أن يقتلوا وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون انها حرام أن يحدوا، فسألهم فقالوا والله ما شككنا في انها حرام ولكنا قدرنا انّ لنا نجاة فيما قلناه فجعل يحدهم رجلاً رجلاً وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن فلما جلده أنشأ يقول:

ألم تر انّ الدهر يعثر بالفتى ... ولا يستطيع المرأ صرف المقادر
صبرت فلم أجزع ولم أك كائعاً ... لحادث دهر في الحكومة جائر
واني لذو صبر وقد مات اخوتي ... ولست عن الصهباء يوماً بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها ... فخلانها يبكون حول المعاصر

فلما سمع عمر قوله ـ ولست عن الصهباء يوماً بصابر ـ قال: قد أبديت ما في نفسك ولأزيدنك عقوبة لاصرارك على شرب الخمر، فقال له علي: ما ذاك لك وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال: لأفعلن وهو لم يفعل وقد قال الله في الشعراء وانهم يقولون ما لا يفعلون فقال عمر: قد استثنى الله منهم قوماً فقال: إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال علي: أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله ﷺ: لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن.

وروي في المعتصر من مختصر مشكل الآثار للطحاوي(١): عن علي قال له

---

(١) ج ٢ ص ٣٠١ عند تعرضه لمناقب علي.

النبي ﷺ: يا علي انّ لك كنزاً في الجنة وانك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فإنّما لك الأُولى وليست لك الثانية، قيل: أراد قرني الجنة يعني طرفيها وقيل: أراد قرني الأمّة فأضرها وان لم يتقدم لها ذكر كقوله تعالى: ما ترك على ظهرها من دابة يريد الأرض وحتى توارت في الحجاب يريد الشمس فمعناه ان عليّاً في هذه الأمّة كذي القرنين في امته في دعائه اياها إلى الله عزوجل يؤيده ما روي عن علي انّه قال: سلوني قبل أن لا تسئلوني ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام إليه ابن الكواء فقال: ما كان ذو القرنين أملك أم نبي؟ فقال: لم يكن ملكاً ولا نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله وناصح فنصحه ضرب على قرنه الأيمن فمات ثمّ بعثه الله عزوجل وضرب على قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله -إلى آخر ما ذكره والمقصود من ايراد هذا الأثر عرض على نفسه للاستفادة من علومه بما لا يوجد عند غيره وجوابه لكل سائل عن أي مسألة يعرضها له وكفى بذلك قدرة واسعة في العلم.

وفي ينابيع المودة (ج ١ ص ٦٨) في الباب الذي عقده لغزارة علم علي: أخرج ابن المغازلي بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله: لما صرت بين يدي ربي كلمني وناجاني فما علمت شيئاً إلّا علمته عليّاً فهو باب علمي. وذكر عن موفق بن أحمد نظيراً لما عن ابن المغازلي الحمويني بسنده عن شقيق عن ابن مسعود قال: نزل القرآن على سبعة أحرف له ظهر وبطن وان عند علي علم القرآن ظاهره وباطنه. ابن المغازلي وموفق الخوارزمي أخرجا بسنديهما عن علقمة عن ابن مسعود قال: كنت عند النبي فسئل عن علم علي فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءً واحداً وهو أعلم بالعشر الباقي. محمّد بن علي الحكيم الترمذي في شرح الرسالة الموسومة بالفتح المبين قال ابن عباس: العلم عشرة أجزاء لعلي تسعة أجزاء وللناس العشر

الباقي وهو أعلمهم به.

الترمذي والحمويني بسنديهما عن علي قال: قال رسول الله: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وفي الباب عن ابن عباس: ابن المغازلي بسنده عن مجاهد عن ابن عباس وأيضاً عن جابر بن عبد الله قالا: أخذ النبي بعضد علي وقال: هذا أمير البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله فمد بها صوته ثمّ قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. أيضاً أخرج هذا الحديث موفق بن أحمد والحمويني والديلمي في الفردوس وصاحب كتاب المناقب عن مجاهد عن ابن عباس. أيضاً ابن المغازلي أخرج عن حذيفة بن اليمان عن علي قال: قال رسول الله: أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها. أحمد في مسنده وموفق بن أحمد في المناقب بسنديهما عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن احد من الصحابة يقول سلوني إلّا علي بن أبي طالب.

موفق بن أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري وسلمان الفارسي قالا: قال رسول الله: انّ أقضى اُمتي علي بن أبي طالب. وساق عن مسند أحمد قضية أمر عمر برجم المجنونة ومنع علي من ذلك واستدلاله عليه برفع القلم ورجوع عمر عن جهله إلى علم علي كما ساق عن موفق بن أحمد قضية أمر عمر برجم من ولدت لستة أشهر وردع علي له ورجوع عمر عن جهله إلى علي ما آنفناه نحن فلا نعيد.

ثمّ قال موفق بن أحمد بسنده عن الحسين بن علي أتى عمر بن الخطاب بامرأة حامل فاعترفت بالفجور فأمر برجمها، فقال علي لعمر: سلطانك عليها فما سلطانك على الذي في بطنها؟ فخلّى سبيلها، وقال: عقمت النساء أن يلدن مثل علي، ولولا علي لهلك عمر، وقال: اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها علي.

وعن ينابيع المودة أيضاً[١]: أعلم أُمتي من بعدي علي بن أبي طالب. للديلمي: أنا دار الحكمة وعلي بابها. للترمذي: أنا مدينة العلم وعلي بابها. للطبراني والديلمي: علي عيبة علمي. لابن عدي[٢] الحديث السابع والأربعون عن ابن مسعود قال: قال رسول الله قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي علي تسعة والناس جزءً واحداً. رواه صاحب الفردوس. وفي (ج ٢ ص ١٠٦ عن الصواعق المحرقة ـ التاسع): أخرج البزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله وأيضاً الطبراني والحاكم والعقيلي وابن عدي عن ابن عمر والترمذي وياضا الحاكم عن علي قال: قال رسول الله: أنا مدينة العلم وعلي بابها. وفي رواية: فمن أراد العلم فليأت الباب. وفي أُخرى عن الترمذي عن علي: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وفي أُخرى عن ابن عدي: علي باب علمي.

وقد اضطرب الناس في هذا الحديث، فجماعة قالت: انّه موضوع، منهم ابن الجوزي والنووي، وبالغ الحاكم وقال: انّ الحديث صحيح وصوب بعض محققي المتأخرين المطلعين على الحديث فقال انّه حديث حسن. وفي ج ٢ ص ١١١ نقلاً عن الفصل الثالث من الصواعق في ثناء الصحابة على علي: أخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطاب: علي أقضانا. وأخرج الحاكم عن ابن مسعود قال: أقضى أهل المدينة علي. وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: إذا حدثنا ثقة شيئاً عن علي أخذناه لا نعدل عنه. وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، يعني عليّاً. وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد من الصحابة

---

(١) ج ٢ ص ٢ وما بعدها، الباب السادس والخمسون.

(٢) وفي ج ٢ ص ٦٢ نقلاً عن المناقب السبعين.

يقول: سلوني إلّا علي. وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: أفرض أهل المدينة وأقضاها علي. وذكر علي عند عائشة فقالت: انّه أعلم بالسنة. وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له القدم في الإسلام والصهر لرسول الله ﷺ والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في المال.

وفي (ج ٣ ص ٢٠ نقلاً عن كتاب فضل الخطاب لمحمد خواجة باسارى البخاري): وأمّا علمه فكان بالمحل العالي يعترف الخواص والعوام بكثرة علمه، قال ابن المسيب: ما كان أحد من الأُمّة يقول: سلوني غير علي. وقال ابن عباس: لقد أُعطي علي تسعة أعشار العلم ووالله لقد شاركهم في العشر الباقي. قال ابن عباس: إذا ثبت لنا شيء عن علي لم نعدل إلى غيره وسؤال كبار الصحابة ورجوعهم إلى فتواه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور ـاهـمع تلخيص كثير.

وفي اسعاف الراغبين [1]: وأخرج البزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله والطبراني والحاكم والعقيلي في الضعفاء وابن عدي عن ابن عمرو الترمذي والحاكم عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها. وفي رواية: فمن أراد العلم فليأت الباب. وفي أُخرى عند الترمذي عن علي: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وفي أُخرى عند ابن عدي: علي باب علمي. وقد اضطرب الناس في هذا الحديث فجماعة على انّه موضوع منهم ابن الجوزي والنووي. وبالغ الحاكم على عادته فقال: انّ الحديث صحيح وصوب بعض محققي المتأخرين المطلعين من المحدثين انّه حسن. اه ملخصاً، وفيه كما في

(١) ص ١٥٦ في الفصل الذي عقده لعلي.

نور الأبصار كلام كثير حول علم علي عليه السلام وبما ان متشتته سلف منا آنفاً لم نر داعياً لنقله.

وقال السيوطي [١]: وأخرج الترمذي والحاكم عن علي قال: قال رسول الله: أنا مدينة العلم وعلي بابها، هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم، ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي، وقد بينت حاله في التعقبات على الموضوعات. ثمّ ساق في موضوع علم علي ما سلف لنا نقله عن متشتته المصادر فلا نكرر.

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في موضوعاته (ج ١ ص ١٧٠) فقال: أخبرنا علي بن عبيد الله الزاغوني عن علي بن أحمد البشري عن أبي عبد الله بن بطة العكبري عن محمّد بن أحمد بن الصواف عن ابراهيم بن عبد الله البصري عن محمّد بن عمر الرومي عن شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا دار الحكمة وعلي بابها، أبو نعيم.

حدثنا أبو أحمد محمّد بن أحمد الجرجاني عن الحسن بن سفيان عن عبد الحميد بن بحر عن شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي قال: قال رسول الله: أنا دار الحكمة وعلي بابها ـ ابن مردويه ـ من طريق الحسن بن محمّد عن جرير عن محمّد بن قيس عن الشعبي عن علي قال: قال رسول الله: أنا دار الحكمة وعلي بابها. وبالسند الماضي إلى ابن بطة عن محمّد بن القاسم النحوي عن عبد الله بن ناجية عن أبي منصور بن شجاع عن عبد الحميد بن بحر البصري عن شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي قال: قال رسول الله: أنا مدينة الفقه وعلي بابها. الحسن بن علي عن أبيه مرفوعاً: أنا مدينة العلم وعلي

(١) في تاريخ الخلفاء: ص ٦٦ عند تعرضه لترجمة علي.

بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. رواه ابن مردويه.

الطبراني: عن الحسن بن علي المعمري ومحمّد بن علي الصائغ قالا: حدثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه.

الخطيب عن الحسين بن علي الصيمري عن أحمد بن علي الصيمري عن ابراهيم بن أحمد بن أبي حصين عن محمّد بن عبد الله عن جعفر بن محمّد الفقيه البغدادي عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس سمعت رسول الله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب.

العقيلي: عن محمّد بن هشام عن عمر بن اسماعيل بن مجالد عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها.

ابن عدي: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن أحمد بن سلمة عن أبي معاوية به.

الخطيب: أخبرنا أحمد بن محمّد العتيقي عن عبد الله بن محمّد الشاهد عن أحمد بن فادويه عن أحمد بن محمّد بن يزيد عن ابن سلمة عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب.

ابن عدي: حدثنا الحسن بن عثمان عن محمود بن خداش عن أبي معاوية به.

ابن عدي: حدثنا أبو سعيد عن الحسن بن علي بن راشد عن أبي معاوية به.

ابن عدي: حدثنا أحمد بن حفص السعدي عن سعيد بن عقبة عن الأعمش به.

ابن حبان: حدثنا الحسين بن اسحاق الاصبهاني عن اسماعيل بن محمّد بن يوسف عن أبي عبيد القاسم بن سلام عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الدار فليأتها من قبل بابها.

ابن عدي: حدثنا النعمان بن بكرون البلدي ومحمّد بن أحمد بن المؤمل وعبد الملك بن محمّد قالوا: حدثنا أحمد بن عبد الله أبو جعفر عن عبد الرزاق عن سفيان عن عبد الله بن عثمان عن عبد الرحمن بن بهما سمعت جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي يقول: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله يمد بها صوته أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب. تابعه أحمد بن طاهر بن حرملة بن يحيى المصري عن عبد الرزاق.

ثمّ عقب ابن الجوزي هذه الروايات بقوله: لا يصح ولا أصل له، قال الدارقطني: حديث علي رواه سويد ابن غفلة عن الصنابحي فلم يسنده وهو مضطرب وسلمة لم يسمع من الصنابحي والرومي لا يجوز الاحتجاج به، وكذا عبد الحميد ومحمّد بن قيس مجهول وطريق الحسن عن علي فيه مجاهيل وجعفر البغدادي متهم بسرقة هذا الحديث وعمر بن اسماعيل وأبو الصلت كذابان، وأبو الصلت هو الذي وضعه على أبي معاوية وسرقه منه جماعة، وأحمد بن سلمة يحدث عن الثقات بالأباطيل وسعيد بن عقبة مجهول غير ثقة، والعدوي وضّاع، واسماعيل بن محمّد بن يوسف لا يجوز الاحتجاج به يسرق ويقلب والحسن بن عثمان يضع والمكتب وابن طاهر كذابان، قال ابن عدي: الحديث موضوع يعرف بابي الصلت ومن حديث به سرقه منه وان قلب اسناده وسئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: قبح الله أبا الصلت ـ اهـ كلام ابن

الجوزي .

أقول أنا : الذين خرج عنهم ابن الجوزي هذا الحديث هم أبو نعيم الاصبهاني وابن مردويه والطبراني والخطيب والعقيلي وابن عدي وابن حبان ، وهؤلاء كلهم حفاظ مشاهير معروفون بالامامة عند أبناء السنة ، ولم ينقل عن أحد منهم وضع هذا الحديث واختلاقه ما سوى ابن عدي ، فهؤلاء الحفاظ المعروفون امّا أن يكونوا معتقدين بوضعه أو لا يكونون كذلك ، فعلى الأوّل مع عدم تنبيههم عليه فهم مدلسون يستسيغون رواية المختلقات وبذلك تنهدم جميع مروياتهم ويسقط اعتبار كافة كتبهم وكل ما عندهم من حيثية حديثية بصريح الضرورة وكل من تأخر عنهم من الحفاظ فهو تلميذ لهم يسقط بسقوطهم ، وبذلك ينهار الحديث السني أيّما انهيار ، وعلى الثاني يتم المطلوب وان الحديث مما له أصل بل وصحيح أيضاً لاخراج الترمذي له واصرار الحاكم في المستدرك على صحته كما قرأت عنه .

وهذا أحمد بن حنبل الذي ينقل عنه ابن الجوزي انّه سئل عن هذا الحديث فقال : قبح الله أبا الصلت ينقل عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص [١] ويقول : قال أحمد في الفضائل : حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمّد بن عبد الله الرومي حدثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي قال : قال لي رسول الله : أنا مدينة العلم وعلي بابها . فإن يكن هذا الحديث موضوعاً فكيف يستسيغ أحمد روايته مع انّه لم ينبه عليه بل عده من فضائل علي ، وإذا كان أحمد بن حنبل يستسيغ رواية ما لا أصل له فعلى حديث أبناء العامة ألف سلام ، ومضافاً إلى من ذكرهم أبو الفرج برواية حديث : أنا مدينة العلم باستثناء ابن

---

(١) ص ٥٣ عند تعرضه لحديث مدينة العلم .

عدي منهم حسبما يقول أبو الفرج حاكياً عنه انّه يتهم الحديث المذكور بالوضع فقد رواه علماء كثيرون بعض حكم بصحته وبعض بحسنه ونشير إلى ذلك بما ذكره السيد الطباطبائي في تعليقه على حديث المدينة من كفاية الطالب للكنجي فقال: وأمّا العلماء الذين حكموا بصحته أو بحسنه فمنهم أبو جعفر الطبري في تهذيب الآثار والحاكم النيشابوري في المستدرك وشمس الدين محمّد بن محمّد الجزري في اسنى المطالب والسيوطي في جمع الجوامع.

أقول: وتاريخ الخلفاء كما أسلفناه عنه، وفضل الله بن روزبهان في ابطال الباطل والمتقي الهندي في كنز العمال. أقول: وفي منتخب كنز العمال كذلك، وقلد أسلفناه. ومجد الدين الفيروز آبادي في نقد الصحيح وابن حجر العسقلاني في بعض فتاواه على ما حكي عنه السيوطي في اللئالىء المصنوعة. أقول: وسيجيء ذكره، وشمس الدين السخاوي في المقاصد الحسنة ومحمّد بن يوسف الشامي في سبل الهدى، وابن حجر الهيثمي في الصواعد والمنح المكية وعبد الرؤوف المناوي في فيض القدير والتيسير على الجامع الصغير والمولى عبد الحق الدهلوي في اللمعات والصبان في اسعاف الراغبين وغير هؤلاء كثيرون، وقد تعرضنا نحن فيما سبق لكثير ممن لم يذكرهم هذا السيد ولا ابن الجوزي.

أقول: فإن كان هؤلاء لا يتحاشون عن نقل الموضوعات وارسالها كغيرها ارسال المسلمات فياخسران أبناء العامة في دينهم ودنياهم جميعاً، على انّ متن هذا الحديث صح أو لم يصح لا يغير ذرة من هوية علم علي، فاننا وهكذا غيرنا لا نعرف علياً بصرف الألفاظ تساق له فإذا تضعضعت جنبتها تضعضع علمه كما هو الحال في تشييد العامة لشخصيات أشياخهم بمروايات أبي هريرة وغيره بل تعرف علياً بما كشفته لنا الضرورة التاريخية فإنّها عرفت لنا علياً بأنّه أعلم أبناء جيله بلا تردد كما كشفت لنا الضرورة اصل وجوده في الكون وكما كشفت

الضرورات نظير ذلك من توظيف الصلاة في دين الإسلام، وهكـذا القـول فـي الزكوة والصيام وما حذا حذوه فلو انّ هذه الوظائف عدمت كل حديث يسرد في حقها لما تضعضع كيانها الشرعي ولما اثر فيها هذا الفقدان أقل أثر ولذا لا تـرى الفقيه في التكلم على هذه الوظائف وأصل لزومها للمكلفين بحاجة إلى نقل آية أو ذكر رواية بل أوّل سلاح يبرز به هو الضرورة من الدين في حقها وهكذا القول في علم علي وشجاعته وزهده وعبادته وفصاحته وبـلاغته وصـفاته الرئـيسية الضاربة في صداها سقف السماء هذا وان مادة: أنا مـدينة العـلم وعـلي بـابها، واحدة من مئات المواد المنقولة الغيرالمطعون فيها أصلاً المتضمنة للحديث عن أعلميته وأفضليته سواء عن النبي أو عن الصحابة أو عن التابعين أو عن غيرهم. وقد سلف جملة من تلك النقول وسيأتي الباقي.

وقد تعرض الخطيب في تاريخ بغداد [١] لترجمة أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي ولحديث مدينة العلم فقال في أبي الصلت: وكان صاحب قشافة وهو من آحاد المعدودين في الزهد قدم مرو أيّام المأمون يريد التوجه إلى الغزو فأدخل على المأمون فلما سمع كلامه جعله من الخاصة من اخوانِه وحبسه عنده إلى أن خرج معه إلى الغزو فلم يزل عنده مكرماً إلى أن أراد اظـهار كـلام جـهم وقول القرآن مخلوق وجمع بينه وبين بشر المريسي وسأله أن يكلمه وكان عبد السلام يرد على أهل الأهواء من المرجئة والجهمية والزنادقة والقدرية وكلم بشر المريسي غير مرة بين يدي المأمون مع غيره من أهل الكلام كل ذلك كان الظفر له ـ إلى أن يقول ـ إلّا ان ثمّ أحاديث يرويها في المثالب وسألت اسحاق بن ابراهيم عن تلك الأحاديث وهي أحاديث مروية نحو ما جاء في أبي موسى وما روى في

---

(١) ج ١١ ص ٤٦ وما بعدها.

معاوية فقال: هذه أحاديث قد رويت، قلت: فتكره كتابها وروايتها والرواية عمن يرويها فقال: امّا من يرويها على طريق المعرفة فلا أكره ذلك وامّا من يرويها ديانة ويريد عيب القوم فاني لا أرى الرواية عنه.

أقول: من هذا يظهر لك أيّها القارىء ان في تيك الأزمان كان الرواة يصحرون بكثير من الحديث الكاشف عن مساوىء أمثال أبي موسى الأشعري ومعاوية بن أبي سفيان لأجل هذا الارهاب من شيوخ المتعصبين بأنّهم لا يرون الرواية التي يراد بها عيب هؤلاء القوم ولا الراوي تقلص ظل الصراحة والاصحار بالواقع كائناً ما كان وأخذت التعصبات تزوي الحقائق شيئاً بعد شيء حتى جاء المحدثون من السنيين أخيراً يعدون كلما جاء من تلك الروايات مختلقاً موضوعاً لأنّه لا يلتئم مع أذواقهم.

ثمّ قال: عن عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال: سمعت أبي يقول: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت الهروي فقال: ثقة صدوق إلّا انّه يتشيع. وعن ابراهيم بن عبد الله بن الجنيد قال: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت الهروي فقال: قد سمع وما أعرفه بالكذب، قلت: فحديث الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس؟ قال: ما سمعت به قط وما بلغني إلّا عنه، وقال مرة أُخرى: سمعت يحيى وذكر أبا الصلت الهروي فقال: لم يكن أبو الصلت عندنا من أهل الكذب، وهذه الأحاديث التي يرويها ما نعرفها. ثمّ قال عبد الخالق بن منصور: قال: وسألت يحيى بن معين عن أبي الصلت فقال: ما أعرفه، قلت له انّه يروي حديث الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فقال: ما هذا الحديث بشيء. قال الخطيب: قلت: أحسب عبد الخالق سأل يحيي بن معين عن حال أبي الصلت قديماً ولم يكن يحيى إذ ذاك يعرفه ثمّ عرفه بعد فأجاب ابراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن حاله، وامّا حديث الأعمش فإنّ أبا الصلت كان يرويه

عن أبي معاوية عنه فأنكره أحمد بن حنبل ويحيى بن معين من حديث أبي معاوية .

أقول : يجوز أن ينكره من طريق أبي الصلت عن أبي معاوية فقط ، وإلّا فأنت قد قرأت آنفاً انّ أحمد خرّج هذا الحديث في الفضائل من غير طريق أبي الصلت عن أبي معاوية .

قال : ثمّ بحث يحيى عنه فوجد غير أبي الصلت قد رواه عن أبي معاوية فأخبرنا محمّد بن أحمد بن رزق أخبرنا أبو بكر مكرم بن أحمد بن مكرم القاضي حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الأنباري حدثنا أبو الصلت الهروي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه . قال القاسم : سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث فقال : هو صحيح . قال الخطيب : قلت : أراد انّه صحيح من حديث أبي معاوية وليس بباطل إذ قد رواه غير واحد عنه .

أقول أنا : وكفى بذلك تأييداً لهذا الحديث ، فإنّ أبا معاوية من الشيوخ الاثبات عند القوم ولم يطعن فيه أحد منهم إذاً فكيف يجوز الاقتصار بنسبة حديث المدينة إلى أبي الصلت وحده حتى ينكر عليه به .

قال الخطيب : أخبرنا محمّد بن علي المقري عن محمّد بن عبد الله النيسابوري قال : سمعت أبا العباس محمّد بن يعقوب الأصم يقول : سمعت العباس بن محمّد الدوري يقول : سمعت يحيى بن معين يوثق أبا الصلت عبد السلام بن صالح فقلت ـ أو قيل له ـ انّه حدث عن أبي معاوية عن الأعمش : انا مدينة العلم وعلي بابها ، فقال : ما تريدون من هذا المسكين أليس قد حدث به محمّد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية ، هذا ونحوه . قال الخطيب : قرأت على البرقاني عن محمّد بن العباس عن أحمد بن محمّد بن مسعدة عن جعفر بن

درستويه عن أحمد بن محمّد بن القاسم بن محرز قال: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي فقال: ليس ممن يكذب، فقيل له في حديث أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس: أنا مدينة العلمت وعلي بابها، فقال: هو من حديث أبي معاوية.

فيحيى بن معين يعترف انّ الحديث لأبي معاوية بلا ريب وأبو معاوية ممن يحتج به عندهم، ثمّ قال: أخبرني ابن نمير قال: حدث به أبو معاوية قديماً ثمّ كف عنه وكان أبو الصلت رجلاً موسراً يطلب هذه الأحاديث ويكرم المشايخ وكانوا يحدثونه بها.

أقول: إن كان صحّ عن أبي معاوية انّه كف عن التحديث به بعدما حدث به قديماً فهو لا يخلو امّا أن يكون اعتقد أخيراً كذبه أو انّه اتقى المتعصبة فسكت عن روايته، وعلى الأوّل مع انّه لم يرو عن أبي معاوية تكذيبه لذلك فهو مما يفتك لا بأبي معاوية المعروف بالوثاقة عندهم وحده بل بمن روى عنه وهكذا فما أكثر الخسارة حينئذ على أبناء العامة بانهدام شيوخهم وسقوط حيثياتهم واقدامهم على رواية الأكاذيب بصفة ارسال المسلمات. وعلى الثاني فنظراء أبي معاوية الذين يرهبون قيامة التعصب عليهم في الاصحار بالحقائق التي يعلمونها كثيرون وهو مما يؤيد مادة الحديث ويصحر بعداوة أبناء السنة لكل من يروي فضائل علي وآل علي.

ثمّ المشايخ الذين يكرمهم أبو الصلت فيحدثونه بمثل هذه الأحاديث ان كانوا كاذبين في روايتها فياخسران أبناء العامة بمشايخ حديثهم أوّلاً وبحديثهم جميعاً في المرحلة الثانية وان كانوا يروونها على وجهها الوارد اليهم من الشيوخ المعاصرين عمن سبقهم وهكذا فما أقوانا نحن بذلك وما أعز جانبنا وأثبت مادة هذا الحديث لنا.

قال الخطيب: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمّد بن علي الواسطي عن أبي مسلم بن مهران عن عبد المؤمن بن خلف النسفي قال: سالت أبا علي صالح بن محمّد عن أبي الصلت الهروي فقال: رأيت يحيى بن معين يحسن القول فيه ورأيت يحيى بن معين عنده وسئل عن هذا الحديث الذي روى عن أبي معاوية حديث علي: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فقال: رواه أيضاً الفيدي، قلت: ما اسمه؟ قال: محمّد بن جعفر ـ اه ملخصاً ـ.

فالى هنا قد ثبت لك عن الخطيب ويحيى بن معين وغيرهما انّ حديث المدينة لم يتفرد به أبو الصلت وان غير واحد رواه عن أبي معاوية وان أبا الصلت في نفسه ثقة لا يكذب وبذلك يرغم أبو الفرج بن الجوزي في تشدده الخارج عن الحق.

ثمّ انّ السيوطي تعقب في لئاليه المصنوعة أبا الفرج في حكمه بوضع هذا الحديث فقال: قلت: حديث علي أخرجه الترمذي وحديث ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك ثمّ ساق عن الحاكم ما أسلفناه نحن مباشرة عن المستدرك وساق بعده ما سقناه نحن الخطيب في تاريخ ثمّ قال: قال الحافظ صلاح الدين العلائي: ومن خطه نقلت في أجوبته عن الأحاديث التي تعقبها السراج القزويني على مصابيح البغوي وادعى انها موضوعة حديث: انا مدينة العلم وعلي بابها، قد ذكره أبو الفرج في الموضوعات من طرق عدة وجزم ببطلان الكل وكذلك قال بعده جماعة منهم الذهبي في الميزان وغيره، والمشهور به رواية أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً وعبد السلام هذا تكلموا فيه كثيراً، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني وابن عدي: متهم، زاد الدارقطني: رافضي.

وقال أبو حاتم: لم يكن عندي بصدوق. وصوب أبو زرعة على حديثه ومع ذلك فقد قال الحاكم: حدثنا الأصم عن عباس الدوري قال: سألت يحيى بن

معين عن أبي الصلت فقال : ثقة ، فقلت : أليس قد حدث عن أبي معاوية حديث أنا مدينة العلم ، فقال : قد حدث به محمّد بن جعفر الفيدي وهو ثقة عن أبي معاوية ، وكذلك روى صالح عن ابن معين ثمّ ساقه الحاكم من طريق محمّد بن يحيى بن الضريس وهو ثقة حافظ عن محمّد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية قال العلائي : فقد برأ أبو الصلت عبد السلام من عهدته وأبو معاوية ثقة مأمون من كبار الشيوخ وحفاظهم المتفق عليهم وقد تفرد به عن الأعمش فكان ماذا وأي استحالة في أن يقول النبي مثل هذا في حق علي ولم يأت كل من تكلم في هذا الحديث وجزم بوضعه بجواب عن هذه الروايات الصحيحة عن ابن معين ومع ذلك فله شاهد رواه الترمذي في جامعه عن اسماعيل بن موسى الفزاري عن محمّد بن عمر الرومي عن شريك بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة عن أبي عبد الله الصنابحي عن علي مرفوعاً : أنا دار الحكمة وعلي بابها .

ورواه أبو مسلم الكجي وغيره عن محمّد بن عمر الرومي وهو ممن روى عنه البخاري في غير الصحيح ، وقد وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود وقال أبو زرعة : فيه لين ، وقال الترمذي بعد اخراج الحديث : هذا حديث غريب ، وقد روى بعضهم هذا عن شريك ولم يذكر فيه الصنابحي ولا نعرف هذا عن أحد من الثقات غير شريك ، قال العلائي : فقد برء محمّد بن الرومي التفرد به وشريك هو ابن عبد الله النخعي القاضي احتج به مسلم وعلق له البخاري ووثقه يحيى بن معين وقال العجلي : ثقة حسن الحديث وقال عيسى بن يونس : ما رأيت أحداً قط أورع في علمه من شريك ، فعلى هذا يكون تفرده حسناً فكيف إذا انظم إلى حديث أبي معاوية ولا يرد عليه رواية من أسقط منه الصنابحي لأنّ سويد بن غفلة تابعي مخضرم أدرك الخلفاء الأربعة وسمع منهم وذكر الصنابحي فيه من المزيد في متصل الأسانيد ولم يأت أبو الفرج ولا غيره بعلة قادحة في حديث شريك سوى

دعوى الوضع دفعاً بالصدر ـ اهـ ـ كلام الحافظ علاء الدين العلائي.

أقول: كلام العلائي كلام متين وزين لا يخدش ولا يرد ولا أقول ذلك انتصاراً لهذا الحديث، ولكن مشيه الرجالي مشي لا عثرة فيه.

قال السيوطي: وسئل شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر عن هذا الحديث في فتيا فقال: هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: انّه صحيح، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي فذكره في الموضوعات وقال: انّه كذب، والصواب خلاف قولهما معاً، وانّ الحديث من قسم الحسن لا يرتقي إلى الصحة ولا ينحط إلى الكذب، وبيان ذلك يستدعي طولاً، ولكن هذا هو المعتمد في ذلك ـ اهـ ـ ومن خطه نقلت وذكر في أجوبته عن الأحاديث التي انتقدها السراج القزويني على المصابيح نحو ذلك وزاد انّ الحاكم روى له شاهداً من حديث جابر قال: حدثني أبو بكر محمّد بن علي الفقيه الشاشي القفال حدثني النعمان بن هارون البلدي حدثنا أحمد بن عبد الله بن يزيد الحراني حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن جابر مرفوعاً به وقال في لسان الميزان عقيب ايراد الذهبي رواية محمّد بن جعفر عن أبي معاوية وقوله هذا موضوع ما نصه: وهذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرك الحاكم أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل فلا ينبغي أن يطلق القول عليه بالوضع ـ اهـ ـ.

قال السيوطي: وبقي للحديث طرق فساق عن الخطيب في تلخيص المتشابه سنداً ولكنه أعله بعدما ذكره وعن ابن النجار سنداً آخر اتهمه الذهبي بالوضع كما هو شأنه في هذا الحديث وأضرابه وعن أبي الحسن علي بن عمر الحربي في أماليه وعن أبي الحسن شاذان الفضلي في خصائص علي ولم يخدشهما بشيء.

ثمّ ختم الباب بما لا يقضي العجب منه فقال ابن عساكر: انبأنا غيث بن علي

الخطيب حدثني أبو الفرج الاسفرايني قال: كان أبو سعد اسماعيل بـن المـثنى الاسترابادي يعظ بدمشق فقام إليه رجل فقال: أيّها الشـيخ مـا تـقول فـي قـول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انا مدينة العلم وعلي بابها؟ قال: فأطرق لحظة ثمّ رفع رأسه وقال: نعم، لا يعرف هذا الحديث على التمام إلّا من كان صدراً في الإسلام، إنّما قـال النبي: أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها، فاستحسن الحاضرون ذلك وهو يردده، ثمّ سألوه أن يخرج له اسناداً فاغتم ولم يخرجه لهم، ثمّ قال شيخي أبو الفرج الاسفرايني ثمّ وجدت له هذا الحديث بعد مدة في جزء على ما ذكره ابن المثنى.

فهل ترى ان عجب العاقل يقضي من هذه الطامات العظام والبلايا الجسام التي لعبت بالدين وعبثت بالمسلمين بما حففت كفة مبدئهم عند كل متنور حتى أصبح يختار اللادينية على التدين بمثل هذه الخزعبلات.

وقال ابن أبي الحديد [١]: وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ـ إلى أن يقول ـ وقد عرفت ان أشرف العلوم هو العلم الالهي ومن كلامه اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ فإنّ المعتزلة الذيـن هـم أهـل التـوحيد والعدل تلامذته وأصحابه لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم ابن محمّد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه محمّد وأبوه تلميذه، والأشاعرة ينتمون إلى أبي الحسن علي بن أبي الحسن وهو تلميذ أبي علي الجبائي وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة والامامية والزيدية انتماؤهم إليه ظاهر ومن العلوم علم الفقه وهـو عليه السلام أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه، فأصحاب

---

(١) في مقدمة شرحه على النهج: ج ١ ص ٦.

أبي حنيفة أخذوا عن أبي حنيفة والشافعي قرأ على محمّد بن الحسن وهو حنفي فيرجع أيضاً إلى أبي حنيفة وأحمد بن حنبل قرأ على الشافعي فهو يرجع إلى ما رجع إليه الشافعي وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد الصادق وعلم جعفر عليه‌السلام مأخوذ عن جده علي عليه‌السلام ، وامّا مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي وقرأ ربيعة على عكرمة وعكرمة عن ابن عباس وقرأ ابن عباس على علي وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك.

ثمّ قال: وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وكلاهما أخذ عن علي، أمّا ابن عباس فظاهر، وامّا عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لولا علي لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله: لا يفتين احد في المسجد وعلي حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه وقد روت العامة والخاصة قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: أقضاكم علي، والقضاء هو الفقه فهو إذاً أفقههم. وروى الكل أيضاً انّه عليه‌السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه، قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين، وهو عليه‌السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر وهو الذي أفتى في الحامل الزانية.

ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخذ ومنه فرع وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك لأنّ أكثره عنه وعن ابن عباس وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه إليه وانّه تلميذه وخريجه.

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف وقد عرفت انّ أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون. ومن العلوم علم النحو قد علم الناس كافة انّه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي

جوامعه ـ اهـ ملخصاً ـ.

وهو لعمري لم يذكر إلّا القليل من هذه الأبواب التي طرقها إلّا انّه يعذر لكونه استطرد ذلك استطراداً ولم يكن من هدفه وهو في المقدمة البسط والتوسع وفي خلال الأجزاء العشرين التي كتبها على النهج نماذج كثيرة من قماش ما ذكره في مقدمة كتابه.

فمن ذلك (ج ١ ص ٩) وهو من المقدمة أيضاً: وامّا قراءته القرآن والاشتغال به فهو المنظور إليه في هذا الباب اتفق الكل على انّه كان يحفظ القرآن عن عهد رسول الله ولم يكن غيره يحفظه ثمّ هو أوّل من جمعه وإذا رجعت إلى كتب القرآت وجدت ائمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وغيرهما لأنّهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارىء وأبو عبد الرحمن كان تلميذه وعنه أخذ القرآن.

ثمّ انّ في نفس كلام علي عليه السلام ما فيه صراحة تامة بتمام علمه وان غيره كان ناقصاً يخلط العلم بالجهل وان بضاعته العلمية في دين الله كانت نزرة طفيفة لا تكفيه بلاغاً ولا تقوم بمهمه الديني ووظيفته الشرعية، فمن ذلك ما ذكر له في نهج البلاغة [(١)] ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثمّ ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آرائهم جميعاً والاههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه

(١) ج ١ ص ٩٥ تحت عنوان: ومن كلام له (ع) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا.

وأداءه والله سبحانه يقول: ما فرطنا في الكتاب من شيء، وقال: وفيه تبيان كل شيء وذكر انّ الكتاب يصدق بعضه بعضاً وانّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

وفي نفس مفاد هذا الفصل ما يدل على مزيد تضلعه بعلوم الشريعة وان هـذا الاجتهاد الذي يسميه العامة اجتهاداً باطل رأساً لأنّه استعمال للفظ في غير معناه فإنّ الاجتهاد الصحيح معناه بذل الوسع في تحصيل الفرع من مدركه، فإذا كـان من يزاول الاجتهاد بعيداً عن معرفة المدارك بجهله وعاميته فكيف يسوغ له أن يعمل نظره ورأيه ويعد ما ينتجانه حكم الله في هذا الموضوع الذي عرض له أو سئل عنه، وبهذا الملاك الواضح يفتضح القائل بالقياس والاستحسان وابداء النظر المجرد وتسميته اجتهاداً يؤجر فيه صاحبه إن أصـاب ويـعذر ان أخـطأ، فـإنّ القياس والاستحسان وتشهيات النفوس ليست من المدارك الشرعية ولا ربط لها بالشرع والذي اورط القوم في هذه الورطة عزلهم نظير علي عن منصة الافـتاء والحكومة والتجائهم بمجهولاتهم الدينية إلى من كاشفهم بعجزه وجهله ولو انهم اندفعوا إلى علي بالسؤال في كل حادثة تعرض لهم منذ فقدوا النبي إلى أن توفي علي لاستفادوا من علمه غزيراً يقوم بجل احتياجاتهم الشرعية بل كلها، وعلى سنن علي في الفضيلة آل محمّد الأماجد الأفاضل الذين سارت الركبان بعلومهم مشرقة ومغربة على شديد ما صادفوه من ارهاب وإعنات وطرد وتشريد وهذان الصادقان لما خفت الحوادث عن وجوههما نسبياً ولم يبتليا بكل مـا ابـتلى بـه سلفهما الصالح جاء العلم من نـاحيتهما إلى النـاس كـالسيل المـنحدر تـتلاطم أمواجه ويرغو زبده واعترف المخالف والمؤالف لهما بذلك، وأي عذر للمسلم في تخلفه عن هذه المنابع العلمية وارتياحه إلى الاستحسانات الباردة والأقيسة الفاسدة والاجتهادات النابية واعتداده بهذه المنابع الكدرة اصولاً ومدارك شرعية

يبرء بها موقفه من الله تعالى، حتماً لا يعذر فإنّ الجهل عن تقصير لا يعذر صاحبه من ناحية الله باجماع العقول والعقلاء فضلاً عما ورد فيه من الآثار.

وقال عليه السلام (ج ١ ص ٤٢٤) لما عزم على حرب الخوارج وقيل له انّ القوم قد عبروا جسر النهروان: مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة. قال الرضي رحمه الله: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جماً.

وقال الشارح معلقاً: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس كافة له وهو من معجزاته وإخباره المفصلة عن الغيوب والأخبار على قسمين: أحدهما الأخبار المجملة ولا اعجاز فيها، نحو أن يقول الرجل لأصحابه: انكم ستنصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً، فإن نصر جعل ذلك حجة له عند أصحابه وسماها معجزة وإن لم ينصر قال لهم: تغيرت نياتكم وشككتم في قولي فمنعكم الله نصره، ونحو ذلك من القول. والقسم الثاني في الأخبار المفصّلة عن الغيوب مثل هذا الخبر فإنّه لا يحتمل التلبيس لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفه صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الله سبحانه والقوة البشرية تقصر عن ادراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر غلا فيه من غلا حتى نسب إلى انّ الجوهر الالهي حلّ في بدنه كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام وقد أخبره صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال: يهلك فيك رجلان محبّ غالي ومبغض قالي، وقال صلى الله عليه وآله وسلم له تارة أُخرى: والذي نفسي بيده لولا اني أشفق أن يقول طوائف من امتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة ـ اهـملخصاً ـ.

وفي النهج (ج ٤ ص ٣٧٢): وروي انّه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيّامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي فهمّ عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: انّ هذا القرآن أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله ولم يتركه نسياناً ولم يخف عنه مكاناً فأقرّه الله ورسول الله، فقال عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحلي بحاله.

وهذا الحادث مما يدل على مكانة علي في العلم غاية ونهاية فإنّه عليه السلام بكلمته هذه عرف القوم ان صنيعكم هذا من قبيل الاجتهادات في قبال النصوص الصريحة فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخف عليه مكان هذا الحلي من الكعبة لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم ابنها وربي فيها ونشأ على مصابحتها ومماساتها ولقد كان بحاجة ماسة إلى القليل من المال لضرب وجوه المشركين واقامة معالم الدين وهذا الحلي كان بمرأى منه يوم اقتدر عليه بفتح مكة فنفس انصرافه عنه وتقريره كما كان من الالزامات الواضحة لكل مسلم أن يطأ فيه على أثره لأنّ تقرير المشرع حجة كأقواله وأفعاله وكما قال عمر: لولا علي لافتضح القوم وفي طليعتهم ابن الخطاب بهذا الاجتهاد البارد وابداء الرأي الكاسد.

ومن كلام له عليه السلام (ج ٣ ص ٣) كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الأُمور بهما: لقد نقمتما يسيراً وارجأتما كثيراً ألا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه أم أي قسم استأثرت عليكما به أم أي حق رفعه إلي أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطأت بابه والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة ولكنكم

دعوتموني اليها وحملتموني عليها فلما أفضت الي نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استن النبي ﷺ فاقتديته فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما واخواني المسلمين ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما وامّا ما ذكرتما من أمر الاسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوى منه بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ﷺ قد فرغ منه فلم أحتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق والهمنا واياكم الصبر. ثمّ قال عليه السلام: رحم الله امرىء رأى حقاً فأعان عليه أو رأى جوراً فرده وكان عوناً بالحق على صاحبه.

أقول: وقد صدق عليه السلام في قوله: ما كانت لي في الخلافة رغبة فإنّه عليه السلام لما رأى القوم منذ يوم السقيفة مجلبين على منعه وحرمانه ففي يوم السقيفة ما قرأت وفي استبداد أبي بكر باستخلاف عمر ما هو واضح جلي وفي تمني عمر حياة سالم مولى أبي حذيفة ليوليه الخلافة مباشرة وعلي منه بمرأى ومسمع ووضعه القضية شورى بين ستة نفر بطور مرموز يقطع من ترتيب مقدماته بحرمان علي منها قطعاً ولما أفضت إلى عثمان صارت العوبة بيد صبيان بني امية وفساقهم؛ تجلى له بوضوح انّ قضية الخلافة حتى لو أُوتيها عفواً لما كان فيها أقل خير للآفات التي تدخلت فيها والحزازات التي تكونت منها وانّ الناس تلقوها بصبغة ملوكية لا زعامة دينية ينظر فيها الواقع كما ينظر ذلك في نفس النبوة وهذا مما يصرف بنظر كل لبيب وهو عليه السلام صرح بزبدة هذا المفاد في جملة من خطبه والذي دعاه لقبول ذلك هو واجبه الشرعي والقيام حد الأقل بدفع بعض الظلم وتوجيه الناس لبعض المعارف الدينية التي اختلطت عليهم زمن ابن عفان وولايته وهكذا من قبله وقد تقرر في الشرع انّ ما لا يدرك كله لا يترك كله وان

مفاد هذه القاعدة حجة الزامية بلا ريب.

ومن كلام له عليه السلام (ج ٣ ص ١٣) وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام: انّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً، ولقد كُذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً فقال: من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار، وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً فلو علم الناس انّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رآه وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثمّ بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس فأكلوا بهم الدنيا وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول: أنا سمعته من رسول الله فلو علم المسلمون انّه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو انّه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به ثمّ انّه نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثمّ أمر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم انّه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه انّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على

سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه فهو حفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام والمحكم والمتشابه فوضع كل شيء موضعه وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام له وجهان فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به ولا ما عنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسأله ويستفهمه حتى ان كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارىء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلّا سألته عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم ـ اهـ.

أقول: قد أصاب هذا الفصل الثمين محز الواقع بكل حرف من حروفه.

امّا القسم الأوّل: وهم المتصنعون بالاسلام من الصحابة الذين بقوا بعد صاحب الرسالة ورووا عنه كاذبين في واقعهم وفضحهم سيرهم الدنيوي فضيحة جاهرة فهم كثيرون جداً، وقد سلف منا الكلام على جملة منهم كأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وابن العاص وسمرة بن جندب ومن شاكل اولئك، ولا ريب انّ هؤلاء من مصاديق هذا الفصل وان أصرّ أبناء السنة على عدالة كل صحابي بلا استثناء حتى الوليد بن عقبة الفاسق بنصّ الكتاب كما لا ريب انّ اصرارهم على ذلك من موجبات خزيهم وافتضاحهم بواضح الضرورة.

وأمّا القسم الثاني: فهم نوع عوام الصحابة فإنّ كثيراً من العوام كما نراه في هذه الأزمان التي هي أرقى فكراً من ذلك الزمان يسمعون الفتوى من ملقيها عليهم ولكن لا يفهمونها الفهم اللازم فيقعون من جراء ذلك في أوهام كثيرة وينقلون عن المسموع عنه ما لم يقله لعدم دركهم ما ألقاه عليهم، وهذا المطلب فضلاً عن كونه معقولاً محسوس بكثرة متكررة.

والقسم الثالث: كثير أيضاً وحتى في المتنورين وطلبة العلم المبتدئين في هذه العصور فضلاً عن العصور السابقة التي يلتقي فيها الرجل بالنبي مرة ومرة لا فيسمع المنسوخ بادئاً ولا يحظى بسماع الناسخ وهلم القول في العام والخاص والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيد ولهذا اشترط العلماء عدم جواز العمل بالعام والمطلق والمنسوخ الذي لا يدرى بنسخه بادئاً قبل الفحص عن المخصص والمقيد والناسخ فالفحص عن ذلك ضروري للفقيه ومن هنا وجب على العوام تقليدهم للعالم لعدم تمكنهم من القيام بوظائفهم الشرعية وهم بعيدون عن مدارك الشريعة وفهم المغازي والدقائق منها والعالم المتضلع خبير بهذه المواقع ونكاتها كما ينبغي وقد كان جهال الصحابة مفتونين بصحبتهم غافلين عن عاميتهم فكان كل انسان منهم يرى نفسه أصلاً مستقلاً ولا يميز أن السمع وحده لا يجدي ما دامت ملكته العلمية قاصرة نازلة وان السامعين يتفاوتون في الدرك وغريزة الفهم وكثرة ممارسة الأحكام والاهتمام بالحفظ والتفحص عن ما سمعوه والتدقيق فيما نقلوه.

والقسم الرابع: قليل جداً ولا يوجد من مصاديقه في الصحابة إلّا عدد الأصابع بلا ريب وقد كشفتهم الممارسات العلمية للناس وأعظمهم قدراً وأجلّهم مقاماً وأكثرهم علماً وأغزرهم مادة وألصقهم بمصدر التشريع وأفهمهم لمغازيه ونكاته بما كشفه العيان لأهله بصراحة لا غبار عليها هو علي بن أبي طالب الذي اعترف أكابر الصحابة بفضله الذي استغنى معه عن كل أحد واحتاج إليه فيه كل من سواه بلا استثناء وقد تقدم ما يشهد لذلك بكثرة.

وذكر ابن أبي الحديد (ج ٣ ص ١١٥) قال: روى أبو بكر الأنباري في أماليه انّ عليّاً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب فقال عمر: حق لمثله أن يتيه والله لولا سيفه لما قام عمود

الإسلام وهو بعد أقضى الأُمّة وذو سابقتها وذو شرفها .

ومن خطبة له عليه السلام (ج ٣ ص ٢١٥) انّ أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلّا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ولا يعي حديثنا إلّا صدور أمينة وأحلام رزينة ، أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب بأحلام قومها .

علّق الشارح المعتزلي على ذلك (ج ٣ ص ١١٧) فقال : أجمع الناس كلهم على انّه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء سلوني غير علي بن أبي طالب عليه السلام ذكر ذلك ابن عبد البرّ في كتاب الاستيعاب والمراد بقوله : فلأنا أعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض ما اختص به من العلم بمستقبل الأُمور ولا سيما الملاحم والدول وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكرر لا مرة ولا مأة مرة حتى زال الشك والريب في انّه إخبار عن علم وانّه ليس على طريق الاتفاق ـ اهـ .

أقول : ومن يكن بصدد استقصاء ذلك من الأثر الصحيح يقف على جملة وافرة يتوفر منها تأليف ضخم وقد أخبر عن واقعة الطف وما يصيب خلّص أصحابه من ميثم التمار ورشيد الهجري وحبيب بن مظاهر الأسدي وغير اولئك بتفاصيل عجيبة استفاد أسرارها من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وفي نفس مجموع النهج أسرار وعلوم خفية يخرج بنا ذكرها في هذا التأليف عن خطة الموضوع وقد ذكرها الشارح المعتزلي بتوسع تاريخي فمن أراد ذلك فليرجع إليه .

ومما يستكشف به الملاك لغزير معلوماته وجليل ما توفر لديه من فضل بارع قوله عليه السلام من جملة كلام له (ج ٣ ص ٢٥٠) وهو عين ما برز به العيان وشخص به الواقع الصريح :

أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر وقد

علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضع الشيء ثمّ يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا انك لست بنبي ولكنك لوزير وانك لعلى خير.

ومن خطبة له عليه السلام (ج ٣ ص ٢٨٩) يذكر فيها آل محمّد ﷺ: هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل.

ولا شبهة انّ علياً عليه السلام في طليعة آل محمّد فضلاً وفضيلة وأي حسنة تفرض.

ومن جملة كلام له عليه السلام (ج ٢ ص ١٢٩): وآخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على أهوائه يؤمن

الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول أعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب الالعمى فيصد عنه وذلك ميت الأحياء فأين تذهبون وأنّى تؤفكون والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة فأين يتاه بكم وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمّة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش أيّها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله انّه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فإنّ أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو أنا ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر قد ركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام وألبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل إليه الفكر.

ومعنى قوله عليه السلام: انّه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببال: انّ المجاري الظاهرية التي تشمل أفراد النوع من مفارقة الحياة الدنيا بالموت وتلاشي الأبدان بعده لا تتخلف فينا فنحن كالناس في مجاري الطبيعة نجوع ونظمأ ونموت ونحيى وما إلى ذلك من سنن عامة، ولكننا نمتاز عنهم بأنّ أرواحنا ونفوسنا طرية وذكرنا باقي وأثرنا على مرور الأيّام طري جديد وبهذا تمتاز الوجودات الحية بمعنى الحياة الصحيح عمن معناه في الحياة اضطراب على وجه الأرض وأكل وشرب واغراق في الماديات المظلمة.

ومن خطبة له عليه السلام (ج ٢ ص ١٧٣): أمّا بعد حمد الله والثناء عليه أيّها الناس فاني فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألونني عن شيء

فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مأة وتضل مأة إلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأُمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين ـ إلى آخر ما ذكر عليه‌السلام من نبأ المستقبل الذي وقع كما قال. ونحن قد أسلفنا انّ شرح التطابق بين أقواله ومواقع الخارج في كافة ما ورد عنه من غيب أظهره ومستور كشفه بتعليم من الرسول الأكرم واختصاص منه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم له عليه‌السلام يحتاج إلى تدوين موسوعة كبيرة ولأجل أن لا يخلو هذا الفصل من تعليق نذكر ما علقه ابن أبي الحديد عليه.

قال: ولقد امتحنا إخباره فوجدناه موافقاً فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كإخباره عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب لحيته وإخباره عن قتل الحسين ابنه وما قاله في كربلاء لما مرّ بها وإخباره بملك معاوية بعده وإخباره عن الحجاج بن يوسف بن عمر وما أخبر به عن أمر الخوارج بالنهروان وما قدمه إلى أصحابه بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وإخباره بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص إلى حرب الجمل وإخباره عن عبد الله بن الزبير وقوله فيه: خب ضب يروم أمراً ولا يدركه ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا وهو بعد مصلوب قريش، وكإخباره عن هلاك البصرة بالغرق تارة وبالزنج تارة أُخرى، وكإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان وتنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق بتقديم المهملة وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وكإخباره عن الأئمّة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعي، إلى آخر ما ذكره فراجع ص ١٧٥ و ١٧٦ من المجلد المذكور.

ومن جملة كلام له عليه‌السلام (ج ٢ ص ٤٤٨): نحن الشعار والأصحاب والخزنة

والأبواب ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً.

أقـول: هذه صراحة قوية بما يروى له من حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها، بل هو تعبير بمضمون الحديث نفسه، وقال الشارح المعتزلي في شرحه على هذا الموضع ومراده الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخزنة والأبواب يمكن أن يعني به خزنة العلم وأبواب العلم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا مدينة العلم وعـلي بـابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب، وقوله فيه: خازن علمي، وقال تارة أُخرى: عيبة علمي.

وقال الشارح (ج ٢ ص ٤٥١) تحت عنوان: الخبر الثالث والعشرين قـالت فاطمة: انك زوجتني فقيراً لا مال له، فقال: زوجتك أقـدمهم سـلماً وأعـظمهم حلماً وأكثرهم علماً ألا تعلمين انّ الله اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك ثمّ اطلع اليها ثانية فاختار منها بعلك. رواه أحمد في المسند، وقال: تحت عنوان الخبر الرابع: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه وإلى آدم في علمه وإلى ابراهيم في حلمه وإلى موسى في فطنته وإلى عيسى في زهده فلينظر إلى علي بن أبـي طالب. رواه أحمد بن حنبل في المسند ورواه أحمد البيهقي في صحيحه.

أقـول: إنّما خصّ ذكر آدم بالعلم لقوله تعالى في حقه: **﴿وعـلّم آدم الأسماء كلّها﴾** وهذا لا يستلزم نفي هذه الصفة عن غيره من الأنبياء كيف ونبوتهم موقوفة عليها لكن يشتهر الإنسان بميزة تنسب له ويعرف بها فيخيل إلى من لا دربة له انّ هذه الميزة شعاره الوحيد في حال انّ الأمر ليس كذلك.

هذا واني لا أراني في حاجة إلى حشر الأقوال والآثار الصادرة في علمه عليه السلام وسرد القضايا المحيرة للعقول التي جائت عنه والعوائد العلمية التي وصلت الينا منه بعد أن دللت على الموضوع بما يشهد له أتم شهادة فلنقف بالقلم عـند هـذا الحدّ فإنّ منظورنا البرهنة والتدليل لا الفحص والتنقيب.

٤ ـ مرحلة البيان الناضج والفصاحة والبلاغة

حقاً انّ أمير المؤمنين عليّاً قد اوتي تمام الحظ في كافة القابليات الضخمة الوزن والعيار لا أن له من كل قدر مغرفة فهو العابد الزاهد جهد مقدور الإنسان، والكريم الجواد الذي لم يترك وراءه أقل حطام، والعالم الذي نحر الظاهر والباطن بما تفيض من بحوره الطوامي ما سالت به شعب الجداول المتدافعة بمادتها الغزرة، والناطق الذي يملك الأسماع والقلوب ببليغ رصفه للتراكيب الجالبة وفصيح ألفاظه المرصوفة وعباراته المترابطة ومعانيه العالية ومغازيه السامية وأهدافه العظيمة فهو إذا تكلم لم يتكلف وإذا أفاض في موضوع جرى فيه جري الماء في الوادي المتحدر وتصريف خطابه موقوف على ارادته فإن شاء أن يلخص الموضوع المتشعب جاء بالاعجاز في لفظه القليل ومعناه الكثير وإن شاء أن يتبسط طرق كل الجنبات التي يعرفها للموضوع فوفاها حقها وإذا بصنوف المتع تراها تترى على السمع والقلب فيتناولان منها ما شاءا من وصف بديع وحقيقة راهنة قد شرحها تحت مشراط علمه ولسانه المديد وعباراته المستجمعة لما يروم الناطق أن يبديه لمخاطبيه ومستمعيه.

وقد طفحت كتب الأدب والأخبار والحديث والفصاحة والبلاغة بروائع خطبه وبدائع كتبه ورشيق عباراته وقصار كلماته في شتى الفنون والمقاصد فتارة في التوحيد، وأُخرى في تشريح معنى الرسالة ووصف ما كان عليه الأنبياء والرسل، وثالثة في التبشير والتحذير والتزهيد والترغيب، ورابعة في وصف الأولياء ونعت العرفاء وبيان مقام الصديقين، وخامسة في بحثه عن المجردات والنفوس العالية والموجودات الشريفة الملكوتية، وسادسة في وصف بدائع المخلوقات وعجائب الكونيات، وسابعة في سرد الحجج وايضاح الدلائل وتفنيد الباطل

وتعزيز جانب الحقائق، وثامنة في بيان العلم والعلماء والفضيلة والفضلاء وما هو الزائف منها والصحيح والسقيم منها، وتاسعة في كشف أستار الغيوب وهتك حجاب المستقبل بالحقائق التي تلقاها عن معدن الوحي ومهبط الملائكة، وعاشرة في نكات الأدب ومزايا الأخلاق الفاضلة والعرفيات الصحيحة وما ينفع الاجتماع ويضره وهلم دواليك.

ويستطيع الباحث المتقن المدرب العارف بمواقع الكلام ومزايا المقاصد والأهداف أن يجمع له في ذلك سلسلة حافلة أضخم مما جمع له الرضي من مصادرها الموفورة الغزيرة السابقة على عصر الشريف المذكور والمقاربة له والمتأخرة التي تعرب مضامينها عن صحة انتسابها له فضلاً عما شفعها من صحة النقل واستفاضة الرواية وانها عن المخالف أكثر وروداً من المؤالف.

وقد تصدى من المتأخرين من جمع مستدركاً واسعاً لنهج البلاغة عن المصادر الموثوق بها ولعل الباحث المرابط والمتوسع في مطالعاته واستعراضه لبطون الكتب والروايات يجمع أكثر من ذلك بكثير فإنّ الدواعي التي هيجت من خواطر علي عليه السلام في المناسبات المتوفرة لم تحصل لغيره وكان سرد الكلام عليه أسهل من كل سهل لوجود مادة الكلام عنده لفظاً ومعنى فهو ليس بحاجة إلى اطالة التفكير والتفتيش عن مظان الكلم وان أيّها يناسب أن يقال أو لا يقال.

وقد قال المسعودي في مروج الذهب في الفصل الذي عقده لترجمته عند تعرضه للمع من كلامه (ج ٢ ص ٤٣١) والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعماءة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً. ثمّ بعد أن سرد جملة من فصول كلامه قال وفضائل علي ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه أكثر من أن يأتي عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب أو يبلغه اسهاب مسهب أو اطناب مطنب.

قال المسعودي والأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضل هي السبق إلى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله والقربى منه وبذل النفس له والعلم بالكتاب والتنزيل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد والقضاء والحكم والفقه والعلم وكل ذلك لعلي عليه السلام منه النصيب الأوفر والحظ الأكبر إلى ما ينفرد به من قول رسول الله ﷺ حين آخى بين أصحابه أنت أخي وهو ﷺ لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثمّ دعاؤه عليه السلام وقد قدم إليه أنس الطائر اللهم ادخل إلى أحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطائر فدخل عليه علي إلى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق في غيره.

وقال الشارح المعتزلي في مقدمة شرحه على النهج (ج ١ ص ٨) وأمّا الفصاحة فهو عليه السلام أمام الفصحاء وسيد البلغاء وعن كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثمّ فاضت وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق إلّا سعة وكثرة، حفظت مأة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية جئتك من عند أعيى الناس قال له: ويحك كيف يكون أعيى الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على انّه لا يجارى في الفصاحة ولا يبارى في البلاغة وحسبك انّه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتابه البيان والتبيين وفي غيره من كتبه.

وقد نجمت في هذه العصور ناشئة بعدت عن الورع والدين بمقدار ما بعدت

عن المعارف الصحيحة فأخذت بمجرد أن قرأت بعضاً من كتب الأدب السائر تدعى التبحر في كل شيء وفي طليعة كل ذلك الفلسفة التي ربما ما عرفت منها وحتى تعريفها الصحيح فضلاً عن بحوثها الجمة مطالبها المستغلقة فجاءت تتفلسف حتى في الشعر تقرؤه والحديث من التاريخ تقف عليه وأخذت تكيل التشكك بمكياله الواسع في كل شيء على جهلها بكل شيء حقاً ومن ذلك ما تدعيه انّ جملة من محتويات نهج البلاغة لم يصدر عن علي وإنّما هو من وضع الشريف الرضي جامعه ومؤلفه وتروم الاستدلال على ذلك بعدة وجوه:

١ ـ انّ فيه انتقاصاً لجملة من الصحابة.

٢ ـ انّ فيه جملة من المحسنات البديعية التي لم تعرف إلّا في الدور العباسي.

٣ ـ انّ فيه إخباراً عن المستقبل.

٤ ـ انّ فيه من التقسيم والترديد الذي لم يعرف إلّا بعد أن ترجمت الفلسفة من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية.

ويا ما أتعس هذه الوجوه من وجوه كاسفة.

امّا أوّلاً ـ فإنّ عليّاً لم يتناول في كلامه أحداً من الناس إلّا وقد عرفه التاريخ العمومي لكافة قرائه باضعاف مضاعفة مما تناوله عليه السلام في كلامه، فعلي لم يستعرض من حديث السقيفة وحديث الشورى وأحداث عثمان إلّا طرفاً مما حبره قلم التاريخ، وأمّا تحديثه عن المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومعاوية وجنوده فهو أقل بمسافات مما قام به الباحثون من مؤرخين ومحدثين وقد مرّ عليك جملة من ذلك آنفاً ويجيء الباقي في مناسباته.

وأمّا ثانياً ـ فإنّ المحسنات البديعية بأسرها كانت قبل زمان علي، وهذه كتب البلاغة الباحثة عن فن البديع جد جاهرة بذلك فانك لا ترى الاستشهاد فيها على النكات البديعية إلّا باشعار الجاهليين والمخضرمين وآيات الكتاب وفقرات

الحديث النبوي والمتأخرون غاية عملهم فيها انهم ضبطوها وبوبوها وقسموها إلى لفظية ومعنوية لا أكثر.

وأمّا ثالثاً ـ فكل من يستنكر أو يستكثر على النبي ﷺ إخباره بالغيب يستنكر ذلك على علي ويستكثره منه، فانك قد قرأت مبسوطاً انّ أمير المؤمنين كان أخص الناس به في الظاهر والباطن وعنه أخذ علمه الجمّ ومعارفه الغزرة التي فاتت حدّ الوصف.

وأمّا رابعاً ـ فإنّ التقسيم والترديد موجودان بكثرة في كلام الله سبحانه وفي السنة النبوية مثل: بني الإسلام على خمس، وما إلى ذلك، والمتتبع يجمع من ذلك رسالة واسعة، وليس مثل هذه التشقيقات بعزيز على من هو أقل من علي فضلاً ونطقاً ودربة في تشقيق وجوه الكلام وتقسيم صفوف المعاني والألفاظ، وما هي الفلسفة اليونانية وأي فلسفة تفرض في أكثرها سوى مجموعة من اصطلاحات وموسوعة من قواعد حادثة في أشكالها وهيئاتها قديمة في موادها وجواهرها فكل عاقل يعرف انّ العدم والوجود لا يجتمعان لماهية واحدة في آن واحد وعرض واحد وان لم يعرف انّ اسمه التناقض، وكذلك يعرف انّ حمل الادراك على الإنسان واجب له في قولنا: كل انسان مدرك، وإن لم يعرف انّ اسم هذه القضية ضرورية، كما يعرف انّ الإنسان يجوز أن يكون كاتباً ولا يمتنع عليه في قولنا: كل انسان كاتب بالامكان، وإن لم يعرف انّ هذه القضية تسمى ممكنة وهلم دواليك.

وحقاً انّ كل ما أشكلوا به فاقد لوجه القوة مملوء بالضعف وما حررناه في الجواب عليه زائد في حقه ونحن قد توسعنا في الجواب عن هذه البه في الحلقة الأُولى من الحياة الروحية التي قد أنجزتها المطابع قبل اثنتي عشرة سنة والحمد لله.

٥ـ مرحلة الأيد والبطولة والشجاعة

وكما أسلفناه فقد فات علي في بطولته وأيده وشجاعته وصف الواصف حتى أصبح مضرب المثل لمن قال ـ إن تكن فارساً فكن كعلي ـ وقد عرفته الحروب الدامية والمواقف الضنكة والشدائد المحرجة انّه ابن بجدتها بسالة وشجاعة واستقامة وثباتاً وصلابة وما قام عمود الدين إلّا بسيفه وما بني الإسلام إلّا على ساعده، وهذا من الوضوح بمكان عريض، ونحن قد عرضنا مواقفه الحربية في فصول السيرة النبوية عرضاً واسعاً ويجيء من ذلك ما يتعلق بالبحث عن حرب الجمل وصفين.

وقد كتب فريد وجدي [١]: وإن كان هضم التاريخ حقه في الكتابة عن هذا الرباني والإنسان الكامل بمعناه الواسع وحق له فإنّه كما عرفناه مكرراً لقراء بحوثنا انّه نقالة صرف على انّه لا يجيد النقل أيضاً وقصوره في أشواط العلم الكسبي والفن النظري هو الذي قعد به هذا القعود الشائن فكان في كتابه هذا كالخابط في عشواء والحاطب في الليلة الظلماء ـ تحت عنوان صفات علي ـ.

اجتمعت في علي عليه السلام خصال لم تجتمع لغيره من الخلفاء، وهي: العلم الغزير والشجاعة العالية والفصاحة الباهرة وكان مع هذا حاصلاً من محامد الأخلاق ومكارم الطباع على ما لا يتفق لغير الكاملين من الأفراد، فكان عليه السلام من الشجاعة بالمكان الأرفع حتى انّ الأبطال كانت تتجنب مواقفته، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد كلها فكان بها خائض غمرات وكاشف كربات ومبدد كتائب وكان من أعلم أهل وقته بأساليب الحروب وفنونها لم تحفظ عليه فرة ولم تلاحظ عليه

---

(١) في ج ٦ ص ٦٥٩ من دائرة معارفه عند تعرضه لترجمة علي.

نَبوَة.

وقال ابن حجر [(١)] ـ وإن كان قد اساء لنفسه في هذه الترجمة العارية عن أدنى فضائل علي فضلاً عن أشرفها وأعلاها وهلا كان لو كان باحثاً صادقاً مجانباً لطريق الاعتساف كابن عبد البر في ترجمته لهذا الرباني العظيم في استيعابه على انّ تضلعه في التاريخ والحديث أكثر من أبي عمر لكن أبا عمر كان خيراً منه ضميراً وأنزه طوية وأبعد عن شوائب التعصب ومن يقرأ لهما كتابيهما في الصحابة يعرف ذلك بجلاء ـ:

وكان قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والاقدام حتى قال فيه اسيد بن أبي اياس بن وثيم الكناني قبل أن يسلم يحرض عليه قريشاً ويعيرهم به:

في كل مجمع غاية اخزاكم ... جذع ابر على المذاكي القرح
لله دركم ألما تذكروا ... قد يذكر الحر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحاً وقتلاً بعضه لم يذبح
أين الكهول وأين كل دعامة ... في المعضلات وأين زين الأبطح

وقال ابن أبي الحديد [(٢)]: وأمّا شجاعته فإنّه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلّا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأُولى إلى ثانية، وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً. ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل

(١) في الاصابة: ج ٢ ص ٥٠١ عند تعرضه لترجمة علي عليه السلام.

(٢) في مقدمة شرحه: ج ١ ص ٧ و ٨.

أحدهما قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلّا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم انّه الشجاع المطرق أراك طمعت في امارة الشام بعدي، وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته فاما قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أُخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله — بكيته أبداً ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له — وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وأمّا الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه انّه سيد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلّا له، وقد عرفت انّ أعظم غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر، وإذا رجعت إلى مغازي محمّد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، دع من قتله في غيرها كأُحد والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للاطناب فيه لأنّه من المعلومات الضرورية.

وأمّا القوة والأيد فبه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في المعارف: ما صارع أحداً قط إلّا صرعه وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلا الكعبة وكان عظيماً كبيراً جداً فألقاه إلى الأرض وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة أيّام خلافته بيده بعد عجز الجيش عنها فأنبط الماء من تحتها ـ اه ملخصاً ـ.

٦ ـ مرحلة الشرفين العصامي والعظامي

وأنت بعد أن قرأت ما سبق لك من الفصول واتضح لك من زبر التاريخ والنسب انّ العنصر الهاشمي هو العنصر المنظور إليه في قريش وانّه ليس في بني هاشم بعد النبي ﷺ انسان يوازي عليّاً في خصائصه وفضائله عرفت انّ هذا الرجل فضلاً عن عظاميته قد جدّ بنفسه ارتفاعاً في الكمالات وسمواً في الفضائل حتى عاد بها من آفاق هذه السياحة الفاضلة أعز نفس يعرفها التاريخ وأنفس وأكبر شخصية شهدها الكون على محانيه وأعظم انسان خلقه الله في بريته، اذاً فلا بدع إذا غلا فيه بعض فأخرجه عن أُفق الانسانية إلى أعلا أُفق وهو أُفق الربوبية أو تدلى السخف بأُناس آخرين فحاولوا هضمه وتصغير شخصيته واخفاء فضائله وقدموا عليه الزعانف والأوباش والراجلين من الناس.

ولكن هيهات فاتهم ما حاولوا وخذلهم العيان المكشوف ففشلوا وهل يستطيع ابن كثير الشامي أو ابن حجر العسقلاني أو ابن عبد ربه الأندلسي أو الذهبي ونظراء الذهبي أن يستروا وجه السماء الضاحي ونور الشمس البازغ وإن أجلبوا بخيلهم ورجلهم وحشدوا الحشد كله من مرويات أبي هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب ومن إلى ذلك بأنّ أبا بكر ذو كذا وصف وعمر بن الخطاب بهذه السمة وعثمان بن عفان بهذا اللون من الفضيلة وهلم جرا للقول حتى في أبي هريرة نفسه في زهده وعلمه ومحفوظاته وهل بروايات الآحاد أن تخلق انساناً له من الفضل والشرف والعظمة ما لا يعرف من ذلك الناس والتاريخ والسيرة المترامية إلّا طرفاً مختصراً لا يقوم ببلاغ.

وها انّ عليّاً لو حذفنا في التكلم عن مقامه كل رواية وردت في حقه لما أثّر ذلك على مقامه أقل أثر، فإنّ كمالاته وفضائله الآنفة الذكر من عبادته وزهده

وجوده وسخائه وحلمه وعزة نفسه وعلمه وفضله وفصاحته وبلاغته وقوته وشجاعته قد طفحت بها الضرورات كما يطفح البحر بماءه الثرّ وتياره المتدافع وهل باستطاعة أحد وحتى النواصب من الناس أن ينكر شيئاً من ذلك.

هذا وانّ الشخصية التي يزعم المتعصب من السنة وبعبارة أُخرى: الناصب لآل بيت محمّد انّه قومها لأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم بما سرده لأُولئك من طرقه الخاصة به لو حذفت منها هذه الماجريات التي كسبها من شتى كتبه من صحيح البخاري إلى ما دون ذلك من كتاب عنده وألقيت هؤلاء الأشخاص للعيان المكشوف الذي يحتضن الواقع بنفسه لما وجدت لهم أقل سمة بها يتقدمون على أوساط الصحابة فضلاً عن كبرائهم فضلاً عن مقام علي فإنّهم لم يكونوا من أهل الشجاعة والمجاهدة المعروفة بالمرة الواحدة وأقل حاضري حروب النبي خير منهم مقاماً وأحرّ دفاعاً، وهذه فصول السيرة النبوية على تنوع حديثها وكثرة محدثيها من أصدق الشواهد على ذلك ولم يعرف لهم من العبادة ما عرف للعباد من صحابة محمّد كسلمان ونظائر سلمان وفي مراحل العلم فضلاً عن اعترافهم في مواقف عديدة بجهل أنفسهم ضبط التاريخ عنهم رجوعهم إلى غيرهم من علي وغير علي، وهذه هي غرّ الصفات التي كانت يومذاك شعاراً في المسلم وهي في نفسها أهم الصفات الكاملة.

وبهذا تجد قلم المؤرخ ولسان المحدث إذا كتب أو قال عن علي اطرد كما يطرد الماء المنساب في النهر المتدافع بماءه، وهكذا إذا كتب أو قال عن سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وما ذلك إلّا لأنّهما يعريان عن حقيقة منتصبة أمامهما نصبها العيان للأحداق الحاسة كريشة المصور عن حس والرسام عن تمثال أمامه، بخلاف ما إذا جاء الاختلاق فانك ترى الأقلام تتعثر والأفواه تتوقف عن جريها كالتمتام في نطقه وكالرسام الذي يضع ريشته تارة ويرفعها أُخرى في

تخطيط خيال يريد أن يجسمه ووهم يريد أن يصفه في صفوف الصور الحقيقية وكم بين الحالين من بون وبين الفريقين من بعد في المسافة ديناً ودنياً مادة ومعنى، وسنقوم بتحقيق هذه العناوين مبسوطاً في مناسباتها إن شاء الله.

النصوص السمعية ـ حديث الانذار والمنزلة

فهي أنواع، فمنها ما هو نصّ في الخلافة الدينية ومنها ما هو مؤيد وشاهد، امّا النص في المطلوب فمواد ثلاث:

المادة الأُولى: ما ثبت مستفيضاً في موضوع: وأنذر عشيرتك الأقربين، ونحن قد أسلفنا النقول في هذا الفصل بطرق عديدة عن ذاكرين عديدين في الحلقة الثانية من سلسلة هذا الكتاب، ولأجل النموذج نذكر هنا طريقاً واحداً منها ليكون متناً للشرح الذي نسوقه بعده.

ذكر الطبري [١]: عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما انزلت هذه الآية: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاني فقال: يا علي انّ الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعلمت اني متى أُبديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت حتى جائني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد انك إن لم تفعل ما أُمرت به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأنا عساً من لبن ثمّ اجمع بني عبد المطلب حتى أُكلمهم وأُبلغهم ما أُمرت به، ففعلت ما أمرني ثمّ دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول

---

(١) في تاريخه: ج ٣ ص ٢٥٤ من الشرح الحديدي على النهج.

رسول الله ﷺ بضعة من اللحم فشقها بأسنانه ثمّ ألقاها في نواحي الصفحة ثمّ قال: كلوا باسم الله، فأكلوا حتى ما لهم إلى شيء من حاجة، وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمته لجميعهم، ثمّ قال: اسق القوم يا علي، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشد ما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال من الغد: يا علي انّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أُكلمهم فعد لنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالأمس ثمّ اجمعهم لي ففعلت ثمّ جمعتهم ثمّ دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثمّ قال: اسقهم فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه جميعاً حتى رووا ثمّ تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم انّ شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت أنا، وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا رسول الله، أكون وزيرك عليه، فأعاد القول فأمسكوا، وأعدت ما قلت، فأخذ برقبتي ثمّ قال لهم: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

وكلّ من كتب في السيرة النبوية ذكر هذا الحديث، لأنّه من دلائل نبوته ﷺ باشباعه الخلق الكثير من الطعام القليل، غاية ما هناك انّ جملة من هذه الطرق والأحاديث بقيت سالمة من التحريف والتشويه وفيها هذا النصّ المزبور ـ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ـ وبعضها حرف تحريفاً فاضحاً بهذا اللون: فأيكم

يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا ـ مبهماً ـ كما في تاريخ ابن كثير (ج ٣ ص ٤٠)، وادعى ابن كثير انّ هذه التتمة متهمة بالوضع مع اعترافه انّ صدر الحديث وارد بلا شبهة فهو من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وهذا التحريف مما يدل بصراحة على تدليس القوم في النقاط التعصبية واخفائهم للحق بصراحة كما سبق لهم نظيره في: ويل لأُمتي من فلان ذي الأستاه، في حال ان طريقه الذي لم ينالوه بتحريف جاء على رسله في جملة من الكتب لم يبهم فلاناً وصرح باسمه العلمي وانّه هو معاوية بن أبي سفيان كما انّ سياق الحديث مشعر بذلك أتم اشعار، ولا يهمنا تشكك ابن كثير في ذلك بعد أن طفحت به المجاميع التاريخية والحديثية وكتب التفسير وذكره كثيرون كما سلف منا التعرض لذلك مفصلاً في محله من بحوث السيرة حسب تنسيقنا لحلقات هذه السلسلة فلا نعيد.

ولا ريب انّ كلمة خليفتي فيكم نصّ في المطلوب، ومن يجادل فيها متعنت مكابر لا كلام لنا معه، ونحن يكفينا من مدلولها ما عنه انبعث القائلون يوم السقيفة لأبي بكر: يا خليفة رسول الله على ترسلهم اندفعوا به طبق ما يفهمون من هذه الكلمة بالفهم المتعارف الدارج الساذج.

المادة الثانية: حديث المنزلة، ونحن قد أسلفنا جملة من نقوله في الحديث عن غزوة تبوك من القسم الثالث لهذه السلسلة وهو من المتواترات القطعية عند أبناء العامة فضلاً عن غيرهم، ولأننا نريد أن نجعله متناً لما نفيض بعده من شرح يتعلق به نذكر جملة أُخرى من ذلك عن كتاب البداية والنهاية لابن كثير [1] قال ابن كثير: ثبت في الصحيحين من حديث شعبة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: أما

---

(١) ج ٧ ص ٣٣٩ وما بعدها.

ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي.

قال أحمد ومسلم والترمذي حدثنا قتيبة بن سعيد عن حاتم بن اسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: امّا ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله لأن تكون لي واحدة منهن أحب الي من حمر النعم، سمعت رسول الله يقول وخلّفه في بعض مغازيه فقال له: يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي. وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن المسيب عن سعد انّ رسول الله ﷺ قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى. وقال الامام أحمد: حدثنا أحمد الزبيري عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد الله عن أبيه ـ يعني عبد الله بن عمر ـ عن سعد قال: لما خرج رسول الله إلى تبوك خلّف عليّاً فقال: أتخلفني؟ قال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انّه لا نبي بعدي. وهذا اسناد جيد ولم يخرجوه إلى أن يقول ابن كثير في آخر هذا الفصل: قال الحافظ ابن عساكر: وقد روى هذا الحديث عن رسول الله جماعة من الصحابة منهم عمر وابن عباس وعبد الله بن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وحبشي بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفضل وأُم سلمة وأسماء بنت عميس وفاطمة بنت حمزة، وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والأنداد ـ اهملخصاً ـ.

وأنت ترى انّ الطرف المذكور في متن الحديث من طرفي القياس: صريح في معناه لا غبار عليه، نعم نحن في حاجة إلى استعراض الطرف الآخر المقاس عليه ومن حسن الصدف انّ الاحالة به على القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من

جميع جهاته فما هو نطق القرآن في هذا الشأن :

قال الله سبحانه (آية ٢٤ وما بعدها من سورة طه) مخاطباً لموسى عليه السلام :
﴿ اْذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * قَالَ رَبِّ اْشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاْحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاْجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اْشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَىٰ ﴾ .

وقال سبحانه (آية ٥١ وما بعدها من سورة مريم) : **﴿ وَاْذْكُرْ فِي اْلْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ اْلطُّورِ اْلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً ﴾** .

وقال سبحانه (آية ٣٤ وما بعدها من سورة القصص) : **﴿ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُما وَمَنِ اْتَّبَعَكُمَا اْلْغَالِبُونَ ﴾** .

وقال سبحانه (آية ١٤٢ من سورة الأعراف) : **﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اْخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَتَتَّبِعْ سَبِيلَ اْلْمُفْسِدِينَ ﴾** .

فالطرف المقاس عليه بصريح هذه الآيات هو كون هارون ـ فضلاً عن مقام نبوته لنفسه ـ بالنسبة إلى أخيه موسى وزيراً وقوة وعضداً مساعداً وخليفة على قومه ، والنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم جعل عليّاً من نفسه بالمنزلة التي جعل الله بها هارون من موسى فهو إذاً وزيره وقوته وعضده المساعد وخليفته على قومه ، وبما انّ هارون كان نبياً حذف صلى الله عليه وآله وسلم هذا المقام من علي بقوله : غير انّه لا نبي بعدي ، إلّا انّه لا نبي بعدي ، إلّا النبوة ، على اختلاف الأثر الوارد في هذا الاستدراك ، ولو لم

يستثن ذلك لوجب له بعموم التنزيل أن يكون نبياً كما كان هارون نبياً، فهل ليت شعري يتصور من النصوص على الخلافة والوزارة وسائر ما كان لهارون من موسى ما هو أصرح من هذا النص في السنة والكتاب وما هو أقوى سنداً وأوضح دلالة؟ كلا ولا يستطيع متكلم أن يجسم مراده لسامعيه بأبلغ وأوجز وأصرح مما جسم به محمّد ﷺ مراده بأخيه علي في كونه هو الخليفة من بعده على قومه بكلمته الموجزة هذه التي تواترت عنه نقلاً واتضحت مفاداً.

وتنزيل هارون من موسى لم يخصصه القرآن بزمان ولا بمكان ولم يقيده بحال دون حال، ولا بأمر دون آخر، والنبي لم يتصرف بهذا التنزيل الذي صرّح به القرآن المجيد بل أبقاه في علي بالنسبة إليه كما جاء به القرآن من دون أن يمسه بشيء أصلاً سوى استدراكه معنى النبوة ـ انّه لا نبوّة بعدي ـ أي ولو لم يختم الله الأنبياء بي لكنت نبياً من بعدي، وهذا المفهوم ضروري لئلا تقع هذه الكلمة لاغية مهملة لا معنى ورائها، فعلي فيه مؤهلات النبوة وإن لم يكن نبياً وهذا معنى الخلافة الدينية والامامة الشرعية، فإنّ الإمامة في الملاك كالنبوة بلا أدنى مائز، ومن هنا ضلّ من صحّح الخلافة ليزيد بن معاوية والوليد بن يزيد والأمين بن هارون عقباً لرسول الله ﷺ وادعى انهم خلفائه ﷺ على أُمته، ومن التدافع الغريب كون الشيطان خليفة الرحمن على عباده.

فإن قلتَ: أراد موسى بقوله لهارون اخلفني في قومي مدة ما أذهب إلى ميعاد ربي وأرجع اليهم لا عموم الخلافة.

قلنا: يبطل هذا الاحتمال نفس طلب موسى من ربه أن يجعل أخاه هارون شريكاً له في أمره من بدء الأمر واجابة الله سبحانه سؤله في ذلك والشريك في الأمر مسيطر على كل حال وإنّما الذي أراده موسى بقوله: أخلفني في قومي أن يكون هارون في غياب موسى عنهم بلون من أخذ الحذر منهم والتدقيق في

مراعاتهم والضبط لحركاتهم وسكناتهم كأن موسى حاضر فيهم أي اريد منك أن تكون فيهم على نحو كاني أنا فيهم ولا تغفل عن الوضع فيفوتك منهم ما يستعصي على جبرانه ولا يريد موسى بوصاياه هذه أن يعرب عن جهة نقص في أخيه حاشا فإنّ موسى هو بنفسه عندما دعي للقيام بأعباء الرسالة من ناحية ربه تقاضى منه أن يشفعه ويعززه ويؤيده به وأخذ يقرظه بالتقريض الحسن ويراه من أهل الصلاحيات والقابليات لتحمل هذه المهمة والقرآن جد صريح بذلك.

ومن يدع انّ خلافة هارون كانت مقصورة على زمن غيبة موسى فقد ناقض نفسه باعترافه له الشركة في نبوة أخيه منذ ابتعث إلى أن مات كما هو صريح الكتاب فيستحيل إذاً قصر الخلافة عليه زمناً معيناً وتوسيع نطاق النبوة والشركة له في كل شيء ما دام حياً فكما هو شريك لأخيه في حضوره شريك له في غيابه بالجعل المطلق المصرح به في نص الكتاب، نعم لا يطلق لفظ الخلافة إلّا حيث لا يكون المستخلف امّا بغيبة أو بموت لأنّ المعنى اللغوي لهذه اللفظة هو كون أحد الفردين بعقب الآخر لا في عرضه فخلافة هارون لموسى في غيابه عن قومه من جزئيات حقوقه الموظفة له من الله سبحانه وهي الشركة المطلقة الشاملة للتصرفات الموقوفة على النبوة وغيرها ولم يستثن النبي عن علي من هذاكله إلّا عنوان النبوة فقط وكل ما سوى هذا العنوان مما لهارون ثابت لعلي بعموم التنزيل الصريح كما أسلفنا.

ففي خاتمة المطاف كلما تقاضى موسى من ربه أن يؤتيه أخاه هارون واوتيه ثابت لعلي بشراشره وبما انّ الله سبحانه صرّح بأنّ هارون نبي وشريك وبأنّ محمّداً خاتم النبيين فلا نبي بعده ولا نبوة معه تخلف عن علي من بين كافة المزايا الثابتة بنص القرآن لهارون عنوان النبوة وحده عرضاً وطولاً، وفي ذلك من المعاني العظام لعلي ما لا شوب منه في خلافة الأشياخ المشوبة بالانتهاب

والاستلاب والعجز عن ادارة الناس في شؤونهم الشرعية والابداع في أحكام الله على غير أهلية منهم لذلك فكم من فرق يعلم الله بين المقام الذي زووه عن أهله والمقام الذي خولوه لأشياخهم وهذا طبيعي لكل دولة وسلطان يقوم بهما البشر السافل كما قام هذا الفريق بنبوة مسيلمة وسجاح وغيرهما من المتنبأين ولو كانت سقيفة بني ساعدة تنتج النبوات لما عدت أمثال هؤلاء بطبيعة الحال.

حديث الغدير

المادة الثالثة: حديث الغدير ونحن قد أسلفنا جملة وافرة من طرق هذا الحديث ومتونه في القسم الثالث من هذه السلسلة عند تعرضنا لحجة الوداع ونحن نذكر هنا جملة أُخرى نجعلها كالمتن لما نسوقه بعدها من شرح فنقول: قال ابن كثير [١]: حديث الغدير: قال الامام أحمد: حدثنا حسين بن محمّد وأبو نعيم المعنى قالا حدثنا فطر عن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ثمّ قال لهم: انشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام كثير من الناس قال أبو نعيم فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا: نعم يا رسول الله قال: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فخرجت كأنّ في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له اني سمعت عليّاً يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله يقول ذلك له. ورواه النسائي من حديث حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك.

وقال أبو بكر الشافعي: حدثنا محمّد بن سليمان بن الحارث حدثنا عبيد الله

---

(١) في تاريخه البداية والنهاية: ج ٧ ص ٣٤٦ وما بعدها عند تعرضه لفضائل علي عليه السلام.

بن موسى حدثنا أبو اسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم انّ عليّاً انتشد الناس من سمع رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك وكنت فيهم.

وقال أبو يعلى وعبد الله بن أحمد في مسند أبيه: حدثنا القواريري حدثنا يونس بن أرقم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليل قال: شهدت عليّاً في الرحبة يناشد الناس انشد بالله من سمع رسول الله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد، قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا نشهد انّا سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أُمهاتهم، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

ثمّ رواه عبد الله بن أحمد عن أحمد بن عمر الوكيعي عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عقبة بن نيار عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي عن عبد الرحمن بن أبي ليل فذكره قال: فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيدك يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وهكذا رواه أبو داود الطهوي ـ واسمه عيسى بن مسلم ـ عن عمرو بن عبد الله بن هند الجملي وعبد الأعلى بن عامر التغلبي كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليل فذكره بنحوه قال الدارقطني: غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوي.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن كيسان المديني سنة تسعين ومأتين حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال: شهدت عليّاً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يوم غدير خم يقول ما قال، فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو

هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه. ورواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعي عن الحسن بن علي بن عفان العامري عن عبد الله بن موسى عن قطن عن عمرو بن مرة وسعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالوا: سمعنا عليّاً يقول في الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا انّ رسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله. قال أبو اسحاق حين فرغ من هذا الحديث: يا أبا بكر أي أشياخ هم وكذلك رواه عبد الله بن أحمد عن علي بن حكيم الأودي عن اسرائيل عن أبي اسحاق فذكر نحوه.

وقال عبد الرزاق عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب وعبد خير قالا: سمعنا عليّاً برحبة الكوفة يقول: انشد الله رجلاً سمع رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول ذلك. وقال الامام أحمد: حدثنا محمّد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت سعيد بن وهب قال: نشد علي الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا انّ رسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. وقال أحمد: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حسين بن الحارث بن لقيط الأشجعي عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فإنّ هذا عليّاً مولاه. قال رباح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيّوب الأنصاري.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا شريك عن حنش عن رباح بن الحارث قال: بينا نحن جلوس في الرحبة مع علي إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال:

السلام عليك يا مولاي قالوا: من هذا؟ فقال أبو أيّوب: سمعت رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه. وقال أحمد: حدثنا محمّد بن عبد الله حدثنا الربيع ـ يعني ابن أبي صالح الأسلمي ـ حدثني زياد بن أبي زياد الأسلمي سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال: انشد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما قال، فقام اثنا عشر رجلاً بدرياً فشهدوا. وقال أحمد: حدثنا ابن نمير حدثنا عبد الملك عن أبي عبد الرحمن الكندي عن زاذان أبي عمر قال: سمعت عليّاً في الرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله يوم غدير خم وهو يقول ما قال؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وقال أحمد: حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا شبابة حدثنا نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن علي انّ رسول الله قال يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، قال: فزاد الناس بعد اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقد روى هذا من طرق متعدد عن علي رضي الله عنه. وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم. وقال غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي مريم أو زيد بن أرقم ـ شعبة الشاك ـ قال: قال رسول الله: من كنت مولاه فعلي مولاه. قال سعيد بن جبير: وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس. رواه الترمذي عن بندار عن غندر وقال: حسن غريب.

وقال الامام أحمد: حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم: وأنا أسمع نزلنا مع رسول الله بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال: فخطبنا وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمر من الشمس فقال: ألستم تعلمون أو ألستم تشهدون اني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه اللهم عاد

من عاداه ووال من ولاه. وكذا رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم، وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم أبو اسحاق السبيعي وحبيب الاساف وعطية العوفي وأبو عبد الله الشامي وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد رواه معروف بن حربوذ عن أبي الطفيل عن حذيفة بن اسيد قال: لما قفل رسول الله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن، ثمّ بعث اليهن فصلى تحتهن ثمّ قام فقال: أيّها الناس قد نبأني اللطيف الخبير انّه لم يعمر نبي إلّا مثل نصف عمر الذي قبله واني لأظن أن يوشك أن أُدعى فأُجيب واني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وانّ محمّداً عبده ورسوله وان جنته حق وانّ ناره حق وانّ الموت حق وانّ الساعة آتية لا ريب فيها وانّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثمّ قال: يا أيّها الناس انّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثمّ قال: أيّها الناس اني فرطكم وانكم واردون علي الحوض حوض أعرض مما بين بصري وصنعاء فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة، واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. رواه ابن عساكر بطوله من طريق معروف كما ذكرنا.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله حتى نزلنا غدير خم فبعث منادياً ينادي فلما اجتمعنا قال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قلنا: بلى يارسول الله

قال: ألست أولى بكم من أُمهاتكم ؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ألست أولى بكم من آبائكم ؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: ألست. ألست. قلنا: بلى يا رسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك ياابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن. وكذا رواه ابن ماجة من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون العبدي عن عدي بن ثابت عن البراء به.

وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي اسحاق عن البراء به. وقد روى هذا الحديث عن سعد وطلحة بن عبيد الله وجابر بن عبد الله وله طرق عنه وأبي سعيد الخدري وحبشي بن جنادة وجرير بن عبد الله وعمر بن الخطاب وأبي هريرة وله عنه طرق منها ـ وهي أغربها ـ الطريق الذي قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: حدثنا عبد الله بن علي بن سعيد الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: الست أولى بالمؤمنين ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك ياابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله عزوجل: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أوّل يوم نزل جبريل بالرسالة، قال الخطيب: اشتهر هذا الحديث برواية حبشون وكان يقال انّه تفرد به وقد تابعه عليه أحمد بن عبيد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النبري وعن علي بن سعيد الشامي، قلت وفيه نكارة، من وجوه منها قوله: نزل فيه اليوم أكملت لكم دينكم وقد ورد مثله من طريق أبي هريرة العبدي عن أبي سعيد الخدري ولا يصح أيضاً وإنّما نزل ذلك

يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب وقد تقدم وقد روى عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في وقوله عليه السلام: من كنت مولاه، والأسانيد اليهم ضعيفة ـ اه بلفظه ـ.

أقول: إنّما قال ابن كثير في رواية أبي هريرة الأخيرة انّ فيها نكارة من وجوه باعتبار ما في متنها من امور ثلاثة: انّ صيام يوم الغدير كيف يعدل ستين شهراً وكذلك صيام يوم المبعث كيف يعدل ستين شهراً وان آية اليوم أكملت لكم دينكم كيف نزلت يوم الغدير لا ان سندها مخدوش لأنّه معترف في كلامه هذا ان عدة طرق تتكفل هذا المضمون وقد أشار اليها هو بنفسه وقد أسلفنا نحن عندما ذكرنا كلامه على هذا الموضوع في ذيل تعرضنا له في فصل حجة الوداع من القسم الثالث ان استنكاره لا قيمة له لا من حيث المقاييس الشرعية ولا من جهة المباني الحديثية فإنّ كثيراً من المسنونات الشرعية قد ورد فيها من الترغيب ومبلغ الأجر والثواب ما لم يرد في الوظائف الواجبة ومتتبع ذلك يجمع منه كتاباً واسعاً وقد ذكر كافة الفقهاء انّ ذلك لا مانع منه من جهة التفضل والاحتساب وامّا استنكاره أن تكون الآية نازلة يوم الغدير لأنّ صاحبي الصحيحين يقولان انها نزلت يوم عرفة فذلك ما لا قيمة له أصلاً لأنهما كسائر المحدثين يذكران ما ارتئياه ولا وزن لرأيهما فكما انهما ذكرا طريقاً في يوم نزولها فقد ذكر غيرهما طرقاً من الحديث في انّ يوم نزولها ليس هو يوم عرفة وإنّما هو يوم الغدير ولا يجوز ابطال كلما لم يذكراه فإنّ الخير الذي فاتهما في كتابيهما وناله الباقون أكثر بكثير مما حبراه وسطراه على كثرة ما فيه من مخازي وأوهام وأكاذيب صريحة أسلفنا بعضاً منها آنفاً ونذكر الباقي في محله فالتهويل بأنّ الشيخين لم يذكرا ذلك وذكرا غيره تهويل بارد ونفخ في رماد لا أثر له وامّا باقي فقرات الحديث فهي مذكورة بتواتر، بل فوق التواتر في الطرق الأُخرى التي تعرض هو لها في هذا

الفصل فضلاً عما ذكره في الفصل الذي عقده لحجة الوداع واعترف هو تبعاً للذهبي بأنّ حديث الغدير متواتر لا ريب فيه.

وأنت بعد أن تقرأ ما أسلفناه في القسم الثالث من طرق حديث الغدير وصوره وتضيفه إلى ما قرأته الآن في هذا الفصل عن ابن كثير تعود مشبع الروح والعقيدة في انّ هذا الحديث بجميع فقراته في أعلا حدود التواتر وان محدثي العامة ورواتهم قد تطابقوا في روايته عن صحابة وتابعين كثيرين وان أتم متونه بما تشهد له عدة شواهد هو المتن الذي رواه معروف عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد وقد أسلفناه نحن قريباً وذلك لأنّ كل فصل من فصوله قد ورد في عدة روايات وطرق لا يتخالج النفس منها أقل ريب.

فأوّل فصوله قوله ـ لما قفل رسول الله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن ثمّ بعث اليهن فصلى تحتهن، وهذا الفصل يوجد في كثير من روايات حديث الغدير فلاحظ ما سردناه نحن في باب حجة الوداع من القسم الثالث حد الأقل.

وثاني فصوله قوله: ثمّ قام فقال: أيّها الناس قد نبأني اللطيف الخبير انّه لم يعمر نبي إلّا مثل نصف عمر الذي قبله واني لأظن أن يوشك أن أُدعى فأُجيب واني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرا، قال: ألستم تشهدون أن لا إلـه إلّا الله وانّ محمّداً عبده ورسوله وان جنته حق وان ناره حق وان الموت حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد. وهذا الفصل يوجد بكثرة في الحديث عن حجة الوداع فراجع حد الأقل ما أسلفناه في هذا الباب من القسم الثالث أيضاً.

وثالث فصوله قوله: ثمّ قال: يا أيّها الناس انّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين

وأنا أولى بهم من أنفسهم. وهذه المادة موجودة في أكثر طرق حديث الغدير والخالي من طرق حديثه عنها مخفف هذا التفصيل ولا أرتاب في انّ جميع الطرق كانت متكفلة له ولكن المحدثين اختصروها في المنون التي ذكروها عارية عن هذه المقدمة وكيف كان فالموجود المصرح به في الروايات مع التنصيص على هذه المقدمة متواتر بالتواتر القاطع والمتتبع يدرك ذلك بأقل التفات في تتبعه وفيما سقناه من طرق هذا الحديث آنفاً وفعلاً مما احتوى على هذه المقدمة بلاغ وكفاية.

ورابع فصوله قوله: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وهذه المادة جاوزت حدود التواتر في النقول الحديثية.

وخامس فصوله قوله: ثمّ قال: أيّها الناس اني فرطكم وانكم واردون علي الحوض حوض أعرض مما بين بصري وصنعاء فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. وهذه المواد متواترة الورود وكثير من طرق حديث الغدير متكفل لها. فقد تجلى لك بوضوح انّ مجموع هذه الفقرات قد تعدى في النقل حدود الاستفاضة إلى حدود التواتر القطعي بجليل وجزيل ماله من طرق تسيل في هذا المصب وان تشعبت جملة من الطرق المزبورة فتكفل كل منها مادة بحيالها واعتقد ان هذا التفكيك جاء من ناحية المحدثين كما أشعرنا بذلك قريباً فإنّهم رووا في كل باب ما يناسبه من الفقرات وتقطيع الحديث على مناسبات الأبواب معروف عند المحدثين الخاصة والعامة وموجود بكثرة حتى انّ الحديث الطويل الذيل الكثير المادة ربما قطعوه عشرات القطع وذكروا في كل باب قطعة

تناسبه وهذا باب واسع لا نطيل الكلام عليه لاشتهاره بين أهله من دون أن يعيب به احد أحداً.

مفاد حديث الغديـر

والذي يقرأ فصول التاريخ الشارحة لحجة الوداع والحديث الوارد فـي ذلك يقطع بأنّ النبي ﷺ إنّما قام بهذه الرحلة ليتزود من بيت الله أوّلاً وليبين للناس الواردين إلى هذا المجمع ويا ما أكثرهم في كل سنة على عادتهم المطردة أهـم الوظائف الإسلامية والأحكام الشرعية والوصـايا اللازمـة والعـظات النـاجعة وليقررهم على ما قام به من أداء لوازم الرسالة وتبليغ ما أراد الله تبليغه على لسان نبيه وهو ﷺ قد كاشف الجمع في هذه الرحلة بأنّه قريب الارتحال عنهم مـن هذه الدار إلى الدار الأُخرى ورأى لهم انّه لابد من بيان ما هو لازمهم ولازم الدين حتى يكون قد أتم الحجة النهائية عليهم فهو فضلاً عن بياناته الآنفة في متشتتة الوقائع والحوادث والمناسبات على طول مسير النبوة مـن لدن بـعثته إلى هـذا التاريخ المتكفلة لبيان شهادة الحق وهي الشهادة بالتوحيد والرسالة وان الجـنة حق لا مرية فيها للمطيعين وان النار حق بلا ريب للكفرة والملاحدة والعاصين وان الموت ضربة لازب على الكائنات الحية وان الساعة وقيام القيامة مما لابد من وقوعهما وان الله يبعث من في القبور ويحاسبهم على الخـطير والحـقير وان عليّاً كذا من وصفه وفضله في مناسبات لا تعد ولا تحصى ذكر المحدثون جملة منها من أوّل حديث اسلامه بل ما قبل ذلك عندما تكفله النبي وأخذه من أهـله إلى خاتمة المطاف من حياته ﷺ النبوية وان القرآن ما هو وصفه وان العترة ما هو محلها اللازم من المؤمنين بالله.

نراه قد جمع كل تلك الفصول اللازمة التحرير والتقرير تحت هـذه الأُصـول

الدينية التي هي اساس الدين بلا مرية من العقل والنقل وهي اصول توحيد الله والاعتراف بنبوة نبيه والبعث بعد الموت للحساب والعود إليه وامامة الامام على الخلق الحافظ للشرع المبين لما استبهم من حكم الشريعة والفاتح لما استغلق المعصوم من الله عن ارتكاب ما لا يجوز وادخال ما ليس من الدين في الدين وهذا المعنى تلو النبوة واخو الرسالة ومما لابد منه في الشريعة ، فإنّ النبي الذي يقفل عن جامعة جديدة التشكيل وأغلب أفرادها حديثوا عهد بدينه لا فاصلة بين اسلامهم وموته إلّا عدّ الأصابع من الشهور لا السنين ومع ذلك يرى ان دينه آخر الأديان وأوسعها مادة وأطولها مدة لا ينتهي إلّا بنهاية الدنيا .

وهذا الدرس مما يحتاج إلى مدرس قد أوعب في العلم جمعاً وتلقياً من شخصه صلى الله عليه وآله وسلم فهو في غنى ببضاعته عن كل أحد سواه وبرىء عن العجز العلمي يحرجه والحوادث الحاصلة تسكته وتعجزه كما ذاب في الله ديناً وقدسية فلا يداهن ولا يصانع ولا تلتوي به الدنيا إلى ما فيها من راحة وهناء ولا يغيب عن كل عاقل وفي طليعتهم مؤسس المدرسة وصاحبها وغارس بذرتها الأُولى ان مدرسة بهذا النحو وبهذا اللون وبهذا الهدف المقدس الواسع بسعة العالم وأبناءه واحتياجاتهم الفعلية والمتجددة لا يجوز على مؤسسها وهو يريد بقائها ورقيها وتعاليها ارسالها مجهولة الهوية إلى الناس يتلاعب بها المنافقون من ناحية وجديدوا العهد بها الكارهون لأصل تأسيسها والمحاربون له في سبيلها من ناحية ثانية والجهال الذين لا مبلغ لهم من العلم ولا رشد عندهم في كيفية حفظها وتعيين برامجها المبقية لها من ناحية ثالثة ، والراصدون لأخذ أزمة الأُمور على غير لياقة منهم لها من ناحية رابعة .

وهو ليست شعري هل يدري لو ارسلها في ظلمة المستقبل ماذا يكون من أمرها وكيف تكون بعده فلو كان جد عالم بمصيرها وانها بفاصلة ساعة من موته

يعود يتلقفها سعد بن عبادة من ناحية وبشير بن سعد من ناحية ثانية واسيد بن حضير من ناحية ثالثة ومعن بن عدي وعويم بن ساعدة من ناحية رابعة وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة بأنّهم عشيرة النبي وأولياؤه مغتصبين لهذه الدعوى من أهلها الذين لا يختلف اثنان من أبناء الدنيا انهم أولى بها من ناحية خامسة وان حزازات الجاهلية تطفح في نفوس القوم فيعودون القهقري يتلمسون السوابق والاحن فيندفعون إلى الصفق على يد أبي بكر مبايعين خلاصاً من تقدم بعضهم على بعض من ناحية سادسة وان القوم بعد ذلك بلا فاصلة يخرجون من السقيفة إلى المسجد يهرولون محجزين بالازر الصنعانية لا يمرون بأحد إلّا خبطوه ومدوا بيده إلى يد أبي بكر للبيعة شاء ذلك أو أبى من ناحية سابعة وانهم بعد ذلك بفاصلة قليلة يرضخون لأبي سفيان مال الله الذي استحصله من عباده ليخزن في بيت مالهم ويصرف في مصالحهم حتى يرضى ويسكت ويأتون إلى العباس يرشونه ببعض ما حصلوه من ولاية وزعامة ليقطعوا به جانب علي من ناحية ثامنة، ثمّ بعد ذلك أيضاً يهجمون على بيت فاطمة ويطوقونه بالحطب لاحراقه وبالسلاح والرجال لاخراج من فيه قسراً وقهراً حتى يبايعوا لأبي بكر وفعلوا الأفعال الشنيعة في طريق ما راموه من ناحية تاسعة، ثمّ أخذوا يقدمون من يهوون ويؤخرون من لا يريدون متابعة للميول النفسانية بالشروح التي سبق منها طرف ويجيء الباقي من ناحية عاشرة، فهو بطبيعة علمه هذا واغفاله ما هو اللازم لم يقصد بمدرسته المومأ اليها إلّا الفتك بها وتبديد أهلها وطمس دروسها فاننا لو أغضينا عن ما جرى في أدوار الشيخين فليس بنا أن نغض النظر عن دور عثمان وما حصل فيه وعن أدوار آل أبي سفيان وآل الحكم وهلم جرا فإنّ في ذلك من المخازي ما لا ينكره الفاسق السفيه فضلاً عن المسلم المحب لدينه العاقل في دنياه والتاريخ لا يجهل ان هذه الحكومات بأسرها نتيجة استخلاف عثمان من

عمر وعمر من أبي بكر وسنشرح هذه الارتباطات مفصلة هذا فضلاً عما في الشيخين أنفسهما من مؤاخذات وجهالات لا تحصى كما سنثبتها بنصها عن أهلها.

وإن لم يكن عالماً بما تلاقي بعده وكيف يكون أمرها وهو مع ذلك يريد بقائها واعتلائها بطبيعة أصل ارساله ويشاهد ما يطفح لعينيه من انتكاث من ينتكث وارتداد من يرتد ممن كان أسلم بالقهر من أوباش العرب وعشائرها ومع ذلك يرسلها إلى هذه الظلمة الموحشة ظلمة المستقبل فقد أراد إذاً محقها وسحقها وهو حي بعد بلا ريب وها نحن نرى الإنسان منا يحضره الموت ولا مهمة عنده سوى شيء من حطام يسير وعدة أفراد قد لا يكونون بحاجة إليه في حياته فكيف به إذا مات ومع ذلك لا يترك وصيته يوصي بها ولا ما في نفسه إلّا ويبديه ضناً بمن يخلفهم بعده وحرصاً على اصلاح ما يتركه مما كان جد في تحصيله في حياته وأرخص في سبيله نفسه وراحته ثمّ ها نحن أيضاً نرى أشياخ القوم الذين يقال في حقهم ان الخلافة جائتهم إلى أبوابهم ولم تكن لهم بها عناية لا يحضر الموت منهم انساناً إلّا وتراه قد مهد أُمور الذي يكون بعده فأبو بكر لم يمت حتى أخذ البيعة لعمر وعمر لم يمت حتى عدل مجاريها لعثمان أفهل هذا الرشد الذي يملكه هؤلاء لم يكن عند النبي عندما حضره الموت أو قبله هذا ما يستحيل تعقله وتصوره وكل عاقل يذعن بذلك إلّا أن يكون متهماً في دينه فيدوس كل وجداناته حفظاً لطائفيته بلا ريب.

ولو انّ السقيفة وحوادثها لم تطلع إلى الكون وجرت القضايا على مجاريها الصحيحة التي أسلفنا طرفاً منها آنفاً لاعترف كل محدث وقارىء للسيرة انّ النبي استخلف بنص ـ وكان ضرورياً ما فعله ـ وان نصوصه ها هي بصراحتها شاخصة للعيان ومن ناحية استفاضتها وتواترها مما لا تحتاج إلى مزيد بيان وهذا

هو مساق الصراحة فاقرأ وتدبر.

قال الله سبحانه: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾، وهذه الآية لا تحتاج في ظاهرها إلى تفسير وتأويل وليس لله تعالى وراء ظاهرها هدف ومعنى أولوية النبي بالمؤمنين من أنفسهم انّ المكلف إذا اراد لنـفسه ارادة وأراد النبي من محط ارادته لنفسه ارادة تناقضها وتـباينها فـالمكلف مسـؤول بـحكم عبوديته لله سبحانه أن يرفع يده عن ارادة نفسه ويقدم ارادة النبي ويجعلها ميزان عمله وهذا المعنى ما لا يختلف فيه اثنان ممن يقول بالشرائع ويعرف النبي بملاكه الشرعي ويدري ما هي نسبته في عالم التكليف والمكلفين وهذه الأولوية هـي معنى النبوة وبملاكها صحت للنبي في مقابل المكلفين، فالنبي بعد أن قرر هـذا المعنى لمخاطبيه واستشهدهم على ذلك فشهدوا له به قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، ولا ريب انّ معنى ذلك هو انّ الأولوية التي له في عالم التشريع مجعولة لعلي، وذلك هو معنى الامامة الشرعية، لاتحاد الملاكين ملاك النـبوة ومـلاك الامامة في الأولوية المشار اليها، فإنّ النبي لا يفوت الامام إلّا بأنّه مصدر تشريع والامام مثله في سائر القابليات التي يشترطها العقل للرسول، وقد أسلفناها في مبحث النبوة وجماعها أن لا تتطرق إليه أي خدشة تفرض لا من ناحية دينه ولا من ناحية دنياه مع استجماعه للفضائل التي بها تحصل ادارة الناس من عـلم لا يتخلله جهل ومقدرة شرعية لا يوهنها عجز ومصونية نفسية لا يؤخذ عليها أقل بادرة، ولا يجيز عاقل لنفسه أن تكتفى من رسالة الإسلام التي يريدها الله عالمية مكملة للشرائع السالفة ومقررة ممهدة لأُصول ومباني وأحكام تبقى ببقاء الأبـد حاكمة غير محكومة مسيطرة على الوضع عالية بنواميسها وجريها على كل سنة وقانون في البشر بمجرد حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي قضت في مكة خالية عـن كـل تبليغ سوى الدعوة إلى توحيد الله وحياته التي قضت في المدينة وتسعة أعشارها

مناجزات وحروب وفي خلالها تبليغ متيسر وملاكات كلية وقواعد مضروبة لم تسع المناسبات بأكثر منها وإنّما ذلك معد وحجر أساسي للبناء عليه.

ومن هنا يفضل أبناء العامة ويفندون بادعائهم انّ آية اليوم أكملت لكم دينكم نزلت في عرفة من حجة الوداع وأي دليل أوضح وأقوى في تفنيد ذلك من كون الأحكام التي تيسرت من أوّل النبوة إلى هذا التاريخ لا تقوم بمدركية عشر من الأحكام الفرعية الفقهية التي هي حاجة البشر في سير اجتماعهم الدنيوي ولذلك فزع فقهاؤهم إلى اعمال القياس والرأي المجرد والاستحسانات النفسية والميول النظرية في أغلب مسائل فقههم إذ ليست عندهم مادة عن مصدر الوحي تعلل جميع ما فرعوه مما احتاج المكلفون إليه من أوّل كتاب الطهارات إلى آخر كتاب الديات وهي شقة واسعة جداً تتكفل نظاماً واسعاً وها نحن نرى الفقيه من الفقهاء إذا أراد أن يبحث أو يكتب عن مجموعة فقهية مفصلة ويبني فروعها على أُصولها ونتائجها على مداركها كان محتاجاً للفراغ عدة سنين يصرفها في صرف هذا البحث والكتابة عنه ولو كان القياس والرأي المجرد والاستحسان والميول بنفسها كافية في تنقيح برامج الدين وأحكامه الشرعية لكان ذلك هادماً لأصل تصحيح معنى النبوات وملاكاتها والجهود الكثيرة التي يتحملها البشر في سبيلها والعنايات الزائدة التي يقوم بها الله سبحانه في سبيلها وذلك هو انّ الأحكام الشرعية الموظفة لأفعال العباد إذا كانت مما يكتفى في تنقيحها بآراء عقلاء المكلفين كان ذلك مغنياً عن الوحي وعن وساطة الرسل فكلما قالت به العقول واستحسنته في أي صورة عرضت لها في الأُصول أو الفروع في العبادات أو في المعاملات في الأحكام والسياسات كان هو اللازم للمكلفين وهل يجوز أن يقال ان فقه أبي حنيفة في أكثره مما يرتبط بالسماء والوحي والرسالة وهل قياس أبي حنيفة ورأيه واستحسانه مما نزل به نص انّه مأخوذ عن متن الواقع وعن اللوح

المحفوظ وما هي نسبة العقول إلى ما عند الله وما يريده وأي ربط لعالم العقليات بالشرعيات التي تمام ملاكها السمع، ولا يجوز أن يسمى من يبتدع الأحكام من نفسه حسب فكره ويرتجلها من كيسه طبق ما يؤدي إليه نظره انّه مجتهد في علوم الشريعة، فإنّ معنى الاجتهاد في أحكام الشرع استفراغ الوسع في تطبيق الفرع على أصله الشرعي واستنتاج متشتت الفروع الفقهية من مداركها الشرعية لا صرف إعمال النظر غير مربوط بملاكات الشرع وإلّا لم يكن فرق في أصل مادة هذا الاجتهاد بين الفيلسوف والرياضي والفقيه على انّه صحيح في الأولين باطل في الأخير، لأنّ المحور الذي اتخذه الأولان لأنفسهما هو العقل صرفاً والأخير يدعي ان ما يبحث عنه هو حكم الله في حق المكلف فإذا عدم الوسائط التي توصله بالله فقد تحكم على الله لا انّه حكم بحكمه وهذا من الوضوح بمكان عريض.

فإن قلتَ: إذا كان الامام حافظاً لشرع النبي ومجرياً له وان النبي لم تكفه حياته في نشر كل ما هو حاجة المكلف في دينه ودنياه فما يصنع الامام بعد النبي في الفراغ من الأحكام الذي بقي شاغراً لم يملأه النبي بحكم، فهو بطبيعة الوضع مجبور على أن يقول برأيه ويحكم بنظره فيعود اصل الاشكال الذي أبديته في فقه أبي حنيفة ونظرائه.

قلتُ: هذا الاشكال لازم إذا اعتبرنا الامام المنصوب عن النبي كواحد من صحابته الذين سمعوا عنه في الفرص والمناسبات فكان كل معلوماتهم الشرعية هو هذا لا غيره، لكننا لا نقول بذلك، بل نستهدف فيه كمال الاتصال في التلمذ ومزيد الاختصاص بما لا يتهيأ لغيره حتى تحصل عنده من ذلك كمية أوسع مما عند غيره فتعينه هذه الملكة على مزيد الاستيناس.

مثال ذلك: ما روي انّ عمر أراد رجم امرأة ولدت لستة أشهر، فقال له علي:

انّ الله عزوجل يقول: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، وقال تعالى: وفصاله في عامين، فالحمل ستة أشهر والفصال في عامين، فترك عمر رجمها وقال: لولا علي لهلك عمر [١].

فهاتان الآيتان كانتا بمنظر ومسمع من عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة فلم يفهموا منها شيئاً، ولكن الفقيه الواقف على المدارك الفقهية الممعن بنظره في كيفية سياقها وافادتها ومصب ما ترمي إليه يقارن بين قوله تعالى: وفصاله في عامين وبين قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، فيرى انّ الفصال بتحديد الآية الأُولى أربعة وعشرون شهراً فبمقتضى التطابق بين الآيتين في مدة الفصال يلزم أن يكون الحمل المذكور في الثانية مصروفاً إلى الستة الأشهر الباقية بعد استثناء العامين، وبما ان الحمل بمقتضى العادات والسنن الجارية في طبيعة الإنسان يزيد على الستة الأشهر جعلت هذه الكمية المذكورة في الكتاب ملاكاً لأقل الحمل لا للحمل بما هو حمل، فلو كان بين وطيء الرجل ووضع انثاه ستة أشهر كان ذلك كافياً في تولده منه. فمثل هذه الاستيناسات الفقهية عزيزة الوجود لا يلتفت اليها كل أحد إلّا من مارس الفقه ممارسة تامة ووقف على مداركه وقوفاً اصيلاً وتشبعت روحه بمراميه وأهدافه وهذا في الصحابة لم يوجد إلّا عند علي وحده لشهادة القضايا له بذلك مع اعرابها عن عجز غيره صريحاً. وله نظائر بين الصادق وأبي حنيفة وبين غير الصادق من ائمة أهل البيت وبين غير أبي حنيفة من ائمة العامة ربما نتعرض لطرف منه فيما يجيء إن شاء الله ـ هذا أوّلاً ـ

ثانياً: عناية الله والرسول به من طريق الاعجاز كما تواتر من طريق السنة انّ النبي لما بعث عليّاً إلى اليمن وخاف علي من هجوم القضايا عليه بما لا يقدر معه

---

(١) خرّجه القلعي وابن السمان، ذخائر العقبى: ص ٨٢.

على وجهه الشرعي الصحيح وأظهر ذلك للنبي دعا صلى الله عليه وآله وسلم له بهداية القلب وتثبيت اللسان وضرب صدره لتتفتح له عيون الحكمة فما شك علي بعدها في قضاء بين اثنين، وفي الآثار الواردة من طريق أبناء العامة المتعرضة لأمثال هذا المعنى من النبي لعلي ما يفوت حدّ التواتر في كافة أنحاءه، وقد سبق القول في علم علي وما ورد فيه من الأثر وما كشف عنه العيان من تصديق ذلك عملاً باعتراف كل من كتب عن علي مخالفاً كان أم مؤالفاً موحداً كان أم ملحداً.

فقضية الغدير واعلان النبي للناس كافة انّ عليّاً له من الأولوية بأنفسهم ما للنبي من ذلك من الأولوية الشرعية المجعولة له من الله سبحانه بنصّ الكتاب العزيز وبحكم وظيفته أيضاً مما يؤيد نزول آية اليوم أكملت لكم دينكم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع في غدير خم، ومعنى اكمال الدين بذلك هو نصب الامام القائم مقامه صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينشر أحكامه ويبين ما استبهم ويفتح ما استغلق ويصحر بما خفي من الدين على غيره ويحفظ شريعته من تصرف المتصرفين بالهوى والميل النفسي كما فعل أشياخ العامة من نقضهم لسنة الرسول وابتداعهم من أنفسهم مكانها ما سولت به أهواؤهم فضلاً عن أولياتهم التي ابتدعوها وألزموا العباد بها في حال انّ ذلك خارج عن صلاحيتهم وأبناء التسنن يعترفون بما فعلوه ولكن يغطون وجوه هذه القبائح بأنّهم رأوا الأصلح أو انهم اجتهدوا في حال انّ الاجتهاد في مقابل النص ابتداع لا اجتهاد وارتجال للأحكام في مقابل نفس الله تعالى ورسله ومناقضة العباد بآرائهم لما رآه الله عين التمرد عليه وهل من انكشف له الواقع من جميع جهاته كمن انستر عليه وأخذ يتهمس في الوصول إليه مظان الايصال على حد سواء حتى يناقض المتهمس المطلع البصير ـ كلا ـ وإنّما هي مراكض الجهل والعتو قامت بأهلها فصفوا أنفسهم في غير مصافهم وأوقفوها في غير مراكزها.

ثمّ الحديث الغير المسبوق بهذه المقدمة: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم: المقتصر فيه على: من كنت مولاه فعلي مولاه ـ بنفسه معرب عن المقدمة المشار اليها ومعط لتمام مفادها فإنّ لفظ المولى وإن كان مشتركاً لفظياً بين معاني عديدة إلّا انّه لا ينطبق منها على المقام إلّا ما هو بمفاد ولاية النبي الشرعية على المكلفين المزومين بالاصاخة لولايته شرعاً بلا ريب وإلّا فأي ربط للمولى بمعنى العبد وبمعنى المنعم المعتق وبمعنى ابن العم وما هو بمقربة من ذلك بالنبي وهو يخاطب المسلمين بذلك فكون النبي بعنوان نبوته مخاطباً لأُمته في مثل هذا الموقع والحال باني من كنت مولاه فعلي مولاه؛ من الصوارف الضرورية لكافة المعاني المحتملة للمولى ما سوى معنى الولاية الشرعية ومن القرائن المنيرة في الوضوح في تعيين ذلك لا غير والمتردد في ذلك امّا جاهل لا يعقل مواقع الألفاظ من معانيها وامّا متعنت والمتعنت لو وضعت الشمس في يده لأنكرها وما شاع من قول: إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال يراد به الاحتمال الذي له منفذ من العقول السليمة التي تجيزه في الظرف المحدود لا مطلقاً بالبداهة.

هذا وكم عززت السنة النبوية وكلمات الصحابة المعاصرين موقع هذه الكلمة ـ المولى ـ بأنّه الولي بمساق الولاية الشرعية، فمن ذلك:

ما رواه ابن كثير [١] قال: قال الحاكم وغير واحد: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة بن الحصيب قال: غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله فذكرت عليّاً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله يتغير فقال: يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. وهذا صريح في انك يا بريدة بانتقاصك عليّاً قد

---

(١) في كتابه البداية والنهاية: ج ٧ ص ٣٤٣ وما بعدها في الفصل الذي عقده لفضائل علي.

انتقصتني، فكما اني في فعلي مصون لا أواخذ منه بشيء كذلك علي فإنّه لا يفعل إلّا عن حجة شرعية وبملاك أولويتي بالناس من أنفسهم ملاك علي فيهم.

قال: وقال الامام أحمد: حدثنا ابن نمير حدثنا الأجلح الكندي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال: بعث رسول الله بعثتين إلى اليمن على إحداهما علي بن أبي طالب وعلى الأُخرى خالد بن الوليد، وقال: إذا التقيتما فعلي على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني فلان من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله يخبره بذلك فلما أتيت رسول الله دفعت إليه الكتاب فقرأ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه فبلغت ما أرسلت به، فقال رسول الله: لا تقع في علي فإنّه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي. قال ابن كثير: هذه اللفظة ـ أي وهو وليكم بعدي ـ منكرة والأجلح شيعي، ومثله لا يقبل إذا تفرد بمثلها. أقول: روى أبناء العامة عن الأجلح ووثقوه وهذه اللفظة ليست من متفردات الأجلح بل لها ورود كثير.

فمن ذلك ما حكاه ابن كثير في الفصل المذكور عن الامام أحمد قال: قال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن سليمان حدثني يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمر انّ ابن حصين قال: بعث رسول الله بسرية وأمّر عليها علي بن أبي طالب فأحدث شيئاً في سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمّد أن يذكروا أمره إلى رسول الله، قال عمران: وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلمنا عليه قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله انّ علياً فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثمّ قام الثاني فقال: يا رسول الله انّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، فقام الثالث فقال: يا رسول الله انّ علياً فعل كذا وكذا، ثمّ قام

الرابع فقال: يا رسول الله انّ عليّاً فعل كذا وكذا، قال: فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغير وجهه وقال: دعوا عليّاً دعوا عليّاً دعوا عليّاً، انّ عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي. وقد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن جعفر بن سليمان وسياق الترمذي مطول وفيه انّه أصاب جارية من السبي ثمّ قال: حسن غريب لا نعرفه إلّا من حديث جعفر بن سليمان، ورواه أبو يعلى الموصلي عن عبد الله بن عمر القواريري والحسن بن عمر بن شقيق الحرمي والمعلى بن مهدي كلهم عن جعفر بن سليمان به.

وقال خيثمة بن سليمان: حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا عبيد الله بن موسى بن يوسف بن صهيب عن دكين عن وهب بن حمزة قال: سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة فرأيت منه جفوة فقلت: لئن رجعت فلقيت رسول الله لأنالنّ منه، قال: فرجعت فلقيت رسول الله فذكرت عليّاً فنلت منه فقال لي رسول الله: لا تقولن هذا لعلي فإنّ عليّاً وليكم بعدي. وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة بن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس انّ رسول الله قال لعلي: أنت ولي كل مؤمن بعدي.

أقول: فالذي يذكر في أصل كتابه هذه الطرق لهذه المادة كيف استساغ أن يقول في حق الأجلح انّه تفرد بها، وهل هذا منه إلّا تحامل بارد. ثمّ لا يخفى على قارىء هذه القصص انّ ما في بعض متونها من كلمات عائرة عاثرة ـ فأحدث شيئاً في سفره ـ أو ـ انّه أصاب جارية من السبي ـ مجعول مختلق بلا ريب من عدة جهات:

الجهة الأُولى: انّ نفس حديث السيرة ينطق بلسان مديد انّ رسول الله لما أرسل عليّاً إلى اليمن وصادف رجوعه منها حج رسول الله حثّ نفسه على اللحوق بالرسول وأمر على جماعته انساناً منهم وكانت معه حلل منعها أصحابه

عندما كان معهم فلما فارقهم واستناب مكانه عليهم فرّق نائبه تلك الحلل عليهم فلبسوها فلما وردوا مكة وتلقاهم ووجدهم في تيك الحلل نزعها منهم وقال: كيف نتصرف بها قبل أن نستأذن رسول الله، فشكوه إلى رسول الله ﷺ فقال كلمته المشهورة في حقه انّه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله، فمن يكون بهذه المثابة من الاحتياط كيف يتحدث عنه انّه أحدث شيئاً في سفره كرهه أصحاب رسول الله وضبطوه عليه نقطة ضعف؟ هذا ما لا يكون.

الجهة الثانية: انّ اعتبار صحة مثل هذا الحديث وتأثر رسول الله من ناقله غاية التأثر وردعه له ردعاً عظيماً مما يعود طعناً على الرسول لا على علي وحده وحاشا رسول الله أن يداهن ويصانع.

الجهة الثالثة: انّ قدسية علي وورعه وزهده وعدم اهتمامه بشهوات الدنيا مما عرف له كمعرفة البديهيات وهيهات ممن هذا شأنه أن يقال عنه أمثال تلك المقالات وتصح، ولكن أعداء علي طالما فتشوا له ما يوهن به فلم يجدوه إلّا في هذه النقاط المخذولة التي يكذبها الاعتبار قبل كل شيء ومن الغرائب التي تتناكر وتتدافع انّ القوم مع اجماعهم على رواية أعظم الفضائل له عن رسول الله يقرنون بتلك الروايات انّ عليّاً خطب ابنة أبي جهل فاغتاظ النبي غيظاً شديداً وقال: انّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنّما وليي الله وصالح المؤمنين ويعدون ذلك في رواية الصحاح، وهل ليت شعري بنيت هذه الصحاح إلّا على هضم الحق وترويج الباطل واماتة الدين وإحياء البدع بلا ريب.

وروى أحمد في المسند (ج ١ ص ٣٣٠) بسنده عن عمرو بن ميمون قال: اني لجالس إلى ابن عباس وساق الحديث بطوله وفيه قال: وخرج بالناس في غزة تبوك قال: فقال له علي: أخرج معك؟ قال: فقال له نبي الله: لا، فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انك لست بنبي انّه

لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي ، قال : وقال له رسول الله : أنت وليي في كل مؤمن بعدي .

وفي مسند أحمد (ج ٥ ص ٣٤٧) عن بريدة قال : غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ذكرت عليّاً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله يتغير فقال : يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه .

وفي (ص ٣٥٦) عن بريدة قال : قال رسول الله : علي مني وأنا منه وهو وليكم بعدي وانّه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي .

وفي مستدرك الحاكم (ج ٢ ص ١٢٩) عن أبي عوانة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة حدثني عبد الله بن بريدة الأسلمي قال : اني لأمشي مع أبي ـ إلى أن يقول ـ ثمّ ذكرت له أمر علي فرفعت رأسي وأوداج رسول الله احمرت قال : قال النبي : من كنت وليه فإنّ عليّاً وليه . صححه الحاكم والذهبي جميعاً .

وفيه أيضاً (ج ٣ ص ١١٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة الأسلمي قال : غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله فذكرت عليّاً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله يتغير فقال : يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه . صححه الحاكم والذهبي جميعاً على شرط مسلم . وفي الصفحة نفسها من المجلد الثالث عن عمران بن حصين قال : بعث رسول الله سرية ـ إلى أن يقول ـ فأقبل عليه رسول الله والغضب في وجهه فقال : ما تريدون من علي انّ عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن . صححه الحاكم والذهبي جميعاً على شرط مسلم .

وفي منتخب كنز العمال للمتقي الهندي (ج ٥ ص ٣٠) ما تريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي انّ عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن

بعدي. الترمذي والحاكم في المستدرك.

من كنت وليه فعلي وليه: أحمد في المسند والنسائي والحاكم في المستدرك عن بريدة.

وفي ذخائر العقبى (ص ٦٨) عن عمران بن حصين انّ رسول الله قال: انّ عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي. أخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن غريب وأبو حاتم.

وساق النسائي في الخصائص طرفاً مما سقناه آنفاً عن غيره.

وفي ينابيع المودة (ج ٢ ص ٧): يا بريدة انّ عليّاً وليكم من بعدي، للديلمي: يا علي أنت ولي كل مؤمن بعدي. لأبي داود الطيالسي: واستقصاء ذلك يخرج بنا عن خطة الكتاب، ولا ريب في ظهور ـ وهو وليكم بعدي ـ في الولاية الشرعية من جاعل شرعي وهو النبي ولذلك استنكر ابن كثير هذه اللفظة وعدها من متفردات الأجلح.

ومن مؤيدات هذا المعنى وكواشفه ما رواه القندوزي في ينابيعه (ج ١ ص ٧٧) عن أبي نعيم في الحلية بسنده عن أبي برزة الأسلمي من حديث مطول فيه فقلت: يا رب انّه أخي ووصي. وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبي عن وصيّه، فقال سلمان: يا رسول الله من وصيّك؟ فقال: يا سلمان من وصي موسى؟ فقال: يوشع بن نون، قال ﷺ: وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب. وأخرج الثعلبي حديث الوصية لعلي بسنده عن البراء بن عازب في تفسيره **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. ابن المغازلي أخرج حديث الوصية لعلي بسنده عن ابن عباس وعن جابر بن عبد الله وعن أبي أيّوب. موفق بن أحمد بسنده أخرج حديث الوصية لعلي عن بريدة قال: قال النبي: لكل نبي وصي ووارث وانّ عليّاً وصيي ووارثي.

أيضاً موفق بن أحمد بسنده عن ام سلمة قالت: قال رسول الله: انّ الله اختار لكل نبي وصياً وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأُمتي بعدي. أيضاً الحمويني أخرجه عن أبي ذر قال: قال رسول الله: أنا خاتم النبيين وأنت يا علي خاتم الوصيين إلى يوم الدين. وفي المناقب السبعين [1] الحديث الثامن عن بريدة: قال رسول الله: لكل نبي وصي ووارث، وان عليّاً وصيي ووارثي، رواه صاحب الفردوس.

وفي منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٣٢): انّ وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب. الطبراني في الكبير عن أبي سعيد عن سلمان. وفي (ص ٤١) من المجلد المذكور في سرده للحديث الوارد في **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** انّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم.

وأورد المحب الطبري [2] حديث الوصية عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبي وصي ووارث وان عليّاً وصيي ووارثي. أخرجه الحافظ أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة.

ثمّ بما انّ هذا الحديث عن النبي يفت بعضد أشياخهم من ناحية أخذهم الخلافة من علي بالقهر أخذوا يدورون بكلمة وصيي في المظان التي تبعد بهم عن الخلافة فقال المحب المذكور: والوصية محمولة على ما رواه أنس انّ النبي قال: وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب. أخرجه أحمد في المناقب.

لكننا نقول له: انّ هذا الحديث الذي أوردته لا يشهد على انّ المراد بوصيي

---

(١) ينابيع المودة: ج ٢ ص ٥٦.

(٢) في ذخائر العقبى: ص ٧١.

صرفاً هو المتصدي لقضاء ديني وانجاز عدتي ، بل هذا من جملة تمام وصايته .
ثمّ قال : أو على ما رواه حبة العرني عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : يا علي أوصيك بالعرب خيراً . انظر إلى هذه السخافة ، فهل ليت شعري ترى ربطاً بين قول القائل فلان وصيي وبين قوله له في وقت آخر أوصيك بالعالم الفلاني خيراً وهل يجوز أن ينزل قوله أنت وصيي على هذا المطلب وكذلك ما أسخفه في قوله ، أو على ما رواه حسين بن علي عن أبيه عن جده قال : أوصى النبي عليّاً أن يغسله ، فهل يرتبط هذا بقوله ﷺ : لكل نبي وصي وان عليّاً وصيي ووارثي . أي اني أوصيته أن يغسلني أفلا تضحك الحمقى من هذا التفسير البارد والمعنى الشارد على انّ هذه المعاني ومهما فرض غيرها معها لا تنافي أصل وصيته المطلقة المنزلة على ما كان الأنبياء يحلون به أوصيائهم من القيام مقامهم في كل ما كانوا يقومون به من نشر الأحكام وبيان ما يستبهم على الناس وفتح ما يستغلق عليهم واعلاء كلمة الدين وجهاد المناوئين نظير يوشع من موسى بن عمران وهذا له شواهد أيضاً من جملتها ما رواه أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : يا أنس اسكب لي وضوءً ثمّ قام فصلى ركعتين ثمّ قال : أوّل من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغرّ المحجلين ، قال أنس : فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ، وكتمت دعوتي ، فجاء علي ، فقال ﷺ : من جاء يا أنس ؟ فقلت : علي ، فقام إليه مستبشر فاعتنقه ثمّ جعل يمسح عرق وجهه فقال علي : يا رسول الله لقد رأيت منك اليوم شيئاً ما صنعته بي قبل ، قال : وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي . رواه أبو نعيم الحافظ [1] فالذي يؤدي

---

(١) في حلية الأولياء : ج ٢ ص ٤٥٠ من الشرح الحديدي .

عنه ﷺ ويسمع الناس صوته ويبين لهم ما يختلفون فيه بعده هو الوصي الذي يراد للنبي كما قال ﷺ : لكل نبي وصي ووارث وانّ عليّاً وصيي ووارثي لا الوصاية المجردة بمثل اوصيك بالعرب خيراً واوصيك أن تغسلني ، فإنّ مثل هذا لا يرتبط بشيء من ذاك أصلاً وان انضوى تحته بمفهومه العام .

وإلى عين مؤدى حديث بريدة الآنف تشير هذه الفقرات من خطبة علي عليه السلام (ج ١ ص ٤٥) وما بعدها من النهج الحديدي : لا يقال بآل محمّد ﷺ من هذه الأُمّة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة .

فهذا جد صريح في انّه عليه السلام هو الوصي للنبي في معالم الدين وأحكامه ومستحق حق القيام مقامه . وقال ابن أبي الحديد عقيب ذلك : امّا الوصية فلا ريب عندنا انّ عليّاً عليه السلام كان وصي رسول الله وان خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد ولسنا نعني بالوصية النصّ على الخلافة ولكن أُموراً أُخرى لعلها إذا لمحت أشرف وأجل .

وقد أخطأ في كلامه هذا خطأين :

الأوّل : انّه لم لا تعنون انّ المراد بها النص على الخلافة ؟ مع انّ النصوص قاطعة بذلك كما عرفت آنفاً .

والثاني : أي أمر آخر يكون أشرف وأجل من الخلافة الشرعية التي هي بوزنها الصحيح تلو النبوة ولكن حق لهؤلاء أن يروا أُموراً أُخرى هي في نظرهم أشرف وأجل من الخلافة بعد أن عاينوا هذه الخلافات المملوءة بالنقص والجهل وتقدم المفضول اليها على الفاضل ولكن فاتهم انّ هذه المناصب التي يعهدونها في أفرادهم لا تعرف من ملاك الخلافة الدينية أقل شيء سوى اللفظ الفارغ وامّا هي بوزنها الصحيح الذي أعربنا عنه فيما سبق فلا شيء أشرف منها إلّا مقام

النبوة وحده.

ومن دلائل معروفيته عليه السلام بأنّه وصي النبي وانّه الولي على الناس بعده ما اشتهر ذلك له عند معاصريه من الصحابة والتابعين وقد قال ابن أبي الحديد في تأييد مقالة أمير المؤمنين في الفصل السابق: ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة (ج ١ ص ٤٧) ومما رويناه من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن لكونه عليه السلام وصي رسول الله قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

ومنّا علي ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

وقال عبد الرحمن بن جعيل

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف موفقا
علياً وصي المصطفى وابن عمه وأوّل من صلّى أخا الدين والتقى

وقال أبو الهيثم بن التيهان وكان بدرياً

قل للزبير وقل لطلحة اننا نحن الذين شعارنا الأنصار
نحن الذين رأت قريش فعلنا يوم القليب اولئك الكفار
كنا شعار نبينا ودثاره تفديه منا الروح والأبصار
ان الوصي امامنا وولينا برح الخفاء وباحت الأسرار

وقال عمرو بن حارثة الأنصاري وكان مع محمّد بن الحنفية يوم الجمل وقد لامه أبوه عليه السلام لمّا أمره بالحملة فتقاعس:

أبا حسن أنت فصل الأمور ... يبين بك الحل والمحرم
جمعت الرجال على راية ... بها ابنك يوم الوغى مقحم
ولم ينكص المرء من خيفة ... ولكن توالت له أسهم
فقال رويداً ولا تعجلوا ... فاني إذا رشقوا مقدم
فأعجلته والفتى مجمع ... بما يكره الرجل المحجم
سمي النبي وشبه الوصي ... ورايته لونها العندم

وقال رجل من الأزد يوم الجمل

هذا علي وهو الوصي ... آخاه يوم النجوة النبي
وقال هذا بعدي الولي ... وعاه واع ونسى الشقي

وخرج يوم الجمل من بني ضبة شاب معلم من عسكر عائشة وهو يقول:

نحن بنو ضبة أعداء علي ... ذاك الذي يعرف قدماً بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ... ما أنا عن فضل علي بالعمي
لكنني أنعى ابن عفان التقي ... انّ الولي طالب ثار الولي

وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل وكان في عسكر علي عليه السلام:

أيّة حرب أضرمت نيرانها ... وكسرت يوم الوغى مرانها
قل للوصي أقبلت قحطانها ... فادع بها تكفيكها همدانها
فهم بنوها وهم اخوانها

وقال زياد بن لبيد الأنصاري يوم الجمل وكان من أصحاب علي عليه السلام :

كيف ترى الأنصار في يوم الكلب انا أناس لا نبالي بالعطب
ولا نبالي في الوصي من غضب وإنّما الأنصار جد لا لعب
هذا علي وابن عبد المطلب ننصره اليوم على من قد كذب
من يكسب البغي فبئسما اكتسب

وقال حجر بن عدي الكندي في ذلك اليوم أيضاً

يا ربنا سلم لنا عليّاً سلم لنا المبارك الرضيا
المؤمن الموحد التقيا لا خطل الرأي ولا غويا
بل هادياً موفقاً مهديا واحفظه ربي واحفظ النبيا
فيه فقد كان له ولياً ثمّ ارتضاه بعده وصيا

وقال خزية بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وكان بدرياً في يوم الجمل أيضاً :

ليس بين الأنصار في وجبة الحرب وبين العداة إلّا الطعان
وقراع الكماة بالقضب البيض إذا ما تحطم المران
فادعها تستجب فليس من الخزرج والأوس يا علي جبان
يا وصي النبي قد أجلت الحرب الأعادي وسارت الاظعان
واستقامت لك الأمور سوى الشام وفي الشام يظهر الاذعان
حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا

وقال خزيمة أيضاً في يوم الجمل

أعائش خلي عن علي وعيبه بما ليس فيه إنّما أنت والدة
وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهدة
وحسبك منه بعض ما تعلمينه ويكفيك لو لم تعلمي غير واحدة
إذا قيل ماذا عبت منه رميته بخذل ابن عفان وما تلك آبدة
وليس سماء الله قاطرة دماً لذاك وما الأرض الفضاء بمائدة

وقال ابن بديل بن ورقاء الخزاعي يوم الجمل أيضاً

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت حرب الوصي وما للحرب من آسِ
الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت تلك القبائل أخماساً بأسداس

وقال عمرو بن أحيحة يوم الجمل في خطبة الحسن بن علي بعد خطبة ابن الزبير:

حسن الخير يا شبيه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب

إلى أن يقول

انّ شخصاً بين النبي لك الخير وبين الوصي غير مشوب

وقال زجر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً

أضربكم حتى تقروا لعلي خير قريش كلها بعد النبي
من زانه الله وسمّاه الوصي انّ الولي حافظ ظهر الولي
كما القوي تابع أمر الغوي

ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل وأبو مخنف من المحدثين وممن يرى صحة الامامة بالاختيار وليس من الشيعة ولا معدوداً من رجالها. ومما رويناه من أشعار صفين التي تتضمن تسميته عليه السلام بالوصي ما ذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفين وهو من رجال الحديث، قال نصر بن مزاحم: قال زجر بن قيس:

فصلى الاله على أحمد رسول المليك تمام النعم
رسول المليك ومن بعده خليفتنا القائم المدعم
عليّاً عنيت وصي النبي يجالد عنه غواة الأُمم

قال نصر: ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس:

أتانا الرسول رسول الامام فسر بمقدمه المسلمونا
رسول الوصي وصي النبي له السبق والفضل في المؤمنينا

ومن الشعر المنسوب إلى الاشعث أيضاً

أتانا الرسول رسول الوصي علي المهذب من هاشم
وزير النبي وذي صهره وخير البرية والعالم

وقال النعمان بن عجلان الأنصاري:

كيف التفرق والوصي امامنا لا كيف الاحيرة وتخاذلا

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي

ألا أبلغ معاوية بن حرب فمالك لا تهش إلى الضراب

وفي آخر أبياته

يقودهم الوصي اليك حتى　　　يردك في ضلال وارتياب

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب

يا عصبة الموت صبراً لا يهولكم　　　جيش ابن حرب فإنّ الحق قد ظهرا
وأيقنوا انّ من أضحى يخالفكم　　　أضحى شقياً وأمسى نفسه خسرا
فيكم وصي رسول الله قائدكم　　　وصهره وكتاب الله قد نشرا

وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

وصي رسول الله من دون أهله　　　وفارسه إن قيل هل من منازل

وهذه العجالة لا تقوم باستقصاء الأثر الوارد في ذلك شعراً ونثراً وفيما ذكرناه بلغة وكفاية كما انّ الأخبار الواردة في ذلك لمن تتبعها كثيرة، وقد اتهم ابن الجوزي في موضوعاته بعض الأحاديث الواردة في ذلك بالوضع، وهل اتهامه لذلك مع ذكر غيره من المحدثين له إلّا تحكم بارد، لأنّ المحدثين الذين نقلنا عنهم تلك الأحاديث حفاظ معروفون كأبي نعيم والبغوي والمحب الطبري وغيرهم ممن سلف ذكر لبعض، فهؤلاء مع معرفتهم بالطرق الحديثية والأسانيد ورجالها إذا كانوا معتقدين بوضعها وأرسلوها مع ذلك ارسال المسلمات فهو من أعظم الأدلّة على انهدام كل حديث لأبناء العامة بانهدام حيثية حفاظهم وارتكابهم للباطل الصريح، وإذا كانوا معتقدين لبراءتها من العيوب فذاك هو المطلوب، والذي يدعو أمثال ابن الجوزي والذهبي وابن حجر أن يندّدوا بمثل هذه الأحاديث انهم يرونها مع اعترافهم بها من أعظم المعاول الهدامة لمبانيهم في

خلافة الأشياخ.

ولذلك قال السيوطي [١]: وقال الطبراني: حدثنا العباس بن حمد الاصبهاني حدثنا محمّد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن اسباط عن عروة حدثني سعيد بن كرز قال: كنت مع مولاتي يوم الجمل فأقبل عمار بن ياسر فقال: يا أم المؤمنين أنشدك بالذي أنزل الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتك أتعلمين أنّ رسول الله حين جعل عليّاً وصياً على أهله وفي أهله ؟ قالت: اللهم نعم، قال: فما لك ؟ قالت: أطلب بدم أمير المؤمنين عثمان، ثمّ جاء علي فقال: أنشدك بالذي أنزل الكتاب على رسوله في بيتك أتعلمين انّ رسول الله جعلني وصياً في أهله وعلى أهله ؟ قالت: اللهم نعم، قال: فمالك ؟ قالت: أطلب بدم أمير المؤمنين عثمان. قال: عندي انّ المراد بهذا استخلافه على أهله لما خرج إلى غزوة تبوك كما هو معنى قوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، لا وصية بعد الموت. فهو لما استنتج من معنى الوصية في الحديث المزبور انها وصية من النبي لعلي على أهله أوّلاً وفي حياته ثانياً وليست شأن الوصايا التي تكون في الحياة لما بعد الموت أقر الرواية ولم يكذبها، إذاً فأنت ترى بصراحة انّ وزن الصحة والوضع عندهم في الأحاديث الواردة كونها مطابقة لمبانيهم أو مباينة لها فما كان من القسم الأوّل فهو صحيح وما كان من القسم الثاني فهو موضوع، فانظر واعجب.

على انّ السيوطي في تعقباته على موضوعات ابن الجوزي قال: ومن طرقه ـ أي طرق حديث الايصاء ـ قال الخطيب في التلخيص: أنبأنا أبو سعيد محمّد بن موسى بن الفضل الصيرفي حدثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب الأصم حدثنا

---

(١) في اللئالي المصنوعة على الأحاديث الموضوعة: ج ١ ص ١٨٦.

أحمد بن عبد الجبار العطاردي حدثنا يونس بن بكير عن عبيد بن عيينة العبدي عن وهب بن كعب بن عبد الله الأزدي عن سلمان الفارسي انّه قال: يا رسول الله انّه ليس من نبي إلّا وله وصي وشيطان، فمن وصيك وشيطانك؟ فسكت رسول الله ولم يرجع إليه شيئاً فلما صلّى ﷺ الظهر قال: يا سلمان سألتني عن شيء لم يأتني فيه أمر وقد أتاني انّ الله تعالى بعث أربعة آلاف نبي وكان لهم أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف شيطان فوالذي نفسي بيده لأنا خير النبيين ووصيي خير الوصيين وشيطاني خير الشياطين.

أقول: في اطراف هذا الحديث غرائب لا تصح وهي اقتران الشياطين بالأنبياء فإنّ الأنبياء معصومون بلا ريب والشيطان بعيد عن المعصوم، وثانياً فإنّ عدة الأنبياء الواردة في كثير من الآثار تبلغ مأة وأربعة وعشرين ألف نبي لا أربعة آلاف، واعتقد انّ هذه الضمائم جاءت أصل الحديث عن سلمان من زيادات أبناء التسنن الذين لا يرون العصمة في الأنبياء، وعلى كل فمادة أصل الحديث الناطق بأنّ عليّاً وصي الرسول وان منزلته منه منزلة سائر الأوصياء من الرسل ثابتة مؤيدة وما أسلفناه حديثاً وشعراً مثبت لذلك ومقرر له فلا قيمة لهذه التشكيكات الواهية عن ابن الجوزي ومن هو على وتيرته.

والذي دعا المتعنتين من أبناء العامة إلى القول بوضع حديث الوصية هو ما يرويه البخاري عن عائشة (١) بقوله: حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا اسماعيل عن ابن عون عن ابراهيم عن الأسود قال: ذكروا عند عائشة انّ عليّاً كان وصياً فقالت: متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري، أو قالت: حجري، فدعا بالطست فلقد انخنث في حجري فما شعرت انّه قد مات فمتى أوصى إليه. وويل

(١) ج ٢ ص ٨١ في كتاب الوصايا من صحيحه.

لهم من تعبدهم بهذا الكتاب وبصاحبه وبتلوه صحيح مسلم وصاحبه على ما في هذين الكتابين من فجائع يقذفها حتى الفاقد للرشد بالموبقات فضلاً عن العقلاء والفضلاء وللتدليل على ذلك نجدنا مسؤولين بالبرهنة على ما نقول بايراد نبذ من تيك الفجائع على ما أسلفنا رقماً منها آنفاً .

نبذ من فجائع الصحيحين

فمن مختلقات البخاري وأكاذيبه ما ذكره [١] مصرحاً ان عثمان بن عفان لم يشهد بدراً ومع ذلك ذكر [٢] انّ عثمان من حضار بدر فقال النبي محمّد : أبو بكر الصديق ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ علي . وهذا تدليس وافتراء وكذب ، نعم غاية ما ينقل أبناء التسنن انّ النبي ﷺ ضرب به بسهمه وأجره ومثل هذا لا يجوز للانسان الثبت ان يحيله بصورة حضور وشهود فما أوسع الشقة بين المعنيين .

ومن تناقضاته وتدافعاته ما يرويه [٣] عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي انّ أبا هريرة أخبرهما انّ الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله قال : فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا : لا ، قال : فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً ليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأُمّة فيها منافقوها فيأتيهم الله عزوجل فيقول : أنا

---

(١) ج ٣ ص ١٦ باب قول الله تعالى : انّ الذين تولوا منكم ... الخ .

(٢) ج ٣ ص ١٠ باب تسمية من سمي من أهل بدر.

(٣) ج ١ ص ٩٦ باب فضل السجود من صحيحه.

ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ـ الخ ـ.

وما يرويه [١] عن يحيى عن وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال: قلت لعائشة: يا امتاه هل رأى محمّد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب، من حدثك انّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه فقد كذب ثمّ قرأت: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب﴾**، ومن حدثك انّه يعلم ما في غد فقد كذب ثمّ قرأت: **﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾**، ومن حدثك انّه كتم فقد كذب ثمّ قرأت: **﴿يا أيّها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك﴾** الآية، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

وروى البخاري هذا الاثر بطريق آخر [٢] فقال: حدثنا محمّد بن يوسف عن سفيان عن اسماعيل عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: من حدثك انّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه فقد كذب وهو يقول: لا تدركه الأبصار ومن حدثك انّه يعلم الغيب فقد كذب وه ويقول لا يعلم الغيب إلّا الله.

ولا ريب انّ الأثر الذي يرويه أبو هريرة بالنسبة إلى الأثر الوارد عن عائشة نقيض صريح جد الصراحة فإنّ الأوّل ينص على ان الناس يرونه كما يرون البدر ليلة تمامه في سماء صافية صاحية وكا يرون الشمس في نهار ضاحي صاحي، والثاني ينكر ذلك أشد الانكار ويمنع أصل التحديث به وان شعرها قف من سؤال السائل: هل رأى محمّد ربه، في حين انّ هذا السائل خص محمّداً وحده ولم

---

(١) ج ٣ ص ١٢٥ باب سورة النجم.

(٢) ج ٤ ص ١٧٥ باب قول الله تعالى: عالم الغيب.

يعمم بما يشمل الناس جميعاً كما في حديث أبي هريرة، واستشهدت عائشة على مدعاها بأصرح أثر قرآني وهو قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وهذه العبارة لا تقبل التشكك ولا التأويل في انّه تعالى ليس محلاً لرؤية الأبصار فإنّ درك البصر منحصر برؤيته وليس له درك وراءه بالضرورة.

وأي عاقل يجيز لنفسه أن يعتقد بصحة الأثرين المثبت لرؤية الله والنافي لها بتاتاً بصراحة ونص فيهما معاً فأحدهما كذب لا شبهة فيه فكيف يسمى الكذب صحيحاً وكيف يدان به الله سبحانه ويجعل حجة فيما بينه تعالى وبين المصحح له وإذا قيل انّ أثر أبي هريرة يثبت الرؤية في يوم القيامة لا في الدنيا وعائشة تنفي رؤية محمّد له تعالى في الدنيا قلنا انّ رؤية البصر في أي ظرف يفرض رؤية بملاك الحس المعروف من حواس الإنسان وأحاديث المعاد الجسماني تثبت بنص ان انسان الدنيا هو بعينه انسان الآخرة بيده ورجله ولسانه وجميع أعضاءه وحواسه فبحسه الدنيوي الذي يبصر به الأشياء يبصر به الله سبحانه على ما يقول هؤلاء المجسمون فكيف كانت رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة وفي الآخرة واقعة بظهور وهل ذاتي الشيء يتخلف عنه؟. على انّه يكفي في ابطال تزوير أبي هريرة نفس صراحة الكتاب ـ لا تدركه الأبصار ـ الجاهرة في كون الرب تعالى ليس محلاً لرؤية الأبصار، أي انّ ذاته غير قابلة لذلك فكيف يترك البخاري ونظراؤه صراحة هذا المعنى متشبثين باختلافات أبي هريرة ان الله يرى وفضلاً عن أصل الرؤية يتشكل باشكال فيبدو بشكل ينكرونه به ثمّ يبدو بشكل آخر فيعرفونه.

وقد علق بعضهم على هذا المحل من البخاري انّ التي تتغير هي رؤية الرائين لا منظرة الله وان رؤيتهم له في النظر الأوّل كانت باطلة ورؤيتهم له في الثاني كانت حقة لتطبيقهم ما رأوه في ثانياً على ما كانوا يعهدونه من صفاته، وهذا التأويل أقبح من أصل الاشكال، فإنّ معناه انّ الرسول في الدنيا كان وصف الله

لهم بأوصاف جسمية كما يصف الواحد منا انساناً لمن يريد التعرف به في غيابه فيقول من وصفه انّه طويل القامة أزج الحاجبين أشهل العينين أسيل الخدين له شامة على وجنته اليمنى وما إلى ذلك، وهذا المعنى لم يروه عن الرسول في توصيف الله وحتى أبو هريرة واضع هذا الحديث، بل فاتح هذا الباب المستحيل على واجب الوجود. وعلى كل فرواية مثل هذين الأثرين والاعتقاد بصحتهما جميعاً من التذبذب الذي لا يكون إلّا من جهلة العوام، وهؤلاء لا قيمة لتصحيحهم شيئاً وتمريضهم شيئاً آخر ولا يجوز أن يجعلوا ملاكاً في الجرح والتعديل والتصحيح والتمريض فيقال: انّ حديث وصية علي للنبي موضوع مختلق لأنّ البخاري يروي عن عائشة انّه ﷺ لم يوص إلى علي وانّ الحديث الكذائي مزور لأنّ البخاري ومسلماً لم يتعرضا له. وانّ البقرة تنطق والذئب يتكلم بفضائل الشيخين يصح لأنّ البخاري أثبته في صحيحه فقال: (ج ٢ ص ٣٠) باب استعمال البقر للحراثة: حدثنا محمّد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سعد قال: سمعت أبا سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا خلقت للحراثة قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي فقال الذئب: من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري، قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر قال أبو سلمة: وما هما يومئذ في القوم.

ولقد اعيت الحقائق هؤلاء منزعاً فأخذوا يصرون على تثبيت الأوهام النابية بمثل هذه التشبثات ولو انّ راوياً حدث بذلك في فضل علي لأقاموا قيامة الدنيا والآخرة عليه كيف وها نحن نراهم لا ينكرون المزايا المشهورة لعلي بغير واسطة أخبار الآحاد من كونه باب علم رسول الله ﷺ مثلاً لاعتراف كافة من عرف عليّاً من أفراد البشر بأنّه العالم الخريت الضليع بعلوم الكتاب والسنة ولكنهم

ينكرون لفظة أنا مدينة العلم وعلي بابها ويتعللون في ذلك بأنّها لو كانت واردة عن الرسول لتعرض لها أهل الصحاح في حال انّ ما عرفوه لعلي من الفضيلة مؤيد قوي وكاشف صريح للحديث المزبور ولو تفرد به رأو واحد فإنّ الروايات الصحيحة ما كان لها انطباق على الخارج لا ما اسندت ما هو من صفات الإنسان إلى الحيوان الأعجم والبست الجبان لامة الشجاع وعقدت تيجان أهل الفضائل على الحفاة المنبوذين بالعراء، ولو انّ القوم ملاؤا الطوأمير بأمثال هذه القصص وحشروا كل ذئب وبقرة للتحديث عن فضائل أشياخهم لما كانوا إلّا نافخين في رماد ولو انهم أنكروا كل حديث وارد في فضل علي لما ازداد علي في أنظار من درس الدنيا ورجالها والدين وأهله إلّا سمواً وارتفاعاً فإنّ الحقائق الراهنة لا تزول والأوهام المختلقة لا تثبت فليكد كل شانىء كيده وليسع سعيه وما سعي الظالمين إلّا في تبار.

وما بنا ونحن في وسط بحث خارج عن هذا الموضوع أن نبحث عن جميع نقاط الضعف التي توجد في صحيح البخاري من مبتداه إلى منتهاه لأنّ ذلك يحتاج إلى درس واسع وتمحيص طويل وفيما ذكرناه هنا وأسلفنا ذكره على طول الحلقات الآنفة من رديف هذه الأحاديث النابية بل الأضاليل المكشوفة كفاية في مورد الاستشهاد.

وقد ناقض مسلم نفسه في صحيحه [(١)] فروى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الاحوص سلام بن سليم عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن معاذ بن جبل قال: كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حمار يقال له عفير قال: فقال: يا معاذ تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قال: قلت: الله ورسوله

(١) ج ١ ص ٤٣ باب من لقى الله بالايمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة.

أعلم، قال: فإنّ حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله عزوجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال: قلت: يا رسول الله أفلا ابشر الناس؟ قال تبشرهم فيتكلوا.

وروى نقيض ذلك صريحاً (١) عن زهير بن حرب عن عمر بن يونس الحنفي عن عكرمة بن عمار عن أبي كثير عن أبي هريرة قال: كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أوّل من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة والربيع الجدول فاحتفزت فدخلت على رسول الله فقال أبو هريرة: فقلت: نعم يا رسول الله، قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أوّل من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي، فقال: يا أبا هريرة وأعطاني نعليه اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة، فكان أوّل من لقيت عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاستي فقال: ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال رسول الله: مالك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي، قال: ارجع، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ص ٤٤ من المجلد المذكور.

يا عمر ما حملك على ما فعلت، قال: يا رسول الله بأبي أنت وأُمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم، قال: فلا تفعل فاني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، قال رسول الله ﷺ: فخلهم.

ومما لا ريب فيه انّ بين قوله في حديث معاذ لا تبشرهم وبين قوله في حديث أبي هريرة بشره بالجنة تدافعاً صريحاً، وليست هذه المطالب من الأُمور القابلة للنسخ حتى ينسخ نافيها مثبتها أو بالعكس فإنّ الشهادة بالله عن يقين لا يتغير حكمها أصلاً لأنّها اصل الأُصول وبها بعث من بعث من الأنبياء والرسل وكلف من كلف من العقلاء والنبي بضرورة عصمته وحكم الكتاب في حقه لا ينطق عن الهوى وانّه لا يقول إلّا الحق في الرضا والغضب كما ورد الأثر بذلك، وقد أسلفناه فامّا أن يكون ابتداؤه لأبي هريرة بأن ينبعث إلى الناس فيبشرهم بتلك البشارة هو الحق الواقعي فما معنى نهيه لمعاذ عن أن يبشرهم بذلك وإن كان ما أبداه لمعاذ هو الحق والواقع فما معنى ابتداءه لأبي هريرة بما ابتدأه به والبداء في حق من يأخذ علمه عن اللوح المحفوظ باطل بلا ريب.

ثمّ كيف يعقل خطأ النبي المسدد من الله بأنواع التسديدات الذي كان من جراء ذلك في جميع أقواله وأفعاله حجة على العباد وتنبيه أحد الكلفين اياه على خطأه واعترافه له بذلك ومن يكون بهذه المثابة فعلى نبوته ألف سلام.

ولكن مزور هذا الخبر وهو أبو هريرة أو من زوره على لسانه من أبناء العامة قصد به في اصل تزويره الاشادة بقدر عمر وان عمر كان من نفوذ عقله وغور معلوماته يدبر النبي فيأمر النبي بما كان لا يراه وينهاه عما كان رآه فهؤلاء لا يهمهم الحط من كرامة أنبياء الله العظام بمقدار ما يهمهم من تشييد مقامات أشياخهم وليت انّ هذه الحنكة العلمية في عمر مشت به في كل أدواره وفي كل

الحوادث الطارءة عليه كما تقتضيه موازين العلم ولم يلعب به التذبذب في الفتاوى والعجز في القضايا والجهل بالأحكام ذلك اللعب الذي أقرّ معه بأنّ النساء أفقه منه.

ومن الكذب الصريح الذي ما عليه غبار ما يرويه مسلم في صحيحه (١) عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن عاصم بن محمّد بن زيد عن أبيه قال عبد الله قال رسول الله ﷺ: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان. ولم يدر هؤلاء المساكين الذين قضوا أعمارهم في الدولة العباسية ان التتر نسفوا بني العباس نسفاً لم يبقوا معه في عين ولا أثر وانّ قريشاً أصبحت بعد ذلك لا يكيل أحد بمكيالهم الحشف البالي والناس الفعليون الذين لا يعرفون قريشاً لا في عير ولا في نفير قد بلغت عدتهم ببركة الله سبحانه قريب الثلاثة آلاف مليون نسمة فأين مسلم عن هذا العصر حتى يضحك من صحيحه وما أودعه فيه من خرافات ضحكاً مستغرقاً لكافة حواسه وقد يعذر مسلم انّه لم يتجل له هذا الكذب وهو حي لكن ما بال أبناء العامة المعاصرين وهم في القرن العشرين يسمون كتابه على ما فيه من هذه الأكاذيب المفتضحة باسم الصحيح وهم يرون انّ سادة الناس اليوم بدل قريش الأمريكان والروس والانجليز ممن لا يدين بالاسلام ويبعد عن العنصر القرشي بعد السماء عن الأرض. وفضلاً عن تسميتهم له بالاسم المزبور يقدسونه تقديسهم للحقائق الراهنة فيا قاتل الله التعصب إلى أي غاية يركض بصاحبه.

ومن خرافات مسلم في صحيحه (٢) ما يرويه عن محمّد بن رافع وعبد بن

---

(١) ج ٦ ص ٣ باب الناس تبع لقريش.

(٢) ج ٧ ص ٩٩ و ١٠٠ باب من فضائل موسى.

حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فرد الله إليه عينه ... الخ.

فليت شعري ما هي هوية ملك الموت حتى تكون له عين كعين الآدميين فتنفقأ بالضربة القوية، وكيف ساغ لموسى وهو النبي العظيم أن يصك عين رسول ربّه إليه وكيف لم يحفظ الله سبحانه من أرسله بحفظ منه حتى لا تتسلط عليه الناس بالتوهين والتحقير والتعدي وهو لا يقصد أحداً إلّا بأخذ روحه فهو دائماً في معرض خطر عظيم وكيف لم يخلقه أقوى من كل قوي حتى يتمكن منه بأسرع وقت وينفذ فيه أمر ربه وكونه جاء بصورة انسان لا ملك لا يدفع المحذورات الآنفة فإنّ كون الملك يتشكل بشكل الآدميين هو انّه بحقيقته الملكية تظهر عليه سيماء بني آدم ومثل هذا التشكل لا يعقل فيه ما هو مادة للانسان وجوهر كبدن حقيقي وعينين حقيقيين وأيدي وأرجل حقيقيات وهلم جرا، وإلّا كان آدمياً صرفاً لا انّه متشكل بشكله وقابع بصورته فإنّ الصورة هي السيماء صرفاً ولا شيء من السيماء بشيء من أجزاء المادة كالعينين واليدين والرجلين وهلم جرا.

وحقيقة الملك غير حقيقة البشر بالضرورة ومعنى التشكل هو انّه يظهر للانسان انّه انسان مثله لا انّه حقيقة انسان، فالملك ان تكن له عين فبحسب ما يظهر عليه من ظاهر الصورة ومثل هذه العين غير قابلة لأن تصك ولا لأن تفقأ لأنّ الصكة والفقأ إنّما يصحان الحقيقية لا الصورية. وحتماً ظهور ملك الموت لموسى إنّما اريد به تشريف موسى حتى يكون أخذ روحه باحترام وإجلال ولو كان المنظور صرف أخذ روحه لكان مسير ملك الموت معه مسيره مع غيره في انّه يأخذ روحه كما يأخذ روح سائر الآدميين بالطرق التي لا نعرفها نحن إلّا من

آثارها وهي زهوق نفس الإنسان وهذا الظهور إنّما يصح إذا كان مقروناً بمعرفة موسى له بتعريف من الله توسط نفس هذا الملك أو غيره بما يفيده اطمئنان نفس بذلك وإلّا فصرف دعوى انسان بظاهره انّه ملك الموت لا يعطي في نفس المرسل إليه إلّا تشككاً واضحاً وان هذا المدعي دجال يتذرع بهذه الدعوى إلى سوء قصد يريده إذ لم يعهد موسى ولا غيره في ملك الموت انّه من جنس الآدميين وعلى فرضه فهو في حاجة إلى معرف والاختبار إنّما يعقل فيما ظاهره تكليف قد تعلقت به ارادة جدية وإن كان في الواقع غير متعلق لها كأمر الله سبحانه ابراهيم بذبح ولده فهذا في ظاهره تكليف لتحقق صدوره عن المولى المطاع قطعاً وإن كان المأمور لا يعلم واقعيته ولا يعقل الاختبار في مثل انسان جاء إلى انسان آخر وقال له: اني جبرئيل وقد أمرني الله أن أبلغك بأن تذبح ابنك بيدك أو أن أذبحه أنا بيدي وليس مع هذا الإنسان ما يثبت قوله، بل يكون من واجب الإنسان صاحب الولد أن يحتفظ بولده ويبارز هذا المدعي لو أراد ولده بسوء، ولو بارزه وقتله لكان له عليه الحجة ولا يعقل نسبة مثل هذا التصوير إلى الحكيم سبحانه لأنّه مخل بالحكمة، نعم تثبت الحكمة إذا ثبتت مع المدعي مؤيدات تصدقه وامارات تؤيده ومع فقدانها يكون الله قد غرر بالرسول والمرسل إليه جميعاً من كافة الوجوه والتغرير تضليل وليس باختبار لا ظاهراً ولا واقعاً.

وقد تجيء الملائكة رسلاً لله بسيماء البشر إلى أحد من عباده وليس معهم من الامارات ما يرشد ذلك العبد انهم ملائكة وانهم رسل الله إليه كما جاءت الملائكة لوطاً بصورة بشر لم يكن عليهم من السمات ما يلفت نظر لوط إلى ذلك بادئاً فسيء بهم وضاق بهم ذرعاً، لأنّه لم يشخصهم ولو كان شخصهم لحصل عنده من الاطمئنان ما لا تزلزل معه ولا اضطراب ولذلك لما وجدوه مضطرباً جداً خوفاً من قومه عليهم كاشفوه بأنّهم رسل ربه وان قومك لا يتمكنون من الوصول الينا

وبرهنوا على ذلك عملاً لا مثل رسول موسى الذي صكه ففقأ عينه ، فإنّ ذلك لا يقال له اختبار لموسى لكونه معذوراً بصكته لانسان يريد مزاحمته وهو لا يعرفه ولا لملك الموت لأنّه لم يتلكأ على ربه فيما أمره به في جميع الأوقات .

فما ذكره القسطلاني على هامش هذا الحديث من صحيح مسلم حيث قال : أرسل ملك الموت إلى موسى في صورة آدمي اختباراً وابتلاءً كـابتلاء الخـليل بالأمر بذبح ولده فلما جائه ظنه آدمياً حقيقة تسور عليه منزله بغير اذنه ليوقع به مكروهاً فلما تصور ذلك صكه أي لطمه على عـينه التـي ركـبت فـي الصـورة البشرية التي جاءه فيها دون الصورة الملكية ففقأها ، هذر وهذيان لا وزن له من المنطق بالشرح الذي أسلفناه ، فالحديث إذاً حديث خرافة من مـختلقات أبـي هريرة ومن قماش كثير ما رواه من الأوهام والأضاليل .

ومن خرافات مسلم في صحيحه [١] ما يرويه عن محمّد بن المثنى ومحمّد بن بشار قالا : حدثنا معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أبي الصديق عن أبي سعيد الخدري انّ نبي الله قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسـعة وتسـعين نـفساً فسأل من أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال انّه قتل تسعة وتسـعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مأة ثـمّ سأل عـن أعـلم أهـل الأرض فدل على رجل عالم فقال انّه قتل مأة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإنّ بها اناساً يـعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنّها أرض سوء فـانطلق حـتى إذا نـصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه مـلائكة الرحـمة ومـلائكة العـذاب فـقالت ملائكة الرحمة : جاءنا مقبلاً بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب : انّـه لم يـعمل

---

(١) ج ٨ ص ١٠٣ باب قبول توبة القاتل وان كثر قتله .

خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة ـ اهـ.

ونحن الآن لسنا بصدد ان توبة مثل هذا الإنسان يقبلها الله فيما يرجع إلى حقوقه الخاصة به أو لا فإنّ البحث في ذلك مما يطول بنا فعلاً لكن الكلام في نقاط من هذا الحديث:

امّا أوّلاً ـ فهؤلاء المأة انسان الذين باشر قتلهم هذا الجاني العظيم لهم أولياء شرعيون بقاطع الضرورة ولا يعقل أن يكونوا بأسرهم سوائب لا ولي لهم ولا عصبة والله سبحانه قد جعل لولي المقتول سلطاناً على القاتل فقال: ﴿**ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً**﴾ وهذه السلطنة من الحقوق الثابتة للعباد من الله نفسه فلا يجوز له تعالى أن يحول بين العباد وبين حقوقهم التي خولهم اياها فإنّ في ذلك ظلماً منه لهم وتعدياً على حقوقهم بواضح حكم الشريعة والله سبحانه ينزه عن أقل من ذلك فضلاً عن أكثره، فما لم يحرز هذا الجاني رضا أولياء من قتلهم فإنّ توبته لا تسقط حقوقهم بلا ريب مضافاً إلى ما في ذلك من اغراء المكلفين بالجهل إلى حدود لا نهاية لها ولا يستهين بهذا الاشكال إلّا الجاهل بأحكام الشريعة بطور قاطع.

وامّا ثانياً ـ فالملائكة الموظفون من ناحية الرب بشتى أنواع الوظائف مرجعهم فيما يعرض لهم من اشكال وخفاء في حكم وظيفتهم إلى ربهم الذي وظفهم لا إلى ملك آخر من جملتهم ولا إلى أفراد البشر فتحكيم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في الجاني المزبور الذي اختصموا فيه انّه من أي الفريقين هو انساناً طارقاً من جملة الناس وإن كان في واقعه ملكاً من الأغلاط الواضحة التي لا تجوز نسبتها إلى ملائكة الله سبحانه.

وامّا ثالثاً ـ فإنّ التوبة أمر اعتقادي قلبي ولا ربط له بمسافة الأرض مع حصولها ، فلو فرض ان توبة مثل هذا تقبل وفرض ان من تمامها مفارقة أرضه الأُولى التي هي أرض سوء قد يكون من لوازم سكناها انقلابه عن توبته إلى طريق معاصيه الأوّل لما كان المعيار في حسابه من المرحومين إلّا انقلابه من أرضه متوجهاً إلى غيرها ولا يشترط في ذلك بصراحة قربه من أرض الصلاح وبعده عن أرضه الأُولى بأن تقاس تلك إلى هذه فيكون ما قطعه من المسافة أكثر مما بقي له فإنّ التحديث بمثل هذا خرافي لا قيمة له ولا يجوز صدوره عن الأنبياء ولا عن الملائكة ولا عن العقلاء أصلاً . فكل هذه الموهنات مع الكلام في اصل التوبة من مثل هذا الشخص مما تحكم بصراحة انّ مادة هذا الحديث مزورة لا أصل لها .

ومن خرافات مسلم أيضاً في صحيحه [١] ما يرويه عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح زاد أبو كريب فيوقف بين الجنة والنار ـ واتفقا في باقي الحديث ـ فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرأبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ، قال : ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرأبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، قال : ثمّ يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت . أقول : هذا الحديث غرائب من الخرافات .

امّا أوّلاً ـ فالموت نفسه أمر معنوي يقال على خروج الروح من الأجسام الحية فهو من الأُمور التي لا يجوز الحكم عليها بما يحكم على الماديات من

---

(١) ج ٨ ص ١٥٣ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

الجيئة والذهوب وما يقال طرقه الموت أو جاء الموت بني فلان فهو على المجاز من ابراز الصور المعقولة بالصور المحسوسة حتى تدرك والمجاز في هذا المقام لا يصح وان صح في ما مثلنا به لأنّ عبارة الحديث يجاء بالموت يوم القيامة كأنّه كبش أملح فهذا التعبير يعطي جسميته الصريحة والأُمور المعنوية إذا تجوز بها جسمت في اللفظ لا في العيان وإلّا خرجت عن كونها أُموراً معنوية بواضح الضرورة.

وامّا ثانياً ـ فاننا فعلاً من قسم الاحياء ولا يجوز لنا التحكم على حالة المحتضرين عندما يطرقهم الموت ماذا يرون وماذا لا يرون ولكننا عندما نحضر المحتضر من أوّل نزعه إلى آخر وقت من دفنه لا نرى بازاءه جسماً يتصرف به من كبش أو غير كبش وصريح الحديث يدل على ثبوت هذا الأمر المنفي، فإنّ في مادته فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ـ بالاشارة الحسية ـ فيشرأبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ... الخ، وهذه العبارة صريحة في ان كل الموتى يجيئهم الموت بصورة كبش أملح ولو لم يكن كذلك لما صح في حقهم عندما يعرض عليهم أن يعرفوه لأنّ المعرفة فرع السابقة ومن لم يسبق بشيء لا يعود يعرفه ولا يجوز أن يقال هنا انهم مسبوقون بوصفه لا برؤيته لأنّ الاحالة بقول هل تعرفون هذا احالة على شهود ماضي حصل لكل ميت عند قبض روحه وصورة الكبش الأملح صورة جسمية يجب أن تبصرها عين كل حاضر عند المحتضر إذ الجسميات لا يجوز التبعيض في رؤيتها فيراها المحتضر دون حاضره، نعم يتصور ذلك في الصور الخيالية التي تعرض للمبتلين بالسرسام ونظيره فيجوز أن يتعقل ان المحتضر يرى حين عروض الموت له كبشاً أملح يريد أن يفتك به لكن هذا التصوير لا منشأ عقلائي له من حكمة الله في انزال الموت بعباده، فإنّ الله سبحانه إنّما يريد قبض أرواح الأحياء عندما تتعلق ارادته

بذلك وهذا المعنى في نفسه لا يتوقف على احداث صور خيالية في المحتضر لا من ناحية الله ولا من ناحية المحتضر جميعاً بواضح الضرورة.

وامّا ثالثاً ـ فالموت كما أسلفنا أمر معنوي والأُمور المعنوية لا تقبل الذبح لأنّ الذبح من أحكام الأجسام المادية وان قيل انّ المراد يذبح ملك الموت على حذف مضاف قلنا وكذلك الملك حتى لو قلنا انّه جسم لطيف ليس محلاً للذبح لأنّ الذبح من أحكام الاجسام الكثيفة على ان ملك الموت إنّما فعل ما فعل من انزال الموت بالأحياء بأمر من الله سبحانه فكيف يجازيه بالذبح وهلا يميته بنفس ارادته لموته إذا كانت مشيئته متعلقة باماتة كل حي يفرض.

وأما رابعاً ـ فإنّه من المعقول خلود أهل الجنة في الجنة ولكنه ليس من المعقول خلود أهل النار مطلقاً في النار فإنّ أهل النار أقسام متشتتة على تفاوت جناياتهم وليست الجنايات كلها ضعيفها وقويها قليلها وكثيرها على ميزان واحد يحكم على أهلها بأسرهم انهم مخلدون والآثار الواردة في ابطال هذه الكلية كثيرة فضلاً عن مدركات العقول السليمة وهل يعسر على من دون الله أن يبين بعد تمام مثل هذا الموقف موقف يوم القيامة ودخول أهل الجنة جنتهم وأهل النار نارهم بوسيلة نطق ناطق أن يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت باللفظ المجرد فإنّ الذي يشاهد الحياة الدنيا ثمّ الموت ثمّ البعث ثمّ الجنة ودخولها والنار ودخولها يكتفي من الله سبحانه بأقل اشارة إلى موضوع الخلود وعدمه ولا يحتاج حصول الاطمئنان القاطع فيه إلى أن يذبح الموت أمامه حتى يستريح من عودته له، على ان أهل الموقف عموماً تجسم لهم عملاً انّ الله على كل شيء قديم أفهل يحيلون على الله بعد أن يذبح هذا الكبش الأملح أن يميتهم؟

فهذه المؤاخذات الجمة كلها متركزة على اسس رصينة من العقل تدل بأدنى طرف منها على انّ الرسول أجلّ من أن تجيء عنه أمثال هذه الخزعبلات وتصدر

عنه أمثال هذه الخرافات وإنّما منشأ ذلك جهل الواصفين والمستمعين لمثل هذه الأحاديث في تلك الأدوار.

ولا نطيل عليك بالاكثار من سرد مثل هذه الماجريات التافهة فإنّ استقصائها مما يوجب الملل والسأم وإنّما استهدفنا بذلك أن نوقفك على انّ ما يعد صحيحاً لا ريب فيه وانّه تلو القرآن في اصابة مضامينه للواقع ليس له أصل وانّه شأن غيره من الكتب التي تلوك الرطب واليابس والغث والسمين وتشوب الحق بالباطل والواقع بالخيال، فلا قيمة إلّا لما كان فيها صحيحاً تؤيده العقول والاعتبارات الوزينة.

ما هو تحدث العامة عن مفاد حديث الغدير

وفي خاتمة المطاف يجب أن نتعرض لما يذكره أبناء العامة حول تحديثهم عن مفاد حديث الغدير لنرى إلى أي درجة يصل بهم الهوى النفسي البعيد عن كل ميزان في تطبيق الألفاظ على معانيها، ونحن نكتفي بايراد ما يذكره الصبان في كتابه اسعاف الراغبين عند تعرضه لحديث الغدير في الفصل الذي عقده لفضائل علي عليه السلام فإنّه إنّما يجري على ما سنّه له غيره وهذه الروح التقليدية مزروعة فيهم لا يشذ عنها إلّا من لا يريد أن يدوس وجدانه لأجلهم وقل من يكون كذلك فيهم.

قال الصبان [١]: وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار، رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون صحابياً وكثير من طرقه صحيح أو حسن وليس في هذا الحديث تنصيص على

---

(١) ص ١٥٢ من كتابه الآنف الذكر المطبوع على هامش نور الأبصار للشبلنجي.

خلافة علي بعده صلى الله عليه وآله وسلم كما زعمته الشيعة قائلين المراد بالمولى الأولى فلعلي من الأولوية ما له صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قوله في صدر الحديث ألست أولى بكم من أنفسكم وبدليل الدعاء له والرد عليهم من وجوه:

أحدها ـ انهم اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدل به على الامامة وهذا الحديث ليس بمتواتر بل نازع بعضهم في صحته وإن كان المعول عليه انّه صحيح.

ثانيها ـ لا نسلم ان المراد بالمولى الأولى إذ لم يعهد كون المولى بمعنى الأولى لا شرعاً وهو واضح ولا لغة لم يذكر أحد من ائمة العربية ان مفعلاً بمعنى أفعل، بل المراد به الناصر والغرض من السياق التحذير من بغضه والتنبيه على مزيد شرفه والرد على من تكلم فيه ممن كان معه باليمن كما نقله غير واحد، إذ سبب هذا الحديث ذلك المتكلم وصدره بألست أولى ـ الخ ـ ليكون أبعث على قبولهم، وكذا الدعاء له لذلك أيضاً مع انّ أكثر رواته لم يرووا صدره هذا.

ثالثها ـ سلمنا انّ المراد به انّه أولى لكن لا نسلم انّ المراد انّه أولى بالامامة بل بالاتباع له والقرب منه فهو كقوله تعالى: انّ أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه.

رابعها ـ سلمنا انّه أولى بالامامة فالمراد بالمآل حين تعقد له البيعة فلا ينافي تقديم الأئمّة الثلاثة عليه لانعقاد الإجماع حتى من علي عليه ويرشد إليه عدم احتجاج علي أو غيره به عند الاختلاف بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم مع مسيس الحاجة إليه وإنّما احتج به علي في خلافته وتجويز النسيان على سائر الصحابة السامعين لهذا الحديث مع قرب العهد في سماعه وعدم تفريطهم فيما سمعوه منه صلى الله عليه وآله وسلم في غاية البعد وزعم ان الصحابة علموا هذا النص ولم ينقادوا له عناداً باطل.

خامسها ـ كيف يكون ذلك نصاً في امامة علي مع ان عليّاً نفسه صرح بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم ينص عليه ولا على غيره كما في البخاري وغيره ـ اهبلفظه ـ.

ولا يتأثر ابن الفن من هذا الهذر والهذيان فإنّ قائليه في الناس كثيرون كغلبة الجهل على العلم وقصور النظر على دقته ولكن الذي يوجب التأثر ضياع الحقيقة في هذه الأودية التائهة لا أكثر والغرائب التي جرت على علي حتى في العاديات والأُمور السائرة كثيرة فلا يستكثر صدور هذه الهنات في حقه ولو من بعده. فإنا لله، ونحن نمشي على المدرجة التي اتخذها لنفسه في ترتيب تقسيماته فنقول:

قوله: ـ امّا أوّلاً ـ فإنّهم اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدل به على الامامة، وهذا الحديث ليس بمتواتر بل نازع بعضهم في صحته وإن كان المعول عليه انّه صحيح فمدحوض بوجوه:

الأوّل: قد نصّ أشد متعصبي السنة بما يعرفه كل أحد منه ان حديث الغدير متواتر بلا شبهة، فقد ذكر ابن كثير عقيب سرده للطرق التي تعرض لها من حديث الغدير حديث ضمرة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: لما أخذ رسول الله بيد علي قال: من كنت مولاه فعلي مولاه... الخ، وشفعه بقول الحافظ أبي عبد الله الذهبي انّ صدر الحديث متواتر أتيقن انّ رسول الله قاله، وأمّا اللهم وال من والاه فزيادة قوية الاسناد [١] فهذا من جهة اعتراف الخصم بأنّه متواتر، وامّا من جهة نسبة التواتر لمثل هذا الحديث لو خلي هو ونفسه ومن رواه ـ وهو ثاني الوجوه ـ فمن يتشكك في صحة اصل هذه النسبة إليه من حيث هي ومن حيث هو فقد شكك في كافة المتواترات المعلوم تواترها فإنّه لم يبق محدث سني على تسلسل الأعصار والأجيال إلّا وقد ذكر هذه المادة مذعناً بورودها عن صاحب الرسالة وهذا التطابق يعز وجوده في أهم الآثار المروية من طرق الفريقين الخالية عن النقاط التعصبية فكيف به وقد حصل

---

(١) ج ٥ ص ٢١٤ من البداية والنهاية.

لهذه المادة على انها من النقاط التعصبية عن طبقات السنة فضلاً عن طبقات الشيعة، إذاً فوقوف الإنسان بازاء هذا الحديث في صدد التوقف فيه وفي تواتره وقوف خاطىء يدل بنفسه على نفسه انّه إنّما كان عن تعنت ولجاجة ومثل هذا لا يتكلم معه.

الثالث من الوجوه: انّ الحديث الذي يحكم بصحته ويعول عليه حجة في السمعيات بلا ريب ولا يشترط في أهم وظيفة شرعية أن يكون مدركها الشرعي متواتراً باجماع المتشرعة فما يقوله الصبان انهم اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدل به على الامامة دعوى مجردة على انا بسلامة تواتر حديث الغدير في غنى عن الخوض في هذا الوجه بأكثر من ذلك.

وقوله: ـ أمّا ثانياً ـ فانا لا نسلم انّ المراد بالمولى الأولى إذ لم يعهد كون المولى بمعنى الأولى شرعاً، وهو واضح، ولا لغة إذ لم يذكر أحد من ائمة العربية ان مفعلاً بمعنى افعل فمدحوض أيضاً، لأنّ مراده من قوله إذ لم يعهد كون المولى بمعنى الأولى لا شرعاً وهو واضح إن كان هو انّ الشارع لم يجعل معنى الأولى حقيقة شرعية للفظ المولى فذلك صحيح إلّا انّه لا ربط له بالشارع بما هو شارع فإنّ الشارع إنّما يستعمل هذه الألفاظ بما يستعملها أهلها وإذا نسبت له بعض الألفاظ بطور الحقيقة الشرعية فذلك لأمرين كثرة دورانها على لسانه واضافة خصوصيات منه على أصل المعنى اللغوي أو العرفي وما نحن فيه ليس من هذا الوادي، لأنّ الشارع جرى في كلامه هنا مجرى العرف ولم يتخذ لنفسه خصوصية زائدة. وإن كان مراده ان الشارع لم يقصد معنى الأولى من لفظ المولى الجاري في حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا أوّل الكلام بل نقول قصده بخاصته لأنّ غيره من المعاني لا يلتئم مع المقام أصلاً.

وامّا كون ان الأولى بمعنى المولى لم يعهد لغة فذلك تزوير باطل، كيف وأهل

اللغة والتفسير والعرب والأقحاح قصدوا ذلك واستعملوه وكفى ذلك مثبتاً للمعاني اللغوية، قال الزمخشري في كتابه أساس اللغة عند تعداده لمعاني ـ مولى ـ وهذا مولاي ابن عمي وهم موالي ومولاي سيدي وعبدي ومولى بين الولاية، ناصر ـ وهو أولى به ـ وقال الجوهري في الصحاح: وامّا قول لبيد:

فغدت كلا الفرجين يحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها

فيريد انّه أولى موضع أن يكون فيه الخوف، وقال الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: ﴿**فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير**﴾[1]: أي هي أولى بكم، وهكذا قال في الكشاف: وان تأولا للفظ المولى في هذه الآية أيضاً احتمالات أُخر بعدما ذكرا معنى الأولى إلّا ان صحة التركيب وربط المعاني بعضها ببعض يأبى ما أبدياه من احتمال ويعين معنى الاولى بلا ريب فإنّ الآية جاهرة بأنّ المراد هو انّ النار أولى بكم وأنتم أحق بها من كل أحد والمشي وراء التأويلات والاحتمالات الضعيفة باطل في صوغ الكلام وصيغه فإنّه ما من حقيقة ولا من ظهور معنى إلّا ويمكن صرفه بتحوير وتطوير إلى غيره وهو مما لا يجوز حتماً لا يجابه اختلال المحاورات والتذبذب بالمعاني المأنوسة.

وامّا كون المراد من لفظ المولى في حديث الغدير هو الناصر فخلاف السياق وما يقتضيه المقام وما تستدعيه المناسبات وان صح أن يراد هذا المعنى من المولى في مقام تعين عليه ارتباطات الكلام مثل قوله تعالى في سورة التحريم وان تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك

---

(١) سورة الحديد.

ظهير أي ينصره الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة ـ فإن كان عارف باللغة العربية ينكر ان يراد من قول النبي وهو يوقف قوافل الحاج عن الحركة ويقف فيهم خاطباً فيقول : أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم من كنت مولاه فعلي مولاه ـ من كنت ناصره فعلي ناصره ـ إذ لا يلتئم هذا المعنى بالنبي مع المسلمين والمنوه به وما معنى انتصار النبي وهو نبي لأحد حتى يكون على مثله في النصرة له وهل يجنح النبي وهو نبي مأخوذ فيه هذا العنوان لفريق دون فريق نعم النبي بنبوته مسؤول بالانتصار للدين والمتدينين والدفاع عن حوزتهم وتشييد مباني الإسلام والسير به على البرامج المرادة لله سبحانه ، وهذا المعنى من توابع نبوته ورياسته الدينية وامامته على الناس وثبوت مثل ذلك لعلي عين اثبات الخلافة له كما للنبي وإلّا فصرف أن يقال مراده ﷺ من كنت ناصره فعلي ناصره بهذا الاجمال والاهمال مما لا معنى له في ذات النبي المقاس عليه فضلاً عن علي بواضح الضرورة ، والمكابر في ذلك لا يريد أن يفهم ما يقول هو ولا أن يفهم غيره معنى كلامه .

وأسوأ من ذلك كله قوله : والغرض من السياق التحذير من بغضه والتنبيه على مزيد شرفه ، فإنّ هذا الغرض الذي يدعيه الصبان من حديث الغدير وهو التحذير من بغض علي والتنبيه على مزيد شرفه ما الذي يربطه بقوله ﷺ : من كنت ناصره فعلي ناصره ؟ وأي مناسبة بين ذاك وهذا ، وهل افلات مثل هذه الكلمات إلّا خبط وجنون وما أشبه أخذ هذه النتيجة من قوله ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه ، يقول من قال : العالم متغير وكل متغير حادث فعلي خليفة .

وما أشد خطأه أيضاً في قوله : والرد على من تكلم فيه ممن كان معه باليمن كما نقله غير واحد إذ سبب هذا الحديث ذلك المتكلم : فانا قد أسلفنا قصة ذلك في الكلام على حجة الوداع وان جيش علي لما شكوه إلى النبي في مكة عند

رجوعهم من اليمن وعند خلع علي الحلل عنهم لأنّهم تصرفوا بها من غير اذنه ومن غير إذن رسول الله أيضاً قال في حقه حينذاك انّه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله، وقصة غدير خم كانت مرجعه من الحج وفي طريقه إلى المدينة وما ربط تلك الواقعة بهذا الموقف الذي أطال فيه الكلام وبيّن فيه مقام علي عنده وعند الله، وهكذا حرمة الكتاب والعترة بما سبق مفصله في سرد أحاديث الغدير. ولكن هؤلاء المعوزين من الفضيلة كما هو معوزون من الدين يحسبون انهم في عبثهم هذا بالحقائق وخلطهم الشيء بالشيء مع وجود الامتيازات الواضحة بينهما يبرمون فتلا يضيع على أهله وقد فاتهم ان أهل الأفهام الناضجة قد قعدوا لهم بكل مرصد يرمونهم بأحجارهم جزاء وفاقاً إن لم يزيدوا في التنديد بهم والفضيحة لهم.

ولقد شحط الصبان بعيداً عن الحق حيث قال: وصدره بألست أولى ـ الخ ـ ليكون أبعث على قبولهم لذلك: فإنّه ـ بربك ـ أي ربط بين قول النبي: أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى وبين قوله لا تبغضوا عليّاً وأحبوه، فإنّ نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن بغض علي لا يتوقف على كونه صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالناس من أنفسهم إذ يجوز لكل انسان منا أن يقول لصاحبه أو من هو أعم منه لا تبغض فلاناً فإنّه انسان خير ويعد ذلك في عداد النصيحة والنهي عن المنكر، نعم هذه المقدمة إنّما صدرها النبي ليرتب عليها ما لا يصح من دونها وهو كون علي منهم بالمقام الذي جعله الله لنبيه وهو كونه أولى بالناس من أنفسهم، وهذا معنى تشريعي لا يقوم به إلّا مشرع بيده تصريف امور الناس قبضاً وبسطاً وهذه النكات مما لا تخفى على أحد إلّا انّ اللجاجة تجمح بصاحبها فتارة هنا وتارة هناك من غير ربط بين المكانين.

وقوله مع انّ أكثر رواته لم يرووا صدره: كذب وافتراء وتزوير فإنّ أكثر الطرق

قد احتوى على هذا الصدر ـ ألست أولى بكم من أنفسكم ـ وفيما سقناه من الطرق آنفاً وفي حجة الوداع أقوى دليل على ذلك كما ان الذي لم يذكره إنّما اختصر حديث الغدير وحذف جملة من فقراته كما المعنا بذلك في هذا الفصل فراجع.

وما أبرد الصبان وأسمج مقاله حين يقول: ـ ثالثها ـ سلمنا انّ المراد انّه أولى لكن لا نسلم انّ المراد انّه أولى بالامامة بل بالاتباع له والقرب منه فهو كقوله تعالى: ﴿**انّ أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه**﴾ فإنّه على تفسيره هذا يكون تركيب حديث الغدير بهذه الصورة: يا أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم، قالوا: بلى، إذاً من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى بي وأقرب مني لأنّه اتبعني وقد قال الله: انّ أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه، وليت شعري ما ربط مقدم هذه الشرطية من كنت أولى به من نفسه بتاليها فعلي أولى بي؟ وما معنى هذا التالي من مقدمه ثمّ أي ربط بين أولوية النبي بالناس من أنفسهم وان عليّاً بمنزلته كما قال هو ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه وبين أولوية من اتبع ابراهيم بابراهيم من كافة الناس فإنّ الآية صريحة في انّ أقرب الناس لابراهيم وألصقهم به هم الذين آمنوا به واتبعوه لا الذين كفروا به وأنكروه أي انّ الناس بالنسبة إلى ابراهيم فريقان قريب منه وهو المؤمن به وبعيد عنه وهو المنكر له، ولا ريب انّ الأولى به من الفريقين من آمن به واتبعه وهذا المفاد لا سنخية له مع مفاد حديث الغدير ولا ربط له به من كافة الحيثيات، فإنّ النبي ليس بصدد أن يبين أولوية التابع له به من غيره، وهذا المفاد على فرضه لا يختص بعلي بل كافة المسلمين شركاء له فيه لأنّهم آمنوا بالنبي واتبعوه فهم منه بالنسبة إلى باقي الناس كتابعي ابراهيم من ابراهيم. ومن المؤسف أن ينجر بنا الكلام إلى هذه السخائف.

وما أشد خطأه أيضاً في قوله: ـ رابعها ـ سلما انّه أولى بالامامة فالمراد بالمآل

حين تعقد له البيعة فلا ينافي تقديم الأئمّة الثلاثة عليه ، فإنّ نظير كلامه هـذا أن يقال في قول الله تعالى : أقيموا الصلاة أي متى نشطتهم لاقامتها وأردتم الاتيان بها فوجوبها معلق على ارادتها لا انها وظيفة حتمية على كل حال ، وعلى فرض انكم لا تريدون اقامتها إلى الأبد فلا مانع من ذلك ، فإنّ عليّاً لو دفع إلى الآخر عن الامامة ولم تعقد له بيعة أصلاً لما كان في قول النبي للمسلمين في حقه انّه أولى بكم من أنفسكم كما اني كذلك بأس إذ هو أمر معلق والأمر المعلق إنّما يتحتم إذا حصل ما علق عليه فإذا نعدم الحين الذي تنعقد فيه الخلافة لعلي انعدم بالتبع ما وظفه النبي له في عاتق المسلمين . تعساً لهذا الكلام ولمن يتكلم بمثله .

وقد كذب الصبان في قوله : لانعقاد الإجماع حتى من علي عليه ، فانك قـد قرأت في الكلام على حوادث السقيفة انّه لم يحصل اجماع ولا شـطر مـنه وان القضايا تمت بلون مرموز وان عليّاً أُخرج مكرهاً إلى البيعة ولا نعيد ما فـصلناه آنفاً .

كما كذب الصبان وافترى في قوله : ويرشد إليه عدم احتجاج علي أو غيره به عند الاختلاف بعد موته ﷺ مع مسيس الحاجة إليه وإنّما احتج به علي فـي خلافته ، فانك قد قرأت انّ عليّاً وبني هاشم وكثيراً مـن المـهاجرين لم يـعلموا بحادثة السقيفة إلّا بعد خروج القوم منها يهرولون محتجزين بالأُزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلّا خبطوه ولما دروا وأرادوا الاجتماع وتغيير هوية هذه الحـادثة جاءهم الضغط من كافة جوانبهم ودفعوا إلى البيعة قهراً بـاللون الذي أسـلفناه ، وعلي الذي احتج بحديث الغدير في خلافته ولم يكن نسيه فهو لهذا الحديث قبل خمسة وعشرين عاماً أذكر ولم يمنعه عن الاحتجاج به إلّا الأخذ منه بالمخنق كما عرفت .

وكذلك ما أسمج قوله : وتجويز النسيان على سائر الصحابة السـامعين لهـذا

الحديث مع قرب العهد من سماعه وعدم تفريطهم فيما سمعوه منه ﷺ في غاية البعد، فإنّ نوع الصحابة كانوا على عهد من هذا الحديث ومن موقفه ومن قول عمر فيه هنيئاً ياابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة فاما الذين كان هواهم بانجاح قضية السقيفة على كل حال حتى باحراق بيت آل محمّد ومن جملتهم أبو بكر وعمر فتكليف هؤلاء مع حديث الغدير معلوم، وامّا الذين أنكروا هذه القضايا من بدءها إلى ختامها فقد عرفت انّ القوم كيف مشوا معهم بما مر التحديث عنه فيا أيّها الصبان لم ينس أحد من القوم حديث الغدير لكن زمرة منهم غدروا والآخرون غُدر بهم وقُهروا وقد فرطوا في آل الله وفي حفظ حقوقهم تفريطاً واضحاً كفلق الصبح. ولقد استبعدت يا صبان أو تجاهلت في امور حققها العيان بجهار ووقاحة، وما أبعد ضلالك يا صبان حين تقول: وزعم انّ الصحابة علموا هذا النص ولم ينقادوا له عناداً باطل، كأنك في غفلة عن حوادث السقيفة وما لعب فيها هذا الجمع ذلك اللعب العاري عن كل رحمة المملو بكل خبث وصلافة ونحن فضلا عما احتوى عليه حديث السقيفة من ذكر يخص الصحابة وما جرى من بعض منهم وما جرى على بعض آخر فقد أسلفنا فصلاً واسعاً في مخازي المختزي منهم بما حبرته أقلام أهل السنة أنفسهم فالارعاد والابراق باسم الصحابي قعقعة شنان لا قعقعة حديد فلا يؤبه لها.

وويلك يا صبان حين تقول: ـ خامسها ـ كيف يكون ذلك نصاً في امامة علي مع انّ عليّاً نفسه صرح بأنّه ﷺ لم ينص عليه ولا على غيره كما في البخاري وغيره، فتصدق البخاري عدو علي الألد على مقال نفس علي الصادر عن لسانه في خطبه وكلماته التي لو جمعت في هذا الباب لكانت رسالة واسعة فيها أنواع التظلمات وضروب الاستدلال على أحقيته بالامامة دون كل أحد سواه وانّه هو وصي الرسول من بعده وصاحب حق الولاية على امته وقد ذكرنا طرفاً من ذلك

وسوف نتعرض للباقي في مظانه.

وقد ذكر الشبلنجي وابن الصباغ المالكي جميعاً في كتابيهما [١] عند تعرضهما لحديث الغدير في فضائل علي عليه السلام وتقاربا في اللفظ فقالا: قال العلماء لفظة المولى مستعملة بازاء معاني متعددة وقد ورد القرآن العظيم بها فتارة تكون بمعنى أولى قال الله تعالى في حق المنافقين: **﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾** معناه أولى بكم، وتارة بمعنى الناصر قال الله تعالى: **﴿ذلك بأنّ الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم﴾** معناه انّ الله ناصر الذين آمنوا وان الكافرين لا ناصر لهم وتارة بمعنى الوارث قال الله تعالى: **﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون﴾** أي ورثة، وتارة بمعنى العصبة قال تعالى: **﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾** أي عصبتي، وتارة بمعنى الصديق، قال تعالى: **﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾** أي صديق عن صديق، وتارة بمعنى السيد والمعتق وهو ظاهر فيكون معنى الحديث من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإنّ علياً يكون كذلك.

وهذا الرجلان إنّما يحكيان أقوال غيرهما بالمتابعة التامة من غير تمحيص لمعنى ما يقال، وإلّا فلو حدثا أنفسهما بمضمون هذه التراكيب: من كنت ناصره فعلي ناصره، ومن كنت صديقه فعلي صديقه، ومن كنت حميمه فعلي حميمه، وأعطيا النصف من فهمهما ومنطقهما لوجدا انّ نسبة ذلك إلى نبي الأُمّة بما هو نبي والناس منساقون لنبوته من النسب الخاطئة لأدائها إلى الاهمال الصرف، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم صديق كل من اتبع الله ورسوله وآمن بهما لا يختص بصداقته انساناً دون انسان، نعم يمتاز بعض أتباعه عن بعض في الفضيلة عنده لتوفر الفضائل عند الفاضل وقلتها في المفضول وكل مسلم يلزم أن يكون بهذه المرتبة لأنّها من

---

(١) نور الأبصار: ص ٧٨. والفصول المهمة: ص ٢٥.

شرائط الايمان والمؤمنون في الشريعة اخوان فلا اختصاص لعلي بذلك ؛ على ان ايقاف النبي لسير القوافل وقيامه فيهم خطيباً بمثل هذه المعاني التافهة الباردة التي لا تورث عليّاً أي مزية مما يعد لغواً وعبثاً إذ لا غرض يعتد به العقلاء فيه بواضح الضرورة ، وامّا معنى الناصر فقد أسلفنا الحديث عنه فلا داعي للتكرار.

مضافاً إلى انّ النبي ﷺ لم يترك منذ ابتعث وتفتح له وجه القول بوجود المستمع له ما يراه لازماً لذمته في حق علي في شتى المناسبات على طول خط سيرته وقد طفحت الضرورة التاريخية بمجموع أقواله في فضله بما هو مجموع وتفتقت أشداق المحدثين بألوان ذلك ، فمن أخبار آحاد معززة بالشواهد ومن مستفيضات ومتواترات بمثل قوله ﷺ له عليه السلام : لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق . عادى الله من عادى عليّاً . عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب . من آذى عليّاً فقد آذاني . من أحب عليّاً فقد أحبني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني . من سب عليّاً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله . علي امام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله . علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً . أنت أخي في الدنيا والآخرة . أنت مني وأنا منك . علي مني بمنزلة رأسي من بدني . علي يقضي ديني . علي مع القرآن والقرآن مع علي . ذكر علي عبادة . النظر إلى وجه علي عبادة . علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين . كفي وكفّ علي في العدل سواء . ما أنزل الله تعالى آية يا أيّها الذين آمنوا إلّا وعلي رأسها وأميرها . يا علي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة . لأخيشن في ذات الله ، أو في سبيل الله . لا تسبوا عليّاً فإنّه ممسوس في ذات الله . يا علي يدك في يدي تدخل معي يوم القيامة حيث أدخل . يا علي أنت عبقريهم .

والحديث في فضله من نمط ذلك كثير لا يحصى ولقد أسلفنا عند مشينا مع

فصول السيرة الحديث المرتبط بمناسباته من أوّل ما تكفل النبي بعلي وأخذه من أهله إلى أن فارق ﷺ الدنيا وهو طوائف متعددة من الحديث وألوان متوفرة المضامين وقد عرف صحابته ﷺ كل هذا له قبل غدير خم لأنّ قصة الغدير إنّما تقدم على وفاته بشهرين وكسر لا أكثر، وما أسلفناه من حديث الأبواب المترتبة بترتيب مناسبات السيرة جاء عنه ﷺ في طيلة ثلاث وعشرين سنة وكله سابق في التاريخ على تاريخ الغدير فوقوف النبي ﷺ في غدير خم وايقاف كل من كان معه وخطبته اياهم بمضمون اني من كنت صديقه أو من كنت حميمه فعلي حميمه مع صرف النظر عن اهمال هذا المعنى في نفسه صادراً عن النبي يعد من تكرار الأُمور التي أوضحها للناس قبل هذا الموقف بمئات المرات ومن توضيح الواضحات التي تنبو الأسماع عند سماعها والنبي مؤيد مسدد حكيم لا يقوم مقاماً إلّا عن داع حكمي ناضج، ولا يقول قولاً إلّا عن هدف سديد، ولم يدعنا إلى أن نجر البحث في مفاد هذه الكلمة: الست أولى بكم من أنفسكم، من كنت مولاه فعلي مولاه، على انها صريحة المفاد في الأولوية الشرعية لعلي دون كل أحد بعد النبي خصوصاً بعد ملاحظة سمة من قالها ومن قيلت فيه والحال التي اكتنفتها وهذه القرائن القوية مما يعتز بها البياني في فهم المعنى من اللفظ، إلّا ما نراه من خبط هذا الجمع المتعصب وخلطه وركضه وراء الاحتمالات الباطلة والظنون الفاسدة وكيله لمواقع الألفاظ من معانيها والمناسبات فيما يناسبها كيلا جزافاً لا يعتمدون من المنطق على أقل اشعار ولا في وزن الحقائق على أقل وزن وقد أدت بهم فلتة يوم السقيفة مع اعتراف أشياخهم وسلفهم انها فلتة قد حكم على من يعود لمثلها بالقتل إلى أن يتخذوا لأنفسهم مذهباً خاصاً في أُصول الدين وفروعه بما غيروا به صبغة الإسلام حقاً، ومن يغذ به التعصب المذهبي إلى هذه النهاية ـ المخالفة ـ في الأُصول والفروع جميعاً لا يستكثر منه أن يأتي

بالدواهي في تفسير شيء بشيء وتأويل شيء بشيء آخر وهلم دواليك.

هذا ما تيسر من الكلام على النصوص المتواترة المثبتة لامامة علي الشرعية على الأُمّة المسلمة بعد نبيها في بعض منها كفاية وبلاغ بل كثير في حق من يصحح الخلافة لمدعيها بأنّه من قريش ومن أولياء النبي وانّه ثاني اثنين في الغار ولو ان أبناء العامة وجدوا لأشياخهم الطرف القليل مما ملكه علي بالصراحة الجاهرة والتواتر القاطع واتفاق المخالف والمؤالف عليه لشنوا الغارة الشعواء على كل انسان وكفّروه في الانحراف عنه على انّ هذا المعنى لم يفتهم وان فاتهم ما فرضناه في أشياخهم فهم يعدون من يوهن بأقل صحابي ولو كان المغيرة بن شعبة أو معاوية بن أبي سفيان أو الوليد بن عقبة مبتدعاً رافضياً ساقطاً لغاية السقوط، فهل تراهم تركوا من التنديد بالطرف شيئاً لم يقولوه.

وأمّا الحديث النبوي الذي يشيد بفضل علي في كافة وجوه الفضيلة: غير حديث المنزلة والغدير وأنذر عشيرتك الأقربين، فهو كما أسلفناه عن غير واحد من ائمة ابناء السنة مما فات حدود الاحصاء والاستقصاء، فقد قال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب [١]. وقال الخطيب [٢]: مناقبه أشهر من أن تذكر وفضائله أكثر من أن تحصى. وروى (ص ١٣٥ من الترجمة المزبورة) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم فجائت طائفة من الكرخيين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان فأكثروا وذكروا خلافة علي بن أبي طالب وزادوا فأطالوا فرفع أبي رأسه اليهم فقال:

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٠٧.

(٢) ج ١ ص ١٣٣ من تاريخ بغداد عند تعرضه لطرف من ترجمة علي.

يا هؤلاء قد أكثرتم القول في علي والخلافة والخلافة وعلي انّ الخلافة لم تزين عليّاً بل عي زينها. ولو أردنا أن نحشر أمثال هذه الأقوال عن ائمة السنة في حق علي لضاق بنا واسع المجال حقاً وما بنا إلى ذلك من حاجة في شخص رسمه الدين والدنيا غرة مشرقة في جبهة الوجود وكان المثال المقتدى به لكافة أهل الكمال.

ومثل هذه الأحاديث الموماً اليها المعززة بعضاً ببعض سنداً ومتناً ودلالة مما تولد انساناً عالماً بأقصى مراحل العلم، عابداً لغاية حدود العبادة، مجاهداً في سبيل الله غاية الجهاد، محبوباً عند الله والرسول بما لا يوازيه فيه أحد ولا يساويه كائناً من كان، نفس النبي دون كل النفوس من النبي، والنبي منه، مؤدياً عن النبي ما لا يؤديه عنه إلّا هو أو انسان منه، أخا النبي، صهر النبي، أبا ذرّيّة النبي، كاشف الكروب عن وجه النبي، مقيم عمد الإسلام، قاتل المشركين وعبدة الأصنام، وهل باستطاعتي أن أحصي صفاته المستخلصة من متون الأحاديث ومواهبه المنوه بها عن لسان النبي الكريم إلّا بعد سرد جميع ما ورد له من أثر، وفي ذلك خروج عن خطة الكتاب ووضعه، ومثل هذا الشخص مما لا يجوز لأحد أن يتخلف عنه أو أن يتبع غيره إلّا إذا كان معانداً لأصل دين الإسلام بواضح الضرورة، فإنّ الملاكات الفاضلة والمواهب الجليلة والفضائل العالية الرقم التي لا توجد إلّا في الأنبياء العظام قد وجدت فيه واحتشدت في ذاته ومن يعش عن مثل هذا الضوء القاهر فقد فاته كل رشد وتجانب عنه كل خير، ومن يزاحم مثل هذا الإنسان على رياسته الدينية وزعامته الشرعية فقد زاحم الأنبياء فيما لها من حق وهتك حرمة الدين وضيع عهود الله في عباده ودينه اللازم لخلقه فإنّ هذا المقام مقام نبوة وربانية وفضيلة تخص الدين وبضاعة ضخمة المقياس ترتبط باقامة الشرع وهداية المكلفين وليس هو بمقام رياسة مجردة وزعامة

على الناس بصرف الحكومة على انّ الرياسات في الدنيا بأسرها باطلة إلّا الرياسة التي أبرمتها الشريعة إذ إلّا مسوغ لحكومة الناس على الناس المستلزمة لأخذ المال منهم وإن كرهوا والتصرف فيهم وإن لم يرضوا إلّا بملاك شرعي، والملاك الشرعي مفقود في كافة من تراس على الناس وحتى في أشياخ أبناء التسنن المعترفين بذلك من هذه الناحية وان ادعوا صحتها برضاء الناس بها واضاختهم لها وعدوا ذلك هو المعيار في الامامة الشرعية وقد أخطأوا لعمر الله في جهات من هذه الدعوى:

أمّا أوّلاً ـ فإنّ الناس لا سلطان لهم وحتى على أنفسهم في امور الدين، وما يرتبط بالعابد والمعبود والمشرع والمتشرع فإنّ ذلك حق طلق لله ولمن يستخلفه في أرضه على عباده بعنوان الوساطة وابلاغ الرسالة وليس له من الأمر شيء سوى ذلك، فكون الناس يريدون هذا الأمر الديني أو لا يريدونه ليس من شؤونهم ولا من حقوقهم لقصورهم عن ادراك الواقع إلّا بتعليم ممن عنده علم الواقع بنصه.

وأمّا ثانياً ـ فإنّ البشر الذي يقنع من مدعي الخلافة الشرعية بأنّه قرشي وانّه من أولياء النبي ويغيب عنه انّ هذه الدعوى على انها مشتركة بين كل قريش يستحقها من بينهم بنو هاشم للصوقهم بهذه الدعوى وبعد غيرهم عنها بعداً شاسعاً لا قيمة لرأيه ولا حرمة لاختياره لأنّه جاهل يحتاج إلى قيم يمشي به على جادة الصواب ويمرنه على موازين العلم وبرامج المنطق.

وأمّا ثالثاً ـ فإنّ نتائج الانتخاب من مثل هؤلاء الجهلة لا تأتي إلّا ناقصة مبتورة مشوشة وقد حصلت عياناً من الخلفاء الذين استقوا زعامتهم الدينية من مجتمع السقيفة فكم حكموا عن جهل وغيروا سنة الرسول مع اعترافهم بصدورها عنه لبعض الدواعي الخاطئة والميول الزائفة وابتدعوا من أنفسهم

احكاماً أجروها على العباد بقهر السلطنة كما سيأتي التحديث عن كل ذلك في جماع النقول عن نقص المشايخ الثلاث وبدعهم وبذلك مسخ الدين وخرج عن كونه نظاماً مخصوصاً بالله إلى نظام يقننه المقتدرون، وبهذا نجرح الفقه السني على طوله فإنّه ليس مأخوذاً عن الله في كثير من فروعه لأنّ مدركه إن كان في جملة منه هو الكتاب العزيز والسنة النبوية ففي جملة أُخرى منه أفعال وأقوال مشايخهم الثلاث ومن متّ متهم من صحابة وصحابيات وتابعين وتابعيات وما قيمة أفعال وأقوال هؤلاء في شريعة الله وهل أفعال هؤلاء وأقوالهم إلّا كأفعال واقوال سائر المكلفين في انها فاقدة للوزن الديني بعد أن كان الوزن المومأ إليه مختصاً بالله وحده وبمن كانت أفعاله واقواله لا تتعدى الوحي السماوي.

ومن مساندة هذه الخطط الجائرة تصدر كل من تصدر للخلافة ونالها بزعم انّه ليس أقل ممن سبقه حتى جائت نوبة الخلافة الدينية ليزيد بن معاوية والوليد بن يزيد والأمين ابن الزبيدة وهلم جرا وترشح لها ابراهيم المغني ولو تمت له لما تعداها مخارق وعلوية وابراهيم الموصلي وابنه اسحاق ولئن فاتت الخلافة النساء المغنيات فقد كن في أرفع درجة منها تأثيراً ونفوذاً فاقرأ إن شئت عن سلامة القس وحبابة وعزة الميلاء وعريب ومئات من نظائرهن تعرف صدق ما قلناه واننا قد أوجزنا البيان في سلطانهن ومقامهن وشموخ مناصبهن وبذلك وصلت نوبة الدين إلى أن جاء واهي القوىٰ ضعيف النفوذ يسخر منه الساخر ويعبث به حتى الطرقيون والسفلة والأوباش، ولا ريب فإنّ النتائج مرتهنة في وزنها بمقدماتها ويستحيل أن يكون للدين قيام والمتولى لأُموره عثمان بن عفان ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وابن أبي سرح وأمثال هؤلاء الزعانف المنبوذين بالعراء من ناحية الدين وشرف الدنيا الحقيقي هذا، فكيف به إذا جائت نوبة معاوية وبسر بن ارطأ وزياد بن أبيه ويزيد وعبيد الله بن زياد ومجرم بن عقبة

وعبد الملك والحجاج وهشام ويوسف بن عمر وهلم دواليك فهناك نقول كما قال ابن سيار:

ففري عن رحـالك ثـمّ قـولي   على الإسلام والعرب السلام

ولما انحرف أبناء التسنن من يوم السقيفة عن الجادة الشارعة ألزمتهم ضرورة الحال بالانحراف عن مقاييس الدين الصحيح والفـن حـتى يـتمكنوا أن يـلموا شعثهم باعطاء كليات وبرامج وضرب أُصول وقـواعـد تـتكفل تكـوين كـيانهم وتحفظ وجودهم بسمة انهم متدينون بشريعة الله والرسول.

الانحرافات الواضحة عند أبناء التسنن

فمن جملة ذلك انّ الخلافة الدينية تصح بالانتخاب وبـعهد الخـليفة إلى أي انسان شاء بولاية العهد وبأخذ بيعة الناس بشتى ألوان الأخذ ولو بالسلاح الحار، وان فضل الخلفاء الاربعة بنسبة بعضهم إلى بعض على ترتيبهم في التقدم والتأخر فأبو بكر أفضل من عمر وعمر أفضل من عثمان وعثمان أفضل مـن عـلي وانّ الصحابة وهم كل من صحب النبي أو رآه عـدول ثـقاة بـلا اسـتثناء وان سـيرة الشيخين شرط لازم لكل امام ومأموم وان امة محمّد لا تجتمع على خطأ وان ما يراه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما يرونه سيئاً فهو عند الله سـيء وان الفروع الفقهية كما تؤخذ عن الكتاب والسنة تؤخذ عن القياس والآراء المجردة والاستحسانات النظرية والميول الفكرية، وليس من شأننا في موضوعنا الذي نحن فيه أن نستقصي كل ما لهم من اصل وجـميع مـا يـحملون فـي أدمـغتهم وضمائرهم من عقيدة وللتدليل على صحة ما ادعينا نسبته اليهم وتخطأتهم فـيه نتكلم على الفصول الآتية:

أمّا الأوّل ـ فقد قرأت فيما سلف من بحوثنا انّ الخلافة الدينية تلو النبوة وليست من موضوع الانتخاب في شيء على انّ هذه القاعدة التي صححوها لم يستفيدوا منها أقل فائدة، فقد عرفت من وجوه واسعة انّ بيعة أبي بكر وهي عمدتهم في هذا الباب ما كانت إلّا فلتة وانتهاباً، وقد حكم عمر على من عاد لمثلها بوجوب القتل، اذاً فما أكذب أبناء التسنن حين يقولون كما يحكيه السيوطي في تاريخ الخلفاء في الفصل الذي عقده لأبي بكر عن البيهقي عن الزعفراني قال: سمعت الشافعي يقول: أجمع الناس على خلافة أبي بكر الصديق وذلك انّه اضطر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر فولوه رقابهم. فانظر واعجب من هذه الصلافة.

وأمّا الثاني ـ فقد عهد أبو بكر إلى عمر ومن دون أن يستشير فيه أحداً، فعن قيس بن حازم قال: رأيت عمر وبيده عسيب نخل وهو يجلس الناس يقول اسمعوا لقول خليفة رسول الله، فجاء مولى لأبي بكر يقال له شديد بصحيفة فقرأها على الناس فقال: يقول أبو بكر: اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة، فوالله ما ألوتكم، قال قيس: فرأيت عمر بعد ذلك على المنبر. ابن أبي شيبة وأحمد في مسنده وابن جرير واللالكائي في السنة [١]، ومن أبي بكر جرت هذه السيرة وهي استبداد الخليفة بمن يريده لولاية العهد.

وأمّا الثالث ـ فأوّل من سنّ أخذ البيعة بالقهر هم جلاوزة السقيفة عندما خرجوا منها يهرولون محتجزين بالأُزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلّا خبطوه ومدوا يده لبيعة أبي بكر شاء ذلك أو أبى، واحضارهم الحطب على باب أهل البيت واخراجهم من فيه بالقهر يطحى به إذا ونى ويدفع بظهره إذا تلكأ، وقد مرّ

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٢ ص ١٧٩.

تفصيل ذلك ؛ ثمّ توسع المتصيدون للخلافة بعد ذلك فوسعوا هـذا المـيدان إلى غايات لا توصف ونكايات لا تعد ولا تحصر وتاريخ ذلك طويل الذيل متشعب النواحي وكتب الأثر حاوية لكل ذلك .

وأمّا االرابع ـ وهو وزن التفضيل بميزان التقدم في زمن الخلافة فالى الآن كلما أردنا أن نعرف له وجهاً مقبولاً وحتى على مذاق أبناء التسنن لم نتوفق له ، وإنّما نراهم يتجاورون بذلك بالدعاوى المجردة وكأنّه عندهم من الأُمور التعبدية لكن هذا الملاك ان وقف بهم على هؤلاء الخلفاء الأربـعة فـهو تـخصيص مـن غـير مخصص لأنّ القوم يصححون كل خلافة انعقدت بأي لون يفرض إلى آخر خليفة يعهد في التاريخ وهو الخليفة العثماني المنقرض بـالحرب العـالمية الأُولى وان تسلسل بتسلسل الخلفاء ففيه من الحيف والجور ما لا عاقل يلتزم به ودعنا من قضية الخلفاء الأربعة بعضهم بالنسبة إلى بعض فإنّ فيها مؤالفاً ومـخالفاً ولكـن تقديم يزيد بن معاوية على عمر بن عبد العزيز مما لا يرضى به السـني نـفسه ، ومثل هذين في خلفاء العصور من سابق سخيف ولا حق متجمل كثير فماذا يقول القوم وهذا لعمر الحق مـما يـدل عـلى جـهلهم الأجـهل وتـعصبهم المـمقوت وخروجهم عن صريح الوجدان ومكشوف العيان ، وهل ليت شعري بعلي يقاس غيره من أي صحابي يفرض ، ولقد أجاد من قال في مثل هذه الموازنة الجائرة :

كم بين من شك في عقيدته وبـــين مـــن قـــيل انّـــه الله

وستقف على ذلك مشروحاً بعد حين .

وأمّا الخامس ـ وهو انّ سيرة الشيخين شرط لازم في انعقاد البيعة لمن يكون بعدهما فقد تلقوا هذا الشرط الباطل عن عبد الرحمن بن عوف في قضية الشورى على انهم لم يعملوا به فإنّ أوّل من هتك هذه السيرة عملاً هو ابن عفان نفسه بعدما

التزم بها على نفسه ولأجلها بويع، وعند هذه النقطة يعرف الثقة الصريح من المدلس المداجي ولو أعطى أبو الحسن هذه الكلمة لابن عوف لكان أوّل صافق على يده، ولكنه عليه السلام أبى أن يقول ما لا يفعل، وحرام عليه بالضرورة من الشرع أن يتخذ أفعالهما وأقوالهما ملاكاً شرعياً يسير عليه وهما طالما استمدا من علمه واقتبسا من فضله وأبدعا بدعاً ليست عن الله والرسول كما يجيء البحث عن ذلك والمكلف مدين لله ولرسله لا لمكلفين مثله لا حجّية في أقوالهم ولا اعتبار بأفعالهم.

وأمّا السادس ـ وهو انّ امة محمّد لا تجتمع على خطأ كما ذكر ذلك أسد السنة في فضائله عن معاوية بن قرة قال: ما كان أصحاب رسول الله يشكون انّ أبا بكر خليفة رسول الله وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا ضلال [١]، فهو من الدعاوى المجردة، وما الذي يمنعها عن ذلك عقلاً فإنّ القضية عقلية على انّ تصوير اجتماع الكلمة من كل أحد في نفسه من الفروض المستحيلة الوقوع في الخارج فإنّ الكلمة لم تجتمع حتى على الوهية الله ورسالة الرسول، نعم قد تحصل كثرة فاحشة أو أكثرية ساحقة فإن كان ملاك هذه الكثرة أو الأكثرية عوام الناس فاجتماعهم على الخطأ والضلال قريب تصوراً ووقوعاً، وإن كان قوام الكثرة أو الأكثرية المذكورتين بالخاصة وأهل العقول فعدم اجتماعهم على الخطأ ليس بلازم منطقي قطعاً ولكنه مما تركن النفس إليه وغوغاء السقيفة من الفريق الأوّل، لأنّهم قنعوا من مدعي الخلافة بأنّه من قريش ومن أولياء محمّد، وهذه الحجة على انها تافهة لا قيمة لها مما تعود على مدعيها بالدمار والبوار ولا تنفع إلّا غيره ولما فاتت عليهم علمنا انهم عوام جهلاء إلى أبعد حد. هذا إن قلنا انّ صفق بشير

---

(١) السيوطي في تاريخ الخلفاء في ترجمة أبي بكر.

بن سعد وحزبه واسيد بن حضير وحزبه على يد أبي بكر مبايعين بالخلافة كان بملاك هذه الحجة ولكنك قد قرأت آنفاً انّ هذه القضايا تمت بنفع أبي بكر لدواعي التنافس القومي لا غير، وفيما أسلفناه بلاغ واسع.

وأمّا السابع ـ وهو انّ ما يراه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما يرونه سيئاً فهو عند الله سيء فمن ارتجال الأحكام على الله سبحانه، وهل يعرف الحسن عند الله والسيء عنده إلّا ببيان منه، ولو كان الناس يصيبون ما عند الله من حسن وسيء بمجرد عقولهم وآرائهم لما كان لبعثة أي رسول يفرض أقل فائدة ولكان توظيف الوظائف وسنّ النظم من ناحيته تعالى زائداً لأنّ كل هذه العوامل إنّما تستهدف بيان الحسن والسيء الواقعيين فإذا كان الواقع مما تناله آراء العقلاء بمجرد اجالتها فلا وقع لهذه الأتعاب التي يقوم بها الأنبياء والرسل وتعزيز الله لهم بشتى أنواع المعجزات وألوان الأساليب وتصريف الحجج والبراهين، نعم الحسن والسيء العقليان مما تنالهما ادراكات العقول، ولكن هذا لا ربط له بمدعى القوم فإنّهم يقولون بالكلية الآنفة في باب الشرائع والأُمور الدينية ليبنوا على أساسها ما هو بنفعهم ـ كما يحكيه السيوطي عن الحاكم بروايته عن ابن مسعود قال: ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي في ترجمة أبي بكر. على انّ أهل الرأي والثقافة والعلم بالموازين الصحيحة من الصحابة ما أعطوا بيعتهم لأبي بكر إلّا بقهر السلطنة وممالئة الأوباش عليهم كما سبق مفصل هذا الحديث في محله.

أمّا الثامن ـ فقد تكلمنا آنفاً انّ القياس والرأي والاستحسان ليست من مدارك الشرع وانّ أحكام الله لا تؤخذ بنظر العباد وإنّما تؤخذ منه بواسطة رسله وحججه على خلقه وانّ الأقيسة والآراء والاستحسانات والميول والأهواء لو كانت

معياراً في التكليف لانهدمت دعائم النبوات بأسرها إذ لا فائدة فيها فضلاً عما تستوجب من مشقات وقطع عقبات واذايا ومحن قد قرأت طرفاً منها عند كلامنا على سيرة الأنبياء الكرام في الحلقة الثانية من هذه السلسلة.

والسخافات في معتقدات أبناء التسنن كثيرة وفيرة ليس بوسع هذا الكتاب استقصاؤها وآخر ما نذكر منها عجالة ما يقولونه انّ ابراهيم ابن النبي ﷺ لو عاش لكان نبياً في حال انّ الضرورة من دين الإسلام كتاباً وسنة قاضية بأنّ محمّداً خاتم النبيين ففرض نبوة ابراهيم ابنه فرض في نفسه محال، إذ لا مجال له بعد فرض خاتمية محمّد للرسل، على انا لو لم نفرض خاتمية محمّد للرسل لا يرى العقل تلازماً بين بقاء ابراهيم في قيد الحياة وبين كونه نبياً ولا الشرائع ترى هذا التلازم أيضاً، فإنّ نوع أنبياء الله أعقبوا فلم يكن كل أبنائهم أنبياء كما كان آباؤهم بل قد وجدنا النبوة في جملة منهم مقصورة على الأب لم تتجاوزه إلى ذراريه.

قال ابن حجر في الاصابة عند تعرضه لترجمة ابراهيم ابن النبي (ج ١ ص ١٠٤): أخرج البخاري من طريق محمّد بن بشر عن اسماعيل بن أبي خالد قلت لعبد الله بن أبي أوفى: رأيت ابراهيم بن النبي أكبر قال: مات صغيراً ولو قضى أن يكون بعد محمّد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده. أقول أنا: ـ أي ولذلك لم يعش ـ ثمّ قال ابن حجر: وأخرجه أحمد عن وكيع عن اسماعيل سمعت ابن أبي أوفى يقول: لو كان بعد النبي ﷺ نبي ما مات ابنه ابراهيم، فهو يريد أن يعلل موته بأنّه لا نبي بعد أبيه فكانه من لوازم ابن النبي إذا كبر أن يكون نبياً. ثمّ قال ابن حجر: وروى اسماعيل السدي عن أنس كان ابراهيم قد ملأ المهد ولو بقي لكان نبياً لكن لم يكن ليبقى فإنّ نبيكم آخر الأنبياء. حتى كان بقائه ملازم ضروري لنبوته.

قال ابن حجر: وأخرج ابن منده أيضاً من طريق ابراهيم بن حميد عن اسماعيل بن أبي خالد قلت لابن أبي أوفى: هل رايت ابراهيم بن النبي ؟ قال: نعم، كان أشبه الناس به، مات وهو صغير، وقد استنكر ابن عبد البر حديث أنس فقال بعد ايراده في التمهيد: لا أدري ما هذا فقد ولد لنوح غير نبي ولو لم يلد النبي إلّا نبياً لكان كل أحد نبياً، لأنّهم من ولد نوح. قال ابن حجر: ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره لما لا يخفى، ثمّ قال: وقال النووي في ترجمة ابراهيم من تهذيبه: وامّا ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبياً فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم انتهى. وهو عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة وكأنّه لم يظهر له وجه تأويله فبالغ في انكاره، وجوابه انّ القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ولا نظن بالصحابي انّه يهجم على مثل هذا بظنه انتهى ما عن الاصابة. وقد أصاب ابن عبد البر والنووي جميعاً وأخطأ ابن حجر، فإنّه سمع انّ القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع، وجهل انّ مقدمها لابد له من الارتباط والملازمة لتاليها فإنّه لا يجوز أن يقال لو كان هذا لكان ذاك إلّا وبين الأمرين تلازم يوجب عدم الانفكاك ضرورة، وابن عبد البر اشكل على أصل التلازم بين بقاء ابراهيم ولزوم ذلك لكونه نبياً كما أصاب النووي في قوله: انّه جسارة على الكلام في المغيبات، إلّا انّ القوم ذكروا له طرقاً مسندة عن النبي وان النبي قائل هذا القول، وهذه المسندة أفظع حالاً من المجردة لأنّ نسبة السخائف إلى غير الرسول لا مانع منها لا عقلاً ولا وروداً بخلاف قدس النبوة وليس هذا الاعتقاد الخاطىء الذي ترى ابن حجر يؤيده من مختصات ابن حجر بل لم يندد به إلّا ابن عبد البر والنووي وهؤلاء رواته لم يرووه إلّا وهم معتقدون له خصوصاً البخاري الذي يدين الله بما أودعه في كتابه فانظر واعجب لفنهم الروائي ولعلمهم بقواعد المنطق.

نقص المشايخ الثلاثة وانحرافاتهم

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأوّل في أبي بكر

وفيه عدّة بحوث

▣ البحث الأوّل:

حيلولته بين ما يتعلق بالنبي من حقوق مالية وبين ورثته بادعائه انّ النبي وهكذا غيره من الأنبياء لا يورثون وروايته وحده عن النبي ما يؤيد مدعاه، وقبل الخوض في ذلك لابد من تقديم مقدمة، وهي: انّ ملاك الإرث في فصيلة البشر سنة طبيعية لابد من حفظها في بقاء النوع فإنّه قل ان يكون من الوارثين من هو في غنى تام عما كسبه مورثه لنفسه من مال منقول وغير منقول، والنوع الغالب امّا فاقد لأسباب الحياة باسرها من غير طريق مورثه وامّا معوز فكافة الأطفال والقاصرين من ذرية المتوفى والكبار العاجزين والنساء الفاقدات للبضاعة والأولياء من فريق القسم الأوّل وغير هؤلاء نوعاً معوز لا يستطيع أن يقوم بمادته المخصوصة التي تلقاها بكسبه وهو من الفريق الثاني ومن يتصور فيه الغناء التام عن مورثه قليل لا يكون إلّا بنسبة خمسة في الألف وحكم مثل هذا لا يجوز أن يعد من الأحكام الاستثنائية في سنن النظام بلا ريب.

ولا شبهة انّ الحيلولة بين مال المورث وبين الورثة من القسمين الأولين اللذين هما المعيار الضخم في جامعة البشر موجب لانشعاث الاسر وتفريق الاجتماعات والقضاء على العاجزين والقاصرين إذ لا يعطف عليهم أحد من الأجانب إلّا كما يعطف على المكدى السائل بما لا يبل غليلاً ولا يسد عوزاً،

وهذا هو القتل للاجتماع والائتلاف للنفوس وتغيير صبغة العالم في فترات لا تحصى.

ومن السخرية المفتضحة انصافاً أن نرى انساناً قد تكفل بمعيشة أفراد موفورين في العدد ما بين أبناء قاصرين وبنات قاصرات وزوجات منقطعات فاقدات للبضاعة الخاصة وأبوين عاجزين لا يملكان إلّا عطف هذا الولد البار ثمّ بعد آونة نراه يموت فنهجم مع هجوم الموت على هؤلاء البؤساء فنطردهم من الدور والمساكن وننتهب ما عليهم من غطاء وما تحتهم من فراش ونغير على طعامهم وأوانيهم وأموالهم ونرسلهم إلى الشوارع يلطمون الوجوه على موت كفيلهم من ناحية وعلى طردهم من الحياة إلى الفناء من ناحية ثانية، أفلا نرى أنفسنا ونحن نفعل ذلك إلّا كأجنى انسان بل حيوان يفرض في الموجودات الدابة على وجه الأرض، فلنفرض إذاً هذا الإنسان نبياً ونحن نفعل به وبآله هذه الأفعال الوحشية النابية حتى عن سنن الحيوانات الهاملة أفلا نجدنا بربك قد جنينا على الله والرسول وحيثيات الانسانية أعظم جناية تتصور، أي والله نجدنا كذلك، بل وأزيد بما لا حدّ لتصور فظاعته، وأبو بكر يريد أن يكون آل الأنبياء ونكون معهم بهذه الصورة بلا مبالغة واغراق فإنّ كل ما تركه يكون صدقة ولا ربط للورثة بالصدقات ولو اعيدت عليهم بعنوان انهم من مستحقي الصدقة كان ذلك هدماً في أصل تشريع ان الأنبياء لا يورثون لاتحاد نتيجة الإرث والاعادة عليهم بالصدقة في المآل.

نعم تتفاوت الحالتان في انّ الإرث يكون بتخويل شريف والاعادة بعنوان الصدقة لا تعد إلّا من أنحاء التكدي وكأن هذه الحالة عند أبي بكر وأتباعه أولى بورثة الأنبياء من احترامهم واكرامهم. نعم لا شبهة انّ هدف أبي بكر في تزويره لحديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، كان هو محق آل الرسول

بشتى الجهات، بعد أن وجدهم حجر عثرة في سبيل رياسته ورياسة أخدانه فهو لم يقتصر على الهجوم عليهم في بطون بيوتهم واحضار الحطب في أفنيتها ليحرقها عليهم واخراج من فيها ملببين يطحى بهم إذا ونوا ويدفع بظهورهم إلى البيعة مكرهين حتى شفع ذلك بحرمانهم مما ترك مورثهم من فضلة مال يستعينون بها على قطع مشاق الحياة وهكذا يفعل غشمة السياسيين في تجريد الشخصيات النافذة من كل عنوان واعتبار وقدرة حتى يلجأهم الضعف إلى أن يكدحوا بخاصة أنفسهم فيما يؤمن لهم ضرورات الحياة اللازمة وإلّا فورثة الأنبياء أولى من كل وارث بعنوان الإرث لعدة جهات:

الجهة الأولى ـ حفظ احترام أبيهم في حقهم لما له على الجامعة من يد بيضاء في التأديب والتهذيب والهداية وقد قال العقلاء من الربانيين إنّما يحفظ المرأ في بنيه.

الجهة الثانية ـ انّ الأنبياء لانزوائهم عن الحياة المادية وتجردهم إلى المثالية الصرفة لا يعودون يملكون من حطام الدنيا إلّا اليسير الذي يفوته النظر، ومثل هذا الإرث يقول به حتى الاشتراكيون النافون لموضوع الإرث بتاتاً، لأنّ هؤلاء منظورهم في المقاييس الضخمة من المال لا في مثل هذا الحطام الميسور الذي لا وزن له وهؤلاء أيضاً منظورهم من أخذ أموال الاموات وضعها تحت يد العجزة الفاقدين للبضاعة وهل أحد أعجز من ورثة الأنبياء لضعفهم المادي في أصل نشأتهم وفي مسيرهم مع الحياة.

الجهة الثالثة ـ انّ ورثة الأنبياء باحترام الجامعة لسمتهم وعنوانهم طبعاً لا يتمكنون من التنزل إلى الامتهان بالمهن الساقطة، فإذا كانوا فاقدين للبضاعة كما هو الفرض وتلجأهم الحياة إلى أن يمونوا أنفسهم بما هو لازمها الضروري بعنوان عزيز لا جرم كانوا واقفين بين محذورين محذور مضايقة المعيشة لهم ومحذور

تنزلهم إلى ما لا يتنزل مثلهم له من وسائل المهنة والاكتساب، وبذلك يتم خنقهم واتلافهم بلا ريب، بخلاف البشر السائر فإنّه لا يبالي إذا أعيته المذاهب أن يجيء حمالاً أو زبالاً أو دلاكاً أو حجاماً وما إلى ذلك مما يتنزه عن أغلب الطبقات ولو فرضنا انّ هذا التنزه في نفسه لا قيمة له إلّا ان عقلية الفرد ليس بها أن تخرق ما عليه مشيء النوع في الأفراد طبعاً.

وهل ليت شعري في تحريم الإرث على ورثة الأنبياء إلّا تعريضهم للتلف أو وضعهم في معرض التكدي والسؤال باليد ولا ثالث لهذين الشقين أصلاً، وإذا كان النبي بمثاليته يريد أن يعد نفسه في أعلى طبقات المرتاضين فليس يجوز له أن يقسر آله على ذلك إلّا إذا أرادوه باختيارهم لأنفسهم.

فإذا أحطت بما سلف خبراً فاعلم ان كلّ من يستعلم زبر الحديث والتاريخ يحصل له القطع بأنّ كلمة نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة أوّل ما سمعت من فم أبي بكر، وانّه الراوي الوحيد، ولكن أبناء التسنن معاضدة لشيخهم وأخذاً بضبعه وتقوية لركنه عزوه برواية أبي هريرة عن النبي ﷺ انّه قال: لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عيالي فهو صدقة، ولذلك قال ابن أبي الحديد [١]: قلت: هذا حديث غريب، لأنّ المشهور انّه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلّا أبو بكر وحده ـ اهـ.

ولا ريب انّ هذه المادة من موضوعات أبي بكر، لعدة شواهد قوية:

الشاهد الأوّل ـ انّ هذا الحكم التأسيسي المخالف لنظام الأمم وسنن الطبيعة في بني آدم ولصريح الكتاب في أُصوله العامة في التوارث يستحيل أن يشرعه النبي ﷺ ولا يبلغ به من استطاع تبليغه من المسلمين لأنّه تترتب عليه في

---

(١) ج ٤ ص ٨٢ من شرحه الحديدي.

خاصة نفسه هو آثار لها قيمتها ووزنها وتنجز إلى اشتراك المسلمين فيها بعد موته لحساب ما يتركه من الصفايا والأراضي التي استحقها في حساب الصدقات التي تشغل حيزاً من بيوت أموالهم فليس من المعقول إذاً أن يختص أبو بكر بعلم هذه القضية دون كل أحد سواه، فلا الأنصار ولا المهاجرون ولا أهل بيته ولا زوجاته لهم علم بأقل طرف من هذه القضية.

امّا المهاجرون والأنصار فلم يدع أحد منهم علماً بهذه المادة بشهادة كل كتب التاريخ، وإنّما تبع من تبع منهم أبا بكر تقليداً محضاً، وامّا أهل بيته فمن أوضح الواضحات ولفاطمة مع أبي بكر في هذا الشأن مقام صعب تقف عليه فيما بعد، وامّا أزواجه فكلهن طالبن بحقوقهن إلّا عائشة وحق لها أن تسكت بل أن تدافع عن كيان أبيها. روى أبو بكر الجوهري [١] عن عروة قال: سمعت عائشة تقول: أرسل أزواج النبي عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهن ميراثهن من رسول الله مما أفاء الله عليه حتى كنت أردهن عن ذلك فقلت ألا تتقين الله ألم تعلمن انّ رسول الله ﷺ كان يقول: لا نورث ما تركناه صدقة، يريد بذلك نفسه، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال، فانتهى أزواج النبي إلى ما أمرتهن به.

أقول: لا شبهة في تزوير ذيل هذا الحديث فانتهى أزواج النبي إلى ما أمرتهن به لانهن لو كن سمعن ذلك من رسول الله لما أرسلن إلى أبي بكر يطالبنه بحقوقهن من ميراث رسول الله بطبيعة الحال، وامّا عائشة فلو كان مكان أبي بكر غيره من الرجال وفعل مثل فعل أبيها لنشرت ثوب رسول الله عليه كما نشرته على عثمان ولقالت: لم يبل ثوب رسول الله بعد وقد أبلى سنته فلان بن فلان، وهكذا شائت المقدرات أن ترينا عائشة في أطوار وألوان تحكم وتتحكم وتركب البغال بعد

---

(١) ج ٤ ص ٨٣ من الشرح الحديدي.

الجمال وتقول ما تشاء وتفعل ما تريد.

الشاهد الثاني ـ انّ هذه المادة ترتبط بأهل بيته ووراثه أكثر من كل أحد فإنّهم يرون من حكم الكتاب وسنن الطبيعة في بني آدم من التوارث ما لا يختلج معه في أنفسهم انهم لا يرثون من رسول الله مورثهم إذا توفاه الله فقد كان من واجب رسول الله ﷺ إذا كان لهذه المادة نحن لا نورث أصل في التشريع أن يشبع نفوس وارثيه بمضمونها ويوقفهم على آخر فقراتها حتى لا يزاحموا من يريد التصرف بما يخلفه وراءه بما عين له من مصرف بل كان من واجبه أيضاً أن يعلم الناس بذلك حتى كونوا ردءاً للمتصرف فيما يخلفه وعوناً له في صرفه إلى مصارفه المقررة وقاطعين بشهادتهم لمن يروم من الوارثين مزاحمة المتصدي لصرف الأموال المذكورة، ولأنّه إذا لم يفعل ذلك فقد أغرى وارثيه اغراءً لا مزيد عليه كما عرض بالمتصدي لتصريف متروكاته إلى نزاع يطول وينتهي بمحكوميته عند أهل الوجدان والايمان بانك يا هذا الإنسان كيف يجوز لك أن تحول بين هذا الشخص وما ترك وبين ورثته، لقد جئت شيئاً نكراً وحق لهم أن يقولوا ويحق عليه أن لا يجيب بكلمة واحدة لأنّه ان قال: انّ النبي حكم نفسه بأنّه لا يورث فقد ادعى دعوى مجردة لا تسمع إذ الكتاب وسنن الكون كلها على خلافه بقاطع الضرورة.

ولا ريب انّ النبي لم يعهد بالمادة المزبورة لا إلى أهل بيته خاصة ولا إلى الناس عامة، إذاً فليس لهذه المادة اصل وادعاء أبي بكر لها ادعاء لا يشفعه دليل، بل الأدلّة عليه لا له، وهو الذي يلزم أن يطالب باقامة الشهود على مدعاه لا فاطمة التي يجب أن ترث بحكم الكتاب وسنن الطبيعة في عامة البشر.

الشاهد الثالث ـ انّ الكتاب ناطق صريح بالارث العمومي ومؤيد لسنن الطبيعة في ذلك كما هو مصارح بأنّ الأنبياء يورثون، قال الله سبحانه وتعالى في

سورة النساء (آية ٦) : ﴿لِلْرِجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلْنِسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ وقال تعالى (آية ١٠ وما بعدها من السورة المذكورة) : ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلْذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُن لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَم يَكُن لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي ٱلثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ . وقال سبحانه في آخر السورة المزبورة : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلاَلَةِ إِنِ ٱمْرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَمْ يَكُن لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلْذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وقال سبحانه في آخر سورة الأنفال (آية ٧٥) : ﴿وأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾ وكذلك قال سبحانه في سورة الأحزاب (آية ٦) .

وهذه الحدود والقواعد والأُصول كما تراها صريحة في العموم لا يشذّ عنها احد كائناً من كان والأنبياء من جملة ذلك .

وقال سبحانه في سورة النمل (آية ١٦) : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ . وهي صريحة في مادة الإرث كما انّ الإرث حقيقة في المال مجاز فيما سواه سمعاً وعقلاً ، وذلك لأنّ ما سوى المال من الصفات كسبياً كان كالعلم أو بقهر الخلقة كالحسن والجمال وما إلى ذلك لا تصح فيه الوراثة ، أمّا في السبيات فجد واضح ، لأنّ حصولها منوط بكسب الكاسب فهو ابتداء وتحصيل والتحصيل نقيض صريح للوراثة ، وامّا في غير الكسبيات فهو ابداع من الله وافاضة بأن يلهم العبد الهاماً ويبتدأه بالفضل تفضلاً أو يأتي بخلقته حسن الصورة وقد أثبتنا في الحلقة الأُولى من هذه السلسلة انّ سنة الوراثة باطلة في الكونيات ، إذ لم نر وجودين يتساويان في كافة الصور والسنخيات ومهما تقاربا فإنّ بينهما من الفوارق أشياء تقل وتكثر وبرهنا على ان واجب الوجود له المباشرة التامة في كافة المعلولات فلا نطيل على انّه لا يهمنا البحث في هذه النقطة فعلاً لأنّها ليست من موضوعنا ولكن الذي من موضوعنا فعلاً ما يرويه أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [1] انّه سمعه يقول : انا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة . ولا ريب انّ المراد بهذا الإرث هو انا نترك بعدنا هذه الأُمور كما انها ليست مخصوصة بالوارثين الشرعيين وإنّما وارثها كل من يتلقاها عن النبي مباشرة أو بواسطة ، فهذا الإرث ارث بالمجاز وحقيقته هي الإرث في الأموال ولا نطيل في هذه الواضحات .

فيسقط حديث أبي بكر : انا معاشر الأنبياء لا نورث ، لأنّه نقيض صريح لقوله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وحمل ورث في هذه الآية على المجاز من غير قرينة صارفة باطل ، وابطال لكل لفظ له حقيقة .

---

(١) ج ٤ ص ٨٠ من الشرح الحديدي.

وامّا تخصيص العمومات الكتابية السالفة في الإرث بخبر أبي بكر أوّلاً أو غيره كائناً من كان من الآحاد ثانياً بأنّها جارية إلّا في الأنبياء فذلك لا يجوز من عدة وجوه:

امّا أوّلاً ـ فإنّ أبا بكر في خصوص هذه القضية متهم أشد الاتهام لأنّها مسبوقة بشناشن السقيفة واجتماع هواة علي في بيت فاطمة وهجوم القوم على هذا البيت واحضار الحطب على بابه لاحراقه على من فيه ومشي فاطمة على بيوت الأنصار تستنهضهم لاعادة حق بعلها المغصوب كل هذا لم يغب عن أبي بكر وهواته، وهذه المقدمات هي التي انتجت مادة نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ولم يكن لها أقل سابقة قبل ذلك، بل لم تخطر ببال أحد أصلاً إلّا انّ هذه الشناشن أخرجتها كما أخرجت غيرها بما سيوافيك بيانه.

وامّا ثانياً ـ فقد أسلفنا سابقاً ان خبر الواحد من حيث هو خبر واحد لا قيمة له في سوق العلم أصلاً، نعم الخبر الوارد عن ثقة عدل مع ثبوت هذا الوصف فيه بحقه لا بلى اللسان الذي يسوق مثل هذه الأوصاف الثقيلة العيار لأبي هريرة ونظائره وللخوارج والنواصب وشرطة السلطان وأعوان السياسة والدجالين والمدلسين وان أحمد بن حنبل قال فلان انسان ثقة والبخاري وثق فلاناً أو يحيى بن معين قال: لا بأس بفلان، وأمثال هذه التعديلات التي لا يعرف ما هو مدركها وعن أي ملاك صدرت وحسن ظن انسان بانسان لا وزن له في الواقع؛ وعدم مناقضته للعقل الصريح واطمئنان النفس به ووجود قرائن تؤيده وتشهد لمضمونه بالصدق يعمل به في الفروع ويكتب به التاريخ إذا لم يحصل له مصادم يوهنه وإلّا فصرف روى فلان عن فلان لا معنى للتعبد به بل لا يجوز لأنّه طالما يجر إلى خلاف الواقع وتحليل حرام واقعي أو تحريم حلال كذلك أو ايجاب ما ليس بواجب أو اباحة ما هو فريضة واجبة، هذا فضلاً عن كونه يبارز اليقينيات

الثابتة من صريح الكتاب والسنة المستفيضة أو المتواترة والإجماع الثابت الحجّية.

والقائلون من المحققين بحجية اخبار الآحاد لا يعدون هذا الملاك الذي أسلفناه لأنّ البرهان العلمي لا يساعدهم على ما هو أقل منه، هذا فضلاً عن نفاة حجّية خبر الواحد رأساً وخبر أبي بكر في نفسه فضلاً عن الاتهام السالف خبر واحد لم تكتنفه القرائن المؤيدة والعقل الصريح قاض ببطلان مفاده بالبيان الذي شرحناه في صدر البحث، مضافاً إلى انّ القرآن يناقضه بصراحة، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ نقيض صريح لما يحكيه أبو بكر نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

وامّا ثالثاً ـ فإنّ القرآن ينسخ القرآن ولا مانع منه بعد تصحيح اصل معنى النسخ كما ان القرآن يخصص القرآن والقرآن يقيد القرآن ومحكم القرآن يفسر متشابهه بلا ريب في ذلك كله، لأنّ هذه المباني بعد تصحيح العقل لها لا تجد أمامها مانعاً يصدها عن تنفيذ ملاكاتها في الكتاب بنسبة بعضه إلى بعض.

وامّا السنة المتواترة القطعية التي تعطي النفس بعد سبر كافة مقدماتها وحواشيها علماً ضرورياً لا ما يدعى انّه متواتر وحكمه عند التحقيق أخس من خبر الواحد ككثير ما يدعيه أبناء السنة من انّه متواتر وهو ليس إلّا تزويراً محضاً قد عبدوا له طرقاً عديدة من روى فلان وحكموا بأنّه متواتر ليثبتوا به نقطة حساسة من نقاط التعصب أو يحكموا به خصماً يرومون دكه، لا يرى العقل ومجرى النظر مانعاً من نسخها للكتاب وتخصيصها وتقييدها وتفسيرها له لأنّ العلم الضروري المستفاد من التواتر سنخ تام للعلم الضروري الحاصل من صريح الكتاب.

وامّا السنة المستفيضة التي تنزل عن درجة التواتر وترتفع عن درجة أخبار

الآحاد فالحكم بأنّها تنسخ القرآن مشكل جداً لأنّ النسخ ابطال للمنسوخ وابطال مفاد القرآن بما ليس علماً ضرورياً من أعظم التهجمات، نعم قد لا يرى العقل مانعاً من تخصيص عموم الكتاب وتقييد اطلاقه بها فإنّ التخصيص والتقييد وان كانا ابطالاً لبعض مفاد العام والمطلق بلا ريب إلّا انهما لا ينقضانهما من أساسهما إلّا ان ابطال طرف من العلم الضروري بما ليس من سنخه يعود فيه عين المحذور من النسخ والعقل الصريح لا يجيز اصل المصادمة بين دليل ودليل إلّا بعد احراز أصل تكافؤهما من حيث الوزن والعيار، ولا ريب انّ ظواهر الكتاب ونصوصه المفصحة يعطيان في النفس علماً قاطعاً ان ما يحكيان عنه من معنى مراد الله سبحانه وانّه مأخوذ عن متن الواقع بخلاف السنة المستفيضة فإنّها لا تعطي هذه النتيجة فلا تكافىء الكتاب فلا تصادمه إلّا أن يدعي مدع انّ السنة المستفيضة علم أيضاً.

وامّا خبر الواحد فهو أقل وأذل من أن ينسخ الكتاب وان يخصص عمومه أو يقيد اطلاقه فإنّ التخصيص والتقييد نوع من النسخ لأنّهما كما عرفت ابطال لبعض مفاد العام والمطلق وانّه لولا مكان الخاص من العام والمقيد من المطلق لسالا في جميع ما يعطيانه من العموم الشمولي والبدلي ونفس رفع اليد عن بعض مدلول العلمي بالظن ولو كان قوياً تهجم لا تسيغه العقول بضرورة حالها إذ لا يقابل العلم بالظن ولا تكافؤ بين المبدئين بالصراحة، نعم قد يوجد ما هو باسم خبر الواحد لكن الاحتفافات الخارجة عنه مما يقطع معها بصدوره عن الحجة ومثل هذا يفيد يقيناً في النفس وكلما كانت نتيجته علماً جاز أن يحاذى مدلول الكتاب الصريح.

وامّا انّ جملة من العلماء أجازوا تخصيص الكتاب بخبر الواحد على اطلاقه فهو مما لا قيمة له لأنّ المسألة عقلية متمحضة ونظرية صرفة ولا مدخل فيها

للأقوال، وليست من السمعيات حتى تتأيد بفتاوى العلماء وما يأنسون به من شم الفقاهة كيف وحجّية خبر الواحد لا تزال تتلوى عليها المدارك العلمية وظواهر الكتاب ونصوصه حجة صريحة لا تدفع وان شكك في الظواهر منه فريق الاخباريين وعدوا الشارح الوحيد لها هو الحديث الوارد من أهل البيت زاعمين انّ معرفة القرآن وفهمه تختص بأهله ومن خوطب به كما يشهد لذلك ما ورد في ردع أبي حنيفة وقتادة عن الفتوى به أو بدعوى انّه لأجل احتوائه على مضامين شامخة ومطالب عالية فلا تكاد تصل إليه أنظار غير الراسخين العالمين بتأويله أو لما طرأ على جملة من ظواهره من تخصيص وتقييد وما إلى ذلك، وكل هذه المزاعم فاسدة.

امّا أوّلاً ـ فمنظورنا بظواهر الكتاب التراكيب التي انعقد لها ظهور عرفي بحيث ان السامع من أهل اللسان بمجرد أن يسمعها يلقف معانيها من غير تردد ولا تحير وهذا الظاهر من أي متكلم حصل كان حجة له على من فاهمه به والمنازع في ذلك ساد لكل باب المحاورات اللسانية والكتبية أيضاً.

وامّا ثانياً ـ فإنّ الله والرسول تحديا بالكتاب العزيز جملة الناس المعاصرين لنزوله والأجيال الآتية بعدهم ولا يعقل التحدي بما لا يفهم وما ليس له ظهور صريح ولا فرق بين المعاصر لنزوله والمتأخر عنه، فإنّ كل اولئك كانوا يستعرضون القرآن بأفهامهم الدارجة فيفهمون منه كلما يرمي إليه بظواهره من سرد آيات وحجج ومواعظ وارشادات وقصص وأمثال وأنباء من أحوال المعاد والجنة والنار وهكذا في مرحلة أو امره ونواهيه وأحكامه وامّا المتشابه فيه فهو ليس من الظواهر حتى يقع الكلام عليه على انّه محدود جداً لا يؤثر على صبغة الكتاب أصلاً.

وامّا ثالثاً ـ فإنّ الكتاب المجيد في طليعة المدارك الدينية وكونه مدركاً

متوقف على انّ ظواهره تفهم ويحتج بها وحيث يقال ان ظواهره لا يعتد بـها إلّا بشرح السنة لما اريد بها فصريح ذلك اسقاطه رأساً عن الحجّية بـنفسه وتكـون السنة هي الحجة وحدها وعلى بطلان ذلك اجماع المسلمين.

وامّا رابعاً ـ فكونه مشتملاً على مضامين عالية ومطالب نفيسة شامخة فذلك ما لا دخل له بأنّ ظواهره لا تفهم فإنّ علو المضمون لا ينافي ظهور التراكيب به وعند المصاقع من البلغاء كالرسول وأمير المؤمنين على متاع قيم من الكلام في لفظه ومعناه ومع ذلك كانوا يخاطبون به المجامع المكتضة فيفهمونه ويحفظونه، وما يقال ان كلمات الأوائل لا يفهمها إلّا الأوحدي من الناس فما ظنك بكلام ربّ العزة فذلك جهل بعيد المدى، فإنّ الأوائل وعلى حدهم كـل نـاطق لا يـقولون القول وهم لا يريدون إفهامه لمن يخاطبونه لأنّ عقولهم لا تجيز لهم أن يكـلموا الناس بما لا يفهمون لأنّ في ذلك من اتلاف الوقت وتضييع المقاصد التي يريدون ابدائها ما لا يرتكبه عاقل، وليس من خاطبه الأوائل بأفهم من أهل المحاورة في الأواخر لتوفر معدات الفهم الموجودة في العصور المـتأخرة إلى غـاية أنـتجت المعجزات في الطبيعة.

وامّا خامساً ـ فإنّ عروض التخصيص والتقييد لجملة من عموماته ومطلقاته المنعقدة الظهور لا يرتبط بما يذكرونه من انّ ظواهـره لا يـؤخذ بـها لأنّ العـلة المذكورة موجودة في السنة نفسها بكثرة هائلة ومع ذلك لم نرهم أسقطوا ظواهر السنة عن الاعتبار والأمر في هذا وذاك هين جداً، لأنّ الفقية لا يجوز له العمل ولا الافتاء إلّا بعد الفحص، والإنسان العامي ملزوم بالتقليد إذ ليس به أن يستفيد أحكامه الشرعية بنفسه لتشعب أطرافها بما يخرج عن طاقته ما دام فـي صـدد غيرها من شغل وعمل، وهذا كما تسقط في حقه الظواهر الكتابية في الأحكـام الشرعية كذلك تسقط في حقه ظواهر السنة فيما يرتبط منها بالوظائف الديـنية

والفقهاء في كل عصر لازالوا يصرحون للعوام بذلك، وهذا المعنى غير اسقاط ظواهر الكتاب عن الحجّية رأساً إلّا بشارح السنة فالتفت تغتنم.

وعلى كل فالاخباريون منحرفون جد الانحراف ولم يحرفهم عن الجادة الواضحة إلّا بعض أخبار الآحاد أنفسها وما أكثر الآراء النابية والأذواق السقيمة في أبناء الدنيا، لكن هذه الكثرة لا تؤثر على موازين العقل الراجحة فإنّ كل هذه الآراء تتلاشى بتلاشي أهلها ولا يبقى إلّا العقل الصريح كما كشف العيان ذلك بصراحة فإنّه لهذا التاريخ قد تلاشت آلاف الآراء والمبادىء المعوجة وبقي ـ كما كان ـ العقل الصريح قائماً بنفسه شاباً في نشاطه قاهراً في قوته.

على انّ الطرق الواردة لهذه المادة مشوشة المفاد بما يقضي عليها بالوضع والاختلاق، فقد روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري [١] انّ أبا بكر قال لفاطمة بعد خطبتها: امّا بعد فقد دفعت آلة رسول الله ودابته وحذاءه إلى علي، وامّا ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: انا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا عقاراً ولا داراً ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة فقد عملت بما أمرني ونصحت له. فإنّ هذا الحديث يعطي الجهل الصريح في أبي بكر وتلاعبه في الأحكام، فإنّ الأنبياء إذا كانوا لا يورثون ومن جملتهم النبي وإنّما ميراثهم الايمان والحكمة والعلم والسنة فكيف جاز لأبي بكر أن يعطي آلة رسول الله ودابته وحذاءه إلى علي؟ فإنّ هذا من بعض الميراث والإرث لا يفرق فيه بين القليل والكثير والذهب والفضة والدار والعقار والدابة والحذاء وإذا كانوا يورثون فلم بعض في التوريث فأعطى بعض الإرث ومنع بعضاً؟ على انّ الذهب والفضة والأرض والعقار والدار المذكورات في الحديث المذكور قد ذكرت من

(١) ج ٤ ص ٧٩ من الشرح الحديدي.

باب المثال بدليل تتمة الحديث: ولكنا نورث الايمان... الخ.

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز أيضاً [١] عن أبي الطفيل قال: ارسلت فاطمة إلى أبي بكر أنت ورثت رسول الله أم أهله؟ قال: بل أهله، وهذا نقيض صريح لروايته هو نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ولما يرويه أبو بكر الجوهري أيضاً [٢] عن أبي سلمة: انّ فاطمة طلبت فدكاً من أبي بكر فقال: اني سمعت رسول الله يقول: انّ النبي لا يورث من كان النبي يعوله فأنا أعوله، ومن كان النبي ينفق عليه فأنا أنفق عليه، فقالت: يا أبا بكر ترثك بناتك ولا يرث رسول الله بناته، فقال: هو ذاك. وروى أبو بكر أيضاً [٣] عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي: لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عيالي فهو صدقة. وهذا الحديث صريح في انّ نفقة نياءه ومؤنة عياله إنّما يستحقه هؤلاء ارثاً وما زاد عليه فهو صدقة. وهذا نظير الأوّل في التبعيض إلّا انّ ميزان هذه النفقة والمؤنة كماً وكيفاً مجهول، وهو دليل التخرص في الحديث وافراز حقهن عما يعود صدقة يحتاج إلى برنامج واضح وهو مفقود، على انّ هذه الأحاديث بنفسها تعطي ضرورة احتياج ورثة النبي إلى صرف وإلى مؤنة تقوم بواجبهم قد أدرك ذلك النبي نفسه كما أدركه أبو بكر فكيف يطلق النبي ماله الخاص به بلا ريب إلى بيوت أموال المسلمين ويترك أهله بلا تكليف، ومن أين حصل له ضمان بأنّ الذي يكون بعده على الجهل بهويته كما هو مفروض أبناء العامة انّ النبي لم يستخلف وترك أمر الخلافة إلى الناس يقوم بواجبهم ويحوطهم

---

(١) ج ٤ ص ٨١ من الشرح الحديدي.

(٢) ج ٤ ص ٨١ من المصدر المذكور.

(٣) المصدر نفسه.

ويرعاهم ولا يهجم على بيوتهم ولا يحضر الحطب على أبوابها ليحرقها على من فيها أفتكون العاطفة التي ألقاها على مستقبل المسلمين بعده بمثل هذه الصدقات التي يرممون بها وضع محاويجهم قد تمردت عليه بالنسبة إلى أهله الذين حرمهم من كل شيء وزج بهم في لهوات البؤس وظلمة المستقبل المجهول، هذا ما لا يكون من أتعس الناس مروءة وأخسهم عاطفة، فحاشا قدسية رسول الله وعاطفته أن تصدر عنهما هذه الأعمال الوحشية، ولكن كما أسلفنا انّ شناشن السقيفة أخذت تعطي نتائج سوءها من أوّل هذه المراكض وتوسعت بعد ذلك بسعة خطوها وملأ عنانها وإلى الله المشتكى.

فصل

هل كانت للنبي منابع استفادة تختص به ويملكها وما الشيء الذي مات عنه وهو ملكه؟

تطابق الكتاب والسنة واجماع الفريقين السنة والشيعة على انّ لرسول الله حقوقاً معينة لا يختلف فيها اثنان، سهمه من خمس الغنيمة، وما يسلطه الله عليه مما لم يوجف خيل المسلمين عليه ولا ركابهم كأموال بني النضير ويهود فدك.

امّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ (١) فسهمه من خمس الغنيمة ملك له بصريح الآية.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ (٢).

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) سورة الحشر: الآية ٦.

وقد اعترف أبناء السنة عموماً بثبوت هذا السهم له ما دام حياً، وإنّما اختلفوا فيه بعد موته ﷺ ومنشأ هذا الاختلاف يرجع إلى حديث أبي بكر نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ولا يهمنا التحدث عن هذا الاختلاف لأنّه تابع لأصله نحن معاشر الأنبياء فهو ينهدم بانهدامه.

وقال الشوكاني في تفسيره (١): وما أفاء الله على رسوله منهم أي ما ردّه عليه من أموال الكفار، يقال: فاء يفيء إذا رجع، والضمير في منهم عائد إلى بني النضير، فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجفاً: وهو سرعة السير وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير السريع و ـ ما ـ في: فما أوجفتم: نافية، والمعنى: انّ ما ردّ الله على رسوله من أموال بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا ابلاً ولا تجشمتم لها شقة ولا لقيتم بها حرباً ولا مشقة وإنّما كانت من المدينة على ميلين فجعل الله سبحانه أموال بني النضير لرسوله خاصة، لهذا السبب فإنّه افتتحها صلحاً وأخذ أموالها، وقد كان سأله المسلمون أن يقسم لهم فنزلت الآية: ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ من أعداءه وفي هذا بيان انّ تلك الأموال كانت خاصة لرسول الله دون أصحابه، لكونهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب.

وفي التاج للأُصول (٢) قال عمر رضي الله عنه: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، ينفق منها على أهله نفقة سنة ثمّ يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله، رواه البخاري.

---

(١) فتح القدير: ج ٥ ص ١٩٢ عند تعرضه لسورة الحشر.

(٢) ج ٤ ص ٢٦٤ من كتاب التفسير.

وقال ابن رشد الأندلسي [١]: وخرج مسلم عن عمر قال: كانت اموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي خالصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله.

وقال ابن هشام [٢]: وما أفاء الله على رسوله منهم، قال ابن اسحاق: يعني من بني النضير ـ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ـ أي له خاصة ـ وقال ص ١٩٢ ج ٢ أيضاً: فكانت لرسول الله خاصة.

وقال [٣]: قال ابن اسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله خالصة لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

وقال البلاذري [٤]: فزحف اليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمس عشرة ليلة ثمّ صالحوه على أن يخرجوا من بلده ولهم ما حملت الابل إلّا الحلقة والآلة ولرسول الله ﷺ أرضهم ونخلهم والحلقة وسائر السلاح ـ والحلقة الدروع ـ فكانت أموال بني النضير خالصة لرسول الله ﷺ، وساق طرقاً في هذا المضمون كثيرة وكلها قاطعة بأنّ أموال بني النضير كانت خاصة برسول

---

(١) ج ١ ص ٣٩٠ من بداية المجتهد في باب قسمة الفيء.

(٢) السيرة الهشامية: ج ٢ ص ١٩٣.

(٣) ج ٢ ص ٣٥٣ تحت عنوان: أمر فدك في خبر خيبر.

(٤) ص ٢٤ من كتابه فتوح البلدان عند تعرضه لبني النضير.

الله ﷺ . وقال عند تعرضه لخيبر (ص ٣٢ وما بعدها): انّ رسول الله لما فتح خيبر كان سهم الخمس منها الكتيبة، وكان الشق والنطاة وسلالم والوطيح للمسلمين. وقال بسنده عن يحيى بن سعيد قال: سمعت بشير بن يسار يقول: قسمت سهمان خيبر على ستة وثلاثين سهماً جمع كل سهم مأة سهم فكان من ذلك للمسلمين ثمانية عشر سهماً اقتسموها بينهم ولرسول الله ﷺ سهم أحدهم وثمانية عشر سهماً لمن نزل برسول الله من الناس والوفود وما نابه.

وبسنده عن الزهري انّ النبي فتح خيبر عنوة بعد قتال فخمسها وقسم أربعة أخماسها بين المسلمين.

وقال عند تعرضه لفدك (ص٣٦) قالوا: بعث رسول الله إلى أهل فدك منصرفه من خيبر يدعوهم إلى الإسلام فصالحوا رسول الله ﷺ على نصف الأرض بتربتها فقبل ذلك منهم فكان نصف فدك خالصاً لرسول الله ﷺ لأنّه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب.

وبسنده عن محمّد بن اسحاق عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر وبعض ولد محمّد بن مسلمة قالوا: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا وسألوا رسول الله أن يحقن دمائهم ويسيرهم فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك وكانت فدك لرسول الله خاصة لأنّه لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب.

وبسنده عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال: كانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا، فكانت أرض بني النضير حبساً وكانت لنوائبه وجزأ خيبر على ثلاثة أجزاء وكانت فدك لأبناء السبيل.

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز [١] عن محمّد بن اسحاق عن الزهري

---

(١) في كتاب السقيفة: ج ٤ ص ٧٨ من الشرح الحديدي.

قال: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا، فسألوا رسول الله أن يحقن دمائهم ويسيرهم ففعل فسمع ذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك وكانت للنبي خاصة لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. قال أبو بكر: وروى محمّد بن اسحاق أيضاً انّ رسول الله ﷺ لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله ﷺ فصالحوه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعد ما أقام بالمدينة فقبل ذلك منهم وكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. قال: وروى انّه صالحهم عليها كلها، الله أعلم أي الأمرين كان ـ اهـ ـ.

أقول: والحديث في ذلك كثير فثبت من هذه النقول المتصامدة انّ اموال بني النضير وخمس خيبر وأرض فدك كانت صفايا لرسول الله خاصة خالصة له من دون الناس، وادعاء انّ رسول الله في حياته كان يستثني من عوائدها رزق أهله ومعيشتهم ويصرف الباقي فيما ينوبه ومن يفد عليه وفي السلاح وتقوية المسلمين لا ينافي مالكيته لهذه الأشياء، بل يؤيدها ويسددها، لأنّ وجوه التصرف في الشيء من كواشف تمام سلطنة المتصرف فيما يتصرف به، وحق لرسول الله أن يتصرف بماله في تلك الوجوه ولا يحتكره، فإنّه ليس بتاجر ولا يستهدف بهذه التحصيلات المالية أن يجيء رأس مالياً معروفاً بل كان ربانياً عظيماً وأخلاقياً كبيراً ومن أخلاق من يكون بهذه الصفة أن يشخص إلى العالم بأوسع ما يعرف من المواساة والتفضل والمعروف لكن هذا الحق وهو التصرف في أمواله كيف يشاء من سبل الخير ومصالح المسلمين مخصوص به لا يجوز لغيره أن يمد إليه أقل اصبع لا في حياته ﷺ ولا بعد مماته فإنّ الأموال المملوكة تنتقل بحكم الله إلى ورثة هذا المالك والوارث الوحيد بعد زوجاته هي فاطمة وحدها وأقصى ما للزوجات هنا هو الثمن والنصف لفاطمة بفرض

الكتاب والثلاثة الأثمان الباقية ترد على فاطمة أيضاً بفرض القرابة لقوله تعالى: **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** فلا تتعدى النوبة إلى العباس أو علي أو غيرهما لأنّ فاطمة أولى بمحمد منهما ومن غيرهما من الهاشميين، وقد عرفت في البحوث السابقة انّ حديث أبي بكر: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة مردود عليه، فلا قيمة له كما عرفت انّ أنحاء التصرفات التي كان يقوم بها النبي في صفاياه وخوالصه وما يختص به تنقطع بموته لانتقال أعيانها إلى الوارث فلا تسري إلى الأُمراء الذين يكونون بعده فافهم تغتنم.

هذا وقد ذكر جملة من أهل الحديث والتفسير [1]: **﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾** انّ هذه الآية لما نزلت اقطع رسول الله ﷺ ابنته فاطمة فدكاً.

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج البزار وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿وآت ذا القربى حقه﴾** دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدكاً. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت: **﴿وآت ذا القربى حقه﴾**، أقطع رسول الله فاطمة فدكاً. وكذلك ذكر السيوطي [2] فقال: أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت: **﴿وآت ذا القربى حقه﴾**، دعا رسول الله فاطمة فأعطاها فدكاً. وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله.

ومثله ذكر الشوكاني في تفسيره [3] فقال: وأخرج البزار وأبو يعلى وابن أبي

---

(١) عند تعرضهم لسورة الاسراء: آية ٢٦.

(٢) في كتابه لباب النقول في أسباب النزول: ص ١٣٧.

(٣) فتح القدير: ج ٣ ص ٢١٦.

حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هـذه الآيـة: ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾، دعا رسول الله فاطمة فأعطاها فدكاً. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ أقطع رسول الله فاطمة فدكاً.

ومثله روى في منتخب كنز العمال (ج ١ ص ٢٢٨) عن أبي سعيد قال: لما نزلت: ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ قال النبي: يا فاطمة لك فدك.

وقال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان عند تعرضه للآية المـزبورة ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ معناه: وأعط القرابات حقوقهم التي أوجبها الله لهم في أموالكم. عن ابن عباس والحسن وقيل: المراد قرابة الرسول. عن السدي قـال: انّ عـلي بـن الحسين قال لرجل من أهل الشام حين بعث به عبيد الله بن زيـاد إلى يـزيد بـن معاوية: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أما قرأت ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾؟ قـال: وانكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه؟ قال: نعم. وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين عليهما السلام.

وأخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءة قال: حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال: حدثنا الحاكم الوالد أبو محمّد قال: حدثنا عبد الله عن عمر بن أحمد بن عثمان ببغداد شفاهاً قال: أخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال: حدثنا جعفر بن محمّد الأحمسي قال: حدثنا حسن بـن حسين قال: حدثنا أبو معمر سعيد بن خثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر وعن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبـي سـعيد الخدري قال: لما نزل قوله ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ أعطى رسول الله فاطمة فدكاً، قال عبد الرحمن بن صالح: كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث الذي رواه فضيل بن مرزوق عن عطية فرد المأمون فدكاً إلى ولد فاطمة ـ اهـ.

وقال ابن كثير الشامي في تفسيره على هذا الموضع قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب عن أبي يحيى التيمي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت: ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ دعا رسول الله فاطمة فأعطاها فدكاً ثمّ قال: لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلّا أبو يحيى التيمي وحميد بن حماد بن أبي الجوزاء عقب ابن كثير ذلك فقال: وهذا الحديث مشكل لو صحّ اسناده، لأنّ الآية مكية وفدك إنّما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة، فكيف يلتئم هذا مع هذا فهو إذاً حديث منكر، والأشبه انّه من وضع الرافضة.

أقول أنا: وقد أخطأ ابن كثير في الجملة والمفرد من كلامه، فإنّ قوله: انّ الآية مكية هو أوّل الكلام، بل مردود من عدة جهات: امّا سورة الاسراء فقد اختلفت كلمة المفسرين فيها، فقال الخازن في تفسيره: قال ابن الجوزي: هي مكية في قول الجماعة، إلّا انّ بعضهم يقول فيها مدني، فروي عن ابن عباس انه قال: هي مكية إلّا ثمان آيات من قوله سبحانه: ﴿**وان كادوا ليفتنونك**﴾ إلى قوله: ﴿**نصيرا**﴾ وهذا قول قتادة، وقال مقاتل: فيها من المدني: وقل ربي أدخلني، وان الذين أُوتوا العلم، وانّ ربك أحاط بالناس، وان كادوا ليفتنونك، ولولا أن ثبتناك، والتي تليها. وقال الشوكاني: هي مكية إلّا ثلاث آيات: وان كادوا ليستفزونك، وقل ربّ أدخلني مدخل صدق، وان ربك أحاط بالناس، وزاد مقاتل قوله: انّ الذين اتوا العلم من قبله.

وقال الطبرسي: هي مكية كلها وقيل مكية إلّا خمس آيات: ولا تقتلوا النفس، الآية. ولا تقربوا الزنا، الآية. اولئك الذين يدعون، الآية. أقم الصلاة، الآية. وآت ذا القربى حقه، الآية. عن الحسن: وقيل مكية إلّا ثمان آيات: وان كادوا ليفتنونك إلى قوله: وقل ربّ أدخلني مدخل صدق، الآية. عن قتادة

والمعدل عن ابن عباس عن الحسن وقيل: مكية إلّا ثمان آيات: وان كادوا ليفتنونك إلى قوله: وقل ربّ أدخلني مدخل صدق، الآية. عن قتادة والمعدل عن ابن عباس.

فهذا من ناحية الأقوال، وامّا من ناحية الساق الذي هو أهم ما يكون في تمييز المدني من المكي كما أسلفنا البحث عن جملة ذلك في القسم الثالث عن تعرضنا لما نزل من السور والآي بمكة، فإنّ قوله تعالى: **﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾** ظاهر في احالة هذا الخطاب على معهود وإلّا فابتداء الله نبيه بهذا الاجمال: وآت ذا القربى حقه، والمسكين حقه، وابن السبيل حقه، يعد من الألغاز والمعميات وهو مستحيل على الله في عالم التكليف، فإنّه ما هو حق ذي القربى والمسكين وابن السبيل حتى يؤتيهم اياه، وهذا الأمر ـ آت ـ بظاهره بل بصراحته مفيد للوجوب واجمال متعلق الوجوب يسري إليه، ومعناه عقمه وعدم قدرة المكلف على القيام به، إذ لا يدري ماذا يفعل وأي قريب يعطيه وأي شيء يعطيه وكم يعطيه وهكذا القول في حق المسكين وابن السبيل، وما يقال: انّ المراد به مجرد صلة الرحم فهو باطل لأنّ صلة الأرحام ليست بأمر محتم وإنّما هي من الأُمور المندوب اليها والأمر في الآية كنظائره يعطي الوجوب إذا تجرد عن القرائن الدالة على الاستحباب، وعلى ذلك اتفقت كلمة المحققين من الأُصوليين بل هو اللازم عقلاً ومحاورة هذا والنبي في مكة لم يكن عنده شيء حتى يكلفه الله بتكليف مالي يقوم به ازاء قرباه ومساكين المسلمين وأبناء سبيلهم، على انّ ابن السبيل من المسلمين زمان كون النبي في مكة كان من الأعدام الصرفة لانحصار جامعة المسلمين بمن معه في مكة وهم عدد الأصابع وكان منهم لمة بالحبشة على انّ جلّ قرابته يومذاك كانوا مشركين وان يكن الله لا يرى مانعاً من اعطاء الكافر ذي الكبد الحري فإنّه يمنع منه إذا كان الكافر

محارباً وكل مشركي الجزيرة كانوا محاربين لله ولرسوله وحديثهم معه في ذلك أشهر من كل حديث، ولا ريب انّ هذه الموهنات موهنات مهمة تصرف هذه الآية عن كونها مكية بلا ريب.

نعم، إنّما عرف النبي المال وحصل في يده بعد استقراره في دار هجرته وعند ذلك كلف باعطاء ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل من المسلمين والحق المرسل في هذه الآية محال به على ما هو مفصل في الكتاب العزيز نفسه من قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (٢).

والسياق الذي يشير به الله سبحانه إلى موضوع صلة الرحم والاحسان إلى الأقارب هو مثله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَاتَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ (٣)، فإنّه سبحانه صرح هنا بأنّ المنظور بذي القربى ورديفيه هو الاحسان اليهم كالقول للناس حسناً، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّائِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ (٤)، فهاتان الآيتان من سورة البقرة صريحتان بأنّ المنظور من ذكر ذي

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب هو بعث الناس المقتدرين على المواساة والاحسان والتصدق وبذل المال في سبيل الله وعلى حبه، وهذا السياق المواساتي الاستحبابي الصريح فيه غير السياق في قوله: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ فهذا أوّلاً أمر لا صارف له عن الوجوب واحالة في قوله حقه على معهود في ذلك، ولا يماري في هذا المعنى الذي أبديناه إلّا ناقص الفضل عديم البضاعة من الفن حقاً.

ولا بدع من ابن كثير إذا اندفع بمثل اندفاعه ذاك فإنّه قاصر الفضل من ناحية مخلط مخبط من ناحية ثانية سني ناصب من ناحية ثالثة وقد أثبتنا عليه كل هذه المراحل في جملة من بحوثنا معه على طول ما أسلفناه من السلاسل.

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري [١]: فحدثني محمّد بن زكريا قال: حدثني جعفر بن محمّد بن عمارة الكندي قال: حدثني أبي عن الحسين بن صالح بن حي قال: حدثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت علي بن أبي طالب قال: وقال جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين عن أبيه قال أبو بكر وحدثني عثمان بن عمران العجيفي عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن علي قال أبو بكر وحدثني أحمد بن محمّد بن يزيد عن عبد الله بن محمّد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن الحسن قالوا جميعاً: لما بلغ فاطمة عليها السلام اجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء وقال بعضهم قبطية ثمّ أنّت أنّة أجهش

(١) ج ٤ ص ٧٨ وما بعدها من الشرح الحديدي.

لها القوم بالبكاء ثمّ أمهلت طويلاً حتى سكتوا ثمّ قالت : ابتدأ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم وذكر خطبة طويلة جيدة قالت في آخرها : فاتقوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به فإنّما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السموات والأرض إليه الوسيلة ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة أنبيائه ، ثمّ قالت فاطمة ابنة محمّد : أقول عوداً على بدء وما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية ثمّ قالت : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فإن تعزوه وتجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ثمّ ذكرت كلاماً طويلاً سنذكره فيما بعد تقول في آخره : ثمّ أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي ، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، ايهاً معاشر المسلمين أبتز ارث أبي ، ترث ياابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي ، لقد جئت شيئاً فرياً فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمّد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ، ثمّ التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت اثاثة :

قد كان بعدك أنباء وهنبثةٌ ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما قضيت وحالت دونك الكثب
تجهمتنا رجال واستخف بنا ... إذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب

قال : ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ ثمّ عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت : يا معشر البقية وأعضاد الملة وحضنة الإسلام ما هذه الفترة عن نصرتي

والونية عن معونتي والغمزة في حقي والسنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: المرء يحفظ في ولده، سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم الآن مات رسول الله فأمتم دينه ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه واستبهم فتقه وفقد راتقه واظلمت الأرض له وخشعت الجبال وأكدت الآمال اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته وأنبأكم بها قبل وفاته فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾ ايهاً بني قيلة اهتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وأنتم نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختار باديتم العرب وبادهتم الأُمور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الإسلام ودرّ حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين أفتأخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون، ألا وقد أرى ان قد أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة فجحدتم الذي وعيتم ودسعتم الذي سوغتم وان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغني حميد، ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة الشعار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وقال أبو بكر بن عبد العزيز الجوهري (ج ٤ ص ٨٧ من الشرح الحديدي): وحدثنا محمّد بن زكريا قال: حدثنا محمّد بن عبد الرحمن المهلبي عن عبد الله

بن حماد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن امه فاطمة بنت الحسين قالت: لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله الوجع وثقلت في علتها اجتمعت عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ قالت: والله أصبحت عائفة لدنياكم قالية لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنأتهم بعد أن سبرتهم فقبحاً لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأي وبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم قد قلدتهم ربقتها وشنت عليهم غارتها فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين ويحهم أين زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين والطيبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي حسن نقموا والله نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله، وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لاعتلقه واسر اليهم سيراً سجحاً لا تكلم حشاشة ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً يطفح فضفاضه ولأصدرهم بطاناً قد تحير بهم الرأي غير متحل بطائل إلّا بغمر الناهل وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجباً وان تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أي لجأ استندوا وبأي عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير ولبئس للظالمين بدلا استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون، أما لعمر الله لقد لقحت فنظرة ريثما تحلب ثمّ احتلبوها طلاع القعب دماً عبيطاً وذعافاً ممقرا هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غبّ ما أسّس الأولون ثمّ طيبوا عن أنفسكم نفوساً واطمئنوا للفتنة جأشاً وابشروا

بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً فياحسرة عليكم وأنى لكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.

وقال المرتضى علم الهدى (١): أخبرنا أبو عبيد الله محمّد بن عمران المرزباني قال: حدثني محمّد بن أحمد الكاتب قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال: حدثني الزيادي قال: حدثنا الشرقي بن القطامي عن محمّد بن اسحاق قال: وحدثنا صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت: لما بلغ فاطمة اجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها، قال المرتضى: وأخبرنا المرزباني قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمّد المكي قال: حدثنا أبو العيناء بن القاسم اليماني قال: حدثنا ابن عائشة قال: لما قبض رسول الله ﷺ أقبلت فاطمة إلى أبي بكر في لمة من حفدتها ثمّ اجتمعت الروايتان من ههنا ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس ثمّ أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت كلامها بالحمد لله عزوجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ثمّ قالت: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن سنن المشركين ضارباً ثبجهم يدعوا لى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة آخذاً بأكظام المشركين يهشم

---

(١) ج ٤ ص ٩٣ من الشرح الحديدي.

الأصنام ويفلق الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر وحتى بقر الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وتمت كلمة الاخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار نهزة الطامع ومذقة الشارب وقبسة العجلان وموطىء الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلّة خاسئين يتخطفكم الناس من حولكم حتى أنقذكم الله برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي وبعد أن منى بهم الرجال وذؤبان ومردة أهل الكتاب كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة قذف أخاه في لهواتها لا ينكفىء حتى يطأ صماخها بأخمصه ويطفىء عادية لهبها بسيفه ـ أو قالت يخمد لهبها ـ تجدوه مكدوداً في ذات الله وأنتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون ـ إلى هنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشة ـ.

وأمّا عروة عن عائشة فزاد: حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبياءه ظهرت حسكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الافكين وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين وللعرة متلاحظين ثمّ استنهظكم فوجدكم خفافاً واحمشكم فألفاكم غضابا فوسمتم غير ابلكم ووردتم غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل إنّما زعمتم ذلك خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات وانى بكم وانى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم زواجره بينة وشواهده لائحة وأوامره واضحة أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثمّ لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسواً في ارتغاء ونحن نصبر منكم على مثل حز المدى وأنتم الآن تزعمون أن لا ارث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم

يوقنون، ياابن قحافة أترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمّد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون. ثمّ انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ فقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثةٌ لوكنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم قد انقلبوا

وروى حرمى ابن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً:

فليت بعدك كان الموت صادفنا لما قضيت وحالت دونك الكثب

أقول أنا: وقد سلف عن أبي بكر الجوهري مطول هذه الخطبة باسناد غير ما ذكره السيد المرتضى ثمّ قال السيد المرتضى من جملة كلام له: ان مشايخ آل أبي طالب لا يزالون يروون هذا الكلام عن آبائهم ويعلمونه أولادهم وقد حدثني به أبي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه وقد حدث الحسين بن علوان عن عطية العوفي انّه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام ـ اه ملخصاً ـ.

وأنت بعد وقوفك على ما أسلفناه من بحوث متنوعة وورودك في حلبة الآثار التي سردناها تجيء هنا قاطعاً بأنّ كل ما نطقت به فاطمة ابنة محمّد هو عين الواقع وصريحه وان مضامينه مضامين التاريخ نفسه وما احتوى عليه مأخوذ من السنة والكتاب وان القوم لم يبارزوا فاطمة إلّا بسلاح التزوير من ناحية وبقوة الموقف من ناحية ثانية، امّا سلاح التزوير فهو ما يدعيه أبو بكر وحده انّ رسول الله قال له بينه وبين نفسه: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، وامّا سلاح القوة فقد قرأت عنه قبل هذا التخاصم انّ القوم فعلوا ما فعلوا بمجرد أن

انكفأوا من السقيفة إلى المسجد ولا نعيد عليك حديثاً قد أمليناه عليك بطوله .

قال أبو بكر الجوهري [(١)]: لما كلمت فاطمة عليها السلام أبا بكر بما كلمته به حمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثمّ قال: يا خيرة النساء وابنة خير الآباء والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما عملت إلّا بأمره وان الرائد لا يكذب وقد قلت فأبلغت وأغلظت فأهجرت فغفر الله لنا ولك ، امّا بعد فقد دفعت آلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودابته وحذاءه إلى علي ، وأمّا ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً ولكننا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة فقد عملت بما أمرني ونصحت له وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب .

أقول: في هذا الحديث نقاط ضعف أشرنا إلى بعضها آنفاً فمن جملة ذلك انّه يقول: عملت بما أمرني ، ولا ريب انّ النبي لم يأمره بذلك لاعتراف القوم بأسرهم انّ رسول الله لم يستخلفه كما لم يستخلف غيره وأمر رسول الله له في هذا الخصوص موقوف على كونه هو المتصدي لأُمور المسلمين بعده وهذا لم يحصل له من النبي وإنّما يدعيه هواته له بانتخاب السقيفة لا غير وامّا الرأي الذي ينسبه للنبي وانّه لم يعده وكذلك الأمر الذي يدعي انّه من رسول الله وهو كان مستند عمله فذلك كله لم نعرفه إلّا من طريقه هو خاصة فهو مردود عليه متهم فيه أشد اتهام بل هو مكذوب على رسول الله لمناقضته للكتاب نفسه حيث يقول سبحانه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وهذا يقول: انا معاشر الأنبياء لا نورث والتصرف بما انعقدت صراحته من كتاب الله لأجل تثبيت خبر واحد محفوف بالاتهامات الغزيرة لا يجوز أصلاً وقد أسلفنا طرفاً من هذا البحث فلا نعيد.

---

(١) ج ٤ ص ٧٩ وما بعدها من الشرح الحديدي.

ولقد ناقض هذا الخليفة نفسه فجعل رسول الله يورث الآلة والدابة والحذاء ولكنه لا يورث الذهب والفضة والدار والعقار في حال انّ رواة الأثر من أبناء السنة يرون حديثه غير مبعض فيقولون انّه يروي عن رسول الله نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

وقال أبو بكر الجوهري: وروى هشام بن محمّد عن أبيه قال: قالت فاطمة لأبي بكر: انّ أُم أيمن تشهد لي أنّ رسول الله ﷺ أعطاني فدكاً فقال لها: يابنة رسول الله والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من رسول الله أبيك ولوددت أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك والله لأن تفتقر عائشة أحب إلي من أن تفتقري أتراني أعطي الأحمر والأبيض حقه وأظلمك حقك وأنت بنت رسول الله انّ هذا المال لم يكن للنبي وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه في سبيل الله فلما توفي رسول الله وليته كما كان يليه، قالت: والله لاكلمتك أبداً، قال: والله لا هجرتك أبداً، قالت: والله لأدعون الله عليك، قال: والله لأدعون الله لك، فلما حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلي عليها فدفنت ليلاً وصلّى عليها العباس بن عبد المطلب وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة.

أقول: لا منافاة بين أن تدعي فاطمة ارثها من أبيها وتقول انّ فدكاً عطية من رسول الله أعطاها لها فإنّ أموال رسول الله من الأراضي خاصة لم تنحصر بفدك بل يملك خارجاً عنها أموال بني النضير وسهمه من خيبر وهي صفاياه المعروفة، وقول أبي بكر: انّ هذا المال لم يكن للنبي وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين تكذبه كافة النقول السابقة الناصة على انّ هذه الأموال كانت مختصة برسول الله خالصة له دون كل أحد وكون رسول الله في حياته يصرف ريعها في مصالح المسلمين لا ينافي مالكيته لها كما أسلفنا الحديث عن ذلك، وقد أخطأ ابن أبي

قحافة في قوله : وليته كما كان يليه فإنّ ولاية رسول الله على أمواله ولاية مالك على مملوك قد جعل الله فيه سلطنة مطلقة وابن أبي قحافة على فرض تصحيح الخلافة له ليس له أن يتصرف بأموال الناس ولا أن يقول انّ صاحب هذا المال كان في حياته يصرفه في هذا اللون من المصرف فأنا أحذو حذوه. وأمّا قوله لفاطمة : لا هجرتك أبداً ولأدعون الله لك فهو قول من وصل من خصمه إلى أقصى حد يرضيه وهل تنجع هذه الكلمات الباردة وكانون اللهب الحار قبيل ساعات كان يلتهب على باب فاطمة هذه وما أحراه لعمري في مقاله هذا بقول القائل :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

وامّا انّ فاطمة ماتت هاجرة له فهو مما لا شبهة فيه. روى أحمد [١] عن عائشة انّ فاطمة بنت رسول الله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه فقال أبو بكر : انّ رسول الله قال : لا نورث ما تركنا صدقة فغضبت فاطمة عليها السلام فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت.

وروى البخاري [٢] بسنده عن عروة بن الزبير انّ عائشة أخبرته انّ فاطمة ابنة رسول الله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر : انّ رسول الله قال: لا نورث ما تركنا صدقة فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت.

---

(١) في المسند: ج ١ ص ٦.

(٢) ج ٢ ص ١٢٠ باب فرض الخمس من صحيحه.

وروى البخاري [١] عن أبي الوليد عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة انّ رسول الله قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني. وأعاد ذلك في باب مناقب فاطمة (ص ١٩٧) كما كرر قول النبي ﷺ: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، في البابين أيضاً.

وفي منتخب كنز العمال [٢]: إنّما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها، أحمد في المسند والترمذي والحاكم في المستدرك.

وفيه أيضاً (ص ٩٧ من ج ٥): يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأُمّة، الحاكم في المستدرك عن عائشة.

وفيه أيضاً (المصدر نفسه): يا فاطمة انّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك، الطبراني في الكبير وأبو نعيم في فضائل الصحابة وابن عساكر عن علي.

وفيه أيضاً (المصدر نفسه): إنّما فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها، الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن المسور.

وللمحب الطبري [٣] عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة، إلّا أن يكون الذي ولدها ﷺ. أخرجه أبو عمر والحديث في متشتت فضائلها ومناقبها كثير، ولو أراد محص احصاء ذلك لجمع منه مجموعاً واسعاً وما بنا فعلاً إلى ذلك حاجة. لكن النبي الذي لا يقول القول إلّا عن حق ولا يرسله إلّا عن صدق وتدبر لما يقع عليه لم يقل مفاد الأحاديث الآنفة في حق ابنته

---

(١) ج ٢ ص ١٩٣ باب مناقب قرابة رسول الله.

(٢) ج ٥ ص ٩٦ باب مناقب فاطمة.

(٣) في ذخائر العقبى: ص ٤٤ في الباب الذي عقده لفاطمة.

فاطمة إلّا وهو جد عالم انها من تمام مصاديقه وانها لا تغضب للهوى النفسي ولا تنقبض للميل الشخصي وانها مؤيدة مسددة لا يكون لها رضا إلّا بما فيه لله ولرسوله رضا ولا غتضب إلّا لحق تراه لا يعمل به، وحاشا الله ورسوله أن يغضبا لغضبها هي لا تكون في غضبها ورضاها كذلك، ولا ريب انها لم تهجر أبا بكر ولم تغضب من عمله إلّا لأنّه تعدى حدود الله فيها وحال بينها وبين حقها الثابت لها وذلك من أقوى الأدلّة على انحراف أبي بكر عن مجاري الحق تعمداً وتقصداً ويستحيل أن يجتمع غضب الله وغضب رسوله تبعاً لغضب فاطمة من عمل أبي بكر ويكون عمله صحيحاً وما يدعيه من انّ الرسول قال له: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، له حيز من الواقع لما بين ذاك وهذا من التناقض الصريح.

قال أبو بكر الجوهري (المصدر نفسه): وحدثني محمّد بن زكريا قال: حدثنا جعفر بن محمّد بن عمارة بالاسناد الأوّل قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها وشق عليه مقالتها صعد المنبر فقال: أيّها الناس ما هذه الرعه إلى كل قالة لئن كانت هذه الأماني في عهد رسول الله ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه مرب لكل فتنة هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء كام طحال احب أهلها اليها البغي ألا اني لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت اني ساكت ما تركت ثمّ التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ألا اني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا ثمّ نزل فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها.

قال ابن أبي الحديد: قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح، قلت: لو

صرح لم أسألك، فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب، قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله؟ قال: نعم، انّه الملك يا بني، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علي فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم فسألته عن غريبه فقال: امّا الرعة بالتخفيف أي الاستماع والاصغاء والقالة القول ثعالة اسم الثعلب علم غير مصروف مثل ذؤالة للذئب وشهيده ذنبه أي لا شاهد له على ما يدعي إلّا بعضه وجزء منه وكروها جذعة أعيدوها إلى الحال الأُولى يعني الفتنة والهرج وأُم طحال امرأة بغي في الجاهلية ويضرب بها المثل فيقال أزنى من أُم طحال.

أقول أنا: ولا يكاد يقضي عجبي من تردد ابن أبي الحديد في صراحة القول الصادر من أبي بكر في حق علي وفاطمة والأنصار ـ ولكنها عين الرضا ـ وقد أخطأ أبو بكر لعمري وضلّ بكلامه هذا ضلالاً بعيداً عن الحق فإنّ فاطمة ابنة محمّد ليست بمنزلة ثعالة ولا علي بمنزلة ذنبه ولا يقال هذا القول إلّا للمتهم المستراب فيه ومقام فاطمة وعلي أجلّ من كل جليل وأعلا من كل شيء يتصور بعد مقام رسول الله ﷺ، وكون علي كان يقول كروها جذعة زعم يفنده ان عليّاً لو أراد ذلك لضاق بابن أبي قحافة كل وسيع، وقد أسلفنا هذا البحث وكونه عليه السلام يستنصر بالنساء إنّما يريد به فضيحة المؤلبين وان خلافة هؤلاء النفر إنّما تمت بالرموز الباطلة كما مر عليك حديث ذلك مفصلاً. وقد قال الأنصار كلهم تلك المقالة ـ نريد أن نبايع عليّاً ـ لا كما زعم أبو بكر انّ السفهاء منهم قالوا ذلك فقط وقد كذب في قوله: لو أشاء أن أقول لقلت فإنّه لم يترك رطباً ولا يابساً في مقاله هذا إلّا قاله ونسب فيه آل الله الربانيين إلى النسب الباطلة بما هو أليق بها منهم بطور قاطع، فإنّه بالنسبة إلى هذا البيت الذي يقدسه أهل الملك والملكوت هيان بين بيان.

وقال أبو بكر الجوهري (المصدر نفسه): وحدثني محمّد بن زكريا قال:

حدثني ابن عائشة قال: حدثني أبي عن عمه قال: لما كلمت فاطمة أبا بكر بكى ثمّ قال: يا ابنة رسول الله والله ما ورث أبوك ديناراً ولا درهماً وانّه قال: انّ الأنبياء لا يورثون، فقالت: انّ فدكاً وهبها لي رسول الله، قال: فمن يشهد بذلك؟ فجاء علي بن أبي طالب فشهد وجاءت أُم أيمن فشهدت أيضاً فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا انّ رسول الله كان يقسمها، قال أبو بكر: صدقت ياابنة رسول الله وصدق علي وصدقت ام أيمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن، وذلك انّ مالك لأبيك كان رسول الله يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله فما تصنعين بها؟ قالت: أصنع بها كما يصنع بها أبي، قال: فلك علي الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك، قالت: الله لتفعلن، قال: الله لأفعلن، قالت: اللهم اشهد، وكان أبو بكر يأخذ غلتها فيدفع اليهم منها ما يكفيهم ويقسم الباقي، وكان عمر كذلك ثمّ كان عثمان ثمّ كان علي.

أقول: هذا الحديث يدل على جهل أبي بكر دلالة واضحة صريحة فإنّ تصديقه للصديقة بأنّ رسول الله وهبها فدكاً قاض عليه بأنّه ملك طلق لها، نعم لا ينافي ذلك شهادة ابني الخطاب وعوف انهما عهدا رسول الله يتصرف بعائدها وينفقه في مصالح المسلمين فإنّ رسول الله قبل هبتها من ناحية لبنته كان مالكاً مطلق الارادة يتصرف بها كيفما يشاء وبعد هبتها لابنته لابد أن يكون مستجيزاً منها بما يخوله التصرف المطلق ولم يكن بين محمّد وابنته أي حاجز بعدما تبادلت بينهما المحبة بما لم تتبادل بين أي أب يفرض وأي ابنة تكون، ضرورة العيان قاضية بذلك، فشهادة ابني الخطاب وعوف لا تتنافى أقل طرف من دعوى فاطمة؛ ومن الغلط أن يقول لها: فما تصنعين بها، فإنّ المالك لا يسأل عما يفعله في ملكه، وإذا قالت له أصنع بها كما يصنع بها أبي فذلك لأنّها مالكة مطلقة التصرف تفعل ما تشاء كما كان أبوها يفعل بذلك ما يشاء، وامّا قوله: فلك علي الله

أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك فذلك زائد منه بعد تصديقه اياها انها مالكة فإنّ هذا العهد إنّما يجوز له أن يعطيه في الأموال العامة للمسلمين لا في الملك الخاص لآحاد الناس، وامّا انّ فاطمة أقرته على ذلك ورضيت به فهو من ارتجال التاريخ فإنّها لم تزل مغاضبة له حتى ماتت.

وامّا قوله في الحديث المذكور: انّ علياً كان يفعل في فدك كما كان يفعل الأشياخ قبله فإنّ ذلك إن صحّ للفوارق المهمة بينهم وبينه فإنّه مالك مختار كما كان رسول الله كذلك، وأمّا الأشياخ الثلاثة فهم أجانب عن هذا المطلب، وإنّما فعلوا ما فعلوا عدواناً واغتصاباً محضاً فليس بينهم وبينه طرف قياس والملك جاء علياً من طرف زوجته أصالة ومن تفويض أبناءه منها ولاية ورعاية وهو عليه السلام قال في ضمن كتابه لعثمان بن حنيف[1] منددأ بفعل هؤلاء الأشياخ الغاصبين: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله وما أصنع بفدك وغير فدك... الخ.

وقال أبو بكر الجوهري: أخبرنا أبو زيد عن محمّد بن عبد الله بن الزبير عن فضيل بن مرزوق عن البحتري بن حسان قال: قلت لزيد بن علي وأنا أُريد أن أهجن أمر أبي بكر: انّ أبا بكر انتزع فدكاً من فاطمة، فقال: انّ أبا بكر كان رجلاً رحيماً وكان يكره أن يغير شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتته فاطمة فقالت: انّ رسول الله أعطاني فدكاً فقال لها: هل لك على هذا بينة فجاءت بعلي فشهد لها ثمّ جاءت أُم أيمن فقالت: ألستما تشهدان اني من أهل الجنة؟ قالا: بلى: قال أبو زيد يعني انها قالت لأبي بكر وعمر قالت: فأنا أشهد انّ رسول الله أعطاها فدكاً،

---

(١) ج ٤ ص ٧٧ النهج الحديدي.

فقال أبو بكر: فرجل آخر أو امرأة أُخرى لتستحقي بها القضية ثمّ قال زيد: وايم الله لو رجع الأمر الي لقضيت فيه بقضاء أبي بكر.

أقول: في قوله: انّ أبا بكر كان رجلاً رحيماً وكان يكره أن يغيّر شيئاً فعله رسول الله قلق ظاهر فإنّه لا ربط لكونه رجلاً رحيماً بأنّه كان يكره تغيير ما كان يفعله رسول الله فإنّ من يخلف رسول الله على مسنده الشرعي شديداً كان أم رحيماً لا يجوز له أن يخالفه، ثمّ الرسول كانت له شؤون خاصة وشؤون عامة وان تصرفه في أمواله وأهله وعياله وكيفية النفقة عليهم ومشيه معهم من شؤونه الخاصة به لا تتعداه إلى الأجانب بواضح الضرورة، فكون أبي بكر وجد النبي يتصرف بأمواله الراجعة له من بني النضير وسهم خيبر وفدك هذا النوع من التصرف يأكل بعضاً لنفسه ولأهله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين لا يكون ذلك مسوغاً له أن يطأ في أمواله صلى الله عليه وآله وسلم أثره فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان مالكاً والمالك مسلط على ماله وهو أجنبي عن هذا الموضوع لا ربط له به وان يكن له ربط ففي الشؤون العامة.

وامّا كون فاطمة تستحق هذه الأملاك ارثاً عن أبيها فمما يثبته لها الكتاب العزيز بأدلته العامة والخاصة في الإرث وسنن الطبيعة في كافة مواليدها وانّه لا يموت الإنسان إلّا ويرثه أهله الأقرب إليه فالأقرب ودعوى أبي بكر انّه سمع من النبي نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة دعوى مجردة تحتاج إلى اثبات وهيهات منها الثبوت وهي تناقض الصراحة مما نص به الكتاب العزيز من انّ الأنبياء يورثون.

ومطالبة أبي بكر من فاطمة البينة على دعواها انّ اباها أعطاها فدكاً مطالبة لا يستحقها إلّا بعد أن تثبت دعواه هو انّ النبي لا يورث وهي بعد في حيز التدافع فإنّ أموال النبي ـ شأن غيره ـ لورثته وليس لأحد أن ينازع الوارث في حقوقه

المسلمة ولم ينف هذا التسليم إلّا أبو بكر وحده فهو مفترض لدعوى تخالف الكتاب والسنة وسنن الكون فعليه البينة هو لا هي لأنّ المدارك العلمية بأسرها معها وليس منها شيء معه .

ثمّ لا يرتاب مسلم انّ فاطمة وعليّاً اللذين عززتهما الشريعة المحمدية تعزيزاً عدم نظيره في كل أحد يتصور بعد النبي ﷺ لا يحتمل في أقل مدعياتهما طرف من التزوير والكذب وحاشاها عن توهم النسبة إلى ذلك فإنّه من المستحيل أن يغضب الله والرسول لغضب الكاذب ويكونا حرباً لمن حاربه وسلماً لمن سالمه كما يستحيل أن تكون فاطمة وفي كلامها أقل شوب من خلاف الواقع سيدة نساء أهل الجنة وسيدة المؤمنين وسيدة نساء العالمين كما يستحيل على علي أيضاً أن ينسب إلى المواطاة على الباطل وفيه كل القابليات العالية ما سوى النبوة نفسها فادعاء مثل هذين الانسانين دعوى واصرارهما عليها وهي من طراز الماديات التي زهد فيها أهل هذا البيت زهداً ماله من نظير وعرف الخافقان لهما ذلك مما يولد اليقين في قلب كل مسلم معتقد بدين محمّد حقاً انهما صادقان ولا يحكيان إلّا عن متن الواقع ، ولا ريب انّ هذه اليقينات حاكمة على كل الأُصول والقواعد الظاهرية ، لأنّ هذه الأمور قد تخالف الواقع كثيراً فإنّ احتمال الكذب في البينة التي تقام ليس ببعيد والحلف كذباً ممن كلف به جد قريب ولأنّ هذه الوسائل إنّما اعتد بها لحكايتها عن الواقع فيما يظهر عليها وإنّما اعتبرت مع احتمال هذه الموهنات فيها لأنّها أقصى ذريعة تتصور في الايصال إلى الواقع وحسم المنازعات ولو فرض انّ المدعى صادقاً كان أم كاذباً تكتب حقيقة دعواه على جبينه بمجرد اصحاره بما يدعيه حتماً لما شرعت هذه الوسائل ، إذاً فلا ريب انّ هذه الملاكات إنّما يصح اجراؤها في مقام انستار الواقع لا انكشافه كما هو الفرض .

فإن قلتَ: وأبو بكر ممن شهد له الرسول بالجنة وهو بعد من أكابر الصحابة فلم تتهم روايته عن النبي انّه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

قلتُ: كل المحسنات التي تذكر له من جهة أبناء السنة فهي من رواياتهم في حقه ولا نقبلها من عدة جهات:

الجهة الأُولى: انّ فصول السيرة من أولها إلى آخرها لا ترى هذا الإنسان في كافة ميادين الفضل إلّا راجلاً عارياً لا يملك حسنة واحدة، نعم هو من قدماء المسلمين والصحابة، وامّا انّه أكبرهم أو من أكابرهم فلا، لأننا عندما نستعرض أبواب التاريخ العمومي لا نرى ما يشخص به كما شخص بسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وأفاضل الصحابة المعروف كل واحد منهم بمزية واحدة أو مزايا متعددة من علم ونسك وعبادة وزهادة وشجاعة وتفان في الله وتأييد دينه ونرى كلما يدعى له من مزية إنّما هو عنوان فارغ لا يشف عما تحته وسنتعرض في ختام هذا الفصل لذلك.

الجهة الثانية: انّه ظالم غاصب متعدي، ونفس حديث السقيفة بشتى ألوانه وضروبه كاف في اثبات ذلك عليه، وقد أسلفنا جمله ومفرداته فلا نعيد.

الجهة الثالثة: انّ شارة الصنعة والاختلاق ظاهرة بصراحة على ما يروي السنة في حقه وشاهد ذلك انّ جملة من الطرق التي تتكفل به تنتهي إلى أمير المؤمنين علي وإلى الأئمّة من أهل بيته وإلى الصحابة المتأكدين في صحبته الذين لا يرون أبا بكر وتالييه إلّا غاصبين لحقوق أهل هذا البيت، وهؤلاء بأسرهم بالضرورة من حالهم جميعاً لا يرون هذا الفريق ومن يمت متهم ومن شايعهم وبايعهم ومشى على منوالهم إلّا متجرمين ليس لهم من الحق الذي اجلبوا عليه أقل طرف وهذا معروف من دينهم، وإنّما خضعوا وسكتوا لأنّهم لا يرون بداً من الخضوع لوقوفهم أمام محذورين قويين: الأوّل تدهور الدين بالفتن إذا

عاكسوا، والدين عندهم عزيز. والثاني: انّ أوباش الناس لا يحترمونهم إذا هاج بهم هائج، وكفى مصداقاً لذلك انتصار أهل الشام ومن والاهم لمعاوية ومحاربتهم لعلي أشد حرب، ونظير هذا كثير في حوادث التاريخ ولذلك أصاخوا.

وأمّا علي وأهل بيته ففضلاً عن حديث السقيفة وما فيه فهذه تأوهاتهم وانزعاجاتهم لا تزال تخرق القرون فترن في الأسماع وليس من المعقول أن يكونوا هم ممن يشهد بفضل الفريق المتحدث عنه وشيعتهم على ضدهم في ذلك كما انّه ليس من المعقول أن يكون أبو بكر وتالياه وكل تابع لهم محبين لأهل البيت مقدسين لمقامهم محترمين لجانبهم وتأتي شيعتهم نواصب فهذا النصب في المقلدين مأخوذ عن المراجع المستقي منها كما انّ التشيع الصحيح في الشيعة العارفين مأخوذ عن أئمتهم طابق النعل بالنعل.

هذا فضلاً عن انّ حديث أبي بكر مما يوهنه الكتاب العزيز والسنن الكونية والاعتبارات الصادقة وقد مرّ بيان ذلك فكيف يستسيغ المؤمن من ناحية المتشرع من ناحية ثانية العاقل من ناحية ثالثة أن يعتد بهذا الحديث المخالف لعناصر المدارك العلمية.

◘ البحث الثاني: اعترافه بنقصه من عدة جهات:

روى المتقي الهندي [١] عن الحسن انّ أبا بكر خطب فقال: أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً ولوددت أنّ فيكم من يكفيني أفتظنون اني أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ إذاً لا أقوم بها انّ رسول الله كان يعصم بالوحي

---

(١) في منتخب كنز العمال: ج ٢ ص ١٦١.

وكان معه ملك وان لي شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فاحتملوني ان لا اؤثر في اشعاركم وابشاركم وإلّا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني. ابن راهويه وأبو ذر الهروي في الجامع.

وفي الامامة والسياسية لابن قتيبة (ج ١ ص ١٦) ولقد قلدت أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يد ولوددت اني وجدت أقوى الناس عليه مكاني فأطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ثمّ بكى وقال: اعلموا أيّها الناس اني لم أجعل لهذا المكان ان أكون خيركم ولوددت انّ بعضكم كفانيه ولئن أخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي وما أنا إلّا كأحدكم فإذا رأيتموني قد استقمت فاتبعوني وان زغت فقوموني واعلموا انّ لي شيطاناً يعتريني أحياناً فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا اؤثر باشعاركم وابشاركم ثمّ نزل.

وفي منتخب كنز العمال أيضاً (ج ٢ ص ١٥٨): انّ أبا بكر حين استخلف قعد في بيته حزيناً فدخل عليه عمر فأقبل يلومه وقال: أنت كلفتني هذا الأمر وشكى إليه الحكم بين الناس فقال له عمر: أوما علمت انّ رسول الله قال: انّ الوالي إذا اجتهد فأصاب الحق فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ الحق فله أجر واحد، فكأنّه سهل على أبي بكر. ابن راهويه وخيثمة في فضائل الصحابة.

النقص الأوّل: انّه ولي امور الناء مع اعترافه انّ فيهم من هو خير منه ـ أما والله ما أنا بخيركم ـ ولا يجوز ببداهة العقول أن يتقدم الناقص إلى تسنم الزعامة الشرعية المبتنية على الفضل العميم مع وجود من هو أتم منه وأكمل وأفضل، ونفس ادعاءه الامامة على من هو أفضل منه وأخذ البيعة منه على أن يعمل في حقه بكتاب الله وسنة الرسول وما يؤدي إليه اجتهاده فيه من الموهنات والتعديات ما لا يخفى، فإنّ كمال اطلاع الأفضل نص ومعه لا اجتهاد للناقص فى

مورده فكيف يترأس هذا الناقص على ذاك التام رياسة دينية مأخوذاً فيها جنبة العلم والفقاهة مضافاً إلى جنبة القدس والورع والتقوى ويعمل في حقه بما لا يحيط به احاطة من تراس عليه وجعل مقامه ومنزلته منه مقام الامام من المأموم، وهذا أشبه ما يكون بتلمذ العالم عند الجاهل وتقليد الكامل للناقص وهو من الأُمور المفتضحة التي لا يسيغها العقل.

وقد أخطأ من أبناء السنة من قال: الحمد لله الذي قدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف[1] فإنّ تقديم المفضول على الأفضل بهذه الموازنة قبيح ببداهة العقول والقبائح العقلية مستحيلة على الله، ومما لا ريب فيه انّ التكليف دائماً في حاجة إلى الأكمل الأصلح الأفضل وليس شيء يراد فيه الكمال والصلاح والنظام وهو في حاجة إلى أضدادها فما قاله هذا الإنسان شطحة من شطحاته.

النقص الثاني: انّ فيه شيمة مرذولة لا تؤمن بوائقها ـ انّ لي شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني لا اؤثر في اشعاركم وابشاركم ـ وهذا ما يفسر بالجنون الأدواري انصافاً، ومثل هذه الغريزة التي ـ باعتراف صاحبها ـ لا تؤمن بوائقها ونتائجها السيئة في الناس على غير استحقاق منهم لذلك تمنع صاحبها أن يتقدم للحكومة على الناس ومعالجة أوضاعهم وتعديل نظامهم، فإنّ هذا الشخص في نفسه بهذه السمة يحتاج إلى من يحافظ عليه حتى لا تسري أذيته ومكروهه إلى الناس.

النقص الثالث: انّه يجد في نفسه قصوراً عن ادارة وظيفته ويتهم نفسه اتهاماً كأنّه شبيه المحسوس له والامام الشرعي تشترط فيه الكفاية والقدرة التامة على

---

(١) ج ١ ص ٢ من الشرح الحديدي.

ادارة منطقته ويعتبر فيه التوثق التام من نفسه وإلّا فما أقل وأجهل الامام وهو الولي المسيطر والقائم الممثل لله في عباده أن يستمد التعديل والتثقيف والتقويم من مأموميه الذين هم إنّما قدموه ليستفيدوا منه ما هم بحاجة إليه فإذا تساوت الكفتان بينه وبينهم فهم يعلمون طرفاً ويجهلون طرفاً وهو كذلك وهم يستقيمون مرة ويزيغون أُخرى وهو مثلهم فما الذي ليت شعري ـ يوجب تقدمه عليهم وأخذ البيعة منهم وانّه امامهم الشرعي وهم مأموموه ؟ ـ ويكفي في حسه من نفسه القصور عن واجب المقام الذي قام فيه وتصدى له قوله لعمر ـ في الخبر السالف أنت كلفتني هذا الأمر ـ وشكواه إليه الحكم بين الناس ، فإنّ المختبر لنفسه الواقف على ما عنده من بضاعة وقدرة لا يظهر العجز على ما هو قادر عليه كالاستاذ المحاضر الذي يدري انّه يفي بما تصدر له على كل حال فيه ان ينقض وبه أن يبرم وبه أن يشكل وبه أن يحل اشكالاً وهلم دواليك مما هو من شؤون مثله .

وقد أخطأ عمر في تطبيقه مقالة الرسول : انّ من اجتهد فأصاب الحق فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ الحق فله أجر واحد على قصور أبي بكر ، فإنّ الاجتهاد الذي يعذر فيه صاحبه عند الخطأ ويثاب عليه عند الاصابة ما كان عن بضاعة تامة فيما اجتهد فيه بأن يكون وارداً في كل ما يتصل بالباب فحصاً وتدقيقاً يعذر بعدهما ، وإلّا فصرف اجالة الرأي مع قصور عن الاحاطة بأطراف الموضوع لا يقال له اجتهاد شرعي ويعاقب مثل هذا المجتهد ولو أصاب الحق صدفة لتجريه على أحكام الدين وعدم مبالاته بالشرع وجسارته على ما ليس له إلّا الخضوع فيه والطلب من أهله والتأني في كسبه ودركه . فلتفهم هذه النقاط دقيقاً فإنّها أهل لذلك .

وتدلك المعنويات الضخمة على مظانها الصحيحة من اصحار علي عليه السلام دائماً

بقوله: سلوني قبل أن تفقدوني وهو عليه السلام مع انّه معروف في زهده وورعه ومزيد تقواه لم تمنعه هذه الملكات الراسخة في باطنه أن يتقدم بجرأة ورباط جأش إلى الاصحار بمثل تلك الكلمة العظيمة التي ما سبقه بها قائل ولا لحقه لاحق، وما ذلك إلّا لتوثقه من نفسه ومزيد اطمئنانه بما هو حاضر عتيد عنده.

ولقد كذب ابن أبي قحافة في قوله الآنف: ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، فإنّ الذي يخبط الناس في الطرق ويأخذ البيعة منهم شاؤوا ذلك أو أبوا ويهجم على بيت فاطمة ذلك الهجوم العنيف ويرضخ الرضائخ لأبي سفيان حتى يسكت ويقتطع وذرة من امارته للعباس بن عبد المطلب حتى يقطعه من جانب علي لا يجوز له أن يقول هذه المقالة ولا أن تستشم رائحتها منه.

▣ البحث الثالث: اعترافه بجهله علماً وعملاً

وصدور ما لا يرى وجهاً لوقوعه منه واغفال ما من حقه أن لا يكون أغفله: روى المتقي الهندي [١] عن عبد الرحمن بن عوف انّ أبا بكر قال له في مرض موته: اني لا آسي على شيء إلّا على ثلاث فعلتهن وددت اني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن ووددت اني فعلتهن، وثلاث وددت اني سألت رسول الله عنهن، فأمّا اللائي فعلتها ووددت اني لم أفعلها: وددت اني لم أكن كشف بيت فاطمة وتركته وان أغلق على حرب، ووددت اني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت اني حيث وجهت خالداً إلى أهل الردة أقمت بذي القصة فإنّ ظهر المسلمون وإلّا كنت بصدد لقاء أو مدد. وامّا الثلاث التي تركتها ووددت اني

---

(١) في منتخب كنز العمال: ج ٢ ص ١٧١.

فعلتها: فوددت اني يوم أتيت بالفجأة لم أكن أحرقته وقتلته صريحاً أو أطلقته نجيحاً، ووددت اني حيث وجهت خالداً إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت يدي يميناً وشمالاً في سبيل الله. وأمّا الثلاث التي وددت أني سألت عنها رسول الله: فوددت اني سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله، ووددت اني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر شيء، ووددت اني سألته عن ميراث العمة وابنة الأخت فإنّ في نفسي منهما حاجة. أبو عبيدة في كتاب الأموال، والعقيلي في الضعفاء، وخيثمة بن سليمان الاطرابلسي في فضائل الصحابة، والطبراني في الكبير، وابن عساكر، والضياء المقدسي في المختارة، وقال انّه حديث حسن.

وأورد ابن قتيبة هذا الحديث [١] عند تعرضه لمرض أبي بكر الذي توفي فيه غير انّ فيه مكان ابنة الأُخت بنت الأخ وتغييراً يسيراً في التعبير لا وزن له، وأورد ابن أبي الحديد عين الحديث المزبور [٢] فلا نعيد.

فأبو بكر معترف بخطأه ـ ولكن بعد أن نال جميع مقاصده وهيأها لعديله عمر بن الخطاب في كشفه بيت فاطمة وتهجمه عليه واحضار الحطب على بابه واخراج من فيه قسراً يطحى بهم إلى البيعة ركضاً، ولا ريب انّه فعل ذلك عامداً وتولى القيام به قاصداً غير ملتفت إلى ما يدوس في طريقه من حرمة وحريم وما يرتكب من اساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خير أهل بيته وأفضلهم في كل المحاسن وأبعدهم عن المساوىء وأقربهم إلى الله وإليه وأحبهم لله وللرسول بصحيح الأثر وصادق الاعتبار. كما اعترف بعجزه وقصوره وعدم أهليته للمقام

---

(١) في كتابه الامامة والسياسة: ج ١ ص ١٨.

(٢) ج ١ ص ١٣٠ من الشرح الحديدي.

الذي اغتصبه من أهله بقوله : وددت اني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق احد الرجلين أبي عبيدة أو عمر فكان أميراً وكنت وزيراً ، وهو يظن انّه لو فعل ذلك لكان في راحة من مسؤولية ما قام به ولم يدر انّ من أعان على ضلالة كان سهيماً فيها وليته إذ تمنى أصاب في امنيته ولم يبق يتردد في تيه الضلالة ومن هو أبو عبيدة وعمر في قبال علي هذا الإنسان الجامع لشتات الفضائل بما أعجز غيره واعترف الغير باحتياجه له وقصوره عن محاذاته .

وأبو بكر هذا نفسه الذي انكشف له خطأه بجهار فضلاً عن تقبله للأشعث بقبول حسن واطلاقه اياه من وثاق الأسر زوجه اخته جبراً لردته والأشعث حقا كما ظن فيه أبو بكر لا يرى شراً إلّا أعان عليه وهو كان حتى الموت أخبث خلق الله ضميراً وأبعدهم عن الحق طوية ولا أعتقد انّه خرج من الكفر إلى الإسلام أصلاً فإنّ المرء مرتهن بحركاته وهو لا زال كافر الحركات .

وقد انحرف أبو بكر في قوله وفعله انحرافاً بعيداً حيث يقول : وددت اني يوم أتيت بالفجأة لم أكن أحرقه وقتلته صريحاً أو أطلقته نجيحاً ، فإنّ كلا من الاحراق والقتل الصريح والإطلاق النجيح حكم بحياله لا يجوز الأخذ به إلّا بمدرك شرعي ، وكم من شقة وفاصلة بين هذه الأحكام ، فأبو بكر قد ارتكب واحداً منها وهو حين ارتكبه وإلى ان مات يجهل مدرك ما ارتكبه ومنى نفسه بواحد من أمرين متناقضين هو القتل الصريح والإطلاق النجيح ، فانظر إليه تجده حتى في أمانيه جاهلاً ، فإنّ القتل مما يحتاج إلى مجوز والإطلاق النجيح كذلك فكيف يلتئم هذان النقيضان في حق انسان واحد من جهة واحدة شرعاً .

وكيف سارع أبو بكر إلى انتهاب الخلافة وهو لا يدري انها حق لأي انسان ، فما الذي برّر له ما فعل وما الذي اتكأ عليه من المدارك الشرعية حين أقدم ؟

وهذا أبو بكر الذي لا يدري انّ للأنصار حقاً في الخلافة لو انعقدت لانسان

غيرهم كيف ساغ له أن يجعلهم وزراء؟ نعم سوغ له ذلك استمالة عواطفهم حتى يأخذ منهم البيعة لنفسه ويستريح من خلافهم، وهذه الرموز السياسية لا ينبغي له أن يعدها في مصاف الأُمور الشرعية فيتمنى انّه لو التفت إلى هذا المطلب زمان حياة الرسول لسأله عن ذلك.

واشتبه أبو بكر اشتباهاً واضحاً في اقتصاره على مورد ميراث العمة وابنة الأُخت في الاستفسار عن حكمهما من رسول الله ﷺ فإنّه وإلى أن مات يجهل أضعافاً من ذلك في أبواب الإرث فضلاً عن غيره، ومن يكن بهذا النقصان الفاحش في العلم والعمل كيف ساغ له أن يدفع بصدره إلى تناول الخلافة، نعم هوى الأنفس سابق على حكم الضمير وقديماً قيل: يا حبذا الامارة ولو على الحجارة.

وروى المتقي الهندي [١] عن الشعبي قال: سئل أبو بكر عن الكلالة فقال: اني أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له وإن كان خطئاً فمني ومن الشيطان، والله بريء أراه ما خلا الوالد والولد.

أقول: قد يرى أبناء السنة هذه العبارة من أبي بكر مع هذه التشريفات من دلائل احتياطه ومزيد تورعه ولكنهم لم يدركوا خطأه في رومه للاجتهاد في مثل هذه الموضوعات فإنّ المجتهد ان يكن له جولان ففي ما يستفيده من حكم الموضوع المنكشف له لا في الموضوع المعمى عليه، سواء أدرك حكمه أو لم يدركه، فعنوان الكلالة المترتب عليه حكم شرعي ان عرف الفقيه معناه لأنّه من الموضوعات العرفية مثلا وهو من أهل العرف أو كانت له حقيقة شرعية وتلقاها عن الشرع فلا مانع له من أن يقول: الكلالة وهي عنوان هذا معنونه ومن حكمها

---

(١) في كتابه منتخب كنز العمال: ج ٤ ص ٢٢٩.

كذا وان لم يعرف الفقيه معناه لأنّه لم ينعقد له معنى عرفي ولم يتلق حقيقته المرادة للشارع عنه وان وصل إليه ان الشارع قال: الكلالة حكمها كذا فليس له أن يقول: أرى انّ الكلالة هذا معناها فإنّه تخرص بحت لا قيمة له، كما يخطأ العربي الغير الوارد باللغات اللاتينية إذا أظهر رأيه في كلمة منها، نعم إنّما يصح الاجتهاد في كسب الحكم من مدركه لأنّ له طرقاً يتمكن بعد استفراغ وسعه فيها أن ينوشه ويتصل به وامّا الموضوعات فهي ليست من شأنه ولا يجوز أن يتصرف فيها إذا انسدت عليه معانيها وما يراد بها فهذا الخليفة فضلاً عن انّه لم يوقفنا على مدرك رأيه الذي من أجله أصحر به لم يدرك انّ الاجتهاد في الشرع ما هو منفذه وعلى أي ضفة يكون مسيره ومن الغرائب أن يجهل مدعي الوظيفة وظيفته.

وتتبع نقاط الضعف في هذا الخليفة يخرج بنا عن خطّة الكتاب والكفاية بما أسلفناه، ونشير فعلاً إلى خلاصة ما كان عن خالد في بني يربوع وقتله لمالك بن نويرة وجماعته وبناءه بامرأته أُم تميم بنت المنهال من ساعته وسبي ذراريهم مع ظهور امارات الإسلام عليهم واغتفار أبي بكر كل ذلك له مع انّ عمر شدد عليه في ذلك فلم يعبأ به [١]، وفي ختام المناضلات بين السيد المرتضى وقاضي القضاة قال الشارح المعتزلي: ولست انزه خالداً عن الخطأ وأعلم انّه كان جباراً فاتكاً لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه ولقد وقع منه في حياة رسول الله ﷺ مع بني جذيمة بالغميصاء أعظم مما وقع منه في حق مالك بن نويرة وعفا عنه رسول الله ﷺ بعد أن غضب عليه مدة وأعرض عنه وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل ببني يربوع ما فعل بالبطاح.

---

(١) راجع لاستطلاع ذلك ما شئت من كتب التاريخ ومن جملتها: ج ٤ ص ١٨٣ وما بعدها من الشرح الحديدي.

أقول: نحن نتسلم اعتراف ابن أبي الحديد بجملة ما كان عليه خالد بن الوليد من الجهل والتساهل بالدين وارتكاباته المتكررة فيما يناقض الشرع المبين وننكر عليه قوله: ولقد وقع منه في حياة رسول الله ﷺ مع بني جذيمة بالغميصاء أعظم مما وقع منه في حق مالك بن نويرة فإنّ القضيتين تشتركان في تعمده وتقصده لقتل الأبرياء المظهرين للاسلام ولكنه لم يرتكب في بني جذيمة ما ارتكبه في بني يربوع من وطيء نسائهم بعد سويعات من حين الواقعة. وقوله انّ رسول الله ﷺ عفا عنه، تزوير منه على رسول الله ﷺ، فإنّ سكوت رسول الله عنه مع شديد غضبه عليه واعراضه عنه ومد يديه بالدعاء عليه والبراءة من فعله لا يدل على العفو فإنّ السكوت أعم منه حتماً ولم ندر جهته وقد أبدينا رأينا الخاص على هذا الفصل في محله من القسم الثالث عند التعرض لايقاعه ببني جذيمة، ولولا مقام نبوته ﷺ المصون من المداجاة ونظائرها لاتهمناه في سكوته قطعاً هذا وإن كان رسول الله ﷺ وداهم وتلافى كل خسارة وردت عليهم بسبب هذا المسرف إلّا انّه رأساً ليس له ﷺ ولا لله سبحانه سلب سلطان الأولياء على المقتولين منهم والحكومة عليهم خلاف رغبتهم فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿**ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً**﴾ فهذا السلطان المجعول من ناحية الرب تعالى محترم قد احترمه الله قبل كل أحد واحترام هذا الحق يلزم الرسول بطريق أولى، نعم لا نستريب انّ رسول الله ﷺ جلب مرضاة بني جذيمة بما خولهم به من مال كثير واعتذار واسع وقيام النبي ﷺ بهذا العمل لا يستلزم أن يكون سكوته عن خالد من باب العفو بطور قاطع.

وقد استجهل ابن أبي الحديد في قوله: وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل ببني يربوع ما فعل بالبطاح، فهذا معناه انّ رسول الله ﷺ هو الذي أغرى خالداً بهذا الجهل الفاحش وهو اراقة الدماء وسفكها في غير حقها والتهجم على

أعراض الناس ونواميسها وقد تصافقت الشرائع السماوية على تعظيم هاتين الحرمتين ـ الفروج والدماء ـ بما لم تتصافق على غيرهما وهو الحق، لأنّ هذين الموضوعين من أهم الموضوعات في نظر البشر ولأجل البقاء على ناموسها يستسهلون كل عسير، فلا ريب انّ اغتفار أبي بكر لخالد ما أتى به مسؤول عليه في عالم الشرع والسياسة جميعاً، والإنسان المتقي يتجافى عن هذه المواقع الممقوتة لله وللشريعة المبغوضة لأبناء الوجدان من بني الإنسان، ومن هذه العين الحمئة التي نبعت في امارة أوّل الأشياخ تسرب الاغراء بالجهل لمن بعد خالد من بسر بن ارطاة ومسلم بن عقبة ومئات من نظائرهما وبذلك جعلوا فعله وعفو شيخه عنه مع اطلاعه عليه مناراً يستنيرون به وحجة يدافعون بها، ولا ريب انّ من سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وقد ختم هذا الخليفة حياته وأعماله بعد أن تربع على مسند الخلافة وأظهر الاستقالة منها فيما يزعم احتياطاً لنفسه كأنّه ظن انّ ما سبق منه ينساه له التاريخ وتمنى انّه كان يوم السقيفة وزيراً لا أميراً، بما بدأها به من العنف والزور والاستبداد فما كفاه أن تحمل وزرها بادئاً حتى قرن السابق باللاحق فكتب بعهده إلى عمر وألزم الناس بالاصاخة له. وقد أعرب أمير المؤمنين علي عن هذا الوضع المتناقض بفصل من فصول خطبته الشقشقية فقال: فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته. وعززه التاريخ فروى المتقي الهندي [١] عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت عمرو بيده عسيب نخل وهو يجلس الناس يقول: اسمعوا لقول خليفة رسول الله فجاء مولى لأبي بكر يقال له شديد بصحيفة فقرأها على الناس فقال: يقول أبو بكر اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة فوالله ما ألوتكم قال قيس:

---

(١) ج ٢ ص ١٧٩ من منتخب كنز العمال.

فرأيت عمر بعد ذلك على المنبر. ابن أبي شيبة، وأحمد في مسنده، وابن جرير، واللالكائي في السنة.

وذكر ابن قتيبة [١] عند تعرضه لمرض أبي بكر واستخلافه لعمر بن الخطاب من جملة حديث له: ثمّ دعا عثمان بن عفان فقال: اكتب عهدي فكتب عثمان وأملى عليه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها وأوّل عنده بالآخرة داخلاً فيها اني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب فإن تروه عدل فيكم فظني به ورجائي فيه، وإن بدل وغير فالخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ثمّ ختم الكتاب ودفعه ودخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم انّه استخلف عمر فقالوا: نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا فكيف إذا وليت عنا وأنت لاقي الله عزوجل فسائلك فما أنت قائل؟ فقال أبو بكر: لئن سئلني الله لأقولن استخلفت عليهم خيرهم في نفسي، ثمّ أمر أن يجتمع له الناس فاجتمعوا فقال: أيّها الناس قد حضرني من قضاء الله ما ترون وانّه لابد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم ويقسم فيئكم وإن شئتم اجتمعتم فأتمرتم ثمّ وليتم عليكم من أردتم وان شئت اجتهدت لكم رأيي ووالله الذي لا إله إلّا هو لا آلوكم في نفسي خيراً وبكى وبكى الناس وقالوا: يا خليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلمنا فاختر لنا، قال سأجتهد لكم رأيي وأختار لكم خيركم إن شاء الله، فخرجوا من عنده ثمّ أرسل إلى عمر فقال: يا عمر أحبك محب وأبغضك مبغض وقديماً يحب الشر ويبغض الخير، فقال عمر: لا حاجة لي بها، فقال أبو بكر: لكن بها اليك حاجة والله ما حبوتك بها ولكن حبوتها بك، ثمّ

---

(١) في الامامة والسياسة: ج ١ ص ١٨ وما بعدها.

قال: خذ هذا الكتاب واخرج به إلى الناس وأخبرهم انّه عهدي وسلهم عن سمعهم وطاعتهم فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم فقالوا سمعاً وطاعة فقال له رجل: ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري ولكني أوّل من سمع وأطاع، قال: لكني والله أدري ما فيه أمّرته عام أوّل وأمّرك العام ـ اهـ.

أقول: لا ريب انّ في ثنايا هذا الحديث اقحامات أوجبت على فقراته أن يتلوى بعضها على بعض وكافة فقراته الحساسة يؤيدها الواقع الصريح.

امّا انّ أبا بكر استبد في تعيين عمر قبل أن يفاتش أي أحد يفرض فذلك ما عرفته الأحاديث المتكررة له فمن جملتها ما سبق ومن الباقي ما ذكره ابن عبد ربه الأندلسي [١] فقال عبد الله بن محمّد التيمي عن محمّد بن عبد العزيز انّ أبا بكر حين حضرته الوفاة كتب عهده وبعث به مع عثمان بن عفان ورجل من الأنصار ليقرأه على الناس فلما اجتمع الناس قاما فقالا: هذا عهد أبي بكر فإن تقروا به نقرؤه وإن تنكروه نرجعه، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد أبي بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وأوّل عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويشقى الفاجر ويصدق الكاذب اني أمرت عليكم عمر بن الخطاب فإن عدل واتقى فذاك ظني به ورجائي فيه وإن بدّل وغيّر فالخير أردت ولا يعلم الغيب إلّا الله.

وذكر الطبري [٢] عن أبي السفر قال: أشرف أبو بكر على الناس من كنيفه وأسماء ابنة عميس ممسكته موشومة اليدين وهو يقول: أترضون بمن استخلف عليكم فاني والله ما الوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة واني قد استخلفت

---

(١) ج ٢، ص ٢٠٧ من العقد الفريد عند تعرضه لاستخلاف أبي بكر لعمر.

(٢) في تاريخه: ج ٤ ص ٥١ عند تعرضه لمرض أبي بكر واستخلافه.

عمر بن الخطاب. وعن سفيان بن عيينة عن اسماعيل عن قيس قال: رأيت عمر بن الخطاب وهو يجلس الناس وبيده جريدة وهو يقول: أيّها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله انّه يقول لم آلكم نصحاً ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر ـ اهـ ـ والحديث من طراز هذا كثير. وان يكن فاتش في ذلك أحداً فعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وهذان ليسا أبوى الأُمّة المسلمة حتى يكون المعيار رضاهما بذلك أو تلويهما عليه.

وشدة عمر وبوائقه: كما ذكر المهاجرون والأنصار في خبر ابن قتيبة: كثيرة فهم لا يهوون امارته لذلك وقول أبي بكر في جوابهم لئن سئلني الله لأقولن استخلفت عليهم خيرهم في نفسي خاطىء جداً لأنّه لا يملك أُمورهم حتى يكون المعيار ما في نفسه وان يكن له من الخلافة حق فلنفسه فقط لانتخاب الناس له كما يقول هو أو كما يقال في حقه فمن جوّز له التعدي إلى أن يستبد بل إلى أن يتدخل في شؤونهم رأساً وهو انسان منتخب لنفسه. وقول أبناء العامة له ذلك لأنّه امام لم يصدر إلّا عن صلافة وجه لا عن وزن ومنطق وما هي امامته وبمن انعقدت له فإن كانت بانتخاب الناس له فالناس أنفسهم موجودون يعرفون تكليفهم إلى أي انسان يوجهون امرتهم وان كانت بالخبط والانتهاب فهو في امارة نفسه لم يعذره الدليل فكيف به وهو يبرمها لانسان غيره من دون مشورة ولا أخذ رأي من أهله.

وقد كذب أبو بكر في قوله للناس عندما جمعهم ـ في خبر ابن قتيبة ـ وإن شئتم اجتهدت لكم رأيي؛ لأنّ هذا القول صدر منه بعد كتابة العهد باسم عمر كما أملاه ابن قتيبة علينا في صدر حديثه، وإنّما أراد بكلمته هذه ـ وإن شئتم اجتهدت لكم رأيي ـ تسكيت الجمع وتسكينهم حتى يأخذ منهم السمع والطاعة على

ملفوفته العمياء التي لا يدري الجمع ما فيها من نتيجة وعده اياهم كما يعرب عن ذلك ذيل الحديث فقال له ـ أي عمر ـ رجل ما في الكتاب يا أبا حفص ؟ قال : لا أدري ولكني أوّل من سمع وأطاع ، والحكمة البالغة كلها في ذيل هذا الحديث حين قال ذاك الرجل : ولكني والله أدري ما فيه ، أمرته عام أوّل وأمرك العام ، فانك قد قرأت صريحاً انّ السقيفة ما تمت لأبي بكر إلّا بعمر وتهجماته وحركاته المارة الذكر ولقد أدرك أمير المؤمنين علي هذا السر في شدة اندفاع عمر يومذاك فقال له : احلب يا عمر حلباً لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً . وحجة ابناء السنة في صحة امامة الأشياخ على المسلمين هي الانتخاب وحده إن تم لهم وهو مفقود في عمر بطور قاطع وقاض على أبي بكر بتصرفه فيما ليس له كما أشعرنا بذلك عن قريب فلا نطيل .

ولقد أسلف جملة من محدثي العامة فذكروا لأبي بكر ما ليس له وألصقوا به من المحاسن ما هو بعيد عنه وبما انّ أجمع من كتب في ذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء فنحن نتعرض لمتون ما ذكره ونفنده موجزين للقول في ذلك حتى لا تتشعب علينا أطراف الحديث الذي يلزمنا املاؤه في هذه الحلقة .

ما ذكره السيوطي من محاسن أبي بكر

قال السيوطي [١]: كان أبو بكر أعف الناس في الجاهلية . أقول : هذا المعنى لا يعرفه التاريخ له وإنّما هو ارتجال من السيوطي ، نعم أثبت ذلك من طريق ابنته عائشة وحفيده عبد الله بن الزبير ولا يخفى انّ ذلك من باب ثعالة شهيده ذنبه .

وذكر في فصل اسلامه انّه أوّل الناس اسلاماً ونسب ذلك إلى قول علي في

---

(١) في عرض ترجمته لأبي بكر : ص ١٣ .

حقه. وهو فضلاً عن كونه لا أصل له لما أسلفناه مبرهناً في الحلقة الثانية مكذوب على علي عليه السلام كيف وعلي نفسه له فصول عامرة في نهجه تقطع بأنّه أوّل الناس اسلاماً وقد سبق ذلك أيضاً.

وذكر في فصل شجاعته انّه أشجع الصحابة واستدل له بأنّه كان مع النبي في العريش يوم بدر. وهذا لعمري إن لم يدل على جبنه بانعزاله ناحية عن ميادين القتال لا يشعر بأقل القليل من شجاعته إن كانت فيه شجاعة، على انّ مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على طولها لا تعرف هذا الإنسان ولا تالييه إلّا بالوقوف في جانب النظارة أو في رعيل المنهزمين ولم يذكر لنا مؤرخ عنه وعن صاحبيه أيضاً انهم بارزوا مشركاً أو قتلوا كافراً أو عرفت لهم ميادين الحروب موقفاً، وصرف ادعاء السيوطي له ذلك لا يصيره شجاعاً فضلاً عن صيرورته أشجع بواضح الضرورة.

وذكر فيما يدعيه له من جود انّه أنفق ماله على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانّه أجود الصحابة. وأنت قرأت آنفاً انّ رسول الله لما أراد الهجرة اشترى منه راحلة بالثمن وانّه لما خرج إلى غزوة بدر اعتقب هو وعمر وعبد الرحمن بن عوف بعيراً واحداً فأين ليت شعري يتركز جوده وانفاقه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذان المقامان اللذان أوعزنا اليهما مما نص عليهما كافة المؤرخين وكتاب السيرة ومن المقامات الحساسة في الدين وإن تكن مظنة خرج في سبيل الله ففيهما تكون فلم تخلف عنهما هو وابن عوف على ما يملكان من جزيل ثروة وجليل مال فهو على هذا من لؤماء الصحابة وبخلائهم بلا ريب.

وذكر في فصل علمه انّه أعلم الصحابة وأذكاهم. وأنت قرأت فيما سلف انّه كان ناقصاً عاجزاً متلدداً متحيراً يفعل الشيء ويندم على فعله ويتمنى أن يكون فعل ما ترك فعله والسيوطي هو نفسه يذكر في هذا الفصل انّ القضايا الواردة إذا

أعيته خرج وسأل المسلمين والذي يسأل غيره كيف يكون أعلم منه .

ثمّ ذكر انّه أفضل الصحابة وخيرهم، واستدل على ذلك باجماع أهل السنة ، فما أوهن دعواه وأزيف دليله حقاً . ثمّ ساق في فضائله من رديف نطق البقر وتكلم الذئاب اللذين ساقهما البخاري للشيخين ونحن قد أتينا على هذه الأكاذيب المصنوعة رداً في الحلقتين الثانية والثالثة من الحياة الروحية بتفصيل فلا نعيد على اننا لا نستجيز أن نصحح مضموناً واحداً مما رووه بطرقهم في حقه وحق كل من مت مته وانخرك في حزبه وكان من صنائعه فإنّهم متهمون فيه جد الاتهام كما اننا لم نرو مضموناً واحداً مما روته الشيعة في حق أهل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم أمير المؤمنين علي حذراً من مؤاخذة القوم لنا بمثل ما نتهمهم به ولا يعتريني ريب كما لا يتخالجني انّ هذا الارعاد والابراق كله في حق أبي بكر منفرداً تارة ومنضماً إلى عمر ثانية ومجموعين إلى عثمان ثالثة مولد حادث مترتب على خلافة الأشياخ في الخارج وانّه لا وجود له قبل ذلك أصلاً وفيما أسلفناه من الكلام في الحلقتين المومأ اليهما من الحياة الروحية وما سبق بيانه أيضاً في الحلقتين الثانية والثالثة من نتائج الفكر اقناع وبلاغ وكفاية .

الفصل الثاني في عمر

وفيه عدّة بحوث

▣ البحث الأوّل:

انّه كان يجهل كثيراً من الأحكام الشرعية التي لا تخفى على من يقال في حقه انّه فقيه الصحابة محدثهم ويناقض نفسه في الشيء الواحد مرات عديدة ويترسل في الحكم عن رأي مجرد .

فمن ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد [١] عند تعرضه لسياسة عمر فقال من جملة كلام له : وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثمّ ينقضه ويفتي بضده وخلافه ، قضى في الجدّ مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ثمّ خاف من الحكم في هذه المسألة فقال : من أراد ان يتقحم جراثيم جهنم فليقل في الجد برأيه ـ وقال مرة ـ لا يبلغني انّ امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلّا ارتجعت ذلك منها ، فقالت له امرأة : ما جعل الله لك ذلك انّه تعالى قال : ﴿ **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾ فقال : كلّ الناس أفقه من عمر ، حتى ربّات الحجال ، ألا تعجبون من امام أخطأ وامرأة أصابت فأضلّت امامكم ففضلته .

ومرّ يوماً بشاب من فتيان الأنصار وهو ظمآن فاستسقاه فخلط له ماء بعسل فلم يشربه وقال : انّ الله تعالى يقول : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** ﴾ فقال له الفتى : يا أمير المؤمنين انها ليست لك ولا لأحد من أهل هذه القبلة ، اقرأ ما قبلها : ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** ﴾ ، فقال عمر : كلّ الناس أفقه من عمر . وقيل انّ عمر كان يعس بالليل فسمع صوت رجل وامرأة في بيت ، فارتاب فتسور الحائط فوجد امرأة ورجلاً وعندهما زق خمر فقال : يا عدو الله أكنت ترى انّ الله يسترك وأنت على معصيته ، فقال : يا أمير المؤمنين إن كنتُ أخطأتُ في واحدة فقد أخطأتَ في ثلاث ، قال الله تعالى : ولا تجسسوا وقد تجسست ، وقال : واتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت ، وقال : إذا دخلتم بيوتاً فسلموا وما سلّمت ـ اهـ ملخصاً ـ .

وفي منتخب كنز العمال (ج ١ ص ٢٦٣) عن ثور الكندي انّ عمر بن الخطاب كان يعس بالمدينة في الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فقال :

---

(١) ج ١ ص ٦٠ وما بعدها من النهج الحديدي.

يا عدو الله أظننت انّ الله يسترك وأنت في معصيته، فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل علي إن أكن عصيت الله في واحدة فقد عصيت الله في ثلاث، قال: ولا تجسسوا وقد تجسست وقال: واتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت علي ودخلت بغير إذن، وقال الله تعالى: لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها، قال عمر: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، فعفا عنه وخرج وتركه. الخرائطي في مكارم الأخلاق.

وفي منتخب كنز العمال (ج ٣ ص ٢١٣) عن القاسم بن أبي امامة قال: صلّى عمر بالناس وهو جنب فأعاد ولم يعد الناس فقال له علي: قد كان ينبغي لمن صلّى معك أن يعيد فرجعوا إلى قول علي، قال القاسم وقال ابن مسعود مثل قول علي.

وفي منتخب كنز العمال أيضاً (ج ٤ ص ٢٢٢) عن عبيدة السلماني قال: كان أبو بكر يعطي الجد مع الاخوة الثلث وكان عمر يعطيه السدس فكتب عمر إلى عبد الله انا نخاف أن نكون قد أجحفنا بالجد فاعطه الثلث. وذكر أيضاً (ص ٢٢٩) عن الشعبي قال: سئل أبو بكر عن الكلالة فقال: اني أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان خطئاً فمني ومن الشيطان والله منه بريء، اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال: الكلالة ما عدا الولد وفي لفظ من لا ولد له، فلما طعن عمر قال: ان لأستحيي أن أُخالف أبا بكر أرى انّ الكلالة ما عدا الوالد والولد. ومع هذه الفتيا سابقاً ولاحقاً نراه يقول: لان أكون أعلم الكلالة أحب إليّ من أن يكون لي مثل قصور الشام [١].

وفي منتخب كنز العمال أيضاً (ج ٢ ص ٤٣٤): عن جرير البجلي قال:

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٤ ص ٢٣٠.

خرجنا مهلين فوجدت أعرابياً معه طير فابتعته منه فذبحته وأنا ناس لاهـلالي، فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فقال: ائت ذوى عدل فليحكما عليك، فأتيت عبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك فحكما عليّ تيساً أعفر، ابن سعد والبيهقي في السنن.

وفي (ص ٣٤٥) من المصدر نفسه: عن محمّد بن الزبير قال: دخلت مسجد دمشق فإذا أنا بشيخ قد التقت ترقوتاه من الكبر فقلت له: يا شيخ من أدركت؟ قال: النبي ﷺ، قلت: فما غزوت؟ قال: اليرموك، قلت: حدثني بشيء سمعته، قال: خرجت مع فتية من عك والأشعريين حجاجاً فأصبنا بيض نعام فذكرنا ذلك لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأدبر وقال: اتبعوني، حتى انتهى إلى حجر رسول الله ﷺ فضرب في حجرة منها فأجابته امرأة فقال: أثمّ أبو الحسن؟ فقالت: لا هو في مقناة، فأدبر وقال: اتبعوني، حتى انتهى إليه فقال: مرحباً بأمير المؤمنين، قال: انّ هؤلاء فتية من عك والأشعريين أصابوا بيض نعام وهم محرمون، قال: ألا أرسلت إليّ؟ قال: أنا أحق باتيانك، قال: يضربون الفحل قلائص ابكاراً بعدد البيض فما تنتج منها اهدوه، قال عمر: فإنّ الابل تخدج، قال علي: والبيض يمرق، فلما أدبر قال: اللهم لا تنزلن شدة إلاّ وأبو حسن إلى جنبي (ابن عساكر في تاريخه).

وروى المتقي الهندي أيضاً[١] عن مسروق قال: ركب عمر المنبر فقال: لا أعرف من زاد الصداق على أربعماءة درهم، فقد كان رسول الله وأصحابه وإنّما الصداقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ولو كان الاكثار في ذلك تقوى أو مكرمة لما سبقتموهم اليها، ثمّ نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير

---

(١) منتخب كنز العمال: ج ٦ ص ٤٠١.

المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في صداقاتهن على اربعمائة درهم ؟ قال: نعم، قالت: أما سمعت الله يقول في القرآن: وآتيتم احداهن قنطاراً، الآية؛ فقال: اللهم اغفر أكل الناس أفقه من عمر، ثمّ رجع فركب المنبر فقال: أيّها الناس اني كنت نهيتكم أن تزيدوا في صداقاتهن على اربعمائة فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب أو ما طابت نفسه فليفعل. سعيد بن منصور في سننه، وأبو يعلى في مسنده، والمحاملي في أماليه.

وقال صاحب المعتصر من المختصر (ج ١ ص ٢٩٠): وكان عمر على ما كان عليه مما ذكرناه عنه حتى احتج عليه في اباحة اغلاء الأصدقة روى عنه انّه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: لا تغالوا في صداق النساء فإنّه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه نبي الله ﷺ أو سيق إليه إلّا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثمّ نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق أن يتبع أو قولك، قال: بل كتاب الله، بم ذلك ؟ قالت: انك نهيت الناس آنفاً أن يغالوا في صداق النساء والله يقول: وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثاً، ثمّ رجع إلى المنبر وقال: اني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء فليفعل رجل في ماله ما شاء.

وروى صاحب المعتصر من المختصر (ج ٢ ص ٩٩) عن مسروق قال: سألت عمر عن قرابة لي ورث كلالة فقال: الكلالة ـ ثلاثاً ـ ثمّ أخذ بلحيته فقال: والله لإن أعلمها أحب إلي مما على الأرض من شيء سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: ألم تسمع إلى الآية التي أُنزلت في آية الصيف مرتين فترك عمر الجواب عنها تورعاً عن القول في كتاب الله عزوجل مما لم يوقف على حقيقته من عند الله حتى مات على ذلك. وعن ابن عباس: سمعت عمر يقول: القول ما قلت قلت وما

قلت ؟ قال : الكلالة من لا ولد له . انظر إلى هذا التدافع واعجب .

وروى الحاكم[١] عن ابن عباس قال : مرّ علي بن أبي طالب بمجنونة بني فلان وقد زنت وأمر عمر بن الخطاب برجمها فردها علي وقال لعمر : يا أمير المؤمنين أترجم هذه ؟ قال : نعم ، قال : أوما تذكر انّ رسول الله قال : رفع القلم عن ثلاث عن المجنون المغلوب على عقله وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم ، قال : صدقت ، فخلّى عنها . صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي .

وروى الحاكم[٢] عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة قال : جاء ابن عباس رجل فقال : رجل توفي وترك بنته واخته لأبيه وأُمه ؟ فقال : لابنته النصف وليس لاخته شيء ، قال الرجل : فإنّ عمر قضى بغير ذلك ، وجعل للابنة النصف وللاخت النصف ، قال ابن عباس : أنتم أعلم أم الله ، فلم أدر ما وجه هذا حتى لقيت ابن طاووس فذكرت له حديث الزهري فقال : أخبرني أبي انّه سمع ابن عباس يقول : قال الله عزوجل : ﴿**إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك**﴾ قال ابن عباس : فقلتم أنتم لها النصف وإن كان له ولد . صححه الحاكم والذهبي على شرط الشيخين .

وروى أبو الفرج[٣] عند تعرضه لاخبار أبي محجن الثقفي عن العمري عن العتبي قال : أُتي عمر بن الخطاب بجماعة فيهم أبو محجن الثقفي وقد شربوا الخمر فقال : أشربتم الخمر بعد أن حرّمها الله ورسوله ؟ فقالوا : ما حرمها الله ولا

---

(١) في المستدرك : ج ١ ص ٢٥٨ .

(٢) في المستدرك أيضاً : ج ٤ ص ٣٣٩ .

(٣) في الأغاني : ج ٢١ ص ٣٣٠ .

رسوله انّ الله تعالى يقول: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات**﴾ فقال عمر لأصحابه: ما ترون فيهم؟ فاختلفوا فيه فبعث إلى علي بن أبي طالب فشاوره فقال علي: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير، فسكتوا فقال عمر لعلي: ما ترى فيهم؟ قال: أرى إن كانوا شربوها مستحلين لها أن يقتلوا وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون انها حرام أن يحدوا، فسألهم فقالوا: والله ما شككنا في انها حرام ولكنا قدرنا أنّ لنا نجاة فيما قلناه، فجعل يحدهم رجلاً رجلاً وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن فلما جلده أنشأ يقول:

ألم ترَ أنّ الدهر يعثر بالفتى ... ولا يستطيع المرء صرف المقادر
صبرت فلم أجزع ولم أك كائعاً ... لحادث دهر في الحكومة جائر
واني لذو صبر وقد مات اخوتي ... ولست عن الصهباء يوماً بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها ... فخلانها يبكون حول المعاصر

فلما سمع عمر قوله: ولست عن الصهباء يوماً بصابر، قال: قد أبديت ما في نفسك ولأزيدنك عقوبة لاصرارك على شرب الخمر، فقال له علي: ما ذلك لك وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل، وقد قال الله في الشعراء انهم يقولون ما لا يفعلون، فقال عمر: قد استثنى الله منهم قوماً، فقال: إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقال علي: أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله: لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن ـ اهـ.

واستقصاء أمثال هذه الموارد عنه قد يطول بنا، وقد أسلفنا في الفصل الذي عقدناه لعلم علي عليه السلام عدة قضايا دلّت امّا على عجزه ـ أي عمر ـ أو على جهله، ولا ريب انّ هذه النقاط وأمثالها مما تدل على نقصه في دينه وفي علمه وفي

ابتزازه لمقام من هو أولى منه وأحق به.

أمّا دلالة ذلك على نقص دينه فاقدامه على الافتاء من دون فحص وتجسس لا عن الحكم نفسه ولا عن مدركه، ولا ريب انّ التهجم على أحكام الشرع حرام لايجابه التشويش والتزوير فيها، خصوصاً ممن له تصدر في أنظار الناس، فإنّه مغر لجهالهم ولمن يتصدر لمقام الافتاء منهم بالتساهل في ارسال فتاواه وارتجال الأحكام ارتجالاً لا عن مبرر مشروع ولا يتفاوت في هذا المطلب المجتهد والمقلد، امّا المجتهد فليس له الافتاء ولا اعمال الرأي إلّا بعد الفحص التام عن كل ما يمت إلى فتواه حكماً ودليلاً من جميع وجوهه، وامّا المقلد فكذلك لا يجوز له أن ينقل فتوى الغير إلّا بعد التأكد من صدورها عنه وفهمه لوجه الفتوى عند نقلها حتى لا يكون في نقله مزوراً ولا مشتبهاً وها نحن نرى عمر بن الخطاب يقول بالرأي المجرد وفي الموضوعات التي ليست من مظان الاجتهاد مع اعترافه بانسداد علم هذا الموضوع عليه، وذلك في موضوع الكلالة الذي اعترف انّ انفتاح باب علمه عليه من أحب الأشياء إليه، ومع ذلك لا يتأبى عن اصدار فتواه فيه، ثمّ انّه لما يجد فتواه مخالفة لفتوى أبي بكر في الموضوع نفسه ويستحي من مخالفته فيما يزعم نراه منصرفاً عن فتواه الأُولى آخذاً بفتوى أبي بكر بداعي الحياء من مخالفته والحياء في هذه المظان لا قيمة له بل هو من موجبات الإثم قطعاً إذا انعقد نظر المفتي علماً على غيره.

ثمّ الفتوى بما يناقض القرآن لا تجوز قطعاً لأنّ أمر هذا المفتي يدور بين أن يكون عالماً بما حكم القرآن به في موضوع فتواه لأنّه فحص عنه فوجده أو لا يكون عالماً بذلك لعدم فحصه أصلاً، وعلى الأوّل فهو مبارز لله بجهار معاند للشريعة بصراحة، وعلى الثاني فقد أسلفنا انّ الفتوى قبل الفحص لا تجوز، فافتاء عمر بتحريم ما زاد من الصداق على أربعمائة درهم وبأنّ للأُخت نصفاً

وللبنت نصفاً آخر لا يخلو من واحد من المحذورين السالفين . نعم في موضوع مجامعة الأُخت للبنت في الإرث وأخذ كل منهما النصف ما سيجيء بيانه ، ثمّ ما الذي سوّغ له فيما زاد على الاربعمائة درهم في الصداق أن يحتجزه دون أهله إلى بيت المال ؟ فإنّ الناس مسلطون على أموالهم ولا يحل مال امرىء مسلم إلّا عن طيب نفسه ، فهب انّه لا يجوز له أن يفعل ذلك لكن ما الذي يخرج ماله عن ملكه ويضيفه إلى بيوت أموال المسلمين ؟

وامّا دلالته على نقصه في علمه فأي دليل أدلّ على نقص مدعى العلم بالشريعة من افتاءه على خلاف نصوص الكتاب العزيز فيورث الأُخت بالنصف مع مجامعتها للولد في حال انّ القرآن يحكم باتاً بنفي ذلك ـ على ما سنزيده توضيحاً فيما سيجيء ـ ويمنع في الصداق عما زاد على أربعمائة درهم مع انّ القرآن يجيز اعطاء القناطير فيه ولا يجوز لباذله أخذ شيء منه من دون رضا المبذول له ، وأي اجتهاد أضل من اجتهاده في اعطاءه الجد مع الاخوة السدس أوّلاً وانصرافه عن ذلك أخيراً بدعوى خوف الاجحاف به واعطاءه الثلث ، فإنّ اجتهاد المجتهد لابد وأن يكون على أساس لا بصرف التخرص فما كان أساس اجتهاده في السدس وما الذي هدم أساس اجتهاده الأوّل ولأجله أفتى بالثلث ، فإنّ خوف الاجحاف في نفسه ليس من المدارك العلمية وأموال الناس لا يجوز العبث بها بالتشهي الصرف ، وكما انّ ادخال مال على انسان يحتاج إلى سبب مشروع كذلك تقليله عن ميزانه الأوّل أو اخراجه بالمرة عنه يحتاج إلى سبب ونحن نرى هذا الخليفة يكيل أحكام الله بمكيال مجهول .

وامّا دلالته على ابتزازه لمقام من هو أولى منه وأحق به فجد صريح ، فإنّ الامام الذي يعترف بأنّ الشبان الغير المعروفين بالعلم والنساء الغير الموصوفات بالفضل أفقه منه وانهم فاضلوه ففضلوه ويعجب هو من نفسه أن يكون امام الناس

في الشريعة ثمّ ينبهه على خطأه الرقم السائر من رعيته ، هذا فضلاً عن رجوعه إلى غيره في المسائل التي تتعمى عليه كثيراً لا تجوز امامته ، وفي الناس من هو أجمع منه لمزايا الفضل والكمال وأقرب ببضاعته إلى الواقع وأدنى بما فيه من مؤهلات دينية ودنيوية إلى الله وصلاح الأُمّة ، ولا يخالف في ذلك إلّا المتعنت الذي لا كلام لأهل العلم معه .

▣ البحث الثاني :

انّه أبدع في الدين كثيراً وسنّ من الأحكام ما ليس له أن يسنّه :

روى البخاري [١] بطريقين عن أبي هريرة انّ رسول الله ﷺ قال : من قام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، قال ابن شهاب : فتوفي رسول الله والأمر على ذلك ثمّ كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر ، وعن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري انّه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة من رمضان إلى المسجد فإذا الناس اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر : اني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثمّ عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثمّ خرجت معه ليلة أُخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر : نعم البدعة هذه ـ اهملخصاً ـ .

فهذا الحديث صريح في انّ الناس إنّما كانوا يقومون في رمضان اوزاعاً طيلة حياة رسول الله ﷺ حتى توفي وطيلة حياة أبي بكر حتى توفي وصدراً من خلافة عمر ، وان عمر هو الذي عزم على أن يجمعهم على قارىء واحد ، ثمّ

---

(١) في صحيحه : ج ١ ص ٢٢٤ باب صلاة التراويح .

جمعهم بعد ذلك وانّه لما رأى ما فعله قال: نعم البدعة هذه، والبدعة هي احداث ما لم يكن بقول مطلق.

وقال السيوطي [١]: وأوّل من سنّ قيام شهر رمضان.

وروى مسلم [٢] عن ابراهيم بن أبي موسى انّه كان يفتي بالمتعة فقال له رجل: رويدك ببعض فتياك فانك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعد حتى لقيه بعد فقال عمر: قد علمت انّ النبي ﷺ قد فعله وأصحابه ولكن كرهت أن يظلوا معرسين بهن في الاراك ثمّ يروحون تقطر رؤوسهم.

وروى عن سعيد بن المسيب قال: اجتمع علي وعثمان بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال علي: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك، فقال: اني لا أستطيع أن أدعك، فلما رأى علي ذلك أهل بهما.

وعن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: كانت المتعة في الحج لأصحاب محمّد خاصة. وقال أبو ذر: لا تصلح المتعتان إلّا لنا خاصة يعني متعة النساء ومتعة الحج.

وعن مطرف قال: قال لي عمران بن حصين: اني لأحدثك بالحديث اليوم ينفعك الله به بعد اليوم وأعلم انّ رسول الله ﷺ قد أعمر طائفة من أهله في العشر فلم تنزل آية تنسخ ذلك ولم ينه عنه حتى مضى لوجهه ارتأى كل امرىء بعد ما شاء أن يرتئي. وفي اسناد آخر ارتأى رجل برأيه ما شاء، يعني عمر. وباسناد آخر عن عمران بن حصين أيضاً انّ رسول الله ﷺ جمع بين حجة

---

(١) في تاريخ الخلفاء: ص ٥٣ باب أوليات عمر.

(٢) في صحيحه: ج ٤ ص ٤٦ وما بعدها، باب متعة الحج.

وعمرة ثمّ لم ينه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرمه.

وعن مطرف قال: بعث إلي عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال: اني كنت محدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي، فإن عشت فاكتم عني وإن مت فحدث بها إن شئت، اعلم انّ نبي الله قد جمع بين حج وعمرة ثمّ لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبي الله، قال رجل فيها برأيه ما شاء. وباسناد آخر عنه: تمتعنا مع رسول الله ولم ينزل فيه القرآن، قال رجل برأيه ما شاء.

وعن أبي رجاء قال: قال عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب الله (يعني متعة الحج) وأمرنا بنا رسول الله ثمّ لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله حتى مات، قال رجل برأيه بعد ما شاء ـ اهـ ـ عن صحيح مسلم ملخصاً.

وفي مسند أحمد (ج ١ ص ٤٩) عن أبي موسى انّ عمر قال: هي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني المتعة ولكني أخشى أن يعرسوا بهن تحت الاراك ثمّ يروحوا بهن حجاجاً.

وفيه أيضاً (ج ١ ص ٥٠) عن أبي موسى انّه كان يفتي بالمتعة فقال له رجل: رويدك ببعض فتياك فانك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعدك، حتى لقيه بعد فسأله فقال عمر: قد علمت انّ النبي قد فعله وأصحابه لكني كرهت أن يظلوا بهن معرسين في الاراك ثمّ يروحون بالحج تقطر رؤوسهم.

وفيه أيضاً (ج ١ ص ٥٢) عبد الله عن أبيه عن بهز قال: وحدثنا عفان قالا حدثنا همام عن قتادة عن أبي نضرة قال: قلت لجابر بن عبد الله: انّ ابن الزبير ينهى عن المتعة وان ابن عباس يأمر بها، قال: فقال لي: على يدي جرى الحديث تمتعنا مع رسول الله قال عفان ومع أبي بكر فلما ولى عمر خطب الناس فقال: انّ القرآن هو القرآن وانّ رسول الله هو الرسول وأنهما كانتا متعتان على عهد رسول

الله ﷺ احداهما متعة الحج والأُخرى متعة النساء .

وفيه أيضاً (ج ١ ص ٦٠) عن سعيد بن المسيب قال : حج عثمان حتى إذا كان في بعض الطريق أخبر علي انّ عثمان نهى أصحابه عن التمتع بالعمرة والحج فقال علي لأصحابه : إذا راح فروحوا فأهلّ علي وأصحابه بعمرة فلم يكلمهم عثمان ، فقال علي : ألم أخبر انك نهيت عن التمتع ألم يتمتع رسول الله ؟ قال : فما أدري ما أجابه عثمان .

وفيه أيضاً (ج ١ ص ٣٣٧) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : تمتع النبي ﷺ فقال عروة بن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس : ما يقول عرية قال يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس : أراهم سيهلكون ، أقول : قال النبي ويقول نهى أبو بكر وعمر .

وفيه أيضاً (ج ٢ ص ١٥١) عن الزهري عن سالم قال : سأل ابن عمر عن متعة الحج فأمر بها وقال : أحلها الله تعالى وأمبر بها رسول الله ﷺ .

وروى الحاكم [١] عن عبد الرحمن بن حرملة قال : سمعت سعيد بن المسيب قال : حج علي وعثمان فلما كان ببعض الطريق نهى عثمان عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقيل لعلي : انّه قد نهى عن التمتع فقال : إذا رأيتموه قد ارتحل فارتحلوا فلبى علي وأصحابه بالعمرة ولم ينههم عثمان فقال علي : ألم اخبر أنك تنهى عن التمتع بالعمرة ؟ قال : بلى ، فقال علي : ألم تسمع رسول الله تمتع ؟ قال : بلى . صحيح على شرط مسلم ولم يتعقبه الذهبي .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن أنس انّ النبي قال لبيك بحجة وعمرة معاً . صحيح على شرط الشيخين ولم يتعقبه الذهبي .

---

(١) في المستدرك : ج ١ ص ٤٧٢ .

وساق البيهقي [١] بسنده إلى أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر فعلناهما مع رسول الله ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما. وعن أبي نضرة عن جابر قال: قلت: انّ ابن الزبير ينهى عن المتعة وان ابن عباس يأمر بها قال: على يدي جرى الحديث: تمتعنا مع رسول الله ومع أبي بكر فلما ولي عمر خطب الناس فقال: انّ رسول الله هذا الرسول وانّ هذا القرآن هذا القرآن وانهما كانتا متعتان على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما واعاقب عليهما: احداهما متعة النساء ولا أقدر على رجل تزول امرأة إلى أجل إلّا غيبته بالحجارة، والأُخرى متعة الحج افصلوا حجكم من عمرتكم فإنّه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم ـ اهـ ـ.

وفي منتخب كنز العمال للمتقي الهندي (ج ٢ ص ٣٣٤) عن سعيد بن المسيب انّ عمر بن الخطاب نهى عن المتعة في أشهر الحج وقال: فعلتها مع رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنها ان أحدكم يأتي من افق من الآفاق شعثاً نصباً معتمراً في أشهر الحج وإنّما شعثه ونصبه وتلبيته في عمرته ثمّ يقدم فيطوف بالبيت ويحل ويلبس ويتطيب ويقع على أهله ان كانوا معه حتى إذا كان يوم التروية أهلّ بالحج وخرج إلى منى يلبي بحجة لا شعث ولا نصب ولا تلبية إلّا يوماً والحج أفضل من العمرة لو خلينا بينهم وبين هذا لعانقوهن تحت الاراك مع انّ أهل البيت ليس لهم ضرع ولا زرع وإنّما ربيعهم فيمن يطرأ عليهم. أبو نعيم في الحلية.

فهذه الأحاديث كلها قاطعة بأنّ تحريم عمر لمتعة الحج من كيسه الخاص وان كتاب الله وسنة رسوله عليه بالصراحة ولا قيمة لكونه يخشى أن يعرسوا بهن

---

(١) ج ٧ ص ٢٠٦ من سننه.

تحت الاراك ثمّ يروحوا بهن حجاجاً فإنّ ذلك إن كان محذوراً لكان توجه الله والرسول إليه أسبق ودلالتهما عليه أقوى، على انّه لا قيمة لآراء المكلفين في تكاليف الله كائنة ما كانت بواضح الضرورة، وفسقة العالم إنّما يجرؤون على العمل المخالف للوظيفة مع اعترافهم بها لكن خليفة المسلمين لم يبال أن يفتح في قبال دكان الله دكاناً يناقضه فيه ويعارضه، وهذا من أكبر الموبقات وأعظم الذنوب ومن أهم الجسارات على الله والرسول، وان يكن هذا الإنسان تجاسر على ما ليس له أن يتجاسر فيه فما بال زافة السنة زفت وراءه وتركت دين الله وسنة رسوله ظهرياً لا تخاف الله في هذا الاصرار على معصيته وتحوير دينه وتطوير شريعته. وما في حديث أبي ذر الآنف عن صحيح مسلم ان المتعتين خاصتان بالصحابة دون سائر الناس فذلك من تحوير الجماعة بطور قاطع فإنّ الضرورة قاطعة في مقام شمول التكليف والوظائف الشرعية لكافة المكلفين إلّا النبي فيما يخصه انّه لا فرق بين الصحابة والتابعين وغيرهم من كافة طبقات الناس في كل حكم وظفته الشريعة من واجب وحرام وحلال وما إلى ذلك.

وروى مسلم [1] عن اسماعيل عن قيس قال: سمعت عبد الله يقول: كنا نغزوا مع رسول الله ليس لنا نساء فقلنا ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ثمّ رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثمّ قرأ عبد الله: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا انّ الله لا يحبّ المعتدين**﴾. قال مسلم في اسناد آخر: ثمّ قرأ علينا هذه الآية ولم يقل قرأ عبد الله. وعن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالا: خرج علينا منادي رسول الله ﷺ فقال: انّ رسول الله ﷺ قد أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء. وبسند آخر عن سلمة بن الأكوع وجابر بن عبد

---

(١) في الصحيح: ج ٤ ص ١٣٠ وما بعدها، باب نكاح المتعة.

الله انّ رسول الله أتنا فأذن لنا في المتعة. وعن عطاء قال: قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثمّ ذكروا المتعة فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر. وعن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيّام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث. وعن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر: علناهما مع رسول الله ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما.

وفي منتخب كنز العمال للمتقي الهندي (ج ٦ ص ٤٠٤) عن سعيد بن المسيب قال: استمتع ابن حريث وابن فلان كلاهما ولد له من المتعة زمان أبي بكر وعمر. ابن جرير.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن عمر قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنهى عنهما وأُعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج. أبو صالح كاتب الليث في نسخته والطحاوي.

وروى أيضاً (ج ٦ ص ٤٠٥) عن سليمان بن يسار عن ام عبد الله ابنة أبي خيثمة انّ رجلاً قدم من الشام فنزل عليها فقال: انّ العزبة قد اشتدت علي فأبغيني امرأة أتمتع معها، قالت فدللته على امرأة فشارطها وأشهدوا على ذلك عدولاً فمكث معها ما شاء الله أن يمكث ثمّ انّه خرج فأخبر عن ذلك عمر بن الخطاب فأرسل إلي فسألني أحق ما حدثت به قلت: نعم، قال: فإذا قدم فآذنيني به فلما قدم أخبرته فأرسل إليه فقال: ما حملك على الذي فعلته؟ قال: فعلته مع رسول الله ثمّ لم ينهنا عنه حتى قبضه الله ثمّ مع أبي بكر فلم ينهنا عنه حتى قبضه الله ثمّ معك فلم تحدث لنا فيه نهياً، فقال عمر: أما والذي نفسي بيده لو كنت تقدمت في

نهيي لرجمتك بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح. ابن جرير.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن علي قال: لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة، ثمّ ما زنى إلّا شقي. أبو يعلى في مسنده. وأبو داود في ناسخه. وابن جرير.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن جابر قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد النبي وأبي بكر حتى نهى عمر الناس وكنا نعتد من المستمتع منهن بحيضة. عبد الرزاق في الجامع.

وساق البيهقي [١] بسنده إلى يونس قال: قال ابن شهاب: أخبرني عروة بن الزبير انّ عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: انّ ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة ويعرض بالرجل ـ يريد ابن عباس ـ فناداه فقال: انك جلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل في عهد إمام المتقين، يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وساق البيهقي أيضاً [٢] بسنده إلى أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما. وعن أبي نضرة عن جابر قال: قلت: انّ ابن الزبير ينهى عن المتعة وان ابن عباس يأمر بها، قال: على يدي جرى الحديث تمتعنا مع رسول الله ومع أبي بكر فلما ولى عمر خطب الناس فقال: انّ رسول الله هذا الرسول وانّ هذا القرآن هذا القرآن وانهما كانتا متعتان على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما احداهما متعة النساء ولا أقدر على

---

(١) ج ٧ ص ٢٠٥ من سننه، باب نكاح المتعة.

(٢) ج ٧ ص ٢٠٦ من سننه.

رجل تزوج امرأة إلى أجل إلّا غيبته بالحجارة، والأُخرى متعة الحج أفصلوا حجكم من عمرتكم فإنّه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم.

وقال ابن حجر [١]: قال عمر بن شبة: واستمتع سلمة بن امية من سلمى مولاة حكيم بن امية بن الأوقص الأسلمي فولدت له فجحد ولدها، قلت: وذكر ذلك ابن الكلبي وزاد: فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة. وقال ابن حزم في المحلى: ثبت على تحليل المتعة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة ابن مسعود وابن عباس وجابر وسلمة والمغيرة ابنا امية بن خلف وذكر آخرين.

ومما قاله السيد المرتضى في رده على قاضي القضاة وأقره عليه ابن أبي الحديد [٢]: فأما ادعاؤه على أمير المؤمنين عليه السلام انّه أنكر على ابن عباس احلالهما فالأمر بخلافه وعكسه، فقد روي عنه عليه السلام من طرق كثيرة انّه كان يفتي بها وينكر على محرمها والناهي عنها، وروى عمر بن سعد الهمداني عن حبيش بن المعتمر قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لولا ما سبق من ابن الخطاب في المتعة ما زنى إلّا شقي. وروى أبو بصير قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام يروي عن جده أمير المؤمنين: لولا ما سبقني به ابن الخطاب ما زنى إلّا شقي. وقد أفتى بالمتعة جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع وأبي سعيد الخدري وسعيد بن جبير ومجاهد وغير من ذكرناه ممن يطول بذكره، فأمّا سادة أهل البيت عليهم السلام وعلماؤهم فأمرهم واضح في الفتيا بها كعلي بن الحسين زين العابدين وأبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق وأبي الحسن موسى، وعلي بن موسى الرضا

---

(١) في الاصابة: ج ٢ ص ٦١ عند تعرضه لترجمة سلمة بن امية بن خلف الجمحي.

(٢) ج ٣ ص ١٦٨ من الشرح الحديدي.

ـ اهـ ملخصاً ـ.

وقال ابن رشد الأندلسي [١]: واشتهر عن ابن عباس تحليلها وتبع ابن عباس على القول بها أصحابه من أهل مكة وأهل اليمن ورووا انّ ابن عباس كان يحتج لذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وفي حرف عنه إلى أجل مسمى. وروي عنه انّه قال: ما كانت المتعة إلّا رحمة من الله عزوجل رحم بها امة محمّد ﷺ ولولا نهي عمر عنها ما اضطر إلى الزنا إلّا شقي، وهذا الذي روي عن ابن عباس رواه عنه ابن جريح وعمرو بن دينار وعن عطاء قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمر ثمّ نهى عنها عمر الناس ـ اهـ.

وقال الشوكاني [٢] عند كلامه على هذه الآية: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ قال الجمهور: انّ المراد بهذه الآية نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام ويؤيد ذلك قراءة أبي بن كعب وابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وفي مستدرك الحاكم (ج ٢ ص ٣٠٥) أبو سلمة يقول: سمعت أبا نضرة يقول: قرأت على ابن عباس: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فريضة﴾ قال ابن عباس: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى، قال أبو نضرة: فقلت: ما نقرؤها كذلك، فقال ابن عباس: والله لأنزلها الله كذلك. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي.

هذا وقد سلف في أخبار حج التمتع ما يتعرض لحلية متعة النساء فراجع وفي

---

(١) في كتابه بداية المجتهد: ج ٢ ص ٥٨.

(٢) في تفسيره فتح القدير: ج ١ ص ٤١٤.

هذه الأدلّة وجوه من الدلالة على انّ تحريم عمر لها إحداثي وانّه من عنده كما في متعة الحج.

الوجه الأوّل: ما ساقه ابن جرير من حديث ام عبد الله ابنة أبي خيثمة وما سيق بطرق شتى عن جابر بن عبد الله وما عن ابن حجر من استمتاع سلمة بن امية بن خلف في عهد عمر وما عن ابن جرير أيضاً انّ ابن حريث وابن فلان استمتعا كلاهما ولد له من المتعة زمان أبي بكر وعمر واستمرار من استمر من الصحابة إلى نهاية حياته يفتي بحلية المتعة كابن عباس وابن مسعود وجابر وسلمة والمغيرة ابني خلف وسلمة بن الأكوع وأبي سعيد الخدري وفي طليعتهم علي بن أبي طالب فإنّ مذهبه في حلية المتعة ومذهب أهل بيته كالنار على علم، وسيجيء بعض القول فيه، فإنّ كل هذه الحوادث والأقوال ناصة على انّ حلية المتعة قد استمر عليها العمل من نفس الصحابة فضلاً عن غيرهم كل زمان الرسول وكل زمان أبي بكر من بعده وصدراً من خلافة عمر بن الخطاب، وأي نصّ أصرح من هذه السيرة العملية القاطعة على انّ عمر هو المحدث لتحريمها وذلك بعد مضي شطر من خلافته وان لا أثر للتحريم قبله لا في صدر خلافته هو ولا في خلافة أبي بكر ولا في حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

الوجه الثاني: ما يشعر بأنّ تحريمها رأي خاص بعمر وانّه لا دخل لشريعة السماء بالتحريم بعد التحليل وذلك مثل ما أسلفناه [١] عن علي قال: لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة ثمّ ما زنى إلّا شقي. أبو يعلى في مسنده. وأبو داود في ناسخه. وابن جرير. وما سقناه أيضاً عن ابن حجر في الاصابة حاكياً عن عمر بن شبة وابن الكلبي ان سلمة بن امية استمتع من سلمى

---

(١) عن منتخب كنز العمال: ج ٦ ص ٤٠٥.

مولاة حكيم بن امية بن الأوقص الأسلمي فولدت له فجحد ولدها فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة. وما أسلفناه أيضاً عن صحيح مسلم (ج ٤ ص ١٣١) عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيّام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث. وهذه الوجوه والآثار كما ترى ناصة على انّ عمر أحدث تحريمها بعدما كانت حلالاً فضلاً عن كل زمن الرسول ﷺ وزمن أبي بكر وصدر من خلافة عمر أيضاً.

الوجه الثالث: ما يشعر باضافة النهي عنها إلى نفس عمر تأسيساً لا تأكيداً مثل ما عن أبي نضر قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ﷺ ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما. وما عن أبي نضرة أيضاً عن جابر قال: قلت: انّ ابن الزبير ينهى عن المتعة وان ابن عباس يأمر بها قال: على يدي جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله ومع أبي بكر فلما ولي عمر خطب الناس فقال: انّ رسول الله هذا الرسول وانّ هذا القرآن هذا القرآن وانهما كانتا متعتان على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما احداهما متعة النساء ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلّا غيبته بالحجارة والأُخرى متعة الحج ـ الخ ـ وقد سلفت صور من هذا الرقم. ولا ريب انّ الظهور في مثل هذه التعبيرات منعقد على انّ عهد الرسول كان ضافياً على هاتين المتعتين وانهما ما انقطعتا عن عهده ولا نهى عنهما واستمرتا إلى هذا الزمان فأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما ويرفع هذا الظهور إلى درجة النص قول جابر: ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما، فإنّه رتب عدم العودة اليهما على نهي عمر الصادر زمن خلافته وهو صريح في انهم قبل نهي عمر كانوا يفعلونها ولو أراد عمر بخطبته التأكيد لا التأسيس لقال انهما كانتا على عهد

رسول الله بادئاً ، ثمّ انّه ﷺ نسخهما ونهى عنهما وأنا أنهى عنهما أيضاً وأُعاقب عليهما ، وبين هذا الكلام وسابقه فاصلة بعيدة جداً .

الوجه الرابع : لا يستطيع أحد من أبناء التسنن أن يثبت ولو من طريق نفسه وأهل مذهبه ان متعة الحج بعدما كانت حلالاً على عهد الرسول نسخت وهاتان المتعتان في لسان عمر مقرونتان في قرن فكما ان الأُولى لم تنسخ فكذلك متعة النساء وإلّا لنص على انهما جميعاً نسختا أو انّ الثانية نسخت دون الأُولى ، وقد مرّ انّ عمر معترف بلفظ نفسه انّ متعة الحج ليست من المنسوخات على عهد الرسالة ، فانظر ما حررناه آنفاً .

ويدعي أبناء التسنن انّ نكاح المتعة اُبيح أوّلاً ثمّ نسخ ثمّ اُبيح ثمّ نسخ واستقر تحريمه ، لاحظ باب نكاح المتعة من صحيح مسلم ، وهذا لعمري فيه من التلاعب ما لا يخفى ، وذكروا له في الصحيح طرقاً ثلاثة تعطى النسخ (احدها) ما عن اياس بن سلمة عن أبيه قال : رخص رسول الله ﷺ عام اوطاس في المتعة ثلاثاً ثمّ نهى عنها . (ثانيها) ما عن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه سبرة قال : أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ثمّ لم نخرج منها حتى نهانا عنها . (ثالثها) عن علي بن أبي طالب انّ رسول الله نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وانّه نهى ابن عباس عن القول بحلية المتعة .

أمّا ما عن علي عليه السلام فمكذوب عليه بلا ريب ، فإنّه لم يرو عن النبي ﷺ ولا نهى ابن عباس عنه ، لأنّه قد تواتر من طرق أهل البيت عليهم السلام انّ علياً والأئمّة من آله قائلون بحلية المتعتين منذ أصل تشريعهما إلى يوم القيامة مفندون لعمر فيما ارتآه فيهما ، وقد سلف ما عن منتخب كنز العمال (ج ٦ ص ٤٠٥) انّ عليّاً قال : لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة ، ثمّ ما زنى إلّا شقي . أبو

يعلى في مسنده، وأبو داود في ناسخه، وابن جرير. فعلي كما هو صريح هذا الأثر يرى انّ تحريم عمر لمتعة النساء من رأيه المجرد وليس مستنداً فيه إلى شرع الرسول. ومن طرق أهل البيت عليهم السلام ما عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عن المتعة فقال: نزلت في القرآن: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ **فيما تراضيتم به من بع الفريضة**﴾.

وعن عبد الله بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر يقول: كان علي عليه السلام يقول: لولا ما سبقني به ابن الخطاب ما زنى إلّا شقي. وعن أبي مريم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله. وعن زرارة قال: جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر فقال: ما تقول في متعة النساء؟ فقال: أحلّها الله في كتابه وعلى سنة نبيه فهي حلال إلى يوم القيامة، فقال: يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنها؟ فقال: ون كان فعل، فقال: اني أُعيذك بالله من ذلك أن تحلّ شيئاً حرّمه عمر، فقال له: فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله فهلم اُلاعنك إن الحق ما قال رسول الله والباطل ما قال صاحبك. وعن الفضل بن شاذان عن الرضا في كتابه إلى المأمون محض الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله... إلى أن قال: وتحليل المتعتين اللتين أنزلهما الله في كتابه وسنهما رسول الله متعة النساء ومتعة الحج. وفي الباب أخبار لا تحصى، وفيما أسلفناه كفاية وبلاغ.

وأمّا ما جاء من طريق غير علي في حكاية النسخ فمزور مكذوب أُريد بوضعه تأييد ابن الخطاب فيما قال، ويدل عليه انّ الحكم المنسوخ خصوصاً إذا كان من الأحكام المهمة ومما يتعلق بالنواميس والأعراض التي انعقد لها كيان في نظر الشارع حتى قرنها بالدماء احتراماً واعتباراً لابد أن يكون ناسخه من الأُمور الواضحة العلم للمكلفين حتى ينقطعوا عما ثبت لهم تحليله ويأخذوا قولاً واحداً

بالناس، ونحن نرى المطلب في المتعة بعكس ما تقرر في الملاك المزبور فإنّ تحليلها مما ثبت للعموم باعتراف العموم، وأمّا نسخها فليس كذلك فإنّه لم يعد علي ولا ابن عباس ولا جابر بن عبد الله ولا ابن مسعود ولا سلمة والمغيرة ابنا امية بن خلف ولا غير هؤلاء ممن تعرضنا لذكرهم آنفاً ولا من لم نذكره نحن وذكره غيرنا يعلمون شيئاً من أمر هذا الناسخ، بل صرحوا بأنّ ذلك رأي مخصوص بعمر ليس له أقل تماس بالشرع ويكفي موهناً فيما يدعي من هذا الناسخ اصرار هذا الجمع المعتبر المعروف الحال في الفضل والاتصال بأحكام الشريعة على تكذيبه وان حكم الاباحة كما كان باق إلى الآخر ومما يؤكد تزوير هذا الناسخ روايتهم له عن علي المعروف هو وأهل بيته بخلاف ذلك معرفة خصصتهم بمذهبهم الخاص وهذه المسانيد المعنعنة المأخوذة عن أهل البيت الصادقين شعار هذه الدعوى والضرورة من مذهبهم فوق ذلك.

وبعد هذا كله فإنّ تحريم عمر المتعة من أوليات عمر، قال السيوطي في تاريخ الخلفاء في الفصل الذي عقده لترجمة عمر قال العسكري: وأوّل من حرّم المتعة، وهذا صريح في انّ من قبله لم يكن يحرمها ـ اهـ.

وقال السيوطي في الترجمة المومأ اليها حاكياً عن العسكري: انّ عمر أوّل من أعال الفرائض.

وقد ساق البيهقي [١] عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: دخلت أنا وزفر بن أوس بن الحدثنا على ابن عباس بعدما ذهب بصره فتذاكرنا فرائض الميراث فقال: ترون الذي أحصى رمال عالج عدداً لم يحص في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً؟ إذا ذهب نصف ونصف فأين موضع الثلث. فقال له

(١) في سننه: ج ٦ ص ٢٥٣.

زفر: يا ابن عباس من أوّل من أعال الفرائض؟ قال: عمر بن الخطاب، قال: ولم؟ قال: لما تدافعت عليه وركب بعضها بعضاً قال: والله ما أدري كيف أصنع بكم والله ما أدري أيكم قدم الله ولا أيكم أخّر قال: وما أجد في هذا المال شيئاً أحسن من أن أُقسمه عليكم بالحصص. ثمّ قال ابن عباس: وأيم الله لو قدم من قدم الله وأخّر من أخّر الله ما عالت فريضة، فقال له زفر: وأيهم قدم وأيّهم أخّر؟ فقال: كل فريضة لا تزول إلّا إلى فريضة فتلك التي قدم الله وتلك فريضة الزوج له النصف فإن زال فالى الربع لا ينقص منه والمرأة لها الربع فإن زالت عنه صارت إلى الثمن لا تنقص منه. ولهذا الحديث تتمة نسوقها أخيراً.

وروى الحاكم[1] عن محمّد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس انّه قال: أوّل من أعال الفرائض عمر، وأيم الله لو قدم من قدم الله وأخر من أخر ما عالت فريضة، فقيل له: وأيّها قدم الله وأيّها أخر؟ فقال: كل فريضة لم يهبطها الله عزوجل عن فريضة إلّا إلى فريضة فهذا ما قدم الله عزوجل وكل فريضة إذا زالت عن فرضها لم يكن لها إلّا ما بقي فتلك التي أخر الله عزوجل كالزوج والزوجة والأُم والذي أخر كالأخوات والبنات فإذا اجتمع من قدم الله ومن أخر بدأ بمن قدم فأعطي حقه كاملاً فإن بقي شيء كان لمن أخر وان لم يبق شيء فلا شيء له. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وساق البيهقي في ذيل ما أسلفناه عن سننه: والأخوات لهن الثلثان والواحدة لها نصف فإن دخل عليهن البنات كان لهن ما بقي فهؤلاء الذين أخر الله فلو أعطى من قدم الله فريضة كاملة ثمّ قسم ما يبقى بين من اخر الله بالحصص ما عالت فريضة، فقال له زفر: فما منعك أن تشير بهذا الرأي على عمر؟ فقال: هبته والله،

(١) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٤٠.

قال ابن اسحاق: قال لي الزهري: وأيم الله لولا انّه تقدمه امام هدى كان أمره على الورع ما اختلف على ابن عباس اثنان من أهل العلم.

أقـول: هذا الذيل ـ عن سنن البيهقي ـ محرف بلا شبهة، فـإنّ فـيه تـوريث الأُخت مع البنت بفرض الكتاب مع انّه لم يقل به قائل، نعم إنّما قال أهل التعصيب بتوريثها مع البنت إذا فضل عن السهام المفروضة شيء، وكلام ابن عباس في هذا الحديث خاص بأهل الفرائض المقررة في الكتاب لا مطلق من يرث، فأحسن واصح ما في الباب ما عن المستدرك كما سلف.

ولقد أخطأ الزهري في قوله: لولا انّه تقدمه امام هدى كان أمره على الورع ما اختلف على ابن عباس اثنان فكيف ـ ليت شعري ـ يكون امام هدى وهو يـقدم على الافتاء مع التحير ـ ما أدري كيف أصنع بكم والله ما أدري أيكم قدم الله ولا أيكم أخر ـ ومع علمه أيضاً انّ الله قدم فيهم وأخر بلا ريب، إذ من المستحيل على أقل الناس أن يحكم في مال بثلثين وربع وسدسين كبنتين وزوج وأبوين فكيف بالله الذي لم يغادر علمه صغيرة ولا كبيرة، فكان من لازمه أن يستفتي من كـل مظنة صالحة لذلك حتى يقف على الواقع فما الذي جوّز له وهو امام هدى كـل اموره على الورع كما يقال في حقه ـ ان يهجم على الافتاء مـن دون مـبرر ولا مسوغ ولو كان اجتهاد المجتهد جائزاً حتى مع وجود النصوص إلى جـنبه لمـا كانت لله حجة على الكفرة والملاحدة والمبدعين والجهلة ففي جنب اجتهادات كل هؤلاء معالم لو آووا اليها لكشفت نوع جهالاتهم ولكنهم استبدوا بآرائهم قبل أن يعرضوها على المحك فضلوا وأضلّوا. وتسعاً لأهل العـلم الذيـن يـدركون الواقع في قول ابن عباس ويبقون ملازمين لخطة عمر العمياء. أفليس هذا هـو الجهل الصريح والتمرد على الحق من دون شبهة.

وما ذكره ابن عباس من المال الذي يكون فيه نصفان ومن صور الفـرائـض

فمثاله أُخت للأب والأم أو للأب وحده وزوج واثنان فصاعداً من كلالة الأم فإنّ للأُخت نصفاً وللزوج نصفاً ولكلالة أُم ثلثاً ودخول النقص إنّما يكون على الأُخت لا على الزوج ولا على الكلالة المزبورة.

ولأجل أن تقف على مقياس صحيح للارث من كتاب الله تعالى نعطيك هذا البرنامج ثمّ نفيض بعده بما لأبناء العامة من فتاوى مخالفة للبرنامج المزبور بالصراحة.

قال سبحانه (في سورة النساء: آية ١٠): **﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾** الأولاد في عرف القرآن كما في عرف كل عربي لفظ يشمل الذكور والاناث ولذلك قال تعالى: **﴿للذكر مثل حظّ الأنثيين﴾** فإنّ تقسيم الأولاد إلى الذكور والاناث دليل على شموله لهما وكذلك الولد بصيغة الجمع شامل للقسمين والولد والأولاد جميعاً جمع للولد ومنه يستدل على انّ الولد بصيغة المفرد لو كان ختصاً بالذكر وحده لما جاز في جمعه أن يكون شاملاً للذكور والاناث جميعاً إذ لا مفرد للجمعين المذكورين سوى لفظ ولد، وعليه ابتني جمعهما وفوق كل ذلك استعمال العرف للولد بصيغة الافراد للمولود الجنسي لا يخصون به الذكر دون الأُنثى. فما عن بعض العامة من تخصيص لفظ الولد في مثل قوله: ـإن كان له ولد فإن لم يكن له ولد ـ بالذكر فقط تحكم لا مقيل له من الصحة؛ فالحكم المستفاد من هذه الفقرة انّ أولاد الميت إذا اجتمعوا ذكوراً واناثاً تفاضلوا في الاستحقاق فيكون للولد الذكر ضعف ما للانثى.

وقال سبحانه: **﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾** صريح الآية انّ البنت الواحدة فرضها النصف وان ما فوق البنتين من عددهن فرضه الثلثان. يبقى البنتان فقط ما هو فرضهما؟ امّا صريح قوله تعالى: كانت واحدة فإنّه يدفع غير الواحدة عن الفرض المترتب على الوحدة المصرح

بها كما لا يصلح للتصرف فيه بما يشمل الثنتين، وأمّا صريح قوله تعالى: نساء فوق اثنتين فإنّه كلمة فوق فيه وان كانت صريحة فيما زاد على الثنتين إلّا انّ اقحام الثنتين قبلها لا يقلق العبارة، فيقال: إن كنّ نساء اثنتين وما فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وهذا التصرف لا يتأتى في قوله: وان كانت واحدة فلها النصف، فإنّ كلمة لها لا تنطبق إلّا على الأُنثى الواحدة بخلاف كلمة لهن المتعقبة للثنتين ولما زاد على الثنتين لأنّ ما سبقها بمجموعه جمع وفوق كل ذلك تأييد النصوص من الفريقين السنة والشيعة لذلك وهو المعتمد، هذا مع ما يستأنس من فريضة الثنتين من الأخوات في الكلالة بأنّها الثلثان كما يستأنس لما زاد على الأُختين في انّ حكمه الثلثان أيضاً مما هو مصرح به لما هو فوق الاثنتين من البنات فالحكم المستفاد من هذه الفقرة انّ البنتين فما زاد إذا انفرزن عن الأولاد الذكور لهن الثلثان وان البنت الواحدة إذا انفرزت عن مجامعة الولد الذكر لها النصف. وقد أخطأ من العامة من ألحق البنتين بالبنت الواحدة في انّ البنت الواحدة كما لها النصف كذلك البنتان لهما النصف.

وقال سبحانه: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ يعطي صريح الآية انّ الميت إذا ترك بعده أبويه وكان له ولد، وقد أسلفنا انّ الولد يشمل الذكر والأُنثى ـ كان سهم الأبوين من تركته ـ مع وجود الولد للميت ـ الثلث من مجموع ما ترك يقسمه الأبوان بينهما بالمناصفة التامة فيكون لكل واحد منهما سدس ما ترك.

قال سبحانه: ﴿فَإِن لَمْ يَكُن لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ صريح الآية انّ الميت إذا مات عن أبوين ولم يكن له ولد فلأُمه ثلث ما ترك فريضة والأب مسكوت عنه هنا لم يبين له حكم.

ثمّ قال سبحانه: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ وهذا تفريع على الحكم

الآنف في الميت الذي يموت عن أبويه وليس له ولد وان لأُمه الثلث مفاده انّ الأُم تنزل عن هذه الفريضة ـ الثلث ـ إلى السدس بمجرد وجود اخوة للميت، لكن هذا المفاد ساكت عن حكم الخمسة الأسداس الفاضلة عن سدس الأم وإن كان ناطقاً عن انّ حجب الاخوة للأُم عما زاد عن السدس مشروط بكون أبي الميت في هذا الظرف حياً ووارثاً لوقوعه تفريعاً على قوله: فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأُمه الثلث فإنّ كان له اخوة فلأُمه السدس.

ثمّ قال سبحانه (آية ١١ من سورة النساء): ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ يعطي صريح الآية انّ الزوج يستحق النصف من مجموع ما تترك زوجته ان لم يكن لها ولد سواء كان هذا الولد المنفي منه أو من زوج قبله وانّه ينزل عن هذه الفريضة إلى الربع إذا كان لزوجته ولد أعم من أن يكون هذا الولد من هذا الزوج الوارث أو من زوج قبله.

ثمّ قال سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾ تعطي هذه الفقرة انّ الزوجات يرثن الربع مما ترك زوجهن إن لم يكن له ولد فإن كان له ولد أعم من أن يكون هذا الولد من هذه الزوجات الوارثات أم من غيرهن فلهن الثمن من مجموع تركة الزوج، وتستوي في هذا الحكم الزوجة الواحدة وما زاد عليها بما حدده الشرع في موضوع الأنكحة في الربع والثمن فهما فرض المفرد وما فوقه منهن ويعطي ظهور ذلك التساوي في قسمته أيضاً فلا تفضل واحدة على واحدة فيما عين لوزان الزوجة من نصيب.

ثمّ قال سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾.

وقال سبحانه أيضاً (آية ١٧٦ من السورة المذكورة): ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ

يَكُن لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ﴾ .

يستفاد من هاتين الفقرتين عدة نواحي من البحث :

الناحية الأُولى : انّ لفظ الكلالة في القرآن يراد به قسم اخوة الميت فقط على تشعب ارتباطات الاخوة وان الآباء والأولاد والأزواج والزوجات والأعمام والأخوال وكل مناسب للميت ومسابب لا يقال لهم كلالة بدليل انّ الله سبحانه لم يقرن لفظ الكلالة في مقام تحديثه عن أحكام الوارثين إلّا بالاخوة والأخوات فقط . فاختلاف الخليفتين في انّ الكلالة هي ما سوى الوالد والولد أو ما سوى الولد فقد اختلاف لا وزن له كما لا قيمة لأصل هذا التعميم منهما ومن غيرهما لدفع ظواهر الكتاب ؛ كل هذه التخرصات والمزاعم كما رأيت والحق مع الشيعة الحاصرين لنسبة الكلالة في طبقات وتشعبات الاخوة فقط .

الناحية الثانية : انّا نجد في الفقرتين الآنفتين نوعين من الكلالة فالنوع الأوّل ما قيل في حكمه انّ الإنسان إذا مات عن أخ مفرد أو اخت مفردة فلكل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك أي أكثر من أخ أو أكثر من أُخت بالكثرة الصادقة على المتحدين في الذكورة والأُنوثة والمختلفين فيهما فهم شركاء في الثلث الذي هو سهم ما زاد عن الواحد يتساوون في تقسيمه ولا يتفاضلون ، والنوع الثاني : ما قيل في حكمه انّ المرء إذا هلك وليس له ولد وكانت له اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إذا ماتت ولم يكن لها ولد بعنوان انّه أخوها ولكن من غير تعيين مقدار له وانّه إذاكان مكان الاخت الواحدة اثنتان فلهما الثلثان من مجموع ما ترك وامّا إذا اختلط هؤلاء الاخوة رجالاً ونساءً فارثهم لما تركه أخوهم يكون بالتفاضل للذكر مثل حظّ الأُنثيين . ثمّ نحن بعد أن عرفنا النوعين وما بينهما من التفاوتات الكلية حصل لنا القطع بأنّ جهة انتساب الأُولى للميت

غير جهة انتساب الثانية إليه وليس عندنا من نفس الكتاب ما يعين لنا ذلك، نعم هناك في السنة المستفيضة بل المتواترة من طرق الفريقين السنة والشيعة ما يحكم بالتعيين، فينسب الأُولى بأنّها كلالة الأُم فقط والثانية كلالة الأب وحده أو الأبوين جميعاً.

قال ابن رشد الأندلسي [١]: أجمع العلماء على انّ الاخوة للأُم إذا انفرد الواحد منهم أنّ له السدس ذكراً كان أو أُنثى وانهم إن كانوا أكثر من واحد فهم شركاء في الثلث على السوية للذكر منهم مثل حظ الأُنثى سواء وهذا لقوله تعالى: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أُخت﴾، الآية. وذلك انّ الإجماع انعقد على انّ المقصود بهذه الآية هم الاخوة للأُم فقط.

قال: وأجمع العلماء على انّ الاخوة للأب والأُم أو للأب فقط يرثون في الكلالة أيضاً، امّا الاخت إذا انفردت فإنّ لها النصف وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان كالحال في البنات وانهم ان كانوا ذكوراً واناثاً فللذكر مثل حظ الانثيين كحال البنين مع البنات وهذا لقوله تعالى: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ الآية.

وهذا القسم الذي ذكر ابن رشد معروف في فقه الشيعة لا يختلفون فيه ولا يقولون بما سواه.

الناحية الثالثة: انّ وجود الولد للميت حاجب للكلالات من مطلق الإرث بدليل قوله تعالى في أخ المتوفاة من كلالة جانب الأب وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، فجعل ارثه معلقاً على عدم الولد فمتى وجد الولد انتفى أصل ارثه لها، وهذه الفقرة بنفسها دليل على انّ المراد بقوله تعالى: إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها النصف هو انّ أصل ارث الاخت موقوف على عدم الولد لا انّ

---

(١) في بداية المجتهد: ج ٢ ص ٣٣٨.

الموقوف على ذلك هو انها لا ترث النصف، وإنّما ترث غيره كما انّ هذا القيد ـ ليس له ولد، ان لم يكن لها ولد ـ يجب وروده أيضاً في كلالة الأمّ فيقال في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ إن لم يكن له ولا لها ولد، وكذلك ان كانوا أكثر من ذلك، لأنّ الاخوة جميعاً طبقة واحدة ودرجة انتسابهم إلى الميت فذة وان حصل فيهم حاجب ومحجوب فللأولوية فيما بين القريب والأقرب كالواجد لعلقة الأبوين كليهما والواجد لعلقة الأب وحده وهذا المعنى لا يفاوت بين الاخوة من جهة أصل علقة الاخاء.

الناحية الرابعة: انّ كلالة الأمّ مفروض لها في الكتاب على كل حال اتحدت أفرادها أو تعددت اختلفت في الذكورة والأنوثة أو اتحدت فالواحد منها له السدس وما زاد على الواحد له الثلث؛ وهذا بخلاف كلالة جانب الأب فإنّ اناثها مفروض لهن بشرط عدم اختلاطها بذكر ان طبقتها وامّا إذا حصل الاختلاط فلا فرض أصلاً وإنّما يرثون ما يصل لهم وكذلك إذا تمحض الذكور في الطبقة فإنّه لا فرض لهم وإنّما يرثون الواصل اليهم فكلالة الأمّ أثبت أساساً من كلالة جانب الأب وأبعد عن ناحية الاختلاف في الحكم فهي دائماً ترث بفرض منصوص وبمساواة تامة وإذا نزلت عن الثلث لا تتخطى السدس بحال.

وقال سبحانه في آخر سورة الأنفال أيضاً (آية ٧٥): ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾ كما قال عين ذلك في الآية السادسة من سورة الأحزاب.

وهذه الكلية تعطينا بصراحتها الغير القابلة لابداء الاحتمال انّ الأقرب من أرحام المتوفى يمنع الأبعد بطور مطلق وإنّما لم تمنع كلالة الأبوين من مجامعة كلالة الأمّ لها في الإرث لأنّ الله اعتبرها كذلك في صريح كتابه كما سلف وما من اخبار الآحاد فيه منافاة لهذه الكلية من توريثه الأبعد مع الأقرب يسقط لأنّه

نقيض صريح للكلية المزبورة ولا يعترض علينا بأنّ الله قد خصّص كليته هذه بما ساقه من حكم كلالة الأُمّ في عرض كلالة جانب الأب باطلاقها ؛ فانا نقول : انّه سبحانه إنّما عقد كليته هذه بعدما أنهى شرحه عما شرحه من احكـام الوارثـين على التعيين ويكون ذلك بمنزلة من قال : لم يقم زيد ولا عمرو وقام القوم كـلهم على انّ قاعدة منع الأقرب للأبعد قاعدة عقلية صرفة لأنّ العقول تـحكم بـهذه الأولوية من غير تردد ، وقد أسلفنا انّ أخبار الآحاد لا تخصص عموم الكتاب إلّا إذا أفادت العلم القاطع ، وما يرويه أبناء السنة عن النبي فـي ذلك لا يـبلغ هـذه الدرجة ، مضافاً إلى انهم يقولون بالتعصيب على طول الخط ويورثون زيـادات الفروض للأباعد بلا استثناء ، وهذا منهم اسقاط لآية أُولي الأرحـام رأساً لا انّـه تخصيص لها ، ولا ريب انّ الخاص الذي يطرح العام عن جميع مـدلولاته أو لا يبقى له منها إلّا ما يكون لاغياً معه نقيض للعام المزبور ولا يسمى مـخصصاً له وكلّما يناقض الكتاب ساقط إلّا الناسخ بشروطه المعتبرة ، ولم يقل أحد انّ آيـة أُولي الأرحام منسوخة ولا ما ذكروه يصلح للناسخية لضعفه فالى هنا قد ثبت انّ التعصيب باطل بصراحة الكتاب وانّ توريث الأبعد لا يجوز مع وجود الأقـرب ولا منافاة بين الفروض المذكورة لأهلها في الكتاب وبين ردّ الزائد عليهم فـإنّ المعين حق ثابت على كل حال لا نرفع اليد عنه إلّا بمزاحمة الوارث ذي الفرضين والرد من الاضافات التي تحصل حيناً وحيناً لا على جهل هويتها فـي المـقدار وإنّما يستحقها الوارث للأولوية المذكورة ولا ريب انّ هذه الملاكات ملاكـات مضبوطة لا يتطرق اليها الوهن العلمي أصلاً وعلى ذلك أهل البـيت وشـيعتهم ، وأمّا أبناء السنة فلقد تذبذبوا تذبذباً فاحشاً في هذا الميدان بل كل فقههم مذبذب لا قيمة له من العلم ولا وزن له من الملاكات الصـحيحة وهـنا مـقام التـعرض لتسويلاتهم النفسية في باب المواريث .

روى الحاكم [١] عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أُحد شهيداً وان عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واُمهما الثمن وما بقي فهو لك. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

أقول: كذب أبناء السنة في ذلك فإنّ آية الميراث ـ كما سلف لك ـ حكمت للبنتين بالثلثين وللزوجة في مثل هذا المقام بالثمن وحكمت آية اُولي الأرحام بأنّ الزائد للأولى وهو هنا بنات سعد لا عمهما بلا ريب.

وروى الحاكم في المستدرك (المصدر نفسه) عن هزيل بن شرحبيل قال: أتيت أبا موسى وسلمان بن ربيعة في ابنة وابنة ابن واخت لأب واُم فقالا للأبنة النصف وللأُخت النصف وقالا: ائت ابن مسعود، فإنّه سيتابعنا، فأتيته فأخبرته فقال: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ولكني أقضي بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس وما بقي فللأُخت. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أقول: باطل كالأوّل، امّا البنت فلها النصف فرضاً كما ذكر والأُخت لا ترث من أخيها ولا من اُختها ولهما ولد والولد كما سلف يشمل الذكر والأُنثى وابنة الابن محجوبة بالبنت لآية اُولي الأرحام.

وروى الحاكم [٢] عن علقمة عن عبد الله قال: أتى عمر في امرأة وأبوين فجعل للمرأة الربع وللأُم ثلث ما بقي وللأب ما بقي. صحيح على شرط الشيخين

---

(١) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٣٤.

(٢) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٣٥.

ولم يخرجاه.

أقـول: أخطأ عمر حيث اعتبر انّ للأُم ثلث ما بقي بل لها ولكـل ذي فـرض مذكور في الكتاب فرضه من أصل التركة كما هو صريح الكتاب في كل ما نزل به وعينه من فرض.

وروى الحاكم [١] عن ابن أبي ليلى عن الشعبي عن عمر وعلي وعبد الله وزيد في أُم وزوج واخوة لأب وأُم واخوة لأُم انّ الاخوة من الأب والأُم شركاء للاخوة من الأُم في ثلثهم.

وهذا أيضاً غلط من ناحية ومكذوب على علي من ناحية ثانية، فإنّ مذهب أهل البيت على عدم توريث طبقة الاخوة والأجداد مع الأبوين والأولاد والغلط فيه من جهة انّ الأُم إذا استوفت الثلث في هذا المقام لعدم الولد للميت واستوفي الزوج النصف كذلك لم يبق إلّا سدس فأيـن يكـون الثـلث الذي تشـترك فـيه الكلالتان وحجب الاخوة للأُم عما زاد عن السدس مشروط بحياة الأب وإرثـه كما هو ظاهر الكتاب ولم يذكر الأب في هذه الصورة على انّ الحاجب لا يستلزم في حجبه أن يكون وارثاً بل إذا كان هناك من هو أقرب منه ـ وحتماً يكون وهو الأب حد الأقل ـ يكون للأقرب لآية أُولي الأرحام فافهم واغتنم.

وروى الحاكم [٢] عن الزهري عن أبي سلمة قال: جاء ابن عباس رجل فقال: رجل توفي وترك بنته واخته لأبيه وامه، فقال: لابنته النصف وليس لأُخته شيء، قال الرجل: فإنّ عمر قضى بغير ذلك، جعل للابنة النصف وللاخت النصف، قال ابن عباس: أنتم أعلم أم الله فلم أدر ما وجه هذا حتى لقيت ابن طاووس فذكرت

(١) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٣٧.

(٢) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٣٩.

له حديث الزهري، فقال: أخبرني أبي انّه سمع ابن عباس يقول: قال الله عزوجل ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أُخت فلها نصف ما ترك، قال ابن عباس: فقلتم أنتم لها النصف وإن كان له ولد. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أقول: صدق ابن عباس في جميع جهات المسألة فانك قد قرأت آنفاً انّ إرث الأخ والأُخت موقوف على عدم الولد لمن يرثانه وانّ الولد يشمل الذكر والأُنثى ففضلاً عن انّ الأُخت لا فرض لها مع البنت لا ترث بالتعصيب أيضاً للتعليق المذكور ولآية أُولي الأرحام والابنة أقرب إلى الميت من أُخته.

وقد صحّ عن ابن عباس حديث آخر في هذه المادة، روى الحاكم [1] عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: شيء لا تجدونه في كتاب الله تعالى ولا في قضاء رسول الله وتجدونه في الناس للابنة النصف وللأُخت النصف. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. أقول: إنّما طير هذه البدع في الناس فتاوى عمر بن الخطاب وأمثاله ممن لا يبالون في إصدار الفتيا.

وروى الحاكم [2] عن مروان بن الحكم انّ عمر حين طعن قال: اني رأيت في الجد رأياً فإن رأيتم أن تتبعوه، فقال عثمان: ان نتبع رأيك فهو رشد وان نتبع رأي الشيخ قبلك فنعم ذو الرأي كان. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أقول: انظر إلى هذا التذبذب والأخذ لا عن تنقيح والخضوع لا عن مدرك والعمل بالبدع ترتجل ارتجالاً.

وروى الحاكم [3] عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: لا ترث العمة

---

(١) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٣٧.

(٢) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٤٠.

(٣) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٤٣.

أُخت الأب للأب ولا الخالة ولا من هو أبعد نسباً من المتوفى. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أقول: وبئست الفتوى هذه، وما أدري هل حاسب زيد عليها نفسه وإذا لم يكن هؤلاء الأرحام وارثين بل ومن هو أبعد نسباً منهم فهل يرثه الأجانب مع وجودهم وحتى لو فرض هذا الأجنبي اماماً فإنّ الكتاب إذا لم يتعرض للعمة والخالة بنصوصه الخاصة وخلت السنة عن ذلك أيضاً ففي آية أُولي الأرحام كفاية وبلاغ والعقل ردء لذلك كله هذا فضلاً عما رواه الحاكم[1] عن طاووس عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: الله ورسوله مولى من لا مولى له والخال وارث من لا وارث له. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى الحاكم[2] عن ابن عباس قال: اختصموا إلى علي في ولد الملاعنة فجاء عصبة أبيه يطلبون ميراثه فقال: انّ أباه قد كان تبرأ منه فأعطى اُمه الميراث وجعلها عصبته ولم يعطهم. هذا حديث صحيح الاسناد وإن كان موقوفاً على حكم أمير المؤمنين فإنّه غريب من فتاواه وأحكامه.

أقول: بل كل الحق معه فإنّ أباه لما لاعن امه ونفاه عن نفسه انتفى منه، وعصبة الأب يمتون إليه بهذا الأب المنقطع عنه شرعاً وامه فاقدة لهذا المانع لأنّها لما لاعنت أباه أثبتت نسبه منها وانها امه بحكم الشرع فهي ترثه السهم المفروض بنص كتاب الله وما زاد بالقرابة لآية أُولي الأرحام. فأي غرابة في هذا الحكم الواضح المأخذ. هذا وكم لأبناء السنة خصوصاً لخلفائهم الثلاثة في هذا الباب من فتاوى لا تعرف إلّا التخرص البارد والقول بالتشهي وإصدار الفتوى لا عن

---

(١) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٤٤.

(٢) في المستدرك: ج ٤ ص ٣٤٧.

مدرك وفيما ذكرناه نموذج واسع يكتفي به من يريد الوقوف على فقههم وكيفية استنتاجهم للفروع من مبانيها.

ومن بدع عمر وأولياته:

ما رواه مسلم [١] عن اسحاق بن ابراهيم ومحمّد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب: انّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم. وبسند آخر عن ابن طاووس عن أبيه انّ أبا الصهباء قال لابن عباس: أتعلم إنّما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وثلاثاً من امارة عمر ؟ فقال ابن عباس: نعم. وبطريق آخر انّ أبا الصهباء قال لابن عباس: ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر واحدة، فقال: قد كان ذلك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم ـ اهملخصاً ـ.

ولا ريب انّ هذا الاجتهاد من عمر في قبال نصّ صريح وسيرة نبوية قاطعة، وهذا عين الابداع في الدين والتمرد على شرائع الله وما وظيفة عمر في مثل هذه المواقف إلّا التسليم والتعبد بما تلقاه عن الشارع المقدس وليس له أن يزيد ولا أن ينقص ولا أن يخصص ما ثبت عمومه أو يقيد ما عهد من الشارع اطلاقه ولا أن يحدث ما لم يكن منه في الشريعة أثر فإنّ ذلك كله حرام صريح يؤاخذ عليه المكلف من ناحية الرب والمنطق يحكمه في مواقفه هذه ونظائرها بأقل كلمة يلقيها عليه وهو انك يا عمر مكلف متعبد ليس لك من أمر الشريعة شيء وإنّما

---

(١) في الصحيح: ج ٤ ص ١٨٣ وما بعدها، باب طلاق الثلاث.

ذلك لله سبحانه ورسله ومن نزلوه بمنزلتهم ونصوا عليه بهذا التنزيل وهم وسائطه في الابلاغ وايصال أحكامه إلى الناس وكل من سوى ذلك فلا قيمة لأقواله وأفعاله في الشرع وإذا اجترء مجترء على احداث ما لم يكن أو مخالفة ما كان فهو مبدع مناقض لصاحب الشريعة قد عرض نفسه لمعارضته ومناقضته فكم على عمر وكل مبدع مثله من أوزار قد تحملها من بدأ ما أحدث وأبدع إلى ما شاء الله من بقاء لأتباعه المتعبدين بأقواله المواسين له في أعماله وأفعاله النابذين لشرع الله وراء ظهورهم غير مبالين.

▣ البحث الثالث:

انّ عمر أوّل من أبرز كوامن الفتن وهيجها في معاريف الصحابة وتناقض هو في نفسه قولاً وعملاً في موضوع الخليفة والخلافة وانّه خبيث لغاية الخبث يبيت على الضغينة والحقد سنين وأعواماً، فمن شواهد هذه الفصول: ما يذكره ابن أبي الحديد[١] برواية ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام في احدى خرجاته فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتبعته فقال لي: ياابن عباس أشكو اليك ابن عمك سألته أن يخرج معي فلم يفعل ولم أزل أراه واجداً فبم تظن موجدته، قلت: ياأمير المؤمنين انك لتعلم، قال: أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة؟ قلت: هو ذاك انّه يزعم انّ رسول الله أراد الأمر له، فقال ابن عباس: وأراد رسول الله الأمر له، فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك، ان رسول الله أراد ذلك وأراد الله غيره فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسوله أو كل ما أراد رسول الله كان انّه أراد اسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم. وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله:

---

(١) ج ٣ ص ١١٤ وما بعدها من شرحه الحديدي.

انّ رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام فعلم رسول الله ما في نفسي وأمسك وابى الله إلّا امضاء ما حتم.

أقول: طالما تجلت العامية الصرفة في هذا الخليفة بألوان متنوعة وقفت فيما سلف على أنواع منها وهنا نفيض القول في طراز جديد منها أيضاً. يعتقد ابن الخطاب انّ كل مدفوع في الخارج عن التحقق غير مراد لله سبحانه ولو أرادته الشريعة ونصت عليه وهذا المعنى من الأغلاط العجيبة وكل من لم يفرق بين الأوامر الشرعية والأوامر التكوينية فقد جهل موضوع الشرع والتشريع والكون والتكوين وانّ ما يعود إلى عالم التكاليف والشرائع ما هو وما يعود إلى عالم التكوين والخلقة ما هو. كلا قولي الله سبحانه: أقيموا الصلاة، وكونوا قردة خاسئين، أمر مسبوق بارادة لكن المتمردين على اقامة الصلاة كثيرون في عباد الله ولم يتمرد انسان ممن خوطب ـ بكونوا ـ عن أن يصير قرداً خاسئاً وإنّما جاز للفريق الأوّل أن يتمرد ووجب على الثاني أن يطاوع ويطيع بفارق الارادة التكليفية والتكوينية فإنّ ارادة التكليف تواجه المخاطب في ظرف اختياره وارادة التكوين تنفذ فيه من غير مخايرة وقاطبة الشرائع وما يمت اليها من وادي التكليف المواجه للناس في ظرف اختيارهم ولو كانت من وادي التكوين لتحققت في الخارج بأدنى لحظة ولحصلت بمجموع ما اريد فيها وما يمت اليها ولما تعب الرسل في هداية الناس ذلك التعب الخارج عن المعتاد واوذوا واضيموا وطالت بهم المسافات وقامت وقعدت بهم الخطوب ونقلوا ارادات الله لعباده فعصى الناقل والمنقول عنه أفيعقل أن يريد الله الشيء من المكلف ومع ذلك يريد أن لا يتحقق منه وما هو إلّا عين مناقضة الله في نفسه لنفسه والمناقضة المذكورة تستحيل من طريق العقول على غير الله فضلاً عنه هو تعالى.

والنبوة والامامة بما لهما من معنى وعنوان أمران من طراز التكاليف وليستا من موضوع التكوين بشيء لأنّ المستهدف بهما أمر تكليفي وأخذ التكوين في التكليف من أخذ الأضداد في الأضداد وكون انّ رسول الله أراد علياً للخلافة فذلك عن ارادة الله سبحانه فإنّه ليس للنبي شيء من أمر الشريعة وإنّما الأمر في ذلك صرفاً لله والنبي رسول ومبلّغ وليس عاراً على الله والرسول إذا أراد أمراً تكليفياً أن لا يتحقق مرادهما في الخارج ككافة من أمراه بالصلاة فلم يصل وبالزكوة فلم يزك وهلم دواليك على طول التكاليف الشرعية والعصاة في بني آدم المكلفين.

وهذا الله سبحانه أراد نبوة محمّد وأن يسود الناس كافة بشريعته ويظهر دينه على الدين كله فما تحقق له من هذا العنوان العريض إلّا طرف مختصر وبعد جهد جهيد أيضاً، أذايا لا تحصى واهتضامات لا تحصر وحروب لاهبة وحملات شعواء مرة عليه ومرة له ومن هذا النمط شيء كثير ولو انّ الله أعمل ارادته التكوينية في ذلك لانقهرت قوى الملك والملكوت بمجرد بزوغ هذه الارادة.

فقول عمر: وأراد رسول الله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله ذلك، خاطىء، لأنّ ارادة رسول الله في الشرع مأخوذة عن ارادة الله. وكيف يريد رسول الله أمراً في الشريعة ويريد الله غيره أفليس الأوّل مبلغاً عن الثاني رسولاً عنه إلى عباده لا ينطق عن الهوى ان هو إلّا وحي يوحى، وكيف ينفذ مراد الله ولا ينفذ مراد رسوله في حال انّ الارادتين من واد واحد في هذا المجال؛ وكيف يجوز أن يقال في امور الشريعة انّ رسول الله أراد اسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم، في حال انّ الله أراد الايمان من كل مكلف وأمر باطاعة نفسه ورسوله في ذلك فهل يناقض الله نفسه يريد من العبد أن يؤمن به ويقسره على الالحاد بارادته عدم الايمان به؟ هذا كله هذر من القول وهذيان فإنّ العصيان لا يناط بارادة الله حتماً ومن يقول

بذلك لا يعود يعرف معنى الأوامر والنواهي الشرعية بالمرة الواحدة.

وقد كذب عمر في ذيل حديثه: فعلم رسول الله ما في نفسي فأمسك، فإنّ الحديث عن احضار الصحيفة للرسول في مرض موته متواتر وكذا تبرم الرسول منه ومن سائر الحاضرين عند ما رموه بالهجر والهذيان وطرده اياهم عن عز ساحته فقاموا مقبوحين عاصين لله وللرسول؛ وليت شعري ما هي الفتنة التي تخوف منها عمر حين أراد رسول الله أن يذكر عليّاً للامامة فصد رسول الله عن ذلك وهل يجوز لرسول الله أن يتلكأ عن اصدار أوامر ربه بصد عمر ونظير عمر وإنّما أمسك رسول الله في ذلك الموقع عن كل شيء لأنّه لم يجد مستمعاً يقول له ما يريد وكفى بذلك قاطعاً على القوم بمعصيتهم لله والرسول وتمردهم على الشارع المقدس المأخوذ عليهم أتباعه والاصاخة له. وهل أبقت السقيفة التي خاضها عمر فتنة لم تهضها أو كامناً لم تبرزه أو سيئة لم تعمل بها أو اغتصاباً وانتهاباً لم تقم بهما وبعد أن خاض ابن الخطاب وجلاوزته هذه الفتنة واستحصلوا من نتائجها ما كانوا يحومون حوله نراه يعود فاضحاً لها ناهياً عنها قائلاً انها كانت فلتة ومن عاد لمثلها فاقتلوه.

قال الشارح المعتزلي عقيب ما حكيناه عنه آنفاً: وقد روي عن ابن عباس أيضاً قال: دخلت على عمر يوماً فقال: ياابن عباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته رياء، قلت: من هو؟ قال: هذا ابن عمك يعني عليّاً، قلت: وما يقصد بالرياء؟ قال: يرشح نفسه بين الناس للخلافة، قلت: وما يصنع بالترشيح قد رشحه لها رسول الله فصرفت عنه، قال: انّه كان شاباً حدثاً فاستصغرت العرب سنه وقد كمل الآن، ألم تعلم انّ الله تعالى لم يبعث نبياً إلّا بعد الأربعين، قلت: يا أمير المؤمنين امّا أهل الحجى والنهى فإنّهم ما زالوا يعدونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام ولكنهم يعدونه محروماً مجدوداً، فقال: أما انّه

سبيلها بعد هياط ومياط ثمّ تزل فيها قدمه ولا يقضي منها اربه ولتكونن شاهد ذلك يا عبد الله ثمّ يتبين الصبح لذي عينين وتلعم العرب صحة رأي المهاجرين الأولين الذين صرفوها عنه بادء بدء فليتني أراكم بعدي يا عبد الله ان الحرص محرمة وان دنياك كظلك كلما هممت به ازداد عنك بعداً، نقلت هذا الخبر من أمالي أبي جعفر محمّد بن حبيب.

أقول: منظور ابن الخطاب في قوله: لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته رياء، تصغير شأن علي واتهامه في دينه كل ذلك حسداً له وخبث سريرة، فإنّ عمر مما عرف عنه الحقد والحسد وله في ذلك قضايا؛ امّا كون علي من العباد المقدسين من أوّل طلوعه على الدنيا إلى آخر مفارقته لها فتشهد له النصوص المستفيضة بل المتواترة بمجموعها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مرّ طرف من ذلك في مطاوي البحوث الآنفة فضلاً عما يثبته له التاريخ العمومي والسيرة القاطعة بحيث كان ـ وهو إلى ما لا يزال ـ لا يعرف إلّا بامامة المتقين وحامل لواء الزاهدين والعابدين بما لم يدانه في هذا الوصف احد بلا استثناء إلّا ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك خارج بالطبع لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام إنّما تخرج به وتلمذ عليه.

وامّا انّ السبب في صرف الخلافة عنه هو استصغار العرب لسنه فمكذوب مزور، وقد عرفت انّ جريان السقيفة ما كان دائراً على هذا المحور ولا على أي شيء من الملاكات، نعم إنّما دعمته فلتات غير اعتيادية بادئاً وشفعته الارهابات والانتهابات ثانياً وسكوت المتدينين وفي طليعتهم نفس علي عن المقاومة حفظاً لدين الإسلام في ذلك الموقف الحرج ثالثاً، وقد قرأت كل ذلك مفصلاً على انّ خلافة الدين والدنيا أيضاً لا تناط بالسن في كثيره وقليله وإنّما المنظور طبعاً هي القابليات والمؤهلات ولا يختلف اثنان من العقلاء في هذا الملاك وامّا

انّ الله لم يبعث نبياً إلّا بعد الأربعين فهو جزاف لا أصل له وإنّما هو من كلام الطرقية، كيف وقد قال الله سبحانه: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١) وقال تعالى أيضاً: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٢).

وامّا انّ أهل الحجى والنهى كانوا يعدونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام فيدل عليه معروفيته عند العرب كذلك بعد أن اختبرته الميادين الشائكة انّه رجلها الوحيد وبطلها الذي لا يحيد وجربته المواقف الحرجة انّه الكرار غير الفرار المحبوب لله والرسول.

وامّا انّه كان محروماً مجدوداً فليس ذلك لوهن فيه، ولكن لتكالب الجفاة أمثال فلان وفلان على هذا الرجل الغارق في الدين والتقوى الذي لا يرفع قدماً عن قدم إلّا بما هو رضاً لله وللرسول وقد برهنت التجارب على طول الخط من الزمان انّ أسباب التشخص في الدنيا منوطة بالانحرافات عن برامج الحق فلا ترى سياسياً لا يكذب ولا يزور ولا يخادع ولا يماكر ولا يرشي ولا يرتشي ولا يتنازل ولا يخون ولا يتملق وما إلى هذا الرديف وقد ارتكب أصحاب السقيفة هذه الخطة بنفسها فخادعوا وماكروا ورشوا وتملقوا واستعملوا الارهاب والارعاب وما إلى ذلك بما مرّ بيانه.

وأمير المؤمنين أجلّ شأناً وارفع ذاتاً وأطهر قدسية من أن يلم بطرف من ذلك وهذا السر هو الذي كثّر عليه أضراس الفتن في الرجال ولو انّه مع ما فيه من ملكات فاضلة استعمل القليل من كثير ما يستعمله السياسيون لربح الموقف ولم

---

(١) سورة مريم، الآية: ١٢.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٩ و ٣٠.

تصل النوبة إلى ابن عفان، فإنّ ابن عوف تقدم إلى بيعته قبل أن يتقدم إلى ابن عفان وكل شروطه كان مقبولاً لعلي إلّا شريطة المشي على سيرة الشيخين فلو انّ علياً أجاب إلى ذلك ولو بلى اللسان لصفق القوم كلهم على يده مبايعين ولكن دينه أبى له أن يقول ما لا يفعل ولم تصل النوبة إلى ابن عفان إلّا وأجاب بأدنى لحظة إلى كل ما أُريد منه وما قيمة الاجابة إلى ألفاظ مجردة إذا لم يشفعها عمل فما انتصب عثمان خليفة إلّا وجاءت المخازي منه ومن ولاته وحواشيه كالسيل العرم، ومع كل هذه الارتكابات المفضوحة نرى فريق أبناء السنة يفضلونه على علي لأنّه حظي بمقام الخلافة قبله، وهكذا ترينا الدنيا نفسها انها جزاف وهراء في كل شيء وحتى في الدين والمتدين الرائجين فيها ولم نر من يعير الحقيقة أقل طرف إلّا في ذنابى القوم ولو كان نبياً في فضائله. نعم سهم الفاضل المعروف الفضل من الناس أن يتحدثوا بفضائله في المذاكرات وماجريات المجالس لا أكثر وهذا المعنى في نفسه لا يشبع جائعاً ولا يكسو عارياً كما هو ضروري.

والدنيا برهنت على نفسها قديماً وحديثاً انها ليست مجال معنويات وإنّما هي مادية محضة في كل شؤونها ولم يركن إلى الدين من أبنائها إلّا الفرد النادر الذي لا يقطع حياته إلّا مستضعفاً في الناس مضروب الوجه عن المقام اللائق مدفوعاً عما يلزم له من حق ونوع التشخصات التي نراها في أحضان من هم بزي الروحيين إنّما حصلوها بأنواع الرموز التي لا ترتبط بالدين ولا الروحانية بلون مكشوف للحواس.

وأبناء التسنن يرون ابن الخطاب من الحدسيين النافذين في حدسهم ولذلك ذيلوا الحديث الآنف بما زعموا انّ عمر قاله لابن عباس في حق علي امّا انّه سيليها بعد هياط ومياط ثمّ تزل فيها قدمه ولا يقضي منها اربه ولتكونن شاهد ذلك ياعبد الله ثمّ يتبين الصبح لذي عينين وتعلم العرب صحة رأي المهاجرين

الأولين الذين صرفوها عنه باديء بدء. ولكن كل ذلك أشبه بالتزوير على انّ فيه غلطاً وكذباً واضحاً.

أمّا وجه التزوير: فمن أين درى عمر انّ عليّاً وعبد الله لا يموتان في حياة منه وعلى فرض أن يعيشا بعده فمن أين درى انهما ينالان الأمر وراءه وهو قلباً وقالباً منحرف عن امارة أهل البيت منصرف بوصايته إلى غير أفراده، ثمّ كيف درى انّ عمرهما يطول حتى على عمر الخليفة الذي يكون بعده وانهما ينالان ذلك بعد هياط ومياط، ثمّ بعد هذا الهياط والمياط تتضارب بعلي الأُمور فلا يقضي من الخلافة اربه، هذا كله شعر وخيال ونظيره ما ينقلونه في حق عثمان، ونحن إنّما نصحح الآثار الواردة عن علي في إخباره عن الغيوب ومجهولات المستقبل لا من باب الحدث فإنّ الحدس أقل وأحقر من أن يقرأ كل حروف المستقبل كأنّه واقع أمامه بل من باب العلم بالمغيبات وانّه استقاها عن الرسول الأكرم الذي أخذها عن علّام الغيوب.

وقد أساء ابن الخطاب في تعبيره عن علي حيث قال: ثمّ تزل فيها قدمه فإنّ المؤمن لا يزل وعلي مؤمن بخالص الايمان ولكن الدنيا تزل به وتخونه وتتولى عليه.

وأنت قد قرأت انّ المهاجرين الأولين حقاً وأفاضل الصحابة واقعاً كان هو أهم مع علي ولم يزف مع ابني تيم وعدي إلّا الخفيف الكفة من المهاجرين ومسلمة الفتح وجفاة الأعراب.

وقال الشارح الحديدي عقيب ما أسلفناه عنه: وروى أبو بكر الأنباري في أماليه انّ عليّاً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب فقال عمر: حق لمثله أن يتيه، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام وهو بعد أقضى الأُمّة وذو سابقتها وذو شرفها، فقال له ذلك

القائل: فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه، قال: كرهناه على حداثة السن وحبه بني عبد المطلب. وقد كذب ابن الخطاب في هذا الجواب، فانك قد قرأت في حديث السقيفة انّ محور هذا الحديث ما كان دائراً على الأسنان، وحبه لبني عبد المطلب إن كان لا يضره مع ايمانه وقد كوى يدي عقيل وهو أخوه لما أراد منه أزيد مما هو له، فالانسان الذي يكون في تقواه وورعه بهذه الدرجة منقطع النظير انصافاً.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: قلت: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمّد بن أبي زيد وقد قرأت عليه هذه الأخبار فقلت له: ما أراها إلّا تكاد تكون دالة على النص ولكن استبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة ردّ نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين.

أقول: سؤال الشارح المعتزلي عن هذه النقطة سؤال بارد لكن الذي يدعمه حسن ظنه بالقوم فقط، وإلّا فأي ربط لنصوص الكعبة وشهر رمضان بنصوص الخلافة والامامة، فإنّ نصوص الكعبة وشهر رمضان والصلاة وما إلى ذلك لا تزاحم مشتهيات القوم لا في قليل ولا في كثير، والرياسة والملوكية من أهم مطامع النفس وأعلا رغائبها فكم من فرق بين القبيلين على انك قد قرأت في أوليات وابداعات عمر وأبي بكر ما فيه كفاية من تغيير القوم للنصوص الثابتة عن صاحب الرسال وللسيرة القطعية المنسوبة له، مضافاً إلى انّ الشارح المعتزلي نفسه كم سرد لنا من نصوص السقيفة ومساوي جملة من الصحابة في شرحه الحديدي ما يدل بضرس قاطع على ارتكاب القوم كل عظيمة وكبيرة وان اغتفرها لهم شأن غيره من أبناء العامة تعزيزاً لمقام شيوخهم على كلّ حالٍ.

الشـورى

قال أمير المؤمنين عليه السلام في فصل من فصول خطبته الشـقشقية[١]: حـتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني أحدهم فيالله وللشورى متى اعـترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت اقرن إلى هذه النـظائر، لكـني اسـففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن.

عقّب الشارح المعتزلي ذلك فقال: أسف الرجل إذا دخل فـي الأمـر الدنـيء أصله من أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه والضغن الحقد، وقوله مع هن وهن أي مع امور يكني عنها ولا يصرح بذكرها، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشر، يقول عليه السلام: انّ عمر لما طعن جعل الخلافة في ستة هو عليه السلام أحدهم، ثمّ تعجب من ذلك فقال: متى اعترض الشك فيّ مع أبي بكر حتى أُقرن بسعد بن أبي وقـاص وعبد الرحمن بن عوف وأمثالهما، لكني طلبت الأمر وهـو مـوسوم بـالأصاغر منهم كما طلبته أوّلاً وهو موسوم بأكابرهم أي هو حقي فلا أستنكف من طـلبه كان المنازع فيه جليل القدر أم صغير المنزلة.

أقـول أنا: ولا ريب انّ دفع السقيفة له عليه السلام أثّر في شخصيته عند العامة وتقدم عمر عليه في الخلافة جعلها أصغر مما هي في عهد أبي بكر وفوز عثمان بها دونه هو الذي جرء عليه حتى معاوية بن أبي سفيان، وهذا الهدف كان منظوراً لشيخي تيم وعدي وداعيهما إلى ذلك اخفاء ضـوءه حـتى لا يـتبين نـقصهما إلى جـنبه وحصلا ما أرادا كيف وهؤلاء أبناء السنة لمزيد اكبارهم لهذين الشيخين جعلوا أقوالهما وأفعالهما حجة قاطعة في عالم التكليف واعتدوا بـها ولو كـانت بـدعاً

---

(١) ج ١ ص ٦١ من النهج الحديدي.

وعلى خلاف الكتاب وسنة الرسول وأنت قد قرأت عن ذلك طرفاً فيما سلف ولو انّ عليّاً تقدم هذا الحزب لما رأيت لأجلهم مقاماً حسنة يعتد بها أو ذكراً يهتم له بصريح الضرورة.

والدليل على انّ القوم كانوا ناصبين له هذا النصب انّ أبا بكر ما استحق ـ بدعواه ـ الخلافة إلّا بالانتخاب فكيف جاز له أن يعقدها لعمر ولا يذكر معه انساناً كائناً من كان؟ نعم جوّز له ذلك ظنه انّه إذا أعاد الانتخاب في الخليفة الذي يكون فمن القريب جداً أن ينوشها علي فيؤثر على شخصيته وهو ميت ما كان يعلم انّه عليه‌السلام يؤثر عليها لو سبقه بالخلافة، هذا وانّ أبا بكر لأجمل في ظواهره منسوباً إلى عمر، وامّا ابن الخطاب فبغضه لعلي وحسده له وحقده عليه تجلى منه في مواطن عديدة وكلمات كثيرة سقنا اليك منها نبذاً فيما سلف وهنا ترى نبذة أُخرى من ذاك الطراز.

قال ابن قتيبة [1]: ثمّ انّ المهاجرين دخلوا على عمر وهو في البيت من جراحته تلك فقالوا: يا أمير المؤمنين استخلف علينا، قال: والله لا أحملكم حياً وميتاً، ثمّ قال: ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وان أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني النبي، فلما أحس بالموت قال لابنه: اذهب إلى عائشة واقرءها مني السلام واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبي بكر، فأتاها عبد الله بن عمر فأعلمها فقالت: نعم وكرامة، ثمّ قالت: يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع امة محمّد بلا راع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً فاني أخشى عليهم الفتنة، فأتى عبد الله فأعلمه فقال: ومن تأمرني أن أستخلف لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته فإذا قدمت على

---

(١) في كتابه الامامة والسياسة: ج ١ ص ٢٢ عند تعرضه للشورى ومقدماتها.

ربي فسألني وقال لي من وليت على امة محمّد؟ قلت: أي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول: لكل امة أمين وأمين هذه الأُمّة أبو عبيدة بن الجراح، ولو أدركت معاذب بن جبل استخلفته فإذا قدمت على ربي فسألني من وليت على امة محمّد؟ قلت: أي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول: انّ معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة، ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته فإذا قدمت على ربي فسألني من وليت على امة محمّد؟ قلت: ربي سمعت عبدك ونبيك يقول: خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلّه على المشركين.

ولا ريب انّ عمر رأى من رسول الله في علي وسمع منه في حقه أضعاف ما رأى وما روى عن رسول الله في حق اولاء الذين ذكرهم ولا يرتاب أي مسلم يفرض في تفضيل علي على هؤلاء من غير تردد، فما بال عمر ذكر هؤلاء وتمنى وجودهم ليوعز اليهم بالعهد مباشرة وعلي قريب منه حي في دار الوجود فلم يذكره للخلافة بتصريح ولا بتلويح، وما هذا منه إلّا غمط للحق الصريح، وقتل لشخصية علي ونفس طرحه للون الشورى بالذي تمت به فيه من الهتك لعلي ما لا يعلمه إلّا الله واللبيب الفطن، فإنّ دفع علي عن الخلافة وهو منجحر في بيته ليس فيه من الغضاضة ما في اختلاطه بهذا الجمع، ثمّ تحاملهم عليه باللون الذي تمّ له وهذا كله مقصود لعمر بآخر حرف من حروفه، فإنّ عمر لا يرتاب في انّ ابني زهرة هواهما متحد كما لا يرتاب في انّ ابن عوف لعثمان له للمصاهرة التي بينهما كما لا يشك انّ طلحة لا يهوى عليّاً من جراء يوم السقيفة، فلم يبق إلّا الزبير وما يغني الزبير إذا وافق عليّاً، وهذه الضربة التي وجهها ابن الخطاب لعلي ضربة من ضربات فإنّها لم تفقد عليّاً الخلافة وحدها بل ضمت اليها نزول شخصيته عن افقها إلى أُفق أهل الشورى الذين شاركوه في العضوية وجعلوا بعد ذلك يرون أنفسهم ليست بدون نفسه ومضافاً إلى ذلك ذهاب كل مناظراته لهم

هباء في هواء، وبذلك يتشبث السني انّ حجج علي يوم الشورى لو كانت حججاً ناضجة لأصاخ لها حاضروا الجلسة ولما عدلوا بالخلافة إلى عثمان.

وعلي لم ينضم إلى هذه الجلسة ولم يسلك نفسه في مسلك أعضائها إلّا بدعوة عمر ايّاه للاشتراك فيها، وهدف عمر هو ما أشرنا إليه واجابة علي لذلك هو كراهته الخلاف كما صرّح بذلك للعباس ولأجل أن لا يؤخذ عليه أقل اشكال وان درى هو انّ هذه القضايا باللون المزبور لا تتم بنفعه كما أعرب بذلك للعباس أيضاً ولاتمام الحجة مع ذلك كله، وقد قال عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان [1]: لقد علمتم اني أحق بها من غيري ووالله لأسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور إلّا علي خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه. ولا ريب انّ المظلوم كلما تجلت للناس مظلوميته وصبره عليها وتسليم أمره إلى الله فيها كان ذلك آكد في حصول الأجر له وأدعى لتوفر الثواب في حقه من الله تعالى، وابن أبي طالب مؤمن بهذه القضايا إلى أقصى حدودها وهكذا يجب أن يكون المؤمن وان تقللت مصاديقه في الخارج بل انحصرت بالأبدال من آل الله صرفاً.

ثمّ انّ ابن أبي الحديد وصل كلمته عليه السلام التي قالها عند عزم ابن عوف على بيعة عثمان ـ ونحن قد أسلفناها قريباً ـ وهذا كلام مثله عليه السلام لأنّه إذا علم أو غلب على ظنه انّه ان نازع وحارب دخل على الإسلام وهن وثلم لم يختر له المنازعة وإن كان يطلب بالمنازعة ما هو حق وان علم أو غلب على ظنه انّه بالامساك عن طلب حقه إنّما يدخل الثلم والهن عليه خاصة ويسلم الإسلام من الفتنة وجب عليه أن يغضي ويصبر على ما أتوا إليه من أخذ حقه وكف يده حراسة للاسلام

(١) ج ٢ ص ٦٠ من النهج الحديدي.

من الفتنة.

فإن قلتَ: فهلا سلّم إلى معاوية وإلى أصحاب الجمل وأغضى على اغتصاب حقه حفظاً للاسلام من الفتنة؟

قلتُ: انّ الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل ومن معاوية وأهل الشام لم يكن مقصوراً عليه خاصة بل كان يعم الإسلام والمسلمين جميعاً، لأنّهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرئاسة الأُمّة وتحمل أعباء الخلافة فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققاً وهو قوله: ولم يكن فيه جور إلّا علي خاصة.

أقول: قد قصر ابن أبي الحديد في تعبيره عن هذه النقطة، امّا أصحاب الجمل فهم ناكثون عابثون بلا شبهة، وامّا معاوية فطرار مدخول العقيدة فاسد العمل ليس أهلاً لأن يكون والياً على قرية فضلاً عن أن يكون خليفة رسول الله على امته وحافظاً لشريعته. وقد أخطأ ابن أبي الحديد حيث قال: وهذا الكلام يدل على انّه عليه السلام لم يكن يذهب إلى انّ خلافة عثمان كانت تتضمن جوراً على المسلمين والإسلام وإنّما كانت تتضمن جوراً عليه خاصة. فإنّ هذه الكلمة عندما قالها علي لم يكن عثمان بعد واضعاً رجله في غرز الركاب ومساوي عثمان واحداثه إنّما أخذت تترى منذ شرع بالعمل واستمر فأين هذا من ذاك؟ وليس مراد علي عليه السلام من قوله: ما سلمت امور المسلمين، انها جارية على طبق الحق موزونة بالموازين الشرعية الصادقة في الراعي والرعية جميعاً بدليل انّ نفس اغتصاب القوم حقه ودفعهم له عن مقامه هو في نفسه سيئة وجور ولا يرتكب الإنسان السالم الجور والخطيئة فضلاً عما له عليه السلام من فصول عامرة ينعى فيها على القوم انحرافاتهم الجمة وانتباذهم عن جادة الصواب، بل منظوره انّه ما دام للاسلام اسم ورسم ودولة يقال لها دولة الإسلام وحفظ ظواهر في الأئمّة والمأمومين فأنا ساكت عن المطالبة بحقي إذا كانت مطالبتي بالحق المزبور مما

توجب فتنة واسعة وانشعاثاً في امور المسلمين ، ولا ريب انّ دولة الشيخين كانت مصونة الظواهر من حيث اسم الإسلام وكان الراعي والرعية جميعاً يهابون اقتحام الهلكات من التجاهر بشرب الخمور وتخويل الأراذل أزمة الأُمور والعبث بأموال المسلمين والاغضاء على المظلوميات الواسعة وما إلى ذلك وإن كان فيها من نقاط الضعف ما عرفت جملة منه وبقي الأوفر الأكثر مما لا يجوز وجود بعضه في الامام الشرعي بلا ريب فضلاً عن ذلك كله.

ولكن الوضع استخف واستهتر زمان عثمان ولما وصلت النوبة إلى معاوية فقل ما شئت من فساد واجحاف واغتصاب وتهتك واستخفاف بالدين والمتدينين واستخدام للفسقة بل الملاحدة في دين الله وهلم دواليك جهد مستطاع القول والقائل فدولة الشيخين بالنسبة إلى ما بعدها من دولات بمنزلة الفاسق المتستر من الفاسق المفتضح وبين الحالتين فرق بعيد انصافاً ، فإنّ الفاسق المتهتك فضلاً عن سقوطه في نفسه مغر للغير بجهله وماح لصورة الظواهر بالمرة الواحدة.

ثمّ قال ابن أبي الحديد : ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى وتعديد فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم وقد روى الناس في ذلك فأكثروا ، الذي صح عندنا انّه لم يكن الأمر كما روى من تلك التعديدات الطويلة ولكنه قال لهم بعد أن بايع عبد الرحمن والحاضرون عثمان وتلكأ هو عليه‌السلام عن البيعة انّ لنا حقاً أن نعطه نأخذه وان نمنعه نركب اعجاز الابل وان طال السرى في كلام قد ذكره أهل السيرة وقد أوردنا بعضه فيما تقدم ، ثمّ قال لهم : انشدكم الله أفيكم أحد آخى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بينه وبين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري ؟ قالوا : لا ، فقال : أفيكم أحد قال له رسول الله من كنت مولاه فهذا مولاه غيري ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم من اؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله انّه لا يؤدي عني إلّا أنا أو

رجل مني غيري ؟ قالوا : لا ، قال : ألا تعلمون انّ أصحاب رسول الله فرّوا عنه في مأزق الحرب في غير موطن وما فررت قط ؟ قالوا : بلى ، قال : ألا تعلمون انـي أوّل الناس اسلاماً ؟ قالوا : بلى ، قال : فأينا أقرب إلى رسول الله نسـباً ؟ قـالوا : أنت ، فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه وقال : يا علي قد أبـى النـاس إلّا على عثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً ، ثمّ قال : يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر ؟ قال : أن أقتل من شقّ عصا الجماعة ، فقال عبد الرحمن لعلي : بايع إذاً وإلّا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين وأنفذنا فيك ما أُمرنا به ، فقال : لقد علمتم اني أحق بها من غيري والله لأسلمن ـ الفصل الذي أسلفناه ـ ثمّ مدّ يده فبايع .

أقـول : لا ريب انّ ابن عوف إنّما قطع عليه كلامه لعيه وحصره ومـحكوميته ولذلك التجأ إلى الخطة الخشناء بدعوى انّ الناس أبوا إلّا عثمان ، وهو كاذب في هذه الدعوى ، فإنّ الأمر كان راجعاً إليه وليس للناس فيه أقل نصيب ، ومن ابـن عوف هذا تعلم اتباع ابن زياد عندما خطبهم ابن علي يوم الطف فقال بعد فـصل عريق في البلاغة : أيّها الناس انسبوني من أنا ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأوّل المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عـند ربـه أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو ليس جعفر الطيار عمي أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة ، فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت انّ الله يمقت عليه أهله ، وان كذبتموني فـإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنـصاري وأبـا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ فقال الشمر : هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول والشمر درس

ذلك وأخذه عن ابن عوف ولا ريب فإنّها السنن يطأ المتأخر فيها أثر المتقدم.

لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً فإذا هم لا يملكون خطابا
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه إلّا الأسنّة والسهام جوابا

ثمّ نعود إلى ما انفتلنا عنه بادئاً من تعليق الشارح المعتزلي على فصل الشورى من الخطبة الشقشقية قال[1]: وصورة هذه الواقعة انّ عمر لما طعنه أبو لؤلؤة وعلم انّه ميت استشار فيمن يوليه الأمر بعده فأُشير عليه بابنه عبد الله.

أقول: هذا ارتجال للتاريخ فإنّ معاريف الصحابة لا يعيرون هذا لحظاً وفيهم الصدور والأعيان، نعم يجوز أن يكون المشير بذلك أمثال المغيرة بن شعبة على معاوية بتوليه ولده يزيد.

فقال: لاها الله إذاً لا يليها رجلان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل حسب عمر ما احتقب لاها الله لا أتحملها حياً وميتاً.

أقول: يستدل أبناء التسنن على ورع عمر بمثل هذه الكلمات تنحدر منه ولكنهم غفلوا أو تغافلوا عن ان ابن الخطاب في قوله وعمله كما قال صاحب المثل:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

فهو بلسانه تبرأ أن يتحملها ميتاً بعد ما تحملها حياً لكنه بعمله صب بناية الشورى بالمادة التي قرأت عنها طرفاً وتقرأ الطرف الآخر في الأخير.

ثمّ قال: انّ رسول الله مات وهو راض عن هذه الستة من قريش علي وعثمان

---

(١) ج ١ ص ٦٢ وما بعدها.

وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم.

أقول: وهذا أوّل الغلط منه، فإنّ كثيراً من هؤلاء النفر قد لا يستحضر هذا المعنى لنفسه في مثل هذا الوقت فلما سماهم ونوه بهم وجعل الخلافة منحصرة بهم فقد زرع فيهم روحاً لم تكن في أكثرهم قبل ذاك فمتى إذاً يصيخ بعضهم لبعض ويتنازل انسان لآخر وهم من عناصر شتى وعلى روحيات متفاوتة وهوى مختلف وهذا بخلاف اعطاء الرأي من العموم وفوز حائز الأكثرية وعدم ضبط المرشحين في عدد معين حتى يكون القاء الرأي بسمة مخصوصة بل يلقى أمر الناس إلى الناس فيمن يهوون؛ ولا ريب انّ هذا التصوير أصح وأبعد عن التهمة من الأوّل وإن كان كل ذلك باطلاً في الامام الشرعي كما أسلفناه بتفصيل.

ثمّ قال: ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني ـ يعني أبا بكر ـ وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

أقول: أخطأ ابن الخطاب في المقارنة بين فعل أبي بكر وفعل النبي، فإنّ النبي حجة على المكلفين في أقواله وأفعاله وتقاريره وأبو بكر فاقد لكل ذلك وبيعة السقيفة لم تعطه صلاحية التشريع إذ ما بها ذلك فإذا كان ابن الخطاب يعتقد ويعترف انّ النبي لم يستخلف وانّه أوكل أمر الخلافة إلى الناس أنفسهم فما باله عدل عن خطته فلم يترك الناس هم وما يهوون وإذا كان يرى فعل أبي بكر حجة عليه فلم لم يتبع خطوه فيعهد إلى انسان بعينه ولا يهيج بهؤلاء الستة عن سكونهم وسكوتهم المستمر وقرارهم المتصل، ولكنه أبى ألا يكون مصداقاً واضحاً لقولهم خالف تعرف فأحدث خطة جديدة حتى يعرف بها فيقال الخلافة في نظر النبي كذا وعند ابن تيم كذا وعند شيخ عدي كذا.

ثمّ قال: ادعوهم لي فدعوهم فدخلوا عليه وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه

فنظر اليهم فقال: أكلكم يطمع في الخلافة فوجموا فقال لهم ثانية فأجابه الزبير وقال: وما الذي يبعدنا منها وليتها أنت فقمت بها ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة ولا في القرابة.

أقـول: فكأنّ هذه المقالة هيجت من عمر لما كان يظن انّ هذا الجمع لا يجيبه إلّا بالعجز عن مثل مقامه والقصور في مثل ما قام به وانّه نسيج وحده لا ندّ له ولا نظير فلما ووجه بالمقابلة والمعارضة حركه ذلك إلى أن يرمي هؤلاء جميعاً بما يحط من كيانهم عند الناس فيما يزعم ويرى الحاضرين انّ الخيرة من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هم هؤلاء ومع ذلك هذه عيوبهم ومعناه انّه كان فوق الجميع وكـان منقطع النظير وجاء أبناء التسنن بعده على هذه القاعدة صدفة. وقد صدق الزبير فيما ساقه من عنوان وهو الملاك الذي به أدلى شيخا تيم وعـدي يـوم السـقيفة ويزيد الزبير على ما للشيخين من سابقة انّه أشجع منهما وله مواقف معروفة في حروب المسلمين مع المشركين بخلافهما، وامّا سكوت علي عليه السلام فلم يكـن إلّا عن تجهيل عمر في كلمته هذه والجاهل المغرور يسكت عنه أحياناً.

فقال عمر: أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ قالوا: قل فانا لو اسـتعفيناك لم تـعفنا ـ أي ـ لأنّك انسان شرس حقود وكل من يكون بهذه الصفة لا يستطيع التصبر ولا السكوت، فقال: أمّا أنت يا زبير فوعق لقس [١] مؤمن الرضا كافر الغضب يوماً انسان ويوماً شيطان، ولعلها لو أفضت اليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء عـلى مدمن شعير، أفرأيت إن أفضت اليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكـون شيطاناً ومن يكون يوم تغضب أما وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأُمّة وأنت على هذه الصفة. أقول: قد هدم عمر بكلمته هذه كلما قدمه في حق السنة، فإنّه رأى

(١) اللقس السيء الخلق، وقيل الشحيح، والوعق الذي يضجر ويتبرم.

الخلافة بالنسبة إلى من يستحقها من الصحابة منحصرة في هؤلاء، وانهم أولى بها من غيرهم، وكون الزبير بالصفة المذكورة مما يخرج به عن كل استحقاق لها حقاً، فإنّ الشحيح السيء الخلق الكافر الغضب لا يجوز أن يلي من امور الناس شيئاً، لأنّ الذي يورده عليهم من المساوي والاحداث أكثر مما يرجى من اصلاحه، ولكنا نعترض على عمر انّ أبا بكر باعتراف نفسه لا باتهام غيره له كان له شيطان يعتريه عند غضبه ولأجله أمر الناس بالاجتناب عنه في ذلك الحين حتى لا يؤثر في ابشارهم واشعارهم فمن كان للناس يوم كان أبو بكر شيطاناً؟ ومن كان المتصدي لحفظهم يوم يغضب؟ ونحن نرى انّ الأمر اجتمع لأبي بكر وهو بهذه الصفة فما المانع من أن يكون للزبير نحوه؛ نعم حاشا الله في ارادته التشريعية عن ذلك والذي جمعهم لأبي بكر كان غيره والله سبحانه كان عليه الارشاد إلى الحق والتكليف بالسير عليه لا القسر والاجبار.

قال: ثمّ أقبل على طلحة وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر فقال له: أقول أم أسكت، قال: قل فانك لا تقول من الخير شيئاً، قال: أما اني أعرفك منذ اصيبت اصبعك يوم أُحد والباً بالذي حدث لك، ولقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك فالكلمة التي قلتها يوم أُنزلت آية الحجاب.

أقول: من هذا يتجلى لك ان عمر كان يحمل من الحقد ما لا يحمله انسان متعارف، وهذه الكلمة مرت من طلحة في عمر قبل احدى عشرة سنة تقريباً فحقدها عليه على انها لم تؤثر فيه شيئاً، والحقد بهذه الصورة من صفات الأراذل بلا شبهة، وكلمة طلحة في عمر هي انّه قال لأبي بكر عندما فرغ من كتابة العهد لعمر: ما أنت قائل لربك غداً وقد وليت علينا فظاً غليظاً تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب (الشرح الحديدي: ج ١ ص ٥٥).

وقضية آية الحجاب التي من أجلها عرض عمر بطلحة هي ما رواه

السيوطي [١] عن السدي قال: بلغنا انّ طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمّد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا؟ لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده، فأنزلت هذه الآية: ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله**﴾، وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنّه قال: إذا توفي رسول الله تزوجت عائشة ـ اهـ.

وهذا من الموهنات العظيمة انصافاً في طلحة ولقد ناقض عمر ههنا نفسه مع ما سبق له ان رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء الستة وهنا يقول: مات ﷺ عليه ساخطاً كما انّه ناقض نفسه أيضاً بهدمه للأساس الذي أراد البنيان عليه فطلحة كالزبير لا يصلح للخلافة وهو زعم آنفاً انّ محور الصلاحية يدور على هؤلاء الستة، ولذلك خصهم بالدعوة من دون الناس.

قال: ثمّ أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال: إنّما أنت صاحب مقنب من هذه المقانب تقاتل به وصاحب قنص وقوس وأسهم وما زهرة والخلافة وامور الناس.

وقد أخطأ ابن الخطا في قوله: وما زهرة والخلافة، فإنّ الخلافة لم يخصصها المنطق بعنصر خاص بعد اجتماع المؤهلات اللازمة في الشرع والعقل كما أخطأ أيضاً في اخراجه من الصلاحية لها بعد أن جعله عضواً أساسياً كغيره.

ثمّ أقبل على عبد الرحمن بن عوف فقال: وامّا أنت يا عبد الرحمن فلو وزن نصف ايمان المسلمين بايمانك لرجح ايمانك به ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك وما زهرة وهذا الأمر.

أقول: فإذا كان كذلك فما معنى ادخاله في الحوزة التي يراد منها واحد لا

---

(١) في لباب النقول في أسباب النزول: ص ١٨٣.

بعينه للخلافة وكما أخرج ابن عوف عن الصلاحية فقد أخرج من سبق ذكرهم أيضاً فهل هذا إلّا عين العبث والتلاعب.

ثمّ أقبل على علي فقال: لله أنت لولا دعابة فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء.

أقـول: كأنّ ابن الخطاب في تصميم قاطع على أن يسم الجميع بما يـجعلهم دونه فيما يزعم ولذلك لا نراه يهمه خلط الرطب باليابس والغث بـالسمين، امّـا علي فكما قال وفوق ما قال ـ لله هو من رجل دين ودنيا ـ وامّا الدعابة فهي ليست من شأن من يزن الحياة بما يزنها أعظم معنوي في الملك والملكوت وهـو فـي فصوله وكلماته لا يزال يندد بالمزاح والدعابي فكيف ينضاف إلى صفوفهما، نعم ان اليبس والشدة والغلظة والفظاظة والخشونة الزائدة والعبوس المسـيطر عـلى عمر في كل حالاته هو الذي يدعوه أن يعتبر كل بسّام الثغر منبسط الطلعة رحيب الصدر وضّاء المحيا مزاحاً مداعباً ولو كان الأمر كذلك لكان رسول الله في طليعة اولئك.

ثمّ أقبل على عثمان فقال: كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها ايّـاك فحملت بني امية وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء فسارت اليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً والله لئن فعلوا لتفعلن ولئن فعلت ليفعلن ثمّ أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي فإنّه كائن.

أقـول: امّا قوله: كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها ايّاك فهو تـعبير عن أمر حاصل، لا ضرب لأُمور المستقبل بالحزر والتخمين، فانك قـد قـرأت آنفاً انّ عمر لم يجعل الثلاثة الذين فيهم ابن عوف أرجح من الثلاثة الآخرين إلّا لما في هذا المطلب من خصوصية وهي انّ عبد الرحـمن صـهر عـثمان وسـعد تحمله غيرة الزهرية على الالتحاق بلحمته وطلحة لا يهوى عليّاً للحوادث التي

تولدت بين بني هاشم وبني تيم منذ يوم السقيفة فعلى كل حال جانب عبد الرحمن لا يخلو من ثلاثة على الأقل هو أحدهم، فإذا كانت المزية في جانبه فالفوز له محتم، وقد درس علي عليه السلام هذا الرمز من وقته فعرفه وأعرب عنه وليس عمر وحده ممن كان يدرك ضعف عثمان وحبه لأرحامه وبني أعمامه بل كل الناس كانوا يدركون ذلك وايواؤه لابن أبي سرح عام الفتح في حال انّ الرسول أهدر دمه لكل من قدر عليه أمام نظر الناظرين؛ ولكن قطعه بأنّه إذا فعل ذلك قتل لا محالة لا أراه من كيسه وإنّما هو الحاق للخبر من بعد قتل عثمان ووقوع الحادثة، فإنّه ليس كل من انحرف قتل بلا شبهة ولا كلّ من استقام سلم وعمر لو أبدى ذلك بلون الاحتمال لجاز في حقه ولكن هذا الحديث يعطي التحتم القاطع مشفوعاً بالقسم المغلظ.

وإذا كان ابن الخطاب يدرك كل هذه المساوي من جماعة الشورى ولا يستثني منهم انساناً إلّا علياً بقوله: لله أنت أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء فما باله والمنطق يحتم عليه انتخاب الفاضل البريء لم ينص على تعيين علي ولم يسكت في دوره عن التعرض للخمسة المزبورين وهم عنده على ما صرح في حقهم أفليس ذلك ضرباً للأُمور بعضاً ببعض وايقاداً لنيران الفتن؟ نعم هو والله كذلك وقد أصحر به ابن الخطاب عملاً منجزاً فعليه آثام كلما نجز من هذا المؤتمر وما تسبب عنه إلى يوم القيامة.

قال ابن عبد ربه الأندلسي بعدما ذكر حوادث الشورى [1]: ذكروا انّ زياداً أوفد ابن حصين على معاوية فأقام عنده ما أقام ثمّ انّ معاوية بعث إليه ليلاً فخلا به فقال: يابن حصين قد بلغني انّ عندك ذهناً وعقلاً فأخبرني عن شيء أسألك

---

(١) ج ٢ ص ٢١١ من عقده.

عنه، قال: سلني عما بدا لك قال: أخبرني ما الذي شتت أمر المسلمين وملاءهم وخالف بينهم؟ قال: نعم قتل الناس عثمان، قال: ما صنعت شيئاً، قال ك فمسير علي اليك وقتاله اياك، قال: ما صنعت شيئاً، قال: فمسير طلحة والزبير وعائشة وقتال علي اياهم، قال: ما صنعت شيئاً، قال: ما عندي غير هذا يا أمير المؤمنين، قال: فأنا أخبرك انّه لم يتشتت بين المسلمين ولا فرق أهوائهم إلّا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر وذلك انّ الله بعث محمّداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ إلى أن يقول ـ واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ثمّ جعلها شورى بين ستة نفر فلم يكن رجل منهم إلّا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت إلى ذلك نفسه ولو انّ عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف ـ اهـ ـ ولا ريب في صحة هذا الرأي.

وقال ابن أبي الحديد عقيب ما أسلفناه عن كتابه: ذكر هذا الخبر كله شيخنا أبو عثمان في كتاب السفيانية وذكره جماعة غيره في باب فراسة عمر وذكر أبو عثمان في هذا الكتاب عقيب رواية هذا الخبر قال: وروى معمر بن سليمان التيمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأهل الشورى: انكم ان تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها وأولادكم وان تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم غلبكم على هذا الأمر معاوية بن أبي سفيان وكان معاوية يومئذ أمير الشام.

أقول: وصية باردة في قبال عكس عمل قطعي فإنّه من المستحيل أن يخضع خمسة من الستة المنوه بهم لسادسهم محضاً لله ولسلامة الأُمور وكل واحد منهم يرى نفسه أهلاً لما أهل له عن واقع كان ما يراه أو كان عن صرف الادعاء، امّا علي فهو لا يرى الأهلية لهذا المقام إلّا لنفسه صرفاً دون كل أحد، ويحق له هذا الرأي فإنّه ليس واحد من هؤلاء الستة بل ومن هو أكبر منهم ممن يصح أن يقع

في رديفه وهذا الحق حقه دون كل صحابي وإن شطت به الأُمور وعبثت به الأيدي الآثمة حتى أوصلته إلى هذا الحد وإلى ما هو أنزل منه. وامّا غيره فيعد احتمال وصوله إلى هذا المقام من الغنائم الباردة فعلام يتسرع إلى الانسلاخ منه وهو لا يفقد الرجاء فيه.

وهل يجوز لمن ألقى التشاح بين أولاده أن يوصيهم بالتعاضد والتآلف والتعاون وهل هذا الكلام منه في مقابل ما احتضنه العيان من جهته وتسبيبه إلّا هذر وهذيان؟ نعم هو كذلك بلا ريب. قال: ثمّ رجع بنا الكلام إلى تمام قصة الشورى: ثمّ قال: ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري فدعوه له فقال: انظر يا أبا طلحة إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم فخذ هؤلاء النفر بامضاء الأمر وتعجيله واجمعهم في بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب عنقهما وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن فارجع إلى ما قد اتفقت عليه فإن أصرّت الثلاثة الأُخرى على خلافها فاضرب أعناقها وإم مضت ثلاثة أيّام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

أقول: هذا الفصل على طوله خاطىء باطل مخالف للشرع بجميع شراشره؛ ونحن قد أسلفنا انّ عمر بتطميعه لهؤلاء الستة بمنصب الخلافة أوجد فيهم أرواحاً متغطرسة لا تنزاح عن آمالها إلّا بقهر القوة وقد كان في تنصيصه على واحد بعينه مما يدفع كل هذه المحذورات فلا غطرسة في الأرواح ولا احتياج إلى اعمال قوة واراقة دم، فهو بزرعه لهذه البذرة الفاسدة تحمل مسؤولية كل اللوازم الباطلة التي تترتب عليها. وقد أخطأ في أمره بقتل الواحد إذا تخلف أو الاثنين، لأنّ المخالف لجمهور المسلمين الشاق لعصا جماعتهم قد يصح فيه ذلك

لا المخالف لخمسة من كل الناس أو أربعة منهم، وليس هؤلاء الستة قد أخذوا من الناس وكالة مطلقة حتى يكون رأيهم رأي العموم وحصر حقوق الناس بهم كان من ناحية عمر وحده وعمر لا يملك هذا الحق أصلاً، وإنّما هو لأهله وهم الناس والناس على فرض انتخابهم له بادئاً أحرار في نسخه إذا انحرف عن شرائط الانتخاب فضلاً عن تمام حريتهم فيمن يستخلفونه بعده وهذه أُصول مسلمة عند الديمقراطيين القائلين بلزوم الانتخاب في الهيئات الحاكمة.

كما أخطأ في ترجيح الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف فإنّه هوى نفساني صرف لا يدعمه داعم يبرره، وهكذا أخطأ في أمره بقتل الثلاثة الآخرين الذين ليس فيهم عبد الرحمن إذا خالفوه؛ كما أخطأ في أمره بضرب أعناق الستة إذا مضت ثلاثة أيّام على انعقاد شوراهم، فإنّ ذلك ليس له كما أسلفناه فضلاً عن رجوعه آخر الأمر إلى إطلاق عنان الانتخاب لأهله؛ وهذا منه طبق المثل المعروف عند العوام (معرفة ام أحمد) وهي امرأة أدخل ثورها رأسه في كوز مائها ليشرب فعصى عليه في الخروج لمكان قرنيه فأمرت بذبح الثور ليسلم الكوز فلما ذبحوه بقي الرأس في مكانه الأوّل من الكوز لا يطلع منه فأمرت بكسر الكوز حتى تخرج الرأس فلم يسلم لهذه الخاطئة لا الثور ولا الكوز، ولا ريب انّ هؤلاء الستة لو وفقوا للقتل الذي تمناه لهم ابن الخطاب لانشعثت امور المسلمين على أثر قتلهم أيما انشعاث فكانت جامعة المسلمين في خسارتها كأُم أحمد ـ لا ثور ولا كوز ـ.

قال: فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار حاملي سيوفهم ثمّ تكلم القوم وتنازعوا فأوّل ما عمل طلحة انّه أشهدهم على نفسه انّه قد وهب حقه من الشورى لعثمان وذلك لعلمه انّ الناس لا يعدلون به عليّاً وعثمان، وانّ الخلافة لا تخلص له وهذان موجودان

فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب علي ، فقال الزبير في معارضته : وأنا أشهدكم على نفسي اني قد وهبت حقي من الشورى لعلي ، فقال سعد : وأنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبد الرحمن ، فلما لم يبق إلّا الثلاثة قال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيّكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الاثنين ؟ فلم يتكلم منهما أحد فقال عبد الرحمن : اشهدكم انني قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدكما فأمسكا فبدأ بعلي وقال له : ابايعك على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر ، فقال : بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي ، فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه فقال : نعم ، فعاد إلى علي فأعاد قوله فعل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً ، فلما رأى انّ عليّاً غير راجع عما قاله وانّ عثمان ينعم له بالاجابة صفق على يد عثمان وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فيقال انّ عليّاً قال له : والله ما فعلتها إلّا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم ، قيل ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن .

أقول : نعم تكليف علي شرعاً أن لا يجيب إلى سيرة من ليس فعله ولا قوله ولا تقريره حجة على المكلفين فضلاً عما في سيرته من الخطأ والخطل ما لا يحصى كثرة ، وامّا عثمان ونظراؤه فلو شرط عليهم ألف شرط لأجابوا إليه لأنّهم قاطعون انّ المنظور باجابتهم لهذه الشروط هو الاعتراف باللفظ المجرد وما أسهل ملايين الألفاظ تساق من غير عمل وهكذا فعل عثمان أنعم بالقول جواباً وانحرف في العمل عن كل ما شرط عليه .

وعن عثمان جرت هذه السيرة الفاسقة ابرام القول لفظاً وكتابة ونقضه عملاً وفعلاً فكانت الخلفاء بعده من معاوية ومن جاء في الزمان وراءه يعطون القرار

كتباً وينحرفون عنه عملاً ويعهدون لانسان بأخذ البيعة له من الناس ثمّ ينحرفون لأدنى هوى نفساني، وعلى مثل هذا.

قال ابن أبي الحديد في ختام هذا الفصل: امّا قوله عليه السلام: فصغا رجل منهم لضغنه فإنّه يعني طلحة، وقوله: مال الآخر لصهره فإنّه يعني عبد الرحمن مال إلى عثمان لأنّ أُم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت تحته وأُم كلثوم هذه هي اخت عثمان من امه أروى بنت كريز.

وحكى الشارح المعتزلي (ج ١ ص ٦٥) عن أبي هلال العسكري في كتاب الأوائل انّه قال: استجيبت دعوة علي عليه السلام في عثمان وعبد الرحمن فما ماتا إلّا متهاجرين متعاديين وان عثمان لما بنى قصره طمار الزوراء صنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه فكان فيهم عبد الرحمن فلما نظر إلى البناء والطعام قال: ياابن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك واني أستعيذ الله من بيعتك، فغضب عثمان وقال: أخرجه عني يا غلام، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلّا ابن عباس كان يأتيه يتعلم منه القرآن والفرائض ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتى مات.

وقال اليعقوبي [١] عند تعرضه لحديث الشورى: ومال قوم مع علي بن أبي طالب عليه السلام وتحاملوا في القول على عثمان فروى بعضهم قال: دخلت مسجد رسول الله فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهف من كأنّ الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول: واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم وفيهم أوّل المؤمنين وابن عم رسول الله أعلم الناس وأفقههم في دين الله وأعظمهم غناء في الإسلام وأبصرهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم والله لقد زووها عن

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ١٤٠.

الهادي المهتدي الطاهر النقي وما أرادوا اصحلاحاً للأُمّة ولا صواباً في المذهب ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين، فدنوت منه فقلت من أنت يرحمك الله؟ ومن هذا الرجل؟ فقال: أنا المقداد بن عمرو وهذا الرجل علي بن أبي طالب، قال: فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟ فقال: ياابن أخي انّ هذا الأمر لا يجزي فيه الرجل ولا الرجلان ثمّ خرجت فلقيت أبا ذر فذكرت له ذلك فقال: صدق أخي المقداد، ثمّ أتيت عبد الله بن مسعود فذكرت ذلك له فقال: لقد أخبرنا فلم نأل ـ اهـ.

أقول: وقد ذكر المؤرخون كافة مقالة المقداد وعمار بنحو مما ذكر هنا وما ليس مذكوراً فيه والحديث في أطراف الشورى كثير ولكن الجوهر ما كتبناه وعلقنا عليه وما لم نذكره طفيف الاختلاف لا قيمة للتعرض له.

الفصل الثالث في عثمان

وفيه عدّة بحوث

▣ البحث الأوّل:

في جهله بأحكام الشريعة وتناقضه فيها:

روى البخاري [١] عن مسدد عن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن عبد الله قال: صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين وأبي بكر وعمر ومع عثمان صدراً من امارته ثمّ أتمها.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن أبي الوليد عن شعبة عن أبي اسحاق قال: سمعت حارثة بن وهب قال: صلى بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنى ركعتين.

---

(١) في صحيحه: ج ١ ص ١٢٦ باب الصلاة بمنى.

وروى أيضاً عن قتيبة عن عبد الواحد عن الأعمش عن ابراهيم قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: صلّى بنا عثمان بن عفان بمنى أربع ركعات فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع قال: صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان مقبولتان. وأعاد البخاري هذه الآثار في كتاب الحج باب الصلاة بمنى من صحيحه (ج ١ ص ١٨٩).

وروى مسلم [١]: عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله ﷺ انّه صلى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين وأبو بكر وعمر وعثمان ركعتين صدراً من خلافته ثمّ أتمها أربعاً. وروى أيضاً عن نافع عن ابن عمر قال: صلّى رسول الله بمنى ركعتين وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدراً من خلافته ثمّ انّ عثمان صلّى بعد أربعاً فكان ابن عمر إذا صلى مع الامام صلى أربعاً وإذا صلاها وحده صلى ركعتين. وروى أيضاً عن خبيب بن عبد الرحمن سمع حفص بن عاصم عن ابن عمر قال: صلّى النبي ﷺ بمنى صلاة المسافر وأبو بكر وعمر وعثمان ثماني سنين أو قال: ست سنين قال حفص: وكان ابن عمر يصلي بمنى ركعتين ثمّ يأتي فراشه فقلت: أي عم لو صليت بعدها ركعتين؟ قال: لو فعلت لأممت الصلاة. وروى أيضاً عن ابراهيم قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: صلى بنا عثمان بمنى أربع ركعات فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع ثمّ قال: صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان. وعن أبي اسحاق عن حارثة بن وهب قال: صليت مع رسول الله بمنى

---

(١) في الصحيح: ج ٢ ص ١٤٥ وما بعدها، باب قصر الصلاة بمنى.

آمن ما كان الناس وأكثره ركعتين. وعن حارثة هذا أيضاً قال: صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنى والناس أكثر ما كانوا فصلى ركعتين في حجة الوداع.

والحديث في هذه المادة كثير فانظر إلى هذه البدع كيف تتطلع في الفترة بعد الفترة إلى الناس بما هم مسبوقون من السنة بأضدادها ونقائضها فكأنّ كل خلفية من هؤلاء الثلاث قد الزم نفسه بالابداع في شريعة الرسول حتى يكون له اسم في عرض اسمه وقول في مقابل قول الله، وانظر إلى جهل ابن عمر المعترف بأنّ صلاة المسافر بمنى وغير منى ركعتان ليس غير انّه كان إذا صلاها مع عثمان صلاها أربعاً وإذا صلاها وحده صلى ركعتين، واعجب من تقرير العالم بالحكم للمناقض فيه على تحكمه في أحكام الله ومواساته له فيه.

ومن الطريف جداً انّ بعض أبناء العامة اعتذر عن اتمام عثمان وعائشة للصلاة المقصورة في السفر بأنّ عثمان تأهل بمكة وان من يتأهل من بلدة ولو كان مستطرقاً عابراً حال زواجه وبعده أيضاً فهو بحكم أهل تلك البلدة وأهل البلد يتمون فيه وان عائشة ام المؤمنين فهي أين ما تذهب تنزل عند أولادها فهي دائماً في حضر (١).

فانظر إلى هذه السخافات واعجب وقد أطبق السنة والشيعة فتوى ورواية على انّ صلاة الحاضر اربعة وصلاة المسافر ركعتان والحاضر هو حاضر وطنه ومحله المعروف بالسكنى فيه لا يرتاب في ذلك اثنان من الفقهاء والنصوص متصامدة عليه، ولا ريب انّ تأهل الرجل من بلد أو إحداثه أي معاملة فيه لا يقطع سفره وهو غير عازم على الاقامة فيه وهذا من الوضوح بمكان، ثمّ لا شبهة في اناطة سفر الإنسان وحضره بخاصة نفسه إذا لم يكن ملزوماً للمتابعة

---

(١) راجع حد الأقل: ج ١ ص ٨١ وما بعدها من المعتصر.

كالزوجة والعبد والخادم، فالولد المنفصل عن أبيه في الوطن والسكنى المستقل بنفسه لا يقطع حكم سفره عن وطنه مروره على وطن أبيه فهب انّ عائشة اُم لكل مسلم لكن لها وطناً يخصها إذا خرجت منه عدت مسافرة فحكم السفر يلزمها ما دام لها فرض سفر وحضر ولابد من هذا الفرض لكل انسان إلّا لمن وكّل بفضاء الله يذرء لا وطن له ولا مقر.

وروى البخاري [١] باب التمتع والاقران والإفراد: عن مروان بن الحكم قال: شهدت عثمان وعليّاً وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما فلما رأى علي ذلك أهل بهما لبيك بعمرة وحجة قال: ما كنت لأدع سنة النبي لقول أحد.

وفي منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ٣٣٣) عن مروان بن الحكم قال: شهدت عليّاً وعثمان بين مكة والمدينة وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما فلما رأى ذلك علي أهلّ بهما فقال لبيك بعمرة وحج معاً فقال عثمان: تراني أنهى الناس وأنت تفعله؟ فقال علي: لم أكن أدع سنة رسول الله لقول أحد من الناس. أبو داود الطيالسي، ومسند أحمد، والنسائي، والبخاري، والعدني، والدارمي، والطحاوي.

وروى الحاكم [٢] عن عبد الرحمن بن حرملة قال: سمعت سعيد بن المسيب قال: حج علي وعثمان فلما كان ببعض الطريق نهى عثمان عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقيل لعلي انّه قد نهى عن التمتع فقال: إذا رأيتموه قد ارتحل فارتحلوا فلبى علي واصحابه بالعمرة ولم ينههم عثمان، فقال علي: ألم اخبر انك تنهى عن التمتع بالعمرة؟ قال: بلى، فقال علي: ألم تسمع رسول الله تمتع؟ قال: بلى.

---

(١) في الصحيح: ج ١ ص ١٧٩.

(٢) في المستدرك: ج ١ ص ٤٧٢.

صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي.

وفي مسند أحمد (ج ١ ص ١٠٠) عن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي قال: كان أبي الحارث على أمر من أمر مكة في زمن عثمان فأقبل عثمان إلى مكة فقال عبد الله بن الحارث فاستقبلت عثمان بالنزل بقديد فاصطاد أهل الماء حجلاً فطبخناه بماء وملح فجعلناه عراقاً للثريد فقدمناه إلى عثمان واصحابه فأمسكوا فقال عثمان: صيد لم نصطده ولم نأمر بصيده اصطاده قوم حل فأطعموناه فما بأس، فقال عثمان: من يقول في هذا؟ فقالوا: علي، فبعث إلى علي فجاء، قال عبد الله بن الحارث: فكأني أنظر إلى علي حين جاء وهو يحت الخبط عن كفيه فقال له عثمان: صيد لم نصطده ولم نأمر بصيده اصطاده قوم حل فأطعموناه فما بأس؟ قال: فغضب علي وقال: أنشد الله رجلاً شهد رسول الله حين أتى بقائمة حمار وحش فقال رسول الله: انا قوم حرم فأطعموه أهل الحل، فشهد اثنا عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ثمّ قال علي: أشهد الله رجلاً شهد رسول الله حين أتى ببيض النعام فقال رسول الله: انا قوم حرم أطعموه أهل الحلّ، قال: فشهد دونهم من العدة من الاثنى عشر، قال: فثنى عثمان وركه عن الطعام ودخل رحله وأكل ذلك الطعام أهل الماء. وقال في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ٣٤٥): أخرج هذا الحديث غير أحمد أبو داود وابن جرير وصححه والطحاوي وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في سننه.

وذكر السيوطي [١] عند تعرضه لترجمة عثمان حاكياً عن العسكري في الأوائل انّ عثمان أوّل من اقطع القطائع وأوّل من حمى الحمى وأوّل من أمر بالأذان الأوّل في الجمعة وأوّل من قدم الخطبة في العيد على الصلاة ثمّ ساق غير

---

(١) في تاريخ الخلفاء: ص ٦٤.

ذلك مما لا يرتبط بموضوعنا .

وروى البيهقي [١]: عن الزهري عن السائب بن يزيد انّ النداء يوم الجمعة كان أوّله إذا خرج الامام في زمان رسول الله وفي زمان أبي بكر وفي زمان عمر إذا خرج الامام وإذا قامت الصلاة حتى كان زمان عثمان فكثر الناس فزاد النداء الثالث على الزوراء فثبت حتى الساعة . وعن الماجشون عن الزهري عن السائب بن يزيد قال : إنّما أمر بالتأذين الثالث يوم الجمع عثمان بن عفان حين كثر أهل المدينة وإنّما كان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر . وقال ابن ناجية : إنّما أمر بالنداء الثالث عثمان يوم الجمعة وإنّما كان النداء حين يجلس الامام ولم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا مؤذن واحد .

وعن ابن رشد [٢]: انّ سعيد بن المسيب قال : كان الأذان يوم الجمعة في عهد رسول الله وأبي بكر وعمر أذاناً واحداً حين يخرج الامام فلما كان زمان عثمان وكثر الناس زاد الأذان الأوّل ليهيأ الناس للجمعة .

وقال ابن رشد [٣]: أجمع العلماء على استحسان الغسل لصلاة العيدين وانهما بلا أذان ولا اقامة لثبوت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ما أحدث من ذلك معاوية في أصح الأقاويل ، قاله أبو عمر وكذلك أجمعوا على انّ السنة فيها تقديم الصلاة على الخطبة لثبوت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ما روي عن عثمان بن عفان انّه أخر الصلاة وقدم الخطبة لئلا يفترق الناس قبل الخطبة .

أقول : بالضرورة من دين كل متعبد بشريعة انّه لا يجوز له التخطي عما تعبده

---

(١) في السنن : ج ٣ ص ١٩٢ ، باب وقت الأذان للجمعة .

(٢) في بداية المجتهد : ج ١ ص ١٥٣ ، عند تعرضه لصلاة الجمعة .

(٣) في البداية أيضاً : ج ١ ص ٢٠٩ باب صلاة العيدين .

الشارع به لأنّ التعبد هذا معناه، والعبث به ولو لمصلحة يراها العابث في نظره خروج عنه بلا شبهة ومما لا يكاد يقضي التعجب منه اقدام هؤلاء على الابتداع من غير كلفة ولا تصور مسؤولية، وأعجب منه اعتراف أتباعهم ببدعهم وانها خلاف ماكانت على عهد صاحب الشريعة ثمّ أتباعهم لسيرتهم كائنة ماكانت فما أدري بأي مقياس يزنون هذا المعنى؛ يكون الرجل منهم قبل أن يتصدر في مسند الخلافة والزعامة ملزوماً بالتعبد بالشريعة وهو هو في ذاته وكافة احتفافاته إذا أُتحيت عه الرياسة بأي لون اتفق جاء يقول ما يشاء ويفعل ما يريد ويجاهر بالابتداع ومخالفة سنن الشريعة ففضلاً عن انا لا نجد منكراً عليه إلّا خاصة المتورعين من أهل العلم نجد جامعة عصره ومن يأتي بعده يتخذون سننته ويتركون سنة الله والرسول وقد تنزل مقام الابتداع أيضاً حتى لم ير معاوية نفسه أدون من أبي بكر وعمر وعثمان فكما جاز لهؤلاء أن يبتدعوا أو يعرفوا بذلك ويتبعوا على ما سنّوا جوّز ذلك لنفسه فابتدع هو الأذان والاقامة لصلاة العيدين واتبع على هذه البدعة.

ثمّ ما الذي جوّز لعثمان أن يبتدع الأذان الثالث ومن جوّز الثاني لمن سبقه بعد الاذعان بأنّ الأذان في الجمعة كان على عهد الرسول واحداً وإعلام الناس للحضور لو احتاج الأعلام إلى تكرار غير منحصر بالأذان بل ينادون الصلاة ـ قد قامت الصلاة ـ وما هو نظير هذا الاشعار؟ ولا يستسيغ المتشرع القول بالرأي المجرد بمجرد حدوث خطرات في نفسه أو استحسانات تهيج به فإنّ الشرائع تعبدية صرفة مصدرها الله خصوصاً فيما جاء فيه نص أو انعقدت به سيرة فلا يكون الاقدام في مثل هذه الصورة على المخالفة إلّا من باب التمرد المحض، وما الذي جوّز لعثمان تقديم الخطبة على الصلاة وقد ثبت من فعل رسول الله تقديم الصلاة عليها أفهل صار عثمان بعد أن استخلف نبياً ناسخاً لشريعة محمّد ﷺ

واعتذاره بأنّه إنّما قدم الخطبة لأنّه إذا أخرها عن الصلاة تفرق الناس قبل سماعها اعتذار سخيف، لأنّه لا يخلو امّا أن يكون قادراً على ضبطهم والسيطرة عليهم فهم لا يتخلفون عن أوامره للخوف خصوصاً إذا شنع عليهم فعلهم وتهددهم بالتأديب وامّا ان لا تكون فيه قدرة على ذلك فالمعصية عليهم في التفرق قبل سماع الخطبة لا عليه وهذا أمر لا يرتبط به كما لا يرتبط بالمسلم العاجز عن ادارة غيره انحراف هذا الغير عن النهج القويم.

وذكر اليعقوبي [١] عند سرده لما نعاه الناس على عثمان فقال: وأجاز الرجم وذلك انّه كان رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت لستة أشهر فأمر عثمان برجمها فلما أُخرجت دخل إليه علي بن أبي طالب فقال: انّ الله عزوجل يقول: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، وقال في رضاعه: حولين كاملين، فأرسل عثمان في أثر المرأة فوجدت قد رجمت وماتت واعترف الرجل بالولد.

وذكر الطبري كما ذكره غيره [٢] انّ عثمان هذه السنة زاد في المسجد الحرام ووسعه وابتاع من قوم وأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال فصيحوا بعثمان فأمر بهم للحبس وقال: أتدرون ما جرأكم على ما جرأكم إلّا حلمي قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به ثمّ كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأُخرجوا.

أقول: عجباً له ولعمر في اغتصابهم حقوق الناس لأجل توسعة المسجد فإنّه لا يطاع الله من حيث يعصى ففضلاً عن انّ معاملتهم ما وقعت إلّا فاسدة لم يهيأوا إلّا مكاناً غصبياً للعبادة، ولا ريب من دين الإسلام وضرورة العقول أيضاً انّ

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ١٥٠.

(٢) ج ٥ ص ٤٧ عند تعرضه لحوادث سنة ست وعشرين.

المسلم مسلط على ماله لا يجوز انتزاعه منه بغير رضاه وحز الثمن عليه باطل ولعل عمر يدل على جهله بأحكام الشرع ومتابعة عثمان له متابعة جاهل لمثله، هذا وفيما سيجيء من البحوث ربط قوي بهذا البحث.

▣ البحث الثاني:

تصرفه في أموال المسلمين تصرف عابث مسرف بداعي الأهواء النفسية لا الطرق الشرعية وتقريبه لأعداء الله وأعداء رسوله اعتزازاً بنخوة العصبية: قال علي عليه السلام في فصل من فصول خطبته الشقشقية [1]: إلى أن قام ثالث الثوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الأبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته.

علق على ذلك الشارح المعتزلي فقال: بايعه الناس بعد انقضاء الشورى واستقرار الأمر له وصحت فيه فراسة عمر فإنّه أوطأ بني امية رقاب الناس وولاهم الولايات وأقطعهم القطائع وافتتحت أرمينية في أيّامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعماءة ألف درهم وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن سيره رسول الله ثمّ لم يرده أبو بكر ولا عمر وأعطاه مأة ألف درهم وتصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بموضع سوق المدينة على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم وأقطع مروان فدكاً وقد كانت فاطمة طلبتها بعد وفاة أبيها تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدفعت عنها وحمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلّا عن بني امية وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين

---

(١) ج ١ ص ٦٦ من النهج الحديدي.

وأعطى أبا سفيان بن حرب مأتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمأة ألف من بيت المال وقد كان زوجه ابنته أُم أبان فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟ قال: لا ولكن أبكي لأني أظنك انك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله، والله لو أعطيت مروان مأة درهم لكان كثيراً فقال: ألق المفاتيح ياابن أرقم فانا سنجد غيرك، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسمها كلها في بني امية وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة وأعطاه مأة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه ـ اه ملخصاً ـ.

أقول: يؤيد ذلك كله ما ذكره ابن عبد البر [١] عند تعرضه لترجمة عبد الرحمن بن حنبل فقال: وهو القائل في عثمان بن عفان لما أعطى مروان خمسماءة ألف من خمس افريقية:

وأحلف بالله جهد اليمين	ما ترك الله أمراً سدى
ولكن جعلت لنا فتنة	لكي نبتلي بك أو تبتلى
دعوت الطريد فأدنيته	خلافاً لما سنّه المصطفى
ووليت قرباك أمر العباد	خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة	آثرته وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري	من الفيء أعطيته من دنا
فإنّ الأمينين قد بينا	منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلة	ولا قسّما درهماً في هوى

(١) ج ٢ ص ٤٠٦ من الاستيعاب.

وقال علي عليه السلام [١] فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإنّ في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق.

عقب الشارح المعتزلي ذلك فقال: القطائع ما يقطعه الامام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج ويسقط عنه خراجه ويجعل عليه ضريبة يسيرة عوضاً عن الخراج وقد كان عثمان أقطع كثيراً من بني امية وغيرهم من أوليـاءه وأصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه الصورة، وقد كان عمر أقطع قطائع ولكن لأرباب الغناء في الحرب والآثار المشهورة في الجهاد فعل ذلك بهم ثمناً عما بذلوه من مهجهم في طاعة الله، وعثمان أقطع القطائع صلة لرحمه وميلاً إلى اصحابه من غير غناء في الحرب ولا أثر وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس انّ عليّاً خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة إلّا انّ كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحق القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان لرددته إلى حاله، فإنّ في العدل سعة ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق.

قال الكلبي: ثمّ أمر عليه السلام بكل سلاح وجد لعثمان في داره مما تقوى به على المسلمين فقبض وأمر بقبض نجائب كانت في داره من ابل الصدقة فقبضت وأمر بقبض سيفه ودرعه وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره وأمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث اصيبت أو اصيب أصحابها.

---

(١) ج ١ ص ٨٩ من النهج الحديدي.

وقال اليعقوبي [١]: كتب عثمان إلى الحكم بن أبي العاص أن يقدم عليه وكان طريد رسول الله ﷺ وكان عثمان لما ولي أبو بكر اجتمع هو وقوم من بني امية إلى أبي بكر فسألوه في الحكم فلم يأذن له فلما ولى عمر فعلوا ذلك فلم يأذن له فأنكر الناس اذنه له، وقال بعضهم: رأيت الحكم بن أبي العاص يوم قدم المدينة عليه فرو خلق وهو يسوق تيساً حتى دخل دار عثمان والناس ينظرون إلى سوء حاله وحال من معه ثمّ خرج وعليه جبة خز وطيلسان.

وقال أيضاً (ج ٢ ص ١٤٣): وأغزى عثمان الناس سنة سبع وعشرين وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فكان الفتح وكثرت الغنائم وبلغت ألفى ألف دينار وخمسماءة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وروى بعضهم انّ عثمان زوج ابنته من مروان بن الحكم وأمر له بخمس هذا المال.

وقال (ص ١٤٥): وزوج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد وأمر له بستماءة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة وحدث أبو اسحاق عن عبد الرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى آتاها عثمان فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص. وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال فجعل خازنه يدافعه ويقول له يكون فنعطيك إن شاء الله فألح عليه فقال: إنّما أنت خازن لنا فإذا أعطيناك فخذ وإذا سكتنا عنك فاسكت فقال: كذبت والله ما أنا بخازن لك ولا لأهل بيتك إنّما أنا خازن المسلمين وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيّها الناس زعم عثمان اني خازن له ولأهل بيته وإنّما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم ورمى بها فأخذها ودفعها

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ١٤١ عند سرده لما نعاه الناس على عثمان.

إلى زيد بن ثابت .

وقال الشارح المعتزلي (ج ٢ ص ٣٩٨) عند تعرضه لجملة من أحوال عثمان : وروى الزبير بن بكار عن الزهري قال : لما أتى عمر بجوهر كسرى وضع في المسجد فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر فقال لخازن بيت المال : ويحك أرحني من هذا واقسمه بين المسلمين فإنّ نفسي تحدثني انّه سيكون في هذا بلاء وفتنة بين الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين انّ قسمته بين المسلمين لم يسعهم وليس أحد يشتريه لأنّ ثمنه عظيم ولكن ندعه إلى قابل فعسى الله أن يفتح على المسلمين بمال فيشتريه منهم من يشتريه ، قال رافعه فأدخله بيت المال وقتل عمر وهو بحاله فأخذه عثمان لما ولي الخلافة فحلّى به بناته .

أقول : الحديث في هذا الباب كثير وفير وفي أقصى حدود التواتر ولأبناء العامة في الجواب عن ذلك آراء تضحك (من جملتها) انّ هذا المنقول عنه لم يثبت وإذا جازت لهم هذه المكابرة قلنا لهم في مقابلها ان أصل وجود عثمان لم يثبت فإنّ كل من ذكر عثمان ذكر معه هذه الأشياء فهما مقرونان في قرن . (ومن جملتها) انّه امام والامام يعمل بنظره ، قلنا : هذا المعنى فاسد وحتى في الأنبياء المعصومين فإنّهم لا يفعلون الفعل ولا يقولون القول إلّا عن ارتباط بالمبدأ وليس لهم من الأمر شيء ، والتخطي عن سيرة النبي وأهل الفضيلة والورع من أصحابه لا يجوز لأي ذي نظر يفرض ، فإنّ النظر في مثل هذه الموارد ليس من العقليات الصرفة حتى يلقى إليه عنانه ولا يحكم عليه بلزوم المتابعة وتوسع أبناء العامة بعنوان الاجتهاد مصداقاً وموردا لا قيمة له ، لأنّه هذر وهذيان ، فإنّ الاجتهاد إنّما يطلق على الإنسان المتحري لأحكام الشريعة بتتبع مظانها فحصاً بدقة فإذا أعيته النصوص والسيرة وجوداً حكم في الموارد بما تقتضيه القواعد المضروبة له ولو كانت قواعد اجتهادية والمورد الاجتهادي هو ما فقد الأدلّة وانتبذ عن مجاري

السيرة لا كل مورد (ومن جملتها) انّ هذه الصرفيات الواسعة كانت من ماله الخاص ؛ والجواب عن هذه المزعمة : انّ ثروة عثمان إن كان لها صحة وجود فهي سابقة على زمن خلافته بالطبع ولم نر عثمان قبل هذه الأيّام أعطى واحداً من بني امية بما يذكر فضلاً عن عددهم الواسع الذي أحاط به احاطة الحاشية والزبانية بعريفها ، ألا ترى ان عثمان كان أينما حل وارتحل لا ينسى ذكر البئر التي اشتراها زمن الرسول إذ كانت واحدة محاسنه ولا يملك حسنة سواها في حال انّ صلة الأرحام مستحبة على كل حال وهو حينذاك لم يكن محجوراً عليه حتى يمنع عن التصرف في ماله فلتفتضح هذه المزعمة النابية .

▣ البحث الثالث :

انكار معاريف الصحابة وأفاضلهم ورجال الناس وأشرافهم نوع ما صدر منه وسار عليه وايقاعه بمن قدر عليه من هؤلاء وتنكيله بمن هو أفضل منه مقاماً عند الله والرسول وبني آدم :

ذكر ابن قتيبة [١] فقال : وذكروا انّه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس افريقية لمروان ، وفيه حق الله ورسوله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته وبنيان مروان القصور بذي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشاءه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني امية وهم أحداث وغلمة لا**

---

(١) في كتابه الامامة والسياسة : ج ١ ص ٣٠ تحت عنوان : ما أنكر الناس على عثمان.

صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأُمور وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليهم سكران أربع ركعات، ثمّ قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم وتعطيله اقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة وما كان من ادراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط وانّه أوّل من ضرب بالسياط ظهور الناس وإنّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران ثمّ تعاقد القوم ليدفعن الكتاب بيد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني امية فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: ومن كان معك؟ قال: معي نفر تفرقوا فرقاً منك، قال: ومن هم؟ قال: لا أخبرك بهم، قال: فلم اجترأت علي من بينهم؟ فقال مروان: يا أمير المؤمنين انّ هذا العبد الأسود ـ يعني عماراً ـ قد جرّأ عليك الناس وانك إن قتلته نكلت به من ورائه، فقال عثمان: اضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت بهام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأدخل منزلها.

وذكر ابن أبي الحديد [١] فقال: قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب

(١) ج ٢ ص ٣٩٣ من شرحه على النهج.

أخبار السقيفة : حدثني محمّد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن زياد بن جبل عن أبي بن كعب الحارثي وهو ذو الاداوة قال : أتيت المدينة فأتيت عثمان بن عفان وهو الخليفة يومئذ فسألته عن شيء من أمر ديني وقلت : يا أمير المؤمنين اني رجل من أهل اليمن من بني الحارث بن كعب واني أريد أن أسألك عن اشياء فأمر حاجبك أن لا يحجبني ، فقال : يا وثاب إذا جائك هذا الحارثي فاذن له ، قال : فكنت إذا جئت فقرعت الباب قال : من ذا ؟ فقلت : الحارثي ، فيقول : ادخل فدخلت يوماً فإذا عثمان جالس وحوله نفر سكوت لا يتكلمون كأنّ على رؤوسهم الطير فسلمت ثمّ جلست فلم اسأله عن شيء لما رأيت من حالهم وحاله فبينا أنا كذلك إذ جاء نفر فقالوا : انّه أبى أن يجيء ، قال : فغضب وقال : أبى أن يجيء ، اذهبوا فجيئوا به ، فإن أبى فجروه جراً ، قال : فمكثت قليلاً فجاءوا ومعهم رجل آدم طوال أصلع في مقدم رأسه شعرات وفي قفاه شعرات ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : عمار بن ياسر ، فقال له عثمان : أنت الذي تأتيك رسلنا فتأبى أن تجيء ، قال : فكلمه بشيء لم أدر ما هو ثمّ خرج فما زالوا ينفضون من عنده حتى ما بقي غيري ، فقام فقلت : والله لا أسأل عن هذا الأمر أحداً أقول حدثني فلان حتى أدري ما يصنع فتبعته حتى دخل المسجد فإذا عمار جالس إلى سارية وحوله نفر من أصحاب رسول الله يبكون ، فقال عثمان : يا وثاب علي بالشرط فجاءوا فقال : فرقوا بين هؤلاء ففرقوا بينهم ثمّ اقيمت الصلاة فتقدم عثمان فصلى بهم فلما كبر قالت امرأة من حجرتها : يا أيّها الناس ثمّ تكلمت وذكرت رسول الله ﷺ وما بعثه الله به ثمّ قالت : تركتم أمر الله وخالفتم عهده ونحو هذا ثمّ صمتت وتكلمت امرأة أُخرى بمثل ذلك فإذا هما عائشة وحفصة ، قال : فسلم عثمان ثمّ أقبل على الناس وقال : انّ هاتين لفتانتان يحل لي سبها وأنا بأصلهما عالم ، فقال له سعد بن أبي وقاص : أتقول هذا لحبائب رسول الله ﷺ

فقال: وفيم أنت وما هاهنا ثمّ أقبل نحو سعد عامداً ليضربه فانسل سعد فخرج من المسجد فاتبعه عثمان فلقي علياً بباب المسجد فقال له علي: أين تريد؟ قال: اريد هذا الذي كذا وكذا ـ يعني سعداً يشتمه ـ فقال له علي: أيّها الرجل دع عنك هذا، قال: فلم يزل بينهما كلام حتى غضبا ثمّ حجز الناس بينهما، قال: ثمّ خرجت من المدينة حتى انتهيت إلى الكوفة فوجدت أهلها أيضاً قد وقع بينهم شر ونشبوا في الفتنة وردوا سعيد بن العاص فلم يدعوه يدخل اليهم فلما رأيت ذلك رجعت حتى أتيت بلاد قومي.

وقال اليعقوبي (ج ٢ ص ١٤٦ من تاريخه): وجمع عثمان القرآن والفه وصير الطوال مع الطوال والقصار مع القصار من السور وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت ثمّ سلقها بالماء الحار والخل وقيل أحرقها فلم يبق مصحف إلّا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود، وكان ابن مسعود بالكوفة فامتنع أن يدفع مصحفه فكتب عثمان في إشخاصه فدخل المسجد وعثمان يخطب فقال عثمان: انّه قد قدمت عليكم دابة سوء، فتكلم ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان فجر برجله حتى كسر له ضلعان فتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً وأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي وصلّى عليه عمار بن ياسر، وذكر انّه أوصى أن لا يخبر به ولم يلبث إلّا يسيراً حتى مات المقداد فصلى عليه عمار وكان أوصى إليه ولم يؤذن به عثمان فاشتد غضب عثمان على عمار وقال: ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليما.

ثمّ قال: وبلغ عثمان انّ أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غيّر وبدل من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنن أبي بكر وعمر فسيره إلى الشام إلى معاوية وكان يجلس في المجلس فيقول كما كان يقول ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول: جاءت القطار

تحمل النار لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ولعن الله الناهين عن المنكر الآتين له ، فكتب معاوية إلى عثمان انك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر ، فكتب إليه أن احمله على قتب بغير وطاء ، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه فلما دخل عليه وعند جماعة قال : بلغني انك تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا كمل بنو امية ثلاثين رجلاً اتخذوا بلاد الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً ؟ فقال : نعم سمعت رسول الله يقول ذلك ، فبعث إلى علي وقص عليه الخبر فقال علي: نعم ، قال : كيف تشهد ؟ قال : لقول رسول الله : ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر ، فلم يقم بالمدينة إلّا أيّاماً حتى أرسل إليه عثمان والله لتخرجن عنها ، قال : أتخرجني من حرم رسول الله ؟ قال : نعم وأنفك راغم ، قال : إلى مكة ؟ قال : لا ، قال : فالى البصرة ؟ قال : لا ، قال : فالى الكوفة ؟ قال : لا ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت بها ، يا مروان أخرجه ولا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج ، فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته فخرج علي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون فلما رأى أبو ذر عليّاً قام إليه فقبل يده ثمّ بكى وقال : اني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله فلم أصبر حتى أبكي ، فذهب علي يكلمه ، فقال مروان : انّ أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد ، فرفع علي السوط فضرب وجه ناقته وقال : تنح نحاك الله إلى النار ، ثمّ شيعه وكلمه بكلام يطول شرحه وتكلم كل رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان إلى عثمان فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً .

أقول : شرح القضية هو ما رواه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري [١]

(١) في كتاب السقيفة ج ٢ ص ٣٧٥ من الشرح الحديدي.

عن عبد الرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما أُخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به وتحاماه الناس إلّا علي بن أبي طالب وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً وعماراً فإنّهم خرجوا معه يشيعونه، فجعل الحسن يكلم أبا ذر فقال له مروان: إيهاً يا حسن ألا تعلم انّ أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل علي على مروان فضرب بالسوط بين أُذني راحلته وقال: تنح نحاك الله إلى النار، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر فتلظى على علي ووقف أبو ذر فودعه القوم ومعه ذكوان مولى ام هانىء بنت أبي طالب قال ذكوان: فحفظت كلام القوم وكان حافظاً.

فقال علي عليه السلام: يا أبا ذر انك غضبت لله انّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلا ونفوك إلى الفلا والله لو كانت السموات والأرض على عبد رتقاً ثمّ اتقى الله لجعل له منها مخرجاً، يا أبا ذر لا يؤنسنك إلّا الحق ولا يوحشنك إلّا الباطل ثمّ قال لأصحابه: ودعوا عمكم، وقال لعقيل: ودع أخاك، فتكلم عقيل فقال: ما عسى أن نقول يا أبا ذر وأنت تعلم انا نحبك وأنت تحبنا فاتق الله فإنّ التقوى نجاة واصبر فإنّ الصبر كرم واعلم انّ استثقالك الصبر من الجزع واستبطائك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع.

ثمّ تكلم الحسن عليه السلام فقال: يا عماه لولا انّه لا ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيع أن ينصرف لقصر الكلام وان طال الأسف، وقد أتى القوم اليك ما ترى فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنك راض، ثمّ تكلم الحسين عليه السلام فقال: يا عماه انّ الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى والله كل يوم هو في شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك فما أغناك عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم فاسئل الله الصبر

والنصر واستعذ به من الجشع والجزع فإنّ الصبر من الدين والكرم وان الجشع لا يقدم رزقاً والجزع لا يؤخر أجلاً.

ثمّ تكلم عمار رحمه الله مغضباً فقال: لا آنس الله من أوحشك ولا آمن من أخافك أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك ولو رضيت أعمالهم لأحبوك وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلّا الرضا بالدنيا والجزع من الموت ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه والملك لمن غلب فوهبوا لهم دينهم ومنحهم القوم دنياهم فخسروا الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين، فبكى أبو ذر رحمه الله وكان شيخاً كبيراً وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم اني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام وكره أن أُجاور أخاه وابن خاله بالمصرين فأفسد الناس عليهما فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، والله ما اريد إلّا الله صاحباً وما أخشى مع الله وحشة، ورجع القوم إلى المدينة فجاء علي عليه السلام إلى عثمان فقال له: ما حملك على ردّ رسولي وتصغير أمري؟ فقال علي: أما رسولك فأراد أن يردّ وجهي فرددته، وأمّا أمرك فلم أصغره، قال: أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذر، قال: أو كلما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه، قال عثمان: أقد مروان من نفسك، قال: مم ذا؟ قال: من شتمه وجذب راحلته، قال: أمّا راحلته فراحلتي بها وأمّا شتمه إيّاي فوالله لا يشتمني شتمة إلّا شتمتك مثلها لا أكذب عليك، فغضب عثمان وقال: لم لا يشتمك كأنك خير منه؟ قال علي: أي والله ومنك.

وعقب الشارح المعتزلي ذلك فقال: واعلم انّ الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنقل انّ عثمان نفى أبا ذر أوّلاً إلى الشام ثمّ استقدمه إلى المدينة لما شكى منه معاوية ثمّ نفاه من المدينة إلى الربذة، أصل هذه الواقعة: انّ

عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختص زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع بشر الكافرين بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾** فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت ثمّ انّه أرسل إليه مولى من مواليه أن انته عما بلغني عنك، فقال أبو ذر: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك أمر الله ؟ فوالله لان أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان، فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للامام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا، فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، الحق بالشام، فأخرجه اليها، فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية يوماً ثلاث مأة دينار فقال أبو ذر: لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلها وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها وردها عليه، ثمّ بنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاوية ان كانت هذه من مال الله فهي الخيانة وإن كانت من مالك فهي الاسراف، وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه والله اني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيى وصادقاً مكذباً واثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه، فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: انّ أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله ان كانت لك فيه حاجة.

وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانية عن جلام بن جندب الغفاري قال: كنت غلاماً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملي إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول:

أتتكم القطار تحمل النار اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له فازبار معاوية وتغير لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟ فقلت: اللهم لا، قال: من عذيري من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت، ثمّ قال: أدخلوه علي فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا كل يوم فتصنع ما تصنع أما اني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك، لكني أستأذن فيك.

قال جلام وكنت أحب أن أرى أبا ذر لأنّه رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب من الرجال خفيف العارضين في ظهره انحناء فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو الله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر ولقد لعنك رسول الله ودعا عليك مرات أن لا تشبع، سمعت رسول الله يقول: إذا ولي الأُمّة الاعين الواسع البلعون الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمّة حذرها منه، فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل، قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل، أخبرني بذلك رسول الله وسمعته يقول وقد مررت به: اللهم العنه ولا تشبعه إلّا بالتراب، وسمعته يقول: است معاوية في النار، فضحك معاوية وأمر بحبسه وكتب إلى عثمان فيه فكتب عثمان إلى معاوية أن احمل جندباً على أغلظ مركب وأوعره فوجه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارف ليس عليها إلّا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد فلما قدم بعث إليه عثمان الحق بأي أرض شئت، قال: بمكة؟ قال: لا، قال: بيت المقدس؟ قال: لا، قال: بأحد المصرين، قال: لا، ولكني مسيرك إلى الربذة فسيره اليها فلم يزل بها حتى مات.

وفي رواية الواقدي انّ أبا ذر لما دخل على عثمان قال له:

لا أنعم الله بقين عـينا   نعم ولا لقاه يوماً زينا
تحية السخط إذا التقينا

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي قيناً قط وفي رواية أُخرى: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب، فقال أبو ذر: أنا جندب وسماني رسول الله ﷺ عبد الله فاخترت اسم رسول الله ﷺ الذي سماني به على اسمي، فقال له عثمان: أنت الذي تزعم انا نقول: يد الله مغلولة وان الله فقير ونحن أغنياء، فقال أبو ذر: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده ولكني أشهد اني سمعت رسول الله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخـلاً، فـقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله؟ قالوا: لا، قال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله ﷺ؟ فقال أبو ذر: أما تدرون اني صدقت؟ قالوا: لا والله ما ندري، فقال عثمان: ادعوا لي عليّاً، فلما جـاء قـال عـثمان لأبـي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص، فأعاده فقال عثمان لعلي: أسمعت هذا من رسول الله؟ قال: لا وصدق أبو ذر، قال: كيف عرفت صـدقه؟ قـال: لأنـي سمعت رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، فقال من حضر: أما هذا فسمعناه كلنا من رسول الله فـقال أبـو ذر: أحدثكم اني سمعت هذا من رسول الله فتتهموني، ما كنت أظن اني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمّد ﷺ.

وروى الواقدي في خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت، فقال أبـو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني، قال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد أنغلت الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتـبع سـنة صـاحبيك

لا يكن لأحد عليك كلام، فقال عثمان: مالك وذلك لا أُمّ لك، قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب امّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين أو أنفيه من أرض الإسلام، فتكلم علي وكان حاضراً فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون فإن يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم انّ الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، فأجابه عثمان بجواب غليظ.

قال الواقدي: ثمّ انّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلموه فمكث كذلك أيّاماً ثمّ أتى به فوقف بين يديه فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ورأيت أبا بكر وعمر هل هديك كهديهم أما انك لتبطش بي بطش جبار، فقال عثمان: اخرج عنا من بلادنا، فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك ـ اهملخصاً ـ.

قال اليعقوبي (ج ٢ ص ١٥٠) فلما بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال: رحم الله أبا ذر، قال عمار: نعم رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا، فغلظ ذلك على عثمان وبلغ عثمان من عمار كلام فأراد أن يسيره أيضاً فاجتمعت بنو مخزوم إلى علي بن أبي طالب وسألوه اعانتهم فقال علي: لا ندع عثمان ورأيه فجلس عمار في بيته وبلغ عثمان ما تكلمت به بنو مخزوم فأمسك وسير عبد الرحمن بن حنبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر. أقول: وذلك لذكره مساوي عثمان بشعره الذي آنفناه.

ثمّ البحث في هذا الباب طويل الذيل ليس بكتابنا إلى ذكر جميع ما ورد فيه أو مت إليه سعة وهذه الشخصيات التي أصحرت بمساويه ونعت عليه جرائمه شخصيات لها وزن عظيم عند الله والرسول وقد تصافقت النصوص الصحيحة عن

النبي ﷺ في تمجيدهم وتشريفهم والاصحار عن صدقهم وأمانتهم وايمانهم وعظيم مقامهم في المسلمين واعترف بذلك لهم كل مؤرخ ومحدث مسلم.

ففي مسند أحمد بن حنبل (ج ١ ص ١٠٠) عن هاني بن هاني عن علي قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء عمار فاستأذن فقال: ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيب.

وفي مسند أحمد (ج ٥ ص ١٩٧) عن عبد الرحمن بن غنم انّه زار أبا الدرداء بحمص فكث عنده ليالي وأمر بحماره فأوكف فقال أبو الدرداء: ما أراني إلّا متبعك فأمر بحماره فأسرج فسارا جميعاً على حماريهما فلقيا رجلاً شهد الجمعة بالأمس عند معاوية بالجابية فعرفهما الرجل ولم يعرفاه فأخبرهما خبر الناس ثمّ ان الرجل قال: وخبر آخر كرهت أن أخبركما أراكما تكرهانه، فقال أبو الدرداء: فلعل أبا ذر نفي؟ قال: نعم والله، فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريباً من عشر مرات، ثمّ قال أبو الدرداء: ارتقبهم واصطبر كما قيل لأصحاب الناقة اللهم إن كذبوا أبا ذر فاني لا أُكذبه اللهم وان اتهموه فاني لا أتهمه اللهم وان استغشوه فاني لا أستغشه فإنّ رسول الله كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً ويسر إليه حين لا يسر إلى أحد أما والذي نفس أبي الدرداء بيده لو انّ أبا ذر قطع يميني ما أبغضته بعد الذي سمعت رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

وروى الحاكم [١] عن مالك بن مرثد عن أبيه قال: قال رسول الله: ما تقل الغبراء ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله فنعرف ذلك له، قال: نعم،

---

(١) في المستدرك: ج ٢ ص ٣٤٢.

فاعرفوه له. صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي كما هو. عن أبي حرب الديلمي قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت النبي يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر، أقرّه الذهبي. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، اقره الذهبي.

وروى الحاكم أيضاً [1] عن عبد الرحمن بن غنم قال: كنت مع أبي الدرداء فجاء رجل من قبل المدينة فسأله فأخبره انّ أبا ذر مسير إلى الربذة فقال أبو الدرداء: انا لله وانا إليه راجعون لو انّ أبا ذر قطع لي عضواً أو يداً ما هجته بعدما سمعت النبي ﷺ يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر. قال الذهبي: سنده جيد.

وروى الحاكم [2] عن حارثة بن مضرب قال: كتب الينا عمر بن الخطاب: اني قد بعثت اليكم عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب محمّد ﷺ من أهل بدر فاسمعوا وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم فاسمعوا وتعلموا منهما واقتدوا بهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي. وعن عطاء بن يسار عن عائشة قال: قال رسول الله ﷺ: ما خيّر عمار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما. عن جابر انّ رسول الله ﷺ مرّ بعمار وأهله يعذبون فقال: أبشروا آل عمار وآل ياسر فإنّ موعدكم الجنة.

وروى الحاكم أيضاً [3] عن الأشتر عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين

---

(١) ج ٣ ص ٣٤٤ من مستدركه.

(٢) في المستدرك: ج ٣ ص ٣٧٨.

(٣) ج ٣ ص ٣٨٩ من المستدرك.

عمار شيء فشكوته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم : من سبّ عماراً يسبه الله ومن يعاد عماراً يعاده الله . وفي طريق آخر (ص ٣٩٠) أيضاً عن الأشتر عن خالد بن الوليد قال : كان وقع بيني وبين عمار بن ياسر كلام فشكوته إلى رسول الله فقال رسول الله : يا خالد من يسب عماراً يسبه الله ومن يعاد عماراً يعاده الله ومن يحقر عماراً يحقره الله .

وروى الحاكم أيضاً (ص ٣٩١) عن حبة العرني قال : دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أسأله عن الفتن فقال : دوروا مع كتاب الله حيثما دار وانظروا الفتنة التي فيها ابن سمية فاتبعوها فإنّه يدور مع كتاب الله حيثما دار ، قال : فقلنا له : ومن ابن سمية ؟ قال : عمار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية تشرب شربة ضياح تكون آخر رزقك من الدنيا .

وروى الحاكم أيضاً (ص ٣٩٢) عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ملء عمار ايماناً إلى مشاشه . وقد أقر الذهبي جميع ما نقلناه عن الحاكم في ترجمة عمار .

وفي منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ١٥٦) انّ أبا ذر ليباري عيسى بن مريم في عبادته ؛ الطبراني في الكبير عن ابن مسعود : ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم . الترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك : من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر . أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة .

وروى صاحب المنتخب أيضاً (ص ١٥٧) : ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر يطلب شيئاً من الزهد عجز عنه الناس . ابن عساكر عن علي : ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر فإذا أردتم أن تنظروا إلى شبيه عيسى بن مريم هدياً وبراً ونسكاً فعليكم

به . ابن عساكر عن أبي هريرة .

عن أبي الدرداء انّه ذكر أبا ذر فقال انّ رسول الله كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً ويسر إليه حين لا يسر إلى أحد ، ابن جرير .

وروى في منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٢٤٤) : عمار خلط الله الايمان ما بين قرنه إلى قدمه وخلط الايمان بلحمه ودمه يزول مع الحق حيث زال لا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً . ابن عساكر عن علي : دم عمار ولحمه حرام على النار أن تأكله أو تمسه . ابن عساكر عن علي : قاتل عمار وسالبه في النار . الطبراني في الكبير عن عمرو بن العاص وعن ابنه : كم من ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله تعالى لأبره منهم عمار بن ياسر . ابن عساكر عن عائشة .

وروى أيضاً (ص ٢٤٥) : إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق . الطبراني في الكبير عن ابن مسعود : ما خيّر عمار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما . الترمذي والحاكم في المستدرك عن عائشة : ملء عمار ايماناً إلى مشاشه . ابن ماجة عن علي والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود : من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله . أحمد في المسند والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك عن خالد بن الوليد : من يحقر عماراً يحقره الله ومن يسب عماراً يسبه الله ومن يبغض عماراً يبغضه الله . أبو يعلى في مسنده وابن قانع والطبراني في الكبير والضياء في المختارة عن خالد بن الوليد : اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت . أحمد في المسند وابن سعد عن عثمان بن عفان .

وروى أيضاً (ص ٢٤٦) : عن علي قال : كنا جلوساً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء عمار يستأذن فعرف صوته فقال : ائذنوا له فلما دخل قال : مرحباً بالطيب المطيب . أبو داود الطيالسي وابن أبي شيبة والترمذي حسن صحيح وابن ماجة وأبو يعلى في مسنده وابن جرير وصححه والحاكم في المستدرك والشاشي وأبو

نعيم في الحلية وسعيد بن منصور في سننه.

وذكر ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن مسعود [١] في جملة ما ذكر في حقه انّه كان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك شهد بدراً والحديبية وهاجر الهجرتين الأُولى إلى أرض الحبشة والثانية من مكة إلى المدينة وصلى إلى القبلتين وشهد له رسول الله بالجنة. وعن علي قال: أمر رسول الله عبد الله بن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه فضحكوا فقال النبي ﷺ: ما يضحككم لرجلاه عند الله في الميزان أثقل من أُحد، وقال ﷺ: استقرؤا القرآن من أربعة نفر فبدأ بعبد الله بن مسعود. وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من ابن ام عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة. وقال رسول الله ﷺ: من أحب أن يسمع القرآن غضاً فليسمعه من ابن أُم عبد وبعضهم يرويه من أراد أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أُم عبد. وقال الأعمش: عن شقيق أبي وائل سمعت ابن مسعود يقول: اني لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم وما في كتاب الله سورة ولا آية إلّا وأنا أعلم فيم أُنزلت ومتى نزلت، قال أبو وائل: فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه.

وقال حذيفة: لقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ان عبد الله بن مسعود كان من أقربهم وسيلة وأعلمهم بكتاب الله. وعن الأعمش عن أبي ظبيان قال: قال لي عبد الله بن عباس: ايّ القرائتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأُولى، قراءة ابن ام عبد، فقال: أجل هي الآخرة، انّ رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبرئيل في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله عرضه عليه

---

(١) من الاستيعاب: ج ٢ ص ٣٠٨.

مرتين فحضر ذلك عبد الله فعلم ما نسخ ذلك وما بدل. وعن ابراهيم عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفات فقال: جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يحكي المصحف عن ظهر قلبه، فغضب عمر غضباً شديداً وقال: ويحك من هو؟ قال: عبد الله بن مسعود، قال: فذهب عنه ذلك الغضب وسكن وعاد إلى حاله وقال: والله ما أعلم في الناس أحداً هو أحق بذلك منه.

وروى الأعمش عن شقيق بن سلمة أبي وائل قال: لما أمر عثمان في المصاحف بما أمر قام عبد الله بن مسعود خطيباً فقال: أيأمروني أن أقرأ القرآن على قرائة زيد بن ثابت؟ والذي نفسي بيده لقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وانّ زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب به الغلمان. وعن الأعمش عن زيد بن وهب قال: لما بعث عثمان إلى عبد الله بن مسعود يأمره بالخروج إلى المدينة اجتمع إليه الناس وقالوا: أقم ولا تخرج ونحن نمنعك أن يصل اليك شيء تكرهه منه، فقال لهم عبد الله: انّ له علي طاعة وانها ستكون امور وفتن لا أحب أن أكول أوّل من فتحها.

والحديث في مثل هذه الشخصيات كثير، ولا يقابل به مالفقه الجماعة في ابن عفان فإنّ ذلك من أكياسهم الخاصة وكفى فارقاً بينه وبينهم ان تيك الشخصيات الوزينة لم تأخذ عليها الدنيا بوادر ولا بمعشار ما أخذته على ابن عفان بل ولا رائحة كما هو بيّن صريح فهلا اترم ابن عفان من هؤلاء المحترمين ما كان يحترمه الله والرسول لهم فإنّه موظف بالمشي على سننهم في العباد وقد كان ابن عفان أعطى صفقته بمتابعة شيخيه السابقين عليه وكان الشيخان يجللان ويبجلان هذه الذوات فهلّا كان لهم كما كان سالفاه، ولو انهم كانوا معروفين بنزق وطيش واثارة فتن لقالوا في سالفيه بعض ما قالوا فيه ولكنهم لم يجدوا في الشيخين جهة مقال من سنخ ما وجدوه في ابن عفان فلم يحمل شيخا تيم وعدي بني أعمامهما على

رقاب الناس كما حمل عثمان بني امية كما لم يعهد التاريخ تيمياً ولا عدوياً كان على مثل ما كان عليه قرابة عثمان من السقوط في الدين والفسق في الدنيا وامتهان الشخصية كما لم يتصرف ابن أبي قحافة وابن الخطاب في بيوت أموال المسلمين بنوع مما تصرف به ابن عفان ولا كانا سقة لأوباش الناس كما كان، نعم كان فيهما من الموهنات ما يغفل عنه العوام وتلتفت إليه الخاصة وقد أسلفنا طرفاً من ذلك في البحوث السالفة.

وحقاً انّ عثمان كان فاقداً لكل صلاحية تؤهله لتصدي أي مقام يفرض فليس من أهل الدين لا في علمه ولا في عمله وليس من أهل الدنيا لا في عقله ولا في حنكته ولا في عزمه ولا في نشاطه واعتذار أبناء العامة عنه في ارتكاباته الشنيعة وتناوله من هؤلاء السادة الكرام بأنّه امام والامام له حق تأديب رعيته من أعجب الاعتذارات فإنّ مثل هذا الامام هو المستحق للتأديب ومثل ذاك المأموم هو القابل لتأديبه وصرف عنوان الامامة لا قيمة له وحتى عند أبناء الدنيا إذا كان القابع به منحرفاً ساقطاً مرتكباً للجرائم، ولا ريب انّ ما كان يرتكبه عثمان مما مر عليك طرف منه جريمة مكشوفة لا تقبل التشكك والاعتذار عنها بأنّه امام مرة وبأنّه مجتهد يتأول ويخطىء مرة أُخرى وبأنّه يعلم من وجوه الأُمور ما لا نعلمه نحن مرة ثالثة من أسمج الاعتذارات وأقبح وجوه التصويرات فإنّ الواقع المكشوف لا يمضغ مثل هذه التسويلات.

◘ *البحث الرابع:*

انّه استعمل من الولاة كل منحط الكفة في مزايا الدين والدنيا واختص بأُناس ممقوتين لله وللرسول وكافة أهل الدين ولم يقيد من خطواتهم في شؤون اماراتهم وأعمالهم أو لم تكن به قدرة على ذلك لاستضعافه واسترذاله:

قال المسعودي (١) عند تعرضه لعمال عثمان على الأمصار: وقدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرهما من بني امية والحكم هو طريد رسول الله ﷺ الذي غرّبه عن المدينة ونفاه عن جواره وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة وهو ممن أخبر النبي ﷺ انّه من أهل النار وعبد الله بن أبي سرح على مصر ومعاوية بن أبي سفيان على الشام وعبد الله بن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة وولاها سعيد بن العاص.

وكان السبب في صرف الوليد بن عقبة وولاية سعيد على ما روي انّ الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندماءه ومغنيه من أوّل الليل إلى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلائله فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح فصلى بهم أربعاً وقال: أتريدون أن أزيدكم، وقيل انّه قال في سجوده وقد أطال: اشرب واسقني، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأوّل: ما نريد لا زادك الله من الخير والله لا أعجب إلّا ممن بعثك الينا والياً وعلينا أميراً وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفي.

أقول: ألا عجب من هذا كله ان هؤلاء كيف كانوا يستحلون الصلاة وراء أمثال اولئك الفسقة في حال انّ ما ينقله المؤرخون عامة مما يحكم ببطلان صلاة الامام والمأموم جميعاً لخروجهم عن الصلاة بالمحاورات والمجاوبات وكلام الآدميين الخارج عن كل ذكر وورد وتسبيح.

قال: وخطب الوليد الناس فحصبوه بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح ويتمثل بأبيات لتأبط شراً:

---

(١) في مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٤٣.

ولست بـعيداً عـن مـدام وقـينة ولا بصفا صـلد عـن الخـير مـعزل
ولكنني أروي مـن الخـمر هـامتي وأمشي الملا بالساحب المتسلسل

وفي ذلك يقول الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربـه انّ الوليـد أحـق بـالعذر
نـادى وقـد تـمت صـلاتهم أ أزيـدكم ثـملاً ومـا يـدري
ليـزيدهم أُخـرى ولو قـبلوا لقـرنت بـين الشـفع والوتـر
حبسوا عنانك في الصلاة ولو خلوا عـنانك لم تـزل تـجري

وأشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لا يعقل فأيقظوه من رقـدته فلم يستيقظ ثمّ تقيأ عليهم ما شرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد انّه شرب الخمر، فقال عثمان: وما يدريكما انّه شرب خمراً؟ فقالوا هي الخمر التـي كـنا نشربها في الجاهلية، وأخرجوا خاتمه ودفعوه إليه فزجرهم ودفع في صدورهم وقال: تنحوا عني فخرجوا من عنده وأتوا علي بن أبي طالب وأخبروه بـالقصة فأتى عثمان وهو يقول: دفعتَ الشهود وأبطلت الحدود، فـقال له عـثمان: فـما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك فتحضره فإن أقاموا الشـهادة عـليه فـي وجهه ولم يدرأ عن نفسه بحجة أقمت عليه الحد فـلما حـضر دعـاهم عـثمان فأقاموا الشهادة عليه ولم يدل بحجة فألقى عثمان السوط إلى علي فـقال عـلي لابنه الحسن: قم يا بني فأقم عليه ما أوجب الله عليه، فقال: يكفينيه بعض مـن ترى فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقياً من غضب عـثمان

لقرابته منه أخذ علي السوط ودنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد فقال عقيل وكان ممن حضر : انك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت وأنت علج من أهل صفورية من أعمال الاردن من بلاد طبرية ، ذكر ان أباه كان يهودياً منها ، فأقبل الوليد يروغ من علي فاجتذبه علي فضرب به الأرض وعلاه بالسوط فقال عثمان : ليس لك أن تفعل به هذا ، قال : وشراً من هذا إذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه .

وولى الكوفة بعده سعيد بن العاص فلما دخل سعيد الكوفة والياً أبى أن يصعد المنبر حتى يغسل وأمر بغلسه وقال : انّ الوليد كان نجساً رجساً فلما اتصلت أيّام سعيد بالكوفة ظهرت منه أُمور منكرة فاستبد بالأموال وقال في بعض الأيّام أو كتب به إلى عثمان : إنّما هذا السواد قطين لقريش فقال له الأشتر وهو مالك بن الحارث النخعي : أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك ، ثمّ خرج إلى عثمان في سبعين راكباً من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد وسألوا عزله عنهم فمكث الأشتر وأصحابه أيّاماً لا يخرج لهم من عثمان في سعيد شيء وامتدت أيّامهم بالمدينة وقدم على عثمان امراؤه من الأمصار منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة وكره أن يعزله حتى كتب إليه من بأمصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال : ما ترون ؟ فقال معاوية : أما أنا فراض بي جندي ، وقال عبد الله بن عامر ليكفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبلي وقال عبد الله بن سعد : ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره ، وقال سعيد بن العاص : انك إن فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقاً في المسجد ليس لهم غير الأحاديث والخوض فجهزهم في البعوث حتى يكون هم أحدهم أن يموت على ظهر دابته ، قال :

فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد فإذا طلحة والزبير جالسان في ناحية منه فقالا له: تعالى الينا ما وراءك؟ قال: الشر ما ترك شيئاً من المنكرات إلّا أتى به وأمر به وجاء الأشتر فقالا له: انّ عاملكم الذي قمتم فيه خطباء قد ردّ عليكم وأمر بتجهيزكم في البعوث وبكذا وبكذا فقال الأشتر: والله لقد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا به خطباء فكيف وقد قمنا وأيم الله على ذلك لولا اني أنفذت النفقة وأنضيت الظهر لسبقته إلى الكوفة حتى أمنعه دخولها فقالا له: فعندنا حاجتك التي تقوم بسفرك، قال: فأسلفاني إذا مأة ألف درهم، قال: فاسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين أصحابه وخرج إلى الكوفة فسبق سعيداً وصعد المنبر وسيفه في عنقه ما وضعه بعد ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ عاملكم الذي أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد ردّ عليكم وأمر بتجهيزكم في البعوث فبايعوني على أن لا يدخلها فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة وخرج راكباً متخفياً يريد المدينة أو مكة فلقى سعيداً بواقصة فأخبره بالخبر فانصرف إلى المدينة وكتب الأشتر إلى عثمان: انّا والله ما منعنا عاملك الدخول لنفسد عليك عملك ولكن لسوء سيرته وشدة عذابه فابعث إلى عملك من أحببت فكتب اليهم: انظروا من كان عاملكم أيّام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فإذا هو أبو موسى الأشعري فولوه.

وفي سنة خمس وثلاثين كثر الطعن على عثمان وظهر عليه النكير لأشياء ذكروها من فعله: ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود وانحراف هذيل عن عثمان من أجله، ومن ذلك ما نال عمار بن ياسر من الفتق والضرب وانحراف بني مخزوم عن عثمان من أجله.

ومن ذلك فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة وذلك انّه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال له زرارة يعمل

أنواعاً من الشعبذة والسحر فأحضره فأراه في المسجد ضروباً من التخييل وهو انّه أظهر له في الليل فيلاً عظيماً على فرس يركض في صحن المسجد ثمّ صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ثمّ أراه صورة حمار دخل من فيه ثمّ خرج من دبره ثمّ ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ثمّ أمرّ السيف عليه فقام الرجل؛ وكان جماعة من أهل الكوفة حضوراً منهم جندب بن كعب الأزدي فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم انّ ذلك ضرب من التخييل والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه ناحية عن بدنه وقال: جاء الحق وزهق الباطل انّ الباطل كان زهوقاً، وقد قيل انّ ذلك كان نهاراً وانّ جندباً خرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفاً ودخل فضرب به عنق اليهودي وقال: إن كنت صادقاً فأحيي نفسك؟ فأنكر الوليد عليه ذلك وأراد أن يقيده به فمنعه الأزد فحبسه وأراد قتله غيلة ونظر السجان إلى قيامه ليله إلى الصبح فقال له: انج بنفسك، فقال له جندب: تقتل بي، قال: ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من أولياء الله فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فأخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناسة.

ولما كانت سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحارث النخعي من الكوفة في مأتي رجل وحكيم بن جبلة العبدي في مأة رجل من أهل البصرة ومن مصر ستمأة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب السيرة انّه ممن بايع تحت الشجرة إلى آخرين ممكن مان بمصر مثل عمرو بن الحمق الخزاعي وسعد بن حمران التجيبي ومعهم محمّد بن أبي بكر وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لأمر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا في الموضع المعروف بذي خشب فلما علم عثمان

بنزولهم بعث إلى علي بن أبي طالب فأحضره وسأله أن يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة ، فسار علي اليهم فكان بينهم خطب طويل فأجابوه إلى ما أراد وانصرفوا فلما صاروا إلى بعض المواضع إذا هم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة فتأملوه فإذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فأقر وأظهر كتاباً إلى ابن أبي سرح صاحب مصر وفيه : إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلاناً وافعل بفلان كذا وأ؛صى أكثر من في الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم انّ الكتاب بخط مروان فرجعوا إلى المدينة واتفق رأيهم ورأي من قدم من العراق ـ اهـ ملخصاً ـ .

والحديث عن الصور والحوادث والأعمال النابية من عثمان نفسه زمن خلافته ومن حاشيته المقربين عنده ومن ولاته المنتشرين على طول الأرض وعرضها طويل الذيل جداً ولو أراد مستقص أن يجمع ذلك بكافة حواشيه لجاء بتاريخ مفصل ، ونحن إنّما ذكرنا هذه الجمل والمقتطفات لنعطي القارىء بعض الصور الواردة ليقف على طرف من حقيقة هذا الخليفة ولون من ألوان خلافته التي انفتح منها باب الفتن وتمرد من تمرد من طغاة الولاة وفسقتهم وكان لون السيرة في الخلافة المزبورة أوّل بذرة لتولع الفساق بأهل الصلاح وتمركزهم في الأعمال والأمصار وابتذال الفسق واشتهاره بين الناس وعد الخلافة الشرعية من طراز الملوكيات والحكومات السياسية الصرفة ولم يكن لهذه الأشياء أقل سابقة بهذا الافتضاح قبل عهد ابن عفان فقد كان الوالي ملازماً لسمت الشريعة في ظاهره مبالياً بما ينافي عصمة الدين والمتدينين وإن كان في باطنه لا شيء كابن العاص ومعاوية ومن كان على هذا المنوال من المسلمين .

والحق انّ خلافة ابن عفان كانت نقمة عليه لا رحمة له وكانت كل نتائجها المادية مرتهنة بمن سواه من بني أعمامه وأهل هواه ، وامّا المعنويات فمفقودة

فيها بالمرة الواحدة وان يذكر في زمانه فتوح فالفضل فيه لخاصة المسلمين كما كان الأمر كذلك قبله، ونحن قد أطلنا ذيل الكلام ووسعنا شقق القول عن كافة هذه النقاط فيما حررناه في الحلقتين الثانية والثالثة من الحياة الروحية بتوسع لا مزيد عليه إذ كان هدفنا هناك تحليل التاريخ وهدفنا هنا بيان الصلاحيات والقابليات المؤهلة أو الصارفة لمدعي الخلافة الشرعية؛ وقد قمنا بحمد الله بالواجب جهد مستطاع القول والقائل مشفوعاً بالمنطق والدلائل الفنية والشواهد السمعية بما لم يسبقنا إليه أحد في حسن التبويب والتقسيم وإشباع الموضوع حقه وشرحه أحسن شرح فلنحمد الله على ما أولانا نعم نحن في حاجة إلى أن نذيل الكتاب بخاتمة مطاف تلم بما اقترن بأمير المؤمنين علي في خلافته والدواعي الموجبة إلى بروز هذه النكت السوداء في شاشة هذه الخلافة البيضاء.

خاتمة المطاف
في الخلافة العلوية وما جرى في أثنائها من حوادث قد أزعجت خاطر علي أيّما ازعاج

ليس قليلاً في دك الوضع وتقهقر الأُمور وتنزل مقام الدين والمتدينين وانشعاث امور الناس أن تمرّ على وفاة النبي ﷺ خمس وعشرون سنة ترتجل فيها أحكام الشرع في كثير من الأمور راتجالاً ويكون فيها نصب الخلفاء بالفلتة والانتهاب من ناحية وبالاستبداد الصرف من ناحية ثانية، وبالأهواء المشوشة النفسية من ناحية ثالثة ولا ينظر فيها إلى رجال الدين والورع وأهل القدس والتقوى وأرباب الفضيلة والعلم إلّا بنظر عادي وذلك أيضاً إذا أصاخوا الحكومات الوقت وأغضوا على كل ما يرون خلافاً لما كان عليه رسول الله ﷺ فإنّه ما كان في مقام تشجيع المسلمين للمسابقة إلى ما فيه رضا الله من

كافة نواحي هذه النقطة يغفل عن أقل حسنة يأتي بـها صـاحبها إلّا ويـنوه بـها وبصاحبها ويسوق في حقه قولاً عامراً على رؤوس الأشهاد فيحفظ للمقول فيه ويتحدث به عنه وكل الفضائل التي نروي لكثير من المهاجرين والأنصار كانت عن هذه الدواعي ليس غير، وكان ﷺ يعتز بأصحابه الأخـيار اعـتزازاً مـا له نظير، وقد قرأت فيما سلف ألواناً متنوعة من الحديث في تعزيز علي وتشجيعه ودفعه إلى تحصيل الفضائل، وعلى أثر هذا التعزيز والتشويق لطـع عـلي عـلى الكون شعلة واقدة موهوباً في الرأي والقوة والشجاعة والعلم والعبادة ومـا إلى ذلك.

وهكذا قرأت أنواعاً متكثرة فـي العـدد ضـخمة فـي المـادة تـصدى ﷺ للتحدث بها عن عمار وسلمان وأبي ذر والمقداد ومن كان على هذه الوتيرة هدياً وعلماً وعملاً ونظير ذلك، قال في الأنصار جملة ومفرداً وقال في غـيرهم مـن أهل السوابق والمواقف نظيراً من تلك الأقوال فكان الجميع مفتوناً بـهذا الوالي المقدس والأب الروحي الكبير الذي لا يغمط وحتى النملة حقها اللازم لهـا ولا يسكت عن التحديث بفضل ما تيسر من فضلها وشكر ما برز عنها وكان مع هذه الروح العالية بالنسبة إلى أصحابه المؤمنين أحلم انسان وأسلم ما يتصور لأعداه المشركين والمنافقين، فكان المشرك يسيء إليه أكبر اساءة بما لا يمضغها حلم أي حليم يفرض ثمّ إذا تمكن منه بغلبة أو باستسلام واسلام صفح عن كل جرائمه وزاده احساناً بما يخجل معه أشد خجل.

وموقفه من مشركي قريش عام الفتح موقف لا يزن حق عظمته إلّا الله وحده، كيف وهذا الجمع قد ناصب محمّداً طيلة تسع عشرة سنة لم يترك لايصال الأذى والسوء إليه وإلى كل مـن يـمت له أضـيق مـنفذ وأوسـعه إلّا وسـلك فـيه ولم يقتصر ﷺ على العفو عنهم فقط بل أخذ يحثو لهم من غنائم جيوشه المسلمين

ما أثار العجب حتى في أنفسهم وكلم الأنصار عن سر ذلك مع هذا الجمع المشرك ومعهم وهم خاصة الإسلام وخلاصته حتى أبكاهم رقة ورأفة وعاطفة وايماناً واحتساباً ورضوا بشخصه المفرد حصة وفيرة وغنيمة كبيرة.

وكان المنافقون إلى جنبه في المدينة أشد عليه من مشركي مكة تخذيلاً وتوهيناً وتحطيماً لدعوته من طريق الدبيب الخفي الذي هو أوجع من المجاهرة بالعداء والنصب الظاهر، فكان يداريهم ويجاملهم ولكن لا يفقه معنى هذه المداراة منه لهم عمر بن الخطاب وأضرابه فكانوا يزاحمون نظره بأنظارهم ويعارضون رأيه بآرائهم ومع ذلك كان يصانع أمثال هؤلاء الأصحاب الجهلة واولئك المنافقين السفلة حتى برز إلى ربه من بين هذه العمليات الاعجازية رجل الدنيا الوحيد وبطلها الذي لا يحيد وترك من بعده اناساً درسوا تعاليمه ونهجوا نهجه فكانوا يصيخون للحق ولو دعاهم إليه طفل، ويخضعون لبقاء ظل الإسلام في المسلمين ولو أتى هذا الخضوع على وجودهم واستأصلهم عن آخرهم ولولا هذه الدروس التمرينية التي كسبها من كسبها من أصحاب الرسول وتلقاها عن معلم الانسانية الأعظم محمّد ﷺ لما عدت تسمع في التاريخ محدثاً يحدثك انّ ابن أبي قحافة وابن الخطاب يفوزان ببيعة السقيفة باللون الذي تمّ لهما ولا بغيره من الألوان، بل لعدت تسمع من قعقعة الحديد واصطكاك اللطمات على الوجوه والرؤوس ما يخترق الأزمان على طولها إلى زمانك، بل كيف يجسر هذان الرجلان اللذان ما عرفهما موقف بوقوف ولا ميدان بجولان ولا سيف بضرب ولا رمح بطعن أن يقتحما على علي بيته ويخرجاه ملبباً ؟ أفهل جبن علي بعد شجاعة ؟ أو ضعف بعد قوة ؟ أو بردت عزيمته بعد حرارة ؟ أو انهما نسيا مواقفه المتوالية وضرباته القاطعة وثباته المرموقة ـ لا وحاشا ـ بل كان أقل ما يتصور فيه القضاء على ابن الخطاب داخل البيت أوّلاً ثمّ بعدها اثارة الغبرة بمن

يتبعه من بني أعمامه وأهل هواه على الوضع كله.

ونحن قد بسطنا فيما سلف بساط القول في هذا الموضوع وأصحرنا بما جهر به زعيم المقدسين من آل محمّد بأنّ الدوائر ومهما جرت عليه من ظلم وهضم فإنّها لا تهيج منه أقل عرق فيه ما دام للاسلام اسم ولدولته رسم واتكالاً على هذه المتانة استخف به من استخف وعده الناس باستخفافه هذا بطلاً وحسبوه من بين الرجال رجلاً على ما فيه من الوان الجهل بالحقائق والشدة والعبوس الممقوتين وان إصاخة علي وأمثال علي هي السبب الوحيد في إصاخة غيرهما من متدينين وغير متدينين، فإنّ الناس تبع للأكابر فإذا أصاخ علي لم يتحرك عمار، وإذا أصاخ عمار ومقداد وسلمان وأبو ذر لا تتكلم الطرقية من الناس والأوباش من بني آدم.

وبهذه المقدمات الموطئة تمكن ابن أبي قحافة وابن الخطاب وابن عفان أن ينالوا أبغيتهم من الملك والسلطان ولكن استرسال هذه الخلافات من غير قيد سوى حفظ الظاهر في بعضها جرّ إلى الدين الاسلامي ويلات كثيرة لا تختص بجانب واحد من جوانبه بل استشرت في كافة شرايينه وعروقه فأحكامه فيها دسيس وخليط وقوانينه مبعثرة قد الصق بها ما ليس منها وإنّما أنتجته آراء المسلطين لمصالحهم وسياساته ملتوية ليس لها نظام معروف ورجال ادارته لم يشترط فيهم مصونية دين أو دنيا والدين متى تسوهل فيه من جنباته المذكورة يهون على الناس ويسترذل في نفسه ولم تطل عليه هذه المدة المعلومة حتى تزايلت الدنيا عن الدين جهاراً في خلافة معاوية ومن بعده، فكان الدين عقيدة لا حكومة معها، وكانت الدنيا حكومة صرفة تبارز كل شيء وحتى الدين إذا وقف في مسيل رغباتها حاجزاً أو شبه حاجز، وهذه النتيجة إنّما تمكن منها معاوية بترسلها إليه من طريق من قبله وتسبيبهم الشيء بعد الشيء من موهنات الدين

والاغضاء على عثرات غير المتدينين.

ولذلك لما استخلف علي عليه السلام ما استطاع أن يبرز علمه وعدله وفضله وورعه وتقواه، وما كان عليه النبي من سيرة بين الناس الذين استخلف عليهم، لأنّ الفاصلة التي مرّت عليهم زمن الأشياخ لم تكن قليلة في مدتها، وقد جرى فيها من سيرة هؤلاء ما استغذ نفوذاً في الجماعات والأفراد فكان تبديل ما فيها من باطل إلى حق عسيراً جداً ويحتاج تحليله إلى زمان طويل يكافىء الزمان الذي سيرت فيه تلك السيرة حد الأقل.

على انّ الخلافة لما جاءت ابن أبي طالب بعد عثمان لم تصادف منه إلّا قلباً منقبضاً منها وخاطراً منصرفاً عنها لما يشاهده من انشعاث الأُمور وتكاثر الفتن وتمركز الفساق في الولايات الجليلة واعتياد الناس على الرضائخ والمصانعات الوفيرة وخروج الأُمور عن قبضة كل انسان يفرض وتمنى من ليس أهلاً لأقل مقام في حكومة شرعية لأكبر مقام فيها بطبيعة وضعه فإنّ من اعتاد على شيء لا ينصرف عنه مختاراً ومن حصل كياناً ووجاهة لا يعطيهما من يده مجاناً ومن انفرجت عنه حلق البطان من ناحية قيود الشريعة بواجبها وحرامها لا يعود يصيخ لسيرة الزهاد والعباد المتقين وكل هذا وأضعافه منظور في خلافة علي لكل ناظر من معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وابن أبي سرح وابن عقبة بن أبي معيط وسعيد بن العاص وهلم دواليك، فقد عودهم الوضع السالف على نعيم وترف وتوسع وحرية مطلقة وتحزب وتحيز.

قال المسعودي [1]: ذكر عبد الله بن عتبة انّ عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومأة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى

---

(١) في مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٤١ عند تعرضه لخلافة عثمان.

وحنين وغيرهما مأة ألف دينار، وخلف خيلاً كثيرة وابلاً، وفي أيّام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت ـ وهو سنة ٣٣٢ ـ تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والاسكندرية؛ وما ذكرناه من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول إلى هذه الغاية، وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وأمة وخططاً بحيث ذكرنا من الأمصار.

وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمي ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناسة بدار الطلحيين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك. وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مأة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم، وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً.

وقد ذكر سعيد بن المسيب انّ زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مأة ألف دينار، ومات يعلى بن منية وخلف خمسماءة ألف دينار وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاث مأة ألف دينار.

وهذا الثراء لم يعرفه هؤلاء قبل زمن عثمان إلّا قليلاً في قليل منهم.

ومات علي بن أبي طاب وما خلف إلّا سبعمائة درهم كان أعدها لشراء خادم، فأين هذا من ذاك؟ مع انّ كلاً من الخلفاء قبله قد اصطنع اناساً لنفسه ومات عنهم وهم خاصته من بكري وعمري وعثماني، والناس نوعاً يعبدون أهوائهم ولا يهمهم من أمر الواقعيات إذا كانت على خلاف مشتهياتهم أقل شيء.

مضافاً إلى انّ جملة من المتشخصين على عهده ما كانوا إلّا نكرات حال وجود النبي وبعد فوته ولكن تلبسهم بخلافة الأشياخ الماضين أوجد لهم كياناً ، وهؤلاء الذين صادفهم علي نكرات يوم السقيفة وقبل عهود الأشياخ جاء يراهم معارضين له ومقابلين ، فهذه الاقترانات الخارجية والاحتفانات التي أولدتها الصدف بمرورها غرست في روحه كما يغرس مثلها في مثله روح السأم والضجر والانصراف النفسي ، ويحق له ذلك وما فوقه ، فإنّ من كان لا يعتد بأبي بكر قريناً له ونظيراً جاء مسبوقاً به وبمن هو دونه وبمن دون هؤلاء وتنزل به الأمر إلى أن يحبس عليه ابن عمر بيعته ويتعاصى عليه شريح القاضي في وظيفته وتنقض عليه الأوباش في أطراف مملكته وتحشد عليه النساء جيوشاً من الهمل تناجزه القتال وهلم دواليك والأمر طويل والقول فيه مديد ، هذا كله كان بعين علي ومنظوراً له حين خلافة ابن عفان وبعده ، ولكن الذي سوغ له الاقدام على قبول البيعة والتصدي لمقام مثل هذه الخلافة هو ما يراه من مسؤولية التخلف لو تخلف عند الله سبحانه واحتماله أن يحدث مع امتناعه عن القبول ما لا تجوز معه الاصاخة وقد أصحر هو عليه السلام عن ذلك في فصل من فصول خطبته الشقشقية فقال :

أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز .

خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام والحديث عن خبر بيعته

روى الطبري [١] بطريقه إلى محمّد بن الحنفية قال: كنت مع أبي حين قتل عثمان فقام فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: انّ هذا الرجل ولابد للناس من امام ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، فقال: لا تفعلوا فاني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد فإنّ بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلّا عن رضا المسلمين، فقال عبد الله بن عباس: لقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه، وأبى هو إلّا المسجد، فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثمّ بايعه الناس.

وبسنده عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليّاً فقالوا: يا أبا حسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك، قال: فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان مراراً ثمّ أتوه في آخر ذلك فقالوا له: لا يصلح الناس إلّا بامرة وقد طال الأمر، فقال لهم: انكم قد اختلفتم الي وأتيتم واني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلّا فلا حاجة لي فيه، قالوا: ما قلت من شيء قبلنا إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: اني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلّا أن أكون عليكم، ألا وانّه ليس لي أمر دونكم ألا وان مفاتيح مالكم معي ألا وانّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم، ثمّ بايعهم على ذلك.

---

(١) في تاريخه: ج ٥ ١٥٢.

وبسنده عن أبي بكر الهذلي عن أبي المليح قال: لما قتل عثمان خرج علي إلى السوق فاتبعه الناس وبهشوا في وجهه فدخل حائط بني عمرو بن مبذول وقال لأبي عمرة بن عمرو بن محصن اغلق الباب، فجاء الناس فقرعوا الباب فدخلوا فيهم طلحة والزبير فقالا: يا علي ابسط يدك فبايعه طلحة والزبير فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع فقال: أوّل من بدء بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه ازار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئاً على قوس فبايعه الناس وجاؤوا بسعد فقال علي بايع، قال: لا أُبايع حتى يبايع الناس والله ما عليك مني بأس، قال: خلوا سبيله، وجاؤوا بابن عمر فقال: بايع، قال: لا أُبايع حتى يبايع الناس، فقال علي: دعوه.

وبطريق آخر له عن عبد الله بن الحسن قال: لما قتل عثمان بايعت الأنصار عليّاً إلّا نفراً يسيراً منهم حسان بن ثابت ورافع بن خديج وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري ومحد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة كانوا عثمانية فقال رجل لعبد الله بن حسن كيف أبى هؤلاء بيعة علي وكانوا عثمانية، قال: امّا حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع، وامّا زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا انصاراً لله مرتين فقال أبو أيّوب: ما تنصره إلّا لأنّه أكثر لك من العضدان، وامّا كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له.

وقال المسعودي [١]: وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا إلّا الخروج عن الأمر، منهم: سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج

(١) في مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦١.

لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة بن مظعون واهبان بن صيفي وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة وممن اعتزل من الأنصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدري ومحمّد بن مسلمة وزيد بن ثابت ورافع بن خديج والنعمان بن بشير وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة بن مخلد في آخرين لم نذكرهم من العثمانية وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني امية منهم سعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد: انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على أنفسنا فعذرنا فيما نقول واضح، امّا أنا فقتلت أبي صبراً وضربتني حداً، وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً وقال له الوليد: امّا سعيد فقتلت أباه وأهنت مثواه، وامّا مروان فانك شتمت أباه وعبت عثمان في ضمه اياه. وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى انّ حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص اتوا علياً في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين ليس مسيئاً من أعتب وخير كفر ما محاه عذر في كلام كثير ثمّ بايع وبايع من ذكرنا جميعاً.

وذكر ابن عبد البر [١] عند تعرضه لترجمة اسامة انّ المعروفين من الصحابة ممن تخلف عن بيعة علي عليه السلام أربعة: سعد بن مالك وعبد الله بن عمر ومحمّد بن مسلمة واسامة بن زيد، ومن كان على رويتهم من التابعين أربعة أيضاً: الربيع بن خيثم ومسروق بن الأجدع والأسود بن زيد وأبو عبد الرحمن السلمي قال أبو عمر: امّا عبد الرحمن السلمي فالصحيح عنه انّه كان مع علي، وامّا مسروق فذكر عنه ابراهيم النخعي انّه ما مات حتى تاب إلى الله من تخلفه عن علي، وصح عن

(١) في الاستيعاب: ج ١ ص ٣٥.

عبد الله بن عمر من وجوه انّه قال: ما آسي على شيء كما آسي اني لم أُقاتل الفئة الباغية مع علي.

وقال عليه السلام في لون بيعته بعد مقتل عثمان (١): فما راعني إلاّ والناس كعرف الضبع الي ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: **﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.

وقال عليه السلام في فصل آخر (٢): فتداكوا عليّ تداك الإبل الهيم يوم وردها وقد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض ولدي. وعقب ذلك ابن أبي الحديد فقال: الذي عليه أكثر الناس وجمهور أرباب السير انّ طلحة والزبير بايعاه طائعين غير مكرهين ثمّ تغيرت عزائمهما وفسدت نياتهما وغدرا به.

ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك (٣): يزعم انّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة وادعى الوليجة فليأت عليها بأمر يعرف وإلاّ فليدخل فيما خرج منه.

وعقب ذلك الشارح المعتزلي فقال: قال علي عليه السلام للزبير يوم بايعه: اني لخائف أن تغدر بي وتنكث بيعتي، قال: لا تخافن فإنّ ذلك لا يكون مني أبداً، فقال عليه السلام:

---

(١) ج ١ ص ٦٧ من النهج الحديدي.

(٢) ج ١ ص ٣٣٩ من النهج الحديدي.

(٣) ج ١ ص ٧٧ من النهج الحديدي.

فــلي الله عــليك بـذلك راع وكـفيل ، قـال : نـعم الله عـلي بـذلك راع وكـفيل ـ ثمّ قال ـ لما بويع علي عليه‌السلام كتب إلى معاوية : أمّا بعد فإنّ الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع ، فإذا أتاك كتابي فبايع لي وأوفد إلى أشراف أهل الشام قبلك ، فلما قدم رسوله على معاوية وقرأ كتابه بعث رجلاً من بني عميس وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك امّا بعد فاني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الحلب فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك اليها ابن أبي طالب فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين ، وقد بايعت لطلحة بن عبد الله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك وليكن منكما الجد والتشمير أظفركما الله وخذل مناويكما . فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سرّ به وأعلم به طلحة وأقرأه ايّاه فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف علي ـ اهملخصاً ـ .

والحديث في هذا الباب واسع لا يهمنا منه أكثر مما ذكرنا ، وعـلى انّ أمـير المؤمنين لم يرض مثل هذه الخلافة بالاقترانات التي كانت معها لنفسه كما صرح بذلك فيما أسلفناه وكما سيجيء فقد كانت خلافة حرة بعيدة عـن العسـف فـي تشكيلها حاوية لشرائط الانتخاب الصحيح في جريها لم يقسر فـيها أي انسـان على بيعة ولو كان أذل الناس ، وهذا اللون لم تصادفه بيعة السقيفة ولا عهد أبي بكر إلى عمر ولا وضع الشورى ، وأنت قد قرأت كل هذه الفصول وتيك فـايقاع المقارنة بينها من السهل الميسور والواضح الصريح . ولو انّ ابن أبي وقاص وابن عمر ومن لفّ لفهما اتيحوا لغير علي لخبطهم للبيعة خبطاً ما عنه محيص كما فعل شيخا تيم وعدي في بيعة السقيفة ، وكما فعل ابن الخطاب في عهد أبي بكر إليه وكما فعلت الشورى ، وقد حررنا كل ذلك بلونه الواقعي .

ولكن هؤلاء صادفوا رجلاً صالحاً يتحرج من مواقع الإثم المحتمل ويتورع عن القليل والكثير في ذات الله ويتكرم عن هذه الأوضاع الموبوءة ويرى فيها من الدناءة ما لا يلتئم مع نفسيته الكبيرة وروحيته العالية. علـى انّ هـؤلاء النـفر لم يستمروا على هذا التمنع وادعاء التورع وجلالة الشأن بل سرعان ما ضرعوا لابن أبي سفيان ولنغله يزيد وللحجاج بن يوسف بالنيابة عن عبد الملك بن مروان وما أدري هل يرى هذا النفر الممقوت انّ هذه الثفالة من بني امية أشرف مقاماً مـن علي وأهدى ديناً أم اجترفهم الخوف فذلوا أذلة النعل للابسه. نعم لا جرم كـان الأمر كذلك؛ وإلّا لاختلط دم أضراسهم بلعاب أفواههم من لكمات هؤلاء الأُمراء الذين لا يعرفون سعداً ولا ابن عمر إلّا كما يعرفون أقل انسان في الجامعة.

يترفع ابن عمر عن وضع يده في يد علي شيخ الإسـلام والمسـلمين وشـيخ قريش كلها غير مدافع ويخضع للحجاج بن يوسف فيبايع رجله مكان يده، روى أبو جعفر الاسكافي في مناقضته للجاحظ [١] انّ ابن عمر امتنع عن بيعة علي عليه السلام وطرق على الحجاج بابه ليلاً ليبايع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليلة بلا امام زعم لأنّه روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: من مات ولا امام له مات ميتة جاهلية، وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله أن أخرج رجله مـن الفـراش فـقال: اصفق بيدك عليها.

ويقول ابن عبد ربه [٢]: وكتب عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان ببيعته لما قتل ابن الزبير وكان كتابه إليه يقول لعبد الملك بن مروان: من عبد الله بن عمر سلام عليك فاني أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبيعة

---

(١) ج ٣ ص ٢٦٢ من الشرح الحديدي.

(٢) في عقده الفريد: ج ٢ ص ٢٦٢.

نافع مولاي على مثل ما بايعتك عليه .

وروى البخاري [١] عن عمرو بن علي عن يحيى عن سفيان عن عبد الله بن دينار قال : لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين اني أقرّ بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وان بني قد أقروا بذلك .

وروى البخاري أيضاً [٢] عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيّوب عن نافع قال : لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : اني سمعت النبي ﷺ يقول : ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة وأنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله واني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثمّ ينصب له القتال واني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلّا كانت الفيصل بيني وبينه .

أفلا تنظر وتعجب إلى هذا المدلس كيف يقول وكيف يفعل ، أفترى ابن عمر يخادع حتى نفسه عندما يبايع يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان على كتاب الله وسنة الرسول ، أفلا يعلم من نفسه جداً انّ هذه الهويات ليست من قماش من يزن كتاب الله وسنة الرسول بمقدار حبة خردل ، وإنّما هدفهم الجاهر الصريح التبلغ من الشهوات والتحكم على الناس بما تقترحه رغباتهم . أفيظن ابن عمر انّ هذه التدليسات مما تخفى على العارف وتنستر على الفطن ؟

وعن هذه الروحيات المتسفلة نطق علي عليه السلام لما بويع بالمدينة [٣] فقال :

---

(١) في صحيحه : ج ٤ ص ١٥٧ باب كيف يبايع الامام الناس.

(٢) ج ٤ ص ١٤٧ باب إذا قال عند قوم شيئاً ثمّ خرج فقال بخلافه.

(٣) ج ١ ص ٩٠ من النهج الحديدي.

ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم انّ من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات ألا وان بليتكم قد عادت كهيأتها يوم بعث الله نبيكم ﷺ ، والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم ألا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار ألا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة حق وباطل ولكل أهل فلئن أمر الباطل لقديماً فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل ولقلما أدبر شيء فأقبل. إلى آخر ما قال عليه السلام .

هذا ومما يدل على تذبذب هؤلاء النفر وانحرافهم عن حق واضح لهم ولكافة الناس واصاختهم بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلى من نددوا به في مكاتباتهم واسترذلوه في عباراتهم ما يذكره ابن قتيبة [١] قال: وذكروا انّ معاوية كتب إلى أهل المدينة: امّا بعد فإنّه مهما غاب عنا فإنّه لم يفت علينا انّ عليّاً قتل عثمان، والدليل على ذلك انّ قتلته عنده وإنّما نطلب بدمه حتى تدفع الينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله تعالى فإن دفعهم الينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عمر بن الخطاب فاما الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا يرحمكم الله وانهضوا من ناحيتكم.

قال: وذكروا انّه لما قرأ عليهم كتابه اجتمع رأيهم على أن يسندوا أمرهم إلى المسور بن مخرمة فيجاوب عنهم فكتب إليه: امّا بعد فانك أخطأت خطئاً عظيماً وأخطأت مواضع النصرة وتناولتها من مكان بعيد وما أنت والخلافة يا معاوية

---

(١) ج ١ ص ٩١ وما بعدها من كتابه الامامة والسياسة.

وأنت طليق وأبوك من الأحزاب فكفّ عنا فليس لك قبلنا ولي ولا نصير.

قال: وذكروا انّ معاوية كتب إلى ابن عمر كتاباً خاصاً دون كتابه إلى أهل المدينة: امّا بعد فإنّه لم يكن أحد من قريش أحب إليّ أن يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان، فذكرت خذلك ايّاه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك على خلافك عليّاً وطعنك عليه وردني اليك بعض ما كان منك فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فاني لست أريد الامارة عليك ولكن أريدها لك فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين.

فكتب إليه عبد الله بن عمر: امّا بعد فإنّ الرأي الذي أطمعك فيّ هذا هو الذي صيرك إلى مصيرك تركت عليّاً في المهاجرين والأنصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعك من اتبعك، وأمّا قولك: اني طعنت على علي فلعمري ما أنا كعلي في الإسلام والهجرة ومكانه من رسول الله ﷺ ولكن أحدث أمراً لم يكن الينا فيه من رسول الله عهد ففزعت إلى الوقوف وقلت: إن كان هذا فضلاً تركته وإن كان ضلالة فشر منه نجوت فأغن عني نفسك.

ولا يريد بقوله: أحدث أمراً إلّا قتال أهل البصرة بطور قاطع وهذا من مؤاخذات ابن عمر الفاشلة انصافاً من عدة جهات:

الجهة الأُولى: انّ خروج طلحة والزبير وعائشة عليه كان بغياً على كل حالة، بايعاه ونكثا أم لم يبايعا وخرجا بادعاء الطلب بدم عثمان، امّا نكث البيعة فلا يجوز إلّا لمبرر ولا مبرر هناك أصلاً، وهما من المجلبين على عثمان فكيف عادا يطالبان بدمه، على انّ ذلك ليس لهما وإنّما هو لأولياء المقتول شرعاً وأولياء المقتول لا يجوز لهم شق عصا المسلمين لأجل المطالبة بدم قتيلهم، فإنّ من يستحقون عليه هذه الدعوى وهو القاتل موجود إن ثبت لهم الحق في أصل الدعوى المزبورة والمتصدي لأمور المسلمين حينئذاك لا تعلم فيه القدرة على

دفع كل من يريدونه منه ليعملوا فيه أنظارهم ولا يعلم منه انّه معترف بمزاعم القوم فيما يرومونه كماً وكيفاً ولا يجوز لهم الجاؤه في هذه الاضطرابات القائمة على ساق إلى انجاز ما يرومونه لو كان لهم فيه حق سريعاً عاجلاً كل هذه النكات عليهم وليست لهم فإذا ثبت انّ هؤلاء باغون بصراحة لا يستهدفون إلّا شعث الأُمور فوق ما هي فيه من تشويش جاز قتالهم لردّ عدوانهم وقمع حركاتهم.

الجهة الثانية: انّ جبهة يكون فيها علي والمقدسون من أصحاب محمّد المعروفون بمزيد الورع وشدة الاتقاء لله سبحانه المبالون للحرام جد مبالاة هي في نفسها ملاك ليس هناك ما هو أصرح منه في مشروعية ما أقدموا عليه ولقد كان بعض ذلك كافياً في لزوم انضمام ابن عمر إلى هذه الراية.

الجهة الثالثة: من الممتنع أن لا يكون وصل إلى ابن عمر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق علي انّه يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل هو صلى الله عليه وآله وسلم على تنزيله، وانّه سوف يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعده، فإنّ هذا وذاك باب واسع من الحديث أثبته المحدثون والمؤرخون كما سنقوم ببعض اللازم منه وهذا هو في نفسه عهد من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي وإلى كل من سمعه ومن سمعه حجة على من لم يسمعه كما هو الشأن في الأدلّة السمعية.

الجهة الرابعة: انّ يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان كم ضربوا وجوه المسلمين وأباحوا حرماتهم وحرمات الله وقتلوا الالوف الغزيرة العدد واستباحوا الأعراض المحرمة وهتكوا حرمة الكعبة كل ذلك احرازاً للرياسة الدنيوية حيازة للتاج والصولجان بلا منازع ولا معترض وكان ذلك كله بمسمع ومرأى من ابن عمر ومع ذلك نراه يبايعهم مبايعة السامع المطيع جهده وينهى عن نكث بيعتهم وان كل من فعل ذلك من أهله ومن يمت إليه استوجب منه البينونة والمفارقة الأبدية. وإن كان تشبث في هذه المزاعم بعهود ينسبها إلى

النبي تارة بأنّ من يموت عن غير امام فقد مات مية جاهلية وأُخرى بأنّه ينصب للغادر يوم القيامة لواء وهو يخشى أن يكون تحت ذلك اللواء فقد تعمد صرفها إلى غير معناها بواضح الضرورة فإنّ اصل بيعته ليزيد بن معاوية كانت حراماً عليه لو كان يشعر، فإنّ الفاسق الفاجر لا بيعة له أصلاً وكلّ من يركن إليه يكون مثله، ولقد كان مسؤولاً بالاعتراف لأمير المؤمنين علي في قبال معاوية ولو لم يكن مع علي إلّا القليل فإنّ الحق لا توهنه قلة الأنصار والباطل لا تقويه الأعوان والأحزاب المناوءة لله ولعباده المخلصين، ولعمري ما أكثر هذه الشبه الباردة من أمثال هؤلاء الباردين.

وقال ابن قتيبة في سياق ما سلف: وذكروا انّ معاوية كتب إلى سعد بن أبي وقاص: امّا بعد فإنّ أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشام والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر والشورى ونظيراك في الإسلام وخفت لذلك ام المؤمنين فلا تكرهن ما ركبوا ولا تردن ما قبلوا فإنّما نريدها شورى بين المسلمين.

قال: وذكروا انّ سعداً كتب إليه: امّا بعد فإنّ أهل الشورى ليس منهم أحد أحق بها من صاحبه غير انّ علياً كان من السابقة بمكانٍ ولم يكن فينا ما فيه فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه وكان أحقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره وقد علمنا انّه أحق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام في ذلك والتشاجر فدع ذاك، وامّا أمرك يا معاوية فإنّه أمر كرهنا أوّله وآخره وامّا طلحة والزبير فلو لزما بيعتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة ام المؤمنين.

وكتب معاوية إلى محمّد بن مسلمة الأنصاري بما مضمونه: انك تدعي نهي رسول الله لك عن قتال أهل الصلاة فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً

وهل ترى انّ عثمان وأهل الدار لم يكونوا مسلمين والله سائلك وسائل الأنصار عن خذل عثمان. فكان جواب محمّد بن مسلمة إليه: امّا بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله مثل الذي في يدي وقد أخبرت بالذي هو كائن قبل أن يكون فكسرت سيفي ولزمت بيتي ولعمري يا معاوية ما طلبت إلّا الدنيا ولا اتبعت إلّا الهوى ولئن نصرت عثمان ميتاً لقد خذلته حياً ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار أولى بالصواب.

وقد أخطأ ابن مسلمة في قعوده عن جبهة علي بزعم التورع عن قتال أهل الصلاة فإنّ قتال أهل البغي فضلا عن كونه جائزاً للمؤمن يكون واجباً عليه إذا كان به لم شعث واسع ورتق خرق متسع وتحصين للدماء والأعراض والأموال وبيضة المسلمين وكلمة الإسلام وكل هذه الملاكات كانت مع علي على أصحاب الجمل والشام، فإنّ المسلم لا يرتاب في بغي هؤلاء على علي، إذ لم يكن لهم أقل حق فبعض هذه الاندفاعات عليه وعلى الأكثرية الساحقة التي بايعته فضلاً عنها كلها.

الحديث عن أهل البغي

قال ابن قتيبة [١]: ذكروا انّ عائشة لما أتاها انّه بويع لعلي وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس عليّاً قالت: ما كنت أُبالي أن تقع السماء على الأرض قتل والله مظلوماً وأنا طلبة بدمه، فقيل لها: انّ أوّل من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت ولقد قلت اقتلوا نعثلاً فقد فجر، فقالت عائشة: قد والله قلت وقال الناس وآخر قولي خير من أوّله فقيل لها عذر والله ضعيف يا أُمّ

(١) في كتابه الامامة والسياسة: ج ١ ص ٤٩.

المؤمنين ثمّ قال القائل:

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام وقلت لنا انّه قد فجر
فهبنا أطعناك في قتله فقاتله عندنا من أمر

فلما أتى عائشة خبر أهل الشام وانهم ردوا بيعة علي وأبوا أن يبايعوه أمرت فعمل لها هودج من جريد وجعل فيه موضع عينيها ثمّ خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير ومحمّد بن طلحة.

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٢ ص ٢١٩) دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت: يا أبا عبد الله لو رأيتني يوم الجمل وقد أنفذت النصال هودجي حتى وصل بعضها إلى جلدي فقال لها المغيرة: وددت والله أنّ بعضها كان قتلك، قالت: يرحمك الله ولم تقول هذا؟ قال: لعلها تكون كفارة في سعيك على عثمان، أما والله لئن قلت ذلك فاني ما أردت قتله ولكن علم الله اني أردت أن يقاتل فقوتلت وأردت أن يرمى فرميت وأردت أن يعصى فعصيت ولو علم مني اني أردت قتله لقتلت.

وفي العقد الفريد أيضاً (ج ٢ ص ٢٣١) أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثني خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن ابزى قال: انتهى عبد الله بن بديل إلى عائشة وهي في الهودج فقال: يا أُمّ المؤمنين أنشدك بالله أتعلمين اني أتيتك يوم قتل عثمان فقلت لك انّ عثمان قد قتل فما تأمرينني، فقلت لي: الزم عليّاً فوالله ما غيّر ولا بدّل فسكتت ثمّ أعاد عليها فسكتت ثلاث مرات.

وفيه أيضاً (ج ٢ ص ٢٣٢): دخلت أُمّ أوفى العبدية على عائشة بعد وقعة

الجمل فقالت: يا أُمّ المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار، قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد، قالت: خذوا بيد عدوة الله.

ثمّ قال ابن عبد ربه: وماتت عائشة في أيّام معاوية وقد قاربت السبعين، وقيل لها تدفنين مع رسول الله قالت: لا، اني أحدثت بعده حدثاً فادفنوني مع اخوتي بالبقيع، وقد كان النبي ﷺ قال لها: يا حميراء كأني بك تنبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة.

وقال ابن قتيبة[1] تحت عنوان توجه عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة: ذكروا انّه لما اجتمع ظلحة والزبير وذووهما مع عائشة وأجمعوا على المسير من مكة قال لهما مروان بن الحكم: أيّها الشيخان ما يمنعكما أن تدعوا الناس إلى بيعة مثل بيعة علي فإن أجابوكما عارضتماه ببيعة كبيعته وإن لم يجيبوكما عرفتما مالكما في أنفس الناس، فقال طلحة: يمنعنا انّ الناس بايعوا عليّاً بيعة عامة فبما نقضها، وقال الزبير: ويمنعنا أيضاً عن ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان وخفتنا إلى بيعة علي.

ولما توجه القوم إلى البصرة قال الزبير لعبد الله بن عامر من رجال البصرة: قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور في اليمن والمنذر بن ربيعة والأحنف في مضر فكتب طلحة والزبير إلى كعب بن سور: امّا بعد فانك قاضي عمر بن الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيد أهل اليمن وقد كنت غضبت لعثمان من الأذى فاغضب له من القتل. وكتبا إلى الأحنف: امّا بعد فانك وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك. وكتبا إلى

---

(١) ج ١ ص ٥٥ من كتابه الامامة والسياسة.

المنذر: امّا بعد فإنّ أباك كان رئيساً في الجاهلية وسيداً في الإسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق يقال كاد أو لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك فلما وصلت كتبهما إلى القوم قام جماعة منهم فقالوا: مالنا ولهذا الحي من قريش يريدون أن يخرجونا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه ويدخلونا في الشرك بعد أن خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وكتب كعب بن سور اليهما: امّا بعد فأنا غضبان لعثمان من الأذى فإن يك عثمان قتل ظالماً فمالكما له وإن كان قتل مظلوماً فغيركما أولى به وإن كان أمره أشكل على من شهده فهو على من غاب عنه أشكل. وكتب الأحنف اليهما: امّا بعد فإنّه لم يأتنا من قبلكم أمر لا نشك فيه إلّا قتل عثمان وان كنتم قادمين علينا فإن يكن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم وإلّا يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا في أيديكم ثقة والسلام. وكتب المنذر: امّا بعد فإنّه لم يلحقني أهل الخير إلّا أن أكون خيراً من أهل الشر وإنّما أوجب حق عثمان اليوم حقه أمس وقد كان بين أظهركم فخذلتموه فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأي، فلما قرءا كتب القوم سائهما ذلك وغضبا.

ولما نزل طلحة والزبير وعائشة أرض خيبر أقبل عليهم سعيد بن العاص ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها: أين تريدين يا أُمّ المؤمنين؟ قالت: أريد البصرة، قال: وما تصنعين بالبصرة؟ قالت: أطلب بدم عثمان، قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك، ثمّ أقبل على مروان فقال له: وأين تريد أيضاً؟ قال: البصرة قال: وما تصنع بها؟ قال: أطلب قتل عثمان: قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك انّ هذين الرجلين قتلا عثمان طلحة والزبير وهما يريدان الأمر لأنفسهما، فلما غلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة، ثمّ قال المغيرة: أيّها الناس إن كنتم إنّما خرجتم مع أُمكم فأرجو بها خيراً لكم وإن

كنتم غضبتم لعثمان فرؤسائكم قتلوا عثمان وإن كنتم نقمتم على علي فشيئاً فبينوا ما نقمتم عليه انشدكم الله فتنتين في عام واحد، فأبوا إلّا أن يمضوا بالناس، فلما انتهوا إلى ماء الحوأب ومعهم عائشة نبحتها كلابه فقالت لمحمد بن طلحة: أي ماء هذا؟ قال: هذا ماء الحوأب، فقالت: ما أراني إلّا راجعة، قال: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لنسائه: كأني باحداكن قد نبحتها كلاب الحوأب وايّاك أن تكوني أنت يا حميراء، فقال محمّد بن طلحة: تقدمي ودعي هذا القول، وأتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتيه أوّل الليل وآتاها بينة زور من الأعراب فكانت أوّل شهادة زور حدثت في الإسلام.

قال: وذكروا انّ طلحة والزبير لما نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف: نعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله وأبا الأسود الدؤلي فأرسل الرجلين اليهما فذهبا فناديا: يا طلحة فأجابهما فتكلم أبو الأسود فقال: يا أبا محمّد انكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله وبايعتم عليّاً غير مؤامرين لنا في بيعته فلم نغضب لعثمان إذ قتل ولم نغضب لعلي إذ بويع، ثمّ بدا لكما فأردتم خلع علي ونحن على الأمر الأوّل فعليكم المخرج مما دخلتم فيه، ثمّ تكلم عمران فقال: يا طلحة انكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ثمّ بايعتم عليّاً وبايعنا من بايعتم فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا وإن كان خطئاً فحظكم منه الأوفر ونصيبكم منه الأوفى، فقال طلحة: يا هذا انّ صاحبكما لا يرى انّ معه في هذا الأمر غيره وليس على هذا بايعناه، وأيم الله ليسفكن دمه، فقال أبو الأسود: يا عمران أمّا هذا فقد صرّح انّه إنّما غضب للملك، ثمّ أتيا الزبير فقالا: يا أبا عبد الله انّا أتينا طلحة قال الزبير: انّ طلحة واياي كروح في جسدين، ثمّ أتيا فدخلا على عائشة فقالا: يا أُمّ المؤمنين ما هذا المسير أمعك من رسول الله به عهد؟ قالت: قتل عثمان مظلوماً غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب

لعثمان من القتل، فقال أبو الأسود: وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا.

وأقبل غلام من جهينة إلى محمّد بن طلحة فقال: حدثني عن قتلة عثمان، قال: نعم دم عثمان على ثلاثة أثلاث ثلث على صاحبة الهودج وثلث على صاحب الجمل الأحمر وثلث على علي بن أبي طالب، فضحك الغلام ولحق بعلي وبلغ طلحة قول ابنه محمّد فلامه فقال محمّد: ما قلت إلّا حقاً، ولكن لا أعود، قال: وذكروا انّه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لهم الناس في الطريق يقولون يا أُمّ المؤمنين ما الذي أخرجك من بيتك فلما أكثروا عليها قالت: أيّها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه ولقد قتل مظلوماً غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وان من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ثمّ يرد هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب فمن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض، فبينا هم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب قال: نعم قال: فما ردك عما كنت عليه وكنت أمس تكتب الينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه وقد زعمتما انّ عليّاً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسن منه فأبيتما إلّا ان تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما؟

قال طلحة دعانا إلى البيعة بعد اغتصابها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض علينا انّه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار وخفنا أن نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين، قال: فما بدا لكما في عثمان؟ قال: ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا ايّاه فلم نجد من ذلك مخرجاً إلّا الطلب بدمه، قال: فما تأمراني به؟ قال: بايعنا على قتال علي ونقض بيعته، قال: أرأيتما إن أتانا بعدكما

من يدعونا إلى ما تدعون إليه ما نصنع ؟ قالا : لا تبايعه ، قال : ما أنصفتما أتأمراني أن أقاتل عليّاً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما . ثمّ جاء جارية بن قدامة فقال : يا اُمّ المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انّه كانت لك من الله حرمة وستر فهتكت سترك وأبحت حرمتك انّه من رأى قتالك فقد رأى قتلك فإن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وان كنت أتيتنا مكرهة فاستعتبي ـ اهـ ملخصاً مجوداً ـ.

وقال المسعودي في جملة ما قال[1] : وسار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب فانتهوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بني كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت عائشة : ما اسم هذا الموضع ؟ فقال لها السائق لجملها : الحوأب ، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك ، فقالت : ردوني إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا حاجة لي في المسير ، فقال الزبير : والله ما هذا الحوأب ولقد غلط فيما أخبرك به وكان طلحة في ساقة الناس فلحقها فأقسم انّ ذلك ليس بالحوأب وشهد معهما خمسون رجلاً ممن كان معهم فكان ذلك أوّل شهادة زور اُقيمت في الإسلام ، فأتوا البصرة فخرج اليهم عثمان بن حنيف فمانعهم وجرى بينهم قتال ثمّ انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب إلى قدوم علي فلما كان في بعض الليالي بيتوا عثمان بن حنيف فأسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثمّ انّ القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم في المدينة من أخيه سهل بن حنيف وغيره من الأنصار فخلوا عنه وأرادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السيابجة فقتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح وخمسون من

---

(١) ج ٢ ص ٣٦٦ من مروج الذهب عند تعرضه لوقعة الجمل.

السبعين ضربت رقابهم صبراً من بعد الأسر وهـؤلاء أوّل مـن قـتل ظـلماً فـي الإسلام وصبراً وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي وكان مـن سـادات عـبد القـيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير في الصلاة بالناس ثمّ اتفقوا على أن يصلي بالنس عبد الله بن الزبير يوماً ومحمّد بن طلحة يوماً في خطب طويل كان بين طلحة والزبير.

وسار علي من المدينة بعد أربعة أشهر وقيل غير ذلك في سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بدرياً وباقيهم من الصحابة وقـد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف ولحق بعلي من أهل المدينة جماعة من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأتاه مـن طـي سـتمائة راكب وجاء الحسن بن علي وعمار بن ياسر من أهل الكوفة بـنحو مـن سـبعة آلاف فانتهى علي إلى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله فأبوا إلّا قتاله. وعن المنذر بن الجارود قال: لما قدم علي البصرة دخل مما يلي الطف فأتى الزاويـة فـخرجت أنظر إليه فورد موكب في نحو ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً ومعه رايـة وإذا تـيجان القـوم الأغـلب عـليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا أبو أيّوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وهؤلاء الأنصار وغيرهم.

ثمّ تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سـيفاً مـتنكب قوساً معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس فـقلت: مـن هـذا؟ فـقيل: خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفاً متنكب قوساً في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية فقلت: من هذا؟ فقيل لي: أبو قتادة بن ربعي.

ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأنّما أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر في جباههم، فقلت: من هذا؟ فقيل: عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثمّ مرّ بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوساً متقلد سيفاً تخط رجلاه في الأرض في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء، قلت: من هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في عدة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان.

ثمّ مرّ بنا فارس على فرس أشهب ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء، قلت: من هذا؟ قيل: عبد الله بن عباس في وفده وعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثمّ تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين، قلت: من هذا؟ قيل: عبيد الله بن العباس، ثمّ تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين قلت: من هذا؟ قيل: قثم بن العباس أو معبد بن العباس، ثمّ أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً واشتبكت الرماح. ثمّ ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفوا الرايات في أوّله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنّما كسر وجبر ـ قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، كذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل انّه كسر وجبر ـ كأنّما على رؤوسهم الطير وعن يمينه شاب حسن الوجه وعن يساره شاب حسن الوجه وبين يديه شاب مثلهما، قلت: من هؤلاء؟ قيل: هذا علي بن أبي طالب وهذان الحسن والحسين عن

يمينه وشماله وهذا محمّد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم وهؤلاء المشايخ هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التراب وقد خالط ذلك دموعه ثمّ رفع يديه يدعو اللهم ربّ السموات وما أظلّت والأرضين وما أقلّت وربّ العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم انّ هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا عليَّ ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين.

وبعث اليهم من يناشدهم في الدماء وقال: علام تقاتلونني فأبوا إلّا الحرب، فبعث اليهم رجلاً من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم إلى الله فرموه بسهم فقتلوه وأمر علي أن يصافوهم ولا يبدؤوهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم بسيف ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من الميمنة بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل فقال علي: اللهم اشهد وأعذروا إلى القوم... حتى قال: وجهز على عائشة وأتاها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد اخوته وفتيان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه وقلن يا قاتل الأحبة، فقال: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوه فقالت له عائشة بعد خطب طويل كان بينهما اني أحب أن أُقيم معك فأسير إلى قتال عدوك عند سيرك، فقال: بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله فسألته أن

يؤمن ابن اختها عبد الله بن الزبير فأمّنه وتكلم الحسن والحسين في مروان فأمنه وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني امية وأمّن الناس جميعاً ـ اهـ ملخصاً مجوداً ـ.

وقد اعترف كافة المؤرخين بلا استثناء انّ قاتل طلحة بن عبيد الله هو مروان بن الحكم أخذاً منه ببعض ثأر عثمان، ولا نطيل عليك بنقول ذلك سوى نقل صورة واحدة لعرض الواقعة فقط، قال ابن عبد البر (١): رمى مروان طلحة بسهم ثمّ التفت إلى أبان بن عثمان فقال: قد كفيناك بعض قتلة أبيك. وفي حديث آخر انّ مروان أبصر طلحة بن عبيد الله واقفاً يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم فرماه بسهم فأصاب فخذه فشكها بسرجه فانتزع السهم عنه فكانوا إذا أمسكوا الجرح انتفخت الفخذ فإذا أرسلوه سال، فقال طلحة: دعوه فإنّه سهم من سهام الله أرسله. وأنت قد استعرضت في هذه النقول صوراً واضحة من ارتكابات طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم بما لا يصدر إلّا عن خفيف الكفة في الدين ملقح للفتنة بين الناس لا يريد إلّا العيث ولافساد واراقة دماء الأبرياء والتحكم على الملة من غير طريق معقول فضلاً عن المشروع منه وغير المشروع وما شئت أن تبسط من أطراف الكلام في بغي هذا الفريق وتمرده على الحق وانحرافه عن الجادة وجناياته المستشرية ووحشيته النابية واغراقه فيما لا يجوز من طريق المنطق العقلي والميزان الشرعي والسير البشري كان مديد القول مؤاتياً لك والترسل في التعبير هيناً عليك والعجائب في الدنيا وفيرة في العدد كثيرة في النوع إلّا انّ صدورها عن حاشية النبي ﷺ وزمرته ومن قضوا أعمارهم متجاملين في المشي مع الدين باللون الذي قرأت بعض صوره وأهملنا ذكر أكثره

(١) في ترجمة طلحة من كتاب الاستيعاب: ج ٢ ص ٢١٤ وما بعدها.

مما يثير غرابة في النفس فوق المعتاد ويقلق الخواطر أكثر من اللازم فانّا لله وانّا إليه راجعون.

وأمّا الحديث عن معاوية وابن العاص ونظير هذين فهو شأن مثله في مثلهم خفة في الكفة وسقوطاً عن اعتبار المعتبرين وانحطاطاً في أبصار أُولي البصائر، وما قيمة معاوية في دينه وفي نفسه وفي سياسته حتى يقاس بالأبدال والأولياء وأهل الورع من العلماء والصفوة من بقية الأنبياء، ولعمري لئن نفخ أبناء التسنن في سحره وعدوه في امراء المؤمنين فقد فضحهم الله بموالاتهم لمن هو أسخف منه عملاً وأبسط تهتكاً واستهتاراً كيزيد نغله ويزيد بن عبد الملك وابنه الوليد وهما غير بعيدين عن عنصره ولا منفكين عن لحمته، وقد نهجا في الزندقة والنفاق نهجه ونهج أبيه صخر بن حرب وفي التهتك والفساد طريقة ولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية، ولا أراني بحاجة إلى البحث عن ذلك فإنّ ايقاع المقارنة بين هذين العنصرين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب كايقاعها بين الشياطين والملائكة والمنافقين والمؤمنين والأجلاف والأشراف وأعداء الله وأولياءه بل وبين الوحش الهامل والإنسان الكامل وهذا المعنى لا يرتاب فيه أعداء الله وأولياءه، بل بين الوحش الهامل والإنسان الكامل، وهذا المعنى لا يرتاب فيه انسان إلّا من أغذّ به التعصب الممقوت أن يعبد الوثن مناقضة لواجب الوجود، ومن يكون بهذا الشأن لا يتعرض له إلّا أن يكون مثله في روحياته ونفسياته والزافة التي درجت وراء هذه العناصر المدخولة وأيدت هذه الدول المرذولة لا تقل عنها في الدين ولا في خسة العنصر ولا في انحطاط الروحيات ولا يغتر الرصين في دينه الشريف في عنصره الممتاز في جوهره الحي في روحه الحساس في لبه النقي في ضميره بدوي الهمج ولا بتكاثف الرعاع وان طلعوا على الوجود بأزياء جالبة وصور مجلوة فإنّ المعيار في البشر

غير هذه الصور باعتراف جميع بني آدم وحتى من قلّت بضاعته ونزرت معرفته منهم .

وقد أدرك حتى البعيد عن علي في قربه وملازمته بل وعن هواه هذا المعنى الذي طرقناه بين علي ومعاوية ، فقد ذكر ابن عبد البر في ترجمة عبد الرحمن بن غنم الأشعري [١]: انّ عبد الرحمن هذا جاهلي كان مسلماً على عهد رسول الله ولم يره ولم يفد عليه ولازم معاذ بن جبل ، ويعرف بصاحب معاذ لملازمته له وسمع من عمر بن الخطاب وكان من أفقه أهل الشام وهو الذي فقه عامة التابعين بالشام ، وكانت له جلالة وقدر وهو الذي عاتب أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص إذ انصرفا من عند علي رسولين لمعاوية وكان مما قال لهما : عجباً منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به تدعوان علياً إلى أن يجعلها شورى وقد علمتما انّه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق وان من رضيه خير ممن كرهه ومن بايعه خير ممن لم يبايعه ، وأي مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب ـ اهـ ـ.

ولعمري انّ الأيّام وأهلها قد أرخصا من علي كل غال عليه وعلى أهل الدين واليقين وأُولي الألباب والبصائر وبذلا من جهوده الغزير الوفير في قبال لا شيء بحقيقة ما لهذه الكلمة المسلوبة من معنى ولأجل تثبيت دعائم هذا الفصل وتقرير مفاده في قلب من له هوى زائد وشغف واسع بالسمعيات نختم هذا البحث بالنقول العامرة التالية في فصلين : الفصل الأوّل فيما يتعلق بقتال البغاة والخوارج ، الفصل الثاني فيمن حضر معه حروبه من الصحابة وأجلّاء المسلمين .

---

(١) من الاستيعاب : ج ٢ ص ٤١٦.

الفصل الأوّل
فيما يتعلق بقتال البغاة والخوارج

روى الحاكم[1] عن ربعي بن حراش عن علي قال: لما افتتح رسول الله مكة أتاه ناس من قريش فقالوا: يا محمّد انّا حلفاؤك وقومك وانّه لحق بك ارقاؤنا ليس لهم رغبة في الإسلام وإنّما فروا من العمل فارددهم علينا فشاور أبا بكر في أمرهم، فقال: صدقوا يا رسول الله فقال لعمر: ما ترى؟ فقال مثل قول أبي بكر، فقال رسول الله: يا معشر قريش ليبعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للايمان فيضرب رقابكم على الدين، فقال أبو بكر: أنا هو يارسول الله، قال: لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل في المسجد، وقد كان ألقى نعله إلى علي يخصفها. ثمّ قال: أما اني سمعته يقول: لا تكذبوا علي فإنّه من يكذب علي يلج النار. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولم يتعقبه الذهبي.

وقد روى هذا الأثر الخطيب أيضاً[2] عن ربعي بن حراش قال: سمعت عليّاً يقول وهو بالمدائن: جاء سهل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: انّه قد خرج اليك ناس من ارقائنا ليس بهم الدين ـ عيذاً ـ فارددهم علينا، فقال له أبو بكر وعمر صدق يا رسول الله، فقال رسول الله: لن تنتهوا يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان يضرب أعناقكم وأنتم مجفلون عنه إجفال النعم، فقال أبو بكر: انا هو يا رسول الله؟ قال: لا، قال له عمر: انا هو يا رسول

---

(١) في المستدرك: ج ٢ ص ١٣٨.

(٢) في تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٣٣.

الله ؟ قال : لا ، ولكنه خاصف النعل ، قال : زفي كف علي نعل يخصفها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وليس في متن هذا الحديث ـ عن الخطيب ـ كلمة لما افتتح رسول الله مكة وحذفها أجود لأنّ رسول الله لما افتتح مكة دخل الإسلام في قريش عامة ، ولو قهراً فما عادوا يخاطبونه يا محمّد ولا يطالبونه بمن ينفتل منهم إليه ، نعم هذه المطالب كانت قبل الفتح بكثرة ، وقد صرّح الترمذي فيما أخرجه من مادة هذا الحديث انّ زمان هذه الحادثة هو صلح الحديبية (١) .

وروى الحاكم (٢) عن أنس انّ النبي قال : سيكون في امتي اختلاف وفرقة وسيجيء قوم يعجبونكم وتعجبهم أنفسهم الذين يقتلونهم أولى بالله منهم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يدعون إلى الله وليسوا من الله في شيء فإذا لقيتموهم فأنيموهم ، قالوا : يا رسول الله انعتهم لنا ، قال : آيتهم الحلق والتسبيت يعني استيصال التقصير ، قال : والتسبيت استصال الشعر ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي .

وروى الحاكم (٣) عن طارق بن شهاب قال : رأيت عليّاً على رحل رثّ بالربذة وهو يقول للحسن والحسين : مالكما تحنان حنين الجارية ، والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً لبطن فما وجدت بداً من قتال القوم أو الكفر بما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى الحاكم (٤) عن الزهري عن حمزة بن عبد الله انّه بينما هو جالس مع

---

(١) راجع : ص ٧٦ من ذخائر العقبى للمحب الطبري.

(٢) في المستدرك : ج ٢ ص ١٤٧.

(٣) في المستدرك : ج ٣ ص ١١٥.

(٤) في المستدرك : ج ٣ ص ١١٥.

عبد الله بن عمر إذ جاءه رجل من أهل العراق فقال: يا أبا عبد الرحمن اني والله لقد حرصت أن اتسمت بسمتك وأقتدي بك في أمر فرقة الناس وأعتزل الشرّ ما استطعت واني أقرأ آية من كتاب الله محكمة قد أخذت بقلبي فأخبرني عنها، أرأيت قول الله عزوجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أخبرني عن هذه الآية، فقال عبد الله: مالك ولذلك انضرف عني فانطلق حتى تواري عنا سواده، وأقبل علينا عبد الله بن عمر فقال: ما وجدت في نفسي من شيء في أمر هذه الآية ما وجدت في نفسي اني لم أُقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عزوجل. هذا باب كبير قد رواه عن عبد الله بن عمر جماعة من كبار التابعين.

أقول: قد أخطأ ابن عمر في صرفه للرجل السائل كما أخطأ هو في تكليف نفسه مع هؤلاء البغاة، والذي دعاه إلى طرد الرجل العراقي والسكوت عن الجواب هو خوف افتضاحه أمامه بانك إذا كنت تقرّ بهذه الآية وتقرر مفادها الصريح فعلام قعدت عن بيعة علي وشهود مواقفه.

وروى الحاكم[1] عن الحسن عن أبي بكرة قال: عصمني الله بشيء سمعته من رسول الله ﷺ لما هلك كسرى قال: من استخلفوا؟ قالوا: بنته، قال: فقال: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة، قال: فلما قدمت عائشة ذكرت قول رسول الله فعصمني الله به. صحيح على شرط الشيخين.

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن ام سلمة قالت: ذكر النبي ﷺ خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت عائشة، فقال: انظري يا حميراء أن لا تكوني

---

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ١١٩.

أنت ، ثمّ التفت إلى علي فقال : إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : لما سار علي إلى البصرة دخل على أُم سلمة زوج النبي يودعها فقالت : سر في حفظ الله وفي كنفه فوالله انك لعلى الحق والحق معك ولولا اني أكره أن أعصي الله ورسوله فإنّه أمرنا أن نقرّ في بيوتنا لسرت معك ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي ابني عمر .

وروى أيضاً (المصدر نفسه) عن عائشة انها قالت : وددت اني كنت ثكلت عشره مثل الحارث بن هشام واني لم أسر مسيري مع ابن الزبير . هذه الأحاديث الثلاثة كلها صحيحة .

وروى الحاكم[1] : عن قيس بن أبي حازم قال : جاء الزبير إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في الغزو ، فقال عمر : اجلس في بيتك فقد غزوت مع رسول الله ، قال : فردد ذلك عليه ، فقال له عمر في الثالثة : أو التي تليها ، اقعد في بيتك فوالله اني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا عليّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم . صححه الحاكم والذهبي جميعاً .

أقول : امّا علي فقد صرح له ولصاحبه عندما استأذناه للعمرة انهما لا يريدان إلّا الغدر به ولكنه تذمم من منعهما كيلا يقال : انّ عليّاً لم يضع رجله في غرز الركاب حتى حجر على أصحابه كل حركة .

وروى الحاكم[2] عن أبي سعيد قال : كنا مع رسول الله فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها ، فمشى قليلاً ثمّ قال : انّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما

---

(١) ص ١٢٠ من المجلد المذكور.

(٢) ج ٣ ص ١٢٢ و ١٢٣.

قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل - يعني علياً - فأتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وأقرّه الذهبي كما هو.

وروى الحاكم أيضاً (ج ٣ ص ١٢٤) عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: كنت مع علي يوم الجمل فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع أمير المؤمنين فلما فرغ ذهبت إلى المدينة فأتيت أُم سلمة فقلت: اني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً ولكني مولى لأبي ذر، فقالت: مرحباً فقصصت عليها قصتي، فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟ قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس، قالت: أحسنت، سمعت رسول الله يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. صححه الحاكم والذهبي جميعاً.

وروى الحاكم أيضاً (ج ٣ ص ١٢٦) عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان علي يقول في حياة رسول الله ﷺ: انّ الله يقول: أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأُقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت والله اني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه فمن أحق به مني. أقرّه الذهبي كما هو.

وروى الحاكم (ج ٣ ص ١٣٩) عن عتاب بن ثعلبة حدثني أبو أيّوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب قال: أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وروى (ص ١٤٠) عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيّوب الأنصاري قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين

بالطرقات والنهروانات وبالشعفات، قال أبو أيّوب: قلت: يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء الأقوام؟ قال: مع علي بن أبي طالب.

وروى عن أبي ادريس الأودي عن علي قال: انّ مما عهد اليّ النبي ﷺ انّ الأُمّة ستغدر بي بعده. هذا حديث صحيح الاسناد وأقره الذهبي كما هو.

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال النبي لعلي: أما انك ستلقى بعدي جهداً، قال: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك. صحيح على شرط الشيخين وأقرّه الذهبي.

وروى المتقي الهندي [1]: انّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قيل: أبو بكر وعمر؟ قال: لا ولكنه خاصف النعل، يعني عليّاً. أحمد في المسند وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في شعب الايمان والحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور في سننه.

أقول: وقد قرأت عن المستدرك انّ هذا الحديث صححه الحاكم والذهبي جميعاً على شرط الشيخين.

وروى أيضاً (المصدر نفسه): يا علي ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني. ابن عساكر عن عمار بن ياسر.

وروى أيضاً: من فارقك يا علي فقد فارقني ومن فارقني فقد فارق الله. الحاكم في المستدرك عن أبي ذر.

وروى أيضاً (ص ٣٤): تكون بين امتي فرقة واختلاف فيكون هذا وأصحابه على الحق ـ يعني عليّاً ـ الطبراني في الكبير عن كعب بن عجرة.

وروى أيضاً (ص ٣٦): عن أبي ذر قال: كنت مع رسول الله وهو ببقيع الغرقد

---

(١) في منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٣٣.

فقال: والذي نفسي بيده انّ فيكم رجلاً يقاتل الناس من بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله وهم يشهدون أن لا إله إلّا الله فيكبر قتلهم على الناس حتى يطعنوا على ولي الله ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لله بذلك رضي وأسخط ذلك موسى. الديلمي.

وروى أيضاً (ص ٣٧): عن أبي سعيد قال: كنا جلوساً في المسجد فخرج رسول الله ﷺ فجلس الينا ولكأنّ على رؤوسنا الطير لا يتكلم منا أحد، فقال: انّ منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قوتلتم على تنزيله، فقام أبو بكر فقال: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة، فخرج علينا علي ومعه نعل رسول الله يصلح منها. ابن أبي شيبة، أحمد في المسند، أبو يعلى في مسنده، ابن حبان في صحيحه، الحاكم في المستدرك، أبو نعيم في الحلية، الضياء المقدسي في المختار.

وروى أيضاً (ص ٣٨) عن علي قال: جاء النبي ﷺ ناس من قريش فقالوا: يا محمّد انا جيرانك وحلفاؤك وان ناساً من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه إنّما فروا من ضياعنا وأموالنا فارددهم الينا، فقال لأبي بكر ما تقول؟ قال: صدقوا، انهم لجيرانك وأحلافك، فتغيّر وجه رسول الله ثمّ قال لعمر: ما تقول؟ قال: صدقوا انهم لجيرانك وحلفاؤك، فتغير وجه النبي فقال: يا معشر قريش والله ليبعثن الله عليكم رجلاً قد امتحن الله قلبه بالايمان فيضربكم على الدين أو يضرب بعضكم، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا، قال عمر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه الذي يخصف النعل، وكان أعطى عليّاً نعلاً يخصفها. أحمد في المسند، وابن جرير وصححه، وسعيد بن منصور في سننه. وروى أيضاً (ج ٥ ص ٤٥١) عن الثوري ومعمر عن أبي اسحاق عن عاصم ابن ضمرة عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيّوب العراق فقلت له: يا أبا

أيّوب قد كرمك الله بصحبة نبيه محمّد ﷺ وبنزوله عليك فمالي أراك تستقبل الناس تقاتلهم تستقبل هؤلاء مرة وهؤلاء مرة ؟ فقال : انّ رسول الله ﷺ عهد الينا أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم وعهد الينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا اليهم ـ يعني معاوية وأصحابه ـ وعهد الينا أن نقاتل مع علي المارقين فلم أرهم بعد . ابن عساكر في تاريخه .

وروى أيضاً عن مخنف بن سليم قال : أتينا أبا أيّوب فقلنا : يا أبا أيّوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ ثمّ جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال : انّ رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة : الناكثين والقاسطين والمارقين ، وقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين . ابن جرير .

وروى النسائي في الخصائص عن أبي جعفر محمّد بن عبد الله بن المبارك المخزومي عن الأسود بن عامر عن شريك عن منصور عن ربعي عن علي قال : جاء النبي اناس من قريش فقالوا : يا محمّد انا جيرانك وحلفاؤك وان من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه وإنّما فروا من ضياعنا وأموالنا فارددهم الينا ، فقال لأبي بكر : ما تقول ؟ فقال : صدقوا انهم لجيرانك وحلفاؤك فتغير وجه النبي ﷺ ثمّ قال لعمر : ما تقول ؟ قال : صدقوا انهم لجيرانك وحلفاؤك ، فتغير وجه النبي ثمّ قال : يا معشر قريش والله ليبعثن الله عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للايمان يضربكم على الدين أو يضرب بعضكم ، قال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن ذلك الذي يخصف النعل ، وقد كان أعطى عليّاً نعلاً يخصفها .

وروى أيضاً عن أحمد بن شعيب عن اسحاق بن ابراهيم ومحمّد بن قدامة واللفظ له ، وعن حرب عن الأعمش عن اسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال : كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج الينا وقد انقطع

شسع نعله فرمى به إلى علي فقال: انّ فيكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبو بكر: أنا؟ قال: لا، قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل.

وروى النسائي في الخصائص أيضاً عن محمّد بن المثنى قال: حدثنا عبد الأعلى قال: حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري انّ رسول الله قال: تمرق مارقة من الناس يلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق.

وروى أيضاً بسنده عن أبي سلمة عن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم فقال: يا رسول الله أعدل، فقال رسول الله: ومن يعدل إذا أنا لم أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أعدل، قال عمر: ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال: دعه فإنّ له أصحاباً يحتقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدر در يخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: فأشهد اني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد انّ علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتى به حتى نظرت إليه على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ.

وروى المحب الطبري[1] عن ابن مسعود انّ رسول الله ﷺ أتى منزل ام

---

(١) في ذخائر العقبى: ص ١١٠.

سلمة فجاء علي فقال رسول الله: يا ام سلمة هذا قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي. أخرجه الحاكمي.

وروى المحب الطبري أيضاً (ص ٧٦) عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله يقول: ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل في الحجرة، وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها. أخرجه أبو حاتم.

وقال ابن كثير [١]: حديث في مدح علي على قتال الخوارج: روى الامام أحمد عن حسين بن محمّد عن مطر عن اسماعيل بن رجاء عن أبيه قال: سمعت أبا سعيد يقول: كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بيوت بعض نساءه قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه ثمّ قام ينتظره وقمنا معه فقال: انّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها وفيه أبو بكر وعمر فقال: لا، ولكنه خاصف النعل. قال: فجئنا نبشره، قال: فكأنه قد سمعه. ورواه أحمد عن وكيع وأبي أُسامة عن فطر بن خليفة. فأمّا الحديث الذي قال الجاحظ أبو يعلى حدثنا اسماعيل بن موسى عن الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة قال: سمعت عليّاً على منبركم هذا يقول: عهد إليّ النبي ﷺ أن أُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. وقد رواه أبو بكر بن المقري عن الجد بن عبادة البصري عن يعقوب بن عباد عن الربيع بن سهل الفزاري به فإنّه حديث غريب ومنكر.

أقول: لم يبين جهة غرابته ولا نكارته سوى انّه تحكم في ذلك تحكماً محضاً

---

(١) في كتابه البداية والنهاية: ج ٧ ص ٣٠٤ وما بعدها.

تعزيزاً لجانب أهل الجمل وابن أبي سفيان وفضلاً عما أسلفه من السندين المذكورين فقد أردف ذلك بقوله: على انّه قد روي من طرق عن علي وعن غيره ولا تخلو واحدة منها عن ضعف. وهو ادعاء لا يشفعه دليل بل الحجة برواية الحفاظ له واستفاضة مادته وكثرة نقله من المسانيد المعتبر عليه وهي له خاصمة دامغة. قال: والمراد بالناكثين أهل الجمل وبالقسطين أهل الشام، وامّا المارقون فالخوارج لأنّهم مرقوا من الدين. وقد رواه الحافظ أبو أحمد بن عدي في كامله عن أحمد بن حفص عن سليمان بن يوسف عن عبد الله بن موسى عن فطر عن حكيم بن جبير عن ابراهيم عن علقمة عن علي قال: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: أخبرني الأزهري عن محمّد بن المظفر عن محمّد بن أحمد بن ثابت قال: وجدت في كتاب جدي محمّد بن ثابت: حدثنا شعيب بن الحسن السلمي عن جعفر الأحمر عن يونس بن الأرقم عن أبان عن خليد المصري قال: سمعت عليّاً أمير المؤمنين يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين. وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمّد بن فرج الجنديسابوري عن هارون بن اسحاق عن أبي غسان عن جعفر ـ أحسبه الأحمر ـ عن عبد الجبار الهمداني عن أنس بن عمرو عن أبيه عن علي قال: أُمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين.

وقال الحاكم أبو عبد الله: أخبرنا أبو الحسين محمّد بن أحمد بن غنم الحنظلي عن محمّد بن الحسن بن عطية حدثني أبي حدثني عمي عن عمرو بن عطية بن سعد عن أخيه الحسن بن عطية حدثني جدي سعد بن جنادة عن علي قال: أُمرت بقتال ثلاثة القاسطين والناكثين والمارقين. فأمّا القاسطون فأهل الشام

وأمّا الناكثون فذكرهم وأمّا المارقون فأهل النهروان.

وقال الحافظ ابن عساكر: أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر عن أبي سعد الأديب عن السيد أبي الحسن محمّد بن علي بن الحسين عن محمّد بن أحمد الصوفي عن محمّد بن عمرو الباهلي عن كثير بن يحيى عن أبي عوانة عن أبي الجارود عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

حديث ابن مسعود في ذلك: قال الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن الحسن الفقيه عن الحسن بن علي عن زكريا بن يحيى الخراز المقري عن اسماعيل ابن عباد المقري عن شريك عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أُم سلمة فجاء علي فقال رسول الله: يا أُم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي.

حديث أبي سعيد في ذلك: قال الحاكم: حدثنا أبو جعفر محمّد بن علي بن دحيم الشيباني عن الحسين بن الحكم الحيري عن اسماعيل بن أبان عن اسحاق بن ابراهيم الأزدي عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلت: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء مع من؟ فقال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر.

حديث أبي أيّوب في ذلك: قال الحاكم: أخبرنا أبو الحسن علي بن حماد المعدل عن ابراهيم بن الحسين بن ديزيل عن عبد العزيز بن الخطاب عن محمّد بن كثير عن الحارث بن خضيرة عن أبي صادق عن مخنف بن سلمان قال: أتينا أبا أيّوب فقلنا: قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ثمّ جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

قال الحاكم: وحدثنا أبو بكر محمّد بن أحمد عن الحسن بن علي بن شبيب

عن محمّد بن حميد عن سلمة بن الفضل عن أبي زيد الأموي عن عتاب بن ثعلبة في خلافة عمر بن الخطاب قال: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب.

وقال الخطيب البغدادي: حدثنا الحسن بن علي بن عبد الله المقري عن أحمد بن محمّد بن يوسف عن محمّد بن جعفر المطيري عن أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من رأى عن المعلى بن عبد الرحمن ببغداد عن شريك عن سليمان بن مهران عن الأعمش عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيّوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيّوب انّ الله أكرمك بنزول محمّد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حين أناخت ببابك دون الناس ثمّ جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلّا الله، فقال: يا هذا انّ الرائد لا يكذب أهله انّ رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأمّا الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل طلحة والزبير وامّا القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمراً وامّا المارقون فهم أهل الطرقات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروان، والله ما أدري أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله.

أقول: وهذا باب واسع واستقصاؤه كاستقصاء نظائره مما أسلفناه نموذجه يحتاج إلى موسوعة حافلة وليس ذلك من هدفنا، وفي كلمات علي عليه السلام في النهد شواهد عامرة تدعم ذلك وتؤيده.

وروى أحمد [١] عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً آخذاً الحربة بيده ويده ترعد فقال:

---

(١) في المسند: ج ٤ ص ٣١٩.

والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ثلاث مرات وهذه الرابعة ثمّ قال: والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت انا على الحق وهم على الباطل.

وروي [١]: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق. الطبراني في الكبير عن ابن مسعود. وروي أيضاً: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار. أحمد في المسند والبخاري في صحيحه عن أبي سعيد.

وروي أيضاً: أما انّه سيشهد معك مشاهد أجرها عظيم وذكرها كبير. أبو نعيم في الحلية عن علي قال: ذكرت للنبي ﷺ عماراً فذكره ـ أي ذكر الحديث المار الذكر ـ.

أقول: ومادة الحديث في هذه الباب متواترة قد أطبق المحدثون على نقلها بصورها المتنوعة وفيما ذكرناه من عرض صورة المطلب كفاية وبلغة.

الفصل الثاني
فيمن حضر معه حروبه من الصحابة وأجلّاء المسلمين

قد مرّ عليك انّه لم يقعد عن بيعته والدخول في أمره إلّا نفر محدودون جداً وان تخلف كل واحد من اولئك كان عن عذر زائف وان ابن عمر أسف بعدما تولت الأمور أن لا يكون حضر معه فضرب وجوه البغاة امتثالاً لما أمر به الله سبحانه وان كل من بايعه كانت حاله حاله في كل ما أخذ وترك وهذا من الوضوح بمكان.

ذكر المسعودي [٢] فقال: وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر

---

(١) في منتخب كنز العمال: ج ٥ ص ٢٤٥.

(٢) في تاريخه مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦١.

سبعة وثمانون رجلاً منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الأنصار وشهد معه ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة الفين وثمانمائة.

وقال اليعقوبي [١]: وكان مع علي يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار اربعمائة رجل ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلّا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد.

وقال ابن حجر [٢] عند تعرضه لترجمة عبد الرحمن بن ابزي الخزاعي قال: ابن السكن استعمله النبي ﷺ حتى يقول: وأسند من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزي قال: شهدنا مع علي ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ثمانمائة نفس بصفين فقتل منا ثلاث مائة وستون نفساً.

ونحن نستطرد هنا ذكر من عثرنا له على ذكر في الاصابة والاستيعاب من الصحابة ونسب له الحضور في صفين أو سائر مشاهد أمير المؤمنين عليه السلام.

قال ابن حجر في ترجمة الأسود بن عبس [٣]: ذكر سيف بن عمر عن ورقاء بن عبد الرحمن الحنظلي قال: قدم على رسول الله الأسود من ولد ربيعة بن مالك بن حنظلة فقال: ما أقدمك؟ قال: اقترب بصحبتك، فترك الأسود وسمي المقرب وصحب النبي وشهد مع علي صفين. وقال أيضاً (ج ١ ص ٦٠): أسيد بن ثعلبة الأنصاري ذكر ابن عبد البر انّه شهد بدراً وشهد صفين مع علي.

---

(١) في تاريخه: ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) في الاصابة: ج ٢ ص ٣٨١.

(٣) ج ١ ص ٦٠ من الاصابة.

وقال أيضاً (ج ١ ص ٦٦): الأشعث بن قيس سكن الكوفة وشهد مع علي صفين. أقول: نحن لا نعتني بهذا وإنّما ذكرناه عرضاً.

وقال أيضاً (ج ١ ص ٨٥): أنس بن مدرك الخثعمي ذكره ابن شاهين في الصحابة وذكره ابن فتحون في ذيل الاستيعاب عن الطبري وقال: كان شاعراً وقتل مع علي.

وقال أيضاً (ج ١ ص ١٢٢): أويس القرني وقال ابن عمار الموصلي: ذكر عند المعافى بن عمران اويساً قتل في الرجالة مع علي بصفين فقال معافى: ما حدث بهذا إلّا الأعرج فقال له عبد ربه الواسطي: حدثني به شريك عن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: فسكت. وفي المستدرك من طريق يحيى بن معين عن أبي عبيدة الحداد حدثنا أبو مكيس قال: رأيت امرأة في مسجد اويس القرني قالت: كان يجتمع هو وأصحاب له في مسجده هذا يصلون ويقرؤون حتى غزا فاستشهد اويس وجماعة من أصحابه في الرجالة بين يدي علي. ومن طريق الأصبغ بن نباتة قال: شهدت عليّاً يوم صفين يقول: من يبايعني على الموت فبايعه تسعة وتسعون رجلاً فقال: أين التمام؟ فجاءه رجل عليه اطمار صوف محلقون الرأس فبايعه على القتل فقيل هذا أويس القرني فما زال يحارب حتى قتل.

وقال الحاكم [١]: اويس راهب هذه الأمّة ولم يصحب رسول الله ﷺ إنّما ذكره رسول الله ودلّ على فضه فذكرته في جملة من استشهد بصفين بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. سمعت أبا العباس محمّد بن يعقوب يقول: سمعت العباس بن محمّد الدوري يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: قتل اويس

---

(١) في المستدرك: ج ٣ ص ٤٠٢ وما بعدها.

القرني بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم صفين. عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لما كان يوم صفين نادى مناد من أصحاب معاوية أصحاب علي: أفيكم اويس القرني؟ قالوا: نعم، فضرب دابته حتى دخل معهم ثمّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير التابعين اويس القرني. وقال الحاكم: حدثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمّد الدوري حدثنا علي بن حكيم حدثنا شريك قال: ذكروا في مجلسه اويس القرني فقال: قتل مع علي بن أبي طالب في الرجالة.

وقال (ج ١ ص ١٤٦): البراء بن عازب شهد البراء مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج. ومثل ذلك قال ابن عبد البر في ترجمة البراء من الاستيعاب.

وقال (ج ١ ص ١٩٥): ثابت بن عبيد الأنصاري شهد بدراً ثمّ شهد صفين وقتل بها. ذكره باو عمر. لكن ابن حجر لم يحفظ الأمانة فإنّه لم يقل كما قال أبو عمر شهد صفين مع علي.

وقال (ج ١ ص ٢٤٩): الحارث بن عمرو بن حرام ذكر ابن سعد انّه شهد هو وأخوه سعد أُحداً وذكر ابن الكلبي انهما شهدا صفين مع علي.

وقال أيضاً (ج ١ ص ٣٠٣): حبشي بن جنادة صحابي شهد حجة الوداع وشهد مع علي مشاهده.

وقال (ج ١ ص ٣١٢): الحجاج بن عمرو بن غزية صحابي شهد صفين مع علي.

وقال (ج ١ ص ٣١٣): حجر بن عدي شهد الجمل وصفين وكان في امراءه يومئذ. وحاله في التشيع والدين أشهر من أن يذكر.

وقال (ج ١ ص ٣٢٦): حسان بن خوط الشيباني كان وافد بكر بن وائل إلى النبي ﷺ وعاش حتى شهد الجمل مع علي ومعه ابناه الحارث وبشر وأخوه

بشر بن خوط وأقاربه ـ اهملخصاً ـ.

وقال (ج ١ ص ٤٢٢): خرشة بن مالك قال ابن الكلبي وفد على النبي وشهد مع علي مشاهده. ذكره الرشاطي.

وقال (ج ١ ص ٤٢٤): خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين قال ابن سعد شهد بدراً وقتل بصفين، وقال المرزباني قتل مع علي بصفين وهو القائل:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن
وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم بعض الذي فيه من حسن

وهو من الصحابة العظماء المخلصين لعلي جدّ الاخلاص.

وقال (ج ١ ص ٤٥٤): خالد بن المعمر السدوسي له ادراك وكان خالد مع علي يوم الجمل وصفين من امراءه وقد بايعته ربيعة على الموت يوم صفين.

وقال (ج ١ ص ٥٠٣) رفاعة بن رافع بدري شهد هو وأبوه العقبة وشهد مع على الجمل وصفين وقال (ج ١ ص ٥٤٢) زيد بن أرقم الصحابي الشهير شهد صفين مع علي.

وقال (ج ١ ٥٦٥): زيد بن حيلة بمهملة تحتانية ويقال بجيم وموحدة كان زيد شريفاً في الإسلام وكان مع علي بصفين.

وقال (ج ١ ص ٥٦٥) زيد بن صوحان العبدي يقال له صحبة وقيل له ادراك فقط وكان فاضلاً ديناً سيداً في قومه شهد الجمل مع علي. وهو من خلص الشيعة.

وقال (ج ١ ص ١٢٥) أعيس بن ضبيعة المجاشعي هو الذي عقر الجمل الذي كانت عليه عائشة.

وقال (ج ١ ص ١٥٧) بشير بن أبي زيد الأنصاري قال الكلبي: استشهد ابوه

أبو زيد يوم أُحد وشهد بشير بن أبي زيد وأخوه وداعة بن أبي زيد صفين مع علي.

وقال (المصدر نفسه): بشير بن عمرو بن محصن أبو عمرة الأنصاري روى عن النبي ﷺ وقتل بصفين. وقال (ج ١ ص ١٦٠) بشير بن أبي مسعود الأنصاري رأى النبي صغيراً وشهد صفين مع علي. وقال (ج ١ ص ٢٠٠) ثابت بن قيس بن الخطيم مذكور في الصحابة شهد مع علي صفين والجمل والنهروان.

وقال (ج ١ ص ٢١٩) جندب بن كعب العبدي وهو عند أكثرهم قاتل الساحر بين يدي الوليد بن عقبة قال ابن المديني: له صحبة وذكر حماد بن سلمة انّ جندب بن كعب كان مع علي بصفين. وقال (ج ١ ص ٢٢٢) جابر بن عبد الله الأنصاري شهد أحداً وشهد صفين مع علي. وقال (ج ١ ص ٢٤١) جبلة بن عمرو الأنصاري كان فاضلاً من فقهاء الصحابة وشهد صفين مع علي.

وقال (ج ١ ص ٢٤٧): جارية بن قدامة السعدي كان من أصحاب علي في حروبه. وقال (ج ١ ص ٢٤٩) جارية بن زيد ذكره ابن الكلبي فيمن شهد صفين من الصحابة.

وقال (ج ١ ص ٢٧٦): حذيفة بن اليمان توفي بعد أن نعى عثمان إلى الكوفة ولم يدرك الجمل وقتل صفوان وسعيد ابنا حذيفة بصفين وكانا قد بايعا عليّاً بوصية أبيهما بذلك اياهما وقال (ج ١ ص ٣٠٦): الحارث بن غزية صحابي وهو القائل يوم الجمل: يا معشر الأنصار انصروا أمير المؤمنين آخراً كما نصرتم رسول الله أوّلاً انّ الآخرة لشبيهة بالأُولى ألا انّ الأُولى أفضلهما.

وقال (ج ١ ص ٣٢٢): حكيم بن جبلة العبدي له ادراك وكان رجلاً صالحاً له دين مطاعاً في قومه قتله جيش عائشة قبل يوم الجمل عدواناً صرفاً وله حديث واسع في هذا التاريخ.

وقال (ج ١ ص ٣٦٢): حيان بن الأبجر له صحبة يعد في الكوفيين شهد مع علي صفين. وقال (ج ١ ص ٤٠٢): أبو أيّوب الأنصاري شهد مع علي حروبه كلها. وقال (ج ١ ص ٤٠٩): خالد بن الوليد الأنصاري ذكره ابن الكلبي وغيره فيمن شهد مع علي صفين من الصحابة وكان ممن أبلى هنالك.

وقال (ج ١ ص ٤٢٤): خباب بن الارت قيل مات بعد أن شهد مع علي صفين. **أقول**: قطع ابن أبي الحديد [1] بشهوده صفين مع علي.

فائدة: ذكر ابن عبد البر في ترجمة ذي الكلاع الحميري (ج ١ ص ٤٧٣): انّ ذا الكلاع كان هو القائم بأمر معاوية في حرب صفين وقتل قبل انقضاء الحرب ففرح معاوية بموته وذلك انّه بلغه انّ ذا الكلاع ثبت عنده انّ عليّاً بريء من دم عثمان وانّ معاوية لبس عليهم ذلك فأراد التشتيت على معاوية فعاجلته منيته بصفين، وقال معاوية: لأنا أفرح بموت ذي الكلاع مني بمصر لو فتحتها.

وقال (ج ١ ص ٤٨٣): رافع بن خديج صحابي معروف شهد مع علي صفين.

وقال (ج ١ ص ٤٨٩): رفاعة بن رافع الأنصاري الزرقي، سبق ذكره عن ابن حجر وساق ابن عبد البر في ترجمته بعد أن ذكر شهوده بدراً مع النبي والجمل وصفين مع علي حديثاً جميلاً مما يعود لأمر الخلافة.

وقال (ج ٢ ص ٣٤): سعد بن مسعود الثقفي عم المختار ذكره البخاري في الصحابة، وقال الطبراني: له صحبة وذكر أبو مخنف انّ عليّاً ولّاه بعض عمله ثمّ استصحبه معه إلى صفين.

وقال (ج ٢ ص ٧٤): سليمان بن صرد الخزاعي صحابي شهير وكان خيراً فاضلاً شهد صفين مع علي. وقال (ج ٢ ص ٨٦): سهل بن حنيف صحابي شهير

---

(١) ج ٤ ص ٢٦٤ من الشرح الحديدي.

وبدري معروف شهد مع علي صفين. وقال (ج ٢ ص ١٠٢): سيحان بن صوحان العبدي صحابي يقال انّه قتل يوم الجمل. وقال (ج ٢ ص ١١١): سعيد بن وهب الخيواني له ادراك وكان ملازماً لعلي ملازمة أكيدة حتى ما كاد ينفصل منه. وقال (ج ٢ ص ١١٢): سفيان بن هانيء مختلف في صحبته وعده فريق في التابعين وفد على علي وصحبه.

وقال (ج ٢ ص ١٦١): شريح بن هانيء له ادراك وكان مع علي في صفين ومن امرائه يوم الجمل. وقال (ج ٢ ص ١٩٢): صعصعة بن صوحان العبدي كان مسلماً في عهد رسول الله ولم يره وهو من الأخيار الأفاضل الخطباء الفصحاء شهد صفين مع علي.

وقال (ج ٢ ص ٢٧٢): عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي صحابيان شهدا صفين مع علي وكان لهما بلاء حسن في هذه المعركة.

وقال (ج ٢ ص ٢٨٠): عبد الله بن عباس صحابي شهير وكان على ميسرة علي يوم صفين.

وقال (ج ٢ ص ٣٨١): عبد الرحمن بن ابزى الخزاعي صحابي قال: شهدنا مع علي ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ثمانمائة نفس بصفين فقتل منا ثلاثمائة وستون نفساً.

فائدة: قال ابن حجر [1]: عبد الرحمن بن بشير أو بشر الأنصاري ذكره الباوردي وابن منده وأخرجا من طريق سيف بن محمّد عن السري بن يحيى عن الشعبي عن عبد الرحمن بن بشير قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ إذ قال: ليضربنكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا

---

(١) ج ٢ ص ٣٨٤ من الاصابة.

هو يا رسول الله ؟ قال: لا ، فقال عمر: أنا هو يا رسول الله ؟ قال: لا ، ولكن خاصف النعل ، فانطلقا فإذا علي يخصف نعل رسول الله ﷺ في حجرة عائشة فبشرناه .

وقال (ج ٢ ص ٣٨٨): عبد الله بن خراش الأنصاري يكنى أبا ليلى ذكره الباوردي بسنده إلى أبي رافع فيمن شهد صفين مع علي من الصحابة .

وقال (ج ٢ ص ٤٦٠): عدي بن حاتم الطائي صحابي معروف شهد صفين مع علي . وقال (ج ٢ ص ٤٦٩): عروة بن زيد الخيل صحابي شهد مع علي صفين .
وقال (ج ٢ ص ٤٦٩): عروة بن مالك الأسلمي صحابي شهد مع علي صفين .
وقال (ج ٢ ص ٤٨٣): عقبة بن عامر السلمي صحابي شهد مع علي صفين .
وقال (ج ٢ ص ٥٠٥): عمار بن ياسر الصحابي الشهير ، تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ انّ عماراً تقتله الفئة الباغية ، وأجمعوا على انّه قتل مع علي بصفين .
وقال (ج ٢ ص ٥١٢): عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ صحابي شهد الجمل مع علي . وقال (ج ٢ ص ٥٢٦): عمرو بن الحمق الخزاعي صحابي شهير شهد مع علي حروبه .

وقال ابن عبد البر [١]: سعد بن عمرو الأنصاري شهد هو وأخوه الحارث بن عمرو صفين مع علي ذكرهم ابن الكلبي وغيره فيمن شهد صفين من الصحابة .

وقال (ج ٢ ص ٨١): سماك بن خرشة أبو دجانة الأنصاري البدري قد قيل انّه عاش حتى شهد مع علي صفين .

وقال (ج ٢ ص ١٠٦): سهيل بن عمرو بن أبي عمرو الأنصاري ذكره ابن الكلبي فيمن شهد صفين من البدريين ، فقال: سهيل بن عمرو الأنصاري شهد

(١) في الاستيعاب: ج ٢ ص ٤٤.

بدراً وقتل مع علي بن أبي طالب بصفين. وقال (ج ٢ ص ١٨٧): صيفي بن ربعي بن أوس في صحبته نظر شهد صفين مع علي.

وقال (ج ٢ ص ١٨٩): صعصعة ابن صوحان العبدي ـ أسلفناه نحن عن ابن حجر ـ كان مسلماً على عهد رسول الله وكان سيداً من سادات قومه فصيحاً خطيباً عاقلاً لسناً ديناً فاضلاً بليغاً يعد في أصحاب علي، قال يحيى بن معين: صعصعة وزيد وسيحان بنو صوحان كانوا خطباء من عبد القيس قتل زيد وسيحان يوم الجمل، ذكرنا هذه الترجمة لهذه التتمة.

وقال (ج ٢ ص ٣٠٥): عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ولد على عهد رسول الله فحنكه ودعا له وسماه فكان خير ناش في الأنصار وكثر أولاده وكثر فيهم العلم شهد عبد الله هذا صفين مع علي. وقال (ج ٢ ص ٣٠٧): عبد الله بن كعب المرادي قتل يوم صفين وكان من أصحاب علي.

فائدة: قال ابن عبد البرّ (ج ٢ ص ٣٣٧) عند تعرضه لترجمة ابن عمر: حدثنا أبو القاسم خلف بن القاسم الحافظ عن عبد الله بن عمر بن اسحاق عن أحمد بن محمّد بن الحجاج عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أسباط بن محمّد عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن عمر قال: ما آسي على شيء إلّا اني لم أُقاتل مع علي الفئة الباغية. وحدثنا خلف بن القاسم عن ابن الورد عن يوسف بن يزيد عن اسد بن موسى عن أسباط بن محمّد ويحيى بن عيس عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: قال ابن عمر: ما أجدني آسي على شيء فاتني من الدنيا إلّا اني لم أُقاتل مع علي الفئة الباغية. وذكر أبو زيد عمر بن شبة قال: حدثنا أبو القاسم الفضل بن دكين وأبو أحمد الزبيري قالا: حدثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن أبيه عن ابن عمر انّه قال حين حضرته الوفاة: ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلّا اني لم أُقاتل الفئة

الباغية مع علي بن أبي طالب، وقال: حدثنا أبو أحمد عن عبد الجبار بن العباس عن أبي العنبس عن أبي بكر بن الجهم قال: سمعت ابن عمر يقول: ما آسي على شيء إلّا تركي قتال الفئة الباغية مع علي.

وقال (ج ٢ ص ٣٥٦): عبد الله بن عتيك الأنصاري صحابي قال ابن الكلبي وأبوه انّه شهد صفين مع علي. وقال (ج ٢ ص ٣٨٣): عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري صحابي شهد الحديبية وكان أميراً في الكوفة وشهد مع لي صفين والجمل والنهروان. وقال (ج ٢ص ٤٠٠): عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أدرك النبي ولم يحفظ وكان منحرفاً عن علي وبني هاشم مخالفة لأخيه المهاجر بن خالد وكان أخوه المهاجر بن خالد محباً لعلي وشهد معه الجمل وصفين.

وقال (ج ٢ ص ٤١٣): عبد الرحمن بن خراش الأنصاري يكنى أبا ليلى شهد مع علي صفين. وقال (ج ٢ ص ٤٣٠): عبيد بن خالد السلمي البهزي يكنى أبا عبد الله سكن الكوفة وشهد صفين مع علي.

وقال (ج ٢ ص ٤٧٢): في ترجمة عمار بن ياسر: روى الأعمش عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلّا رأيت أصحاب محمّد ﷺ يتبعونه كأنّه علم لهم وسمعت عماراً يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم تقدم الجنة تحت البارقة، اليوم ألقي الأحبة محمّداً وحزبه، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انّا على الحق وانهم على الباطل، ثمّ قال:

نحن ضربناكم على تنزيله ... واليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

قال: فلم أر أصحاب محمّد ﷺ قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ، وقال أبو مسعود: وطائفة لحذيفة حين احتضر وقد ذكر الفتنة إذا اختلف الناس بمن تأمرنا قال: عليكم بابن سمية فإنّه لن يفارق الحق حتى يموت، أو قال: فإنّه يدور مع الحق حيث دار. إلى آخر ما ذكر في ترجمته.

وقال (ج ٢ ص ٥٣٢): عمرو بن بلال الأنصاري شهد صفين مع علي.

وقال ابن حجر [١]: عروة بن فروة بن عوف الأنصاري ذكره المرزباني في معجم الشعراء وذكر انّه شهد الجمل مع علي وأنشد في ذلك شعراً.

وقال (ج ٣ ص ٣١): عمير بن حارثة السلمي صحابي شهد صفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ٣٥): عمير بن قرة الليثي صحابي شهد صفين مع علي وكان شديداً على معاوية وأهل الشام حتى حلف معاوية لئن ظفر به ليذيبن الرصاص في أُذنيه. وقال (ج ٣ ص ٢٣٩): قيس بن سعد بن عبادة صحابي معروف شهد مع علي صفين وسائر مشاهده. وقال (ج ٣ ص ٢٧٣): كرامة بن ثابت الأنصاري صحابي شهد صفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ٢٨١): كعب بن عامر السعدي أو الساعدي صحابي شهد صفين مع علي.

وقال (ج ٣ ص ٣٠٠): كميل بن زياد النخعي له ادراك شهد صفين مع علي وكان شريفاً مطاعاً ثقة. وقال (ج ٣ ص ٣٢٦): مالك بن عامر بن هانىء الأشعري له صحبة وشهد صفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ٣٥٢): محمّد بن جعفر بن أبي طالب له صحبة وشهد صفين مع عمه علي بن أبي طالب.

وقال (ج ٣ ص ٣٨٩): مسعود بن أوس الأنصاري صحابي شهد بدراً مع النبي وصفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ٤٣٣): المغيرة بن نوفل الهاشمي صحابي

---

(١) في الاصابة: ج ٣ ص ١١.

شهد مع علي حروبه. وقال (ج ٣ ص ٤٥١): محمّد بن أبي بكر ربيب علي عليه السلام شهد مع علي الجمل وصفين ثمّ أرسله إلى مصر أميراً.

وقال (ج ٣ ص ٤٥٨): المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي كان غلاماً على عهد النبي وشهد صفين مع علي وشهد قبلها الجمل ففقئت فيها عينه. ذكرناه هنا لهذه التتمة وقد سبق ذكره.

وقال (ج ٣ ص ٤٥٩): مالك بن الحارث الأشتر له ادارك وكان رئيس قومه وشهد الجمل مع علي وله فيها آثار ثمّ صفين وأبدى يومئذ شجاعة مفرطة.

وقال (ج ٣ ص ٤٧١): المسيب بن نجبة بفتح النون والجيم بعدها موحدة له ادراك وكان مع علي في مشاهده.

وقال (ج ٣ ص ٥٠٨): النابغة الجعدي صحابي معروف وشاعر مشهور كان من أصحاب علي وله مع معاوية أخبار.

وقال (ج ٣ ص ٥٦١): هاشم بن عتبة بن أبي وقاص صحابي معروف وشجاع مشهور ينعت بالمرقال، وكانت راية علي معه يوم صفين وبها قتل رحمه الله، قال المرزباني: لما جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمّة علي، فقال: لا تعجل فوضع هاشم يده على الاخر فقال: هذه لعلي وهذه لي وقد بايعت عليّاً، وأنشد:

أُبايع غير مكترث عليّاً ... ولا أخشى أميراً أشعريا
أُبايعه وأعلم أن سأُرضي ... بذاك الله حقاً والنبيا

وقال (ج ٣ ص ٥٧٨): هند بن أبي هالة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهد الجمل مع علي وأُمه خديجة بنت خويلد.

وقال (ج ٣ ص ٥٨٣): هبيرة بن النعمان الجعفي له ادراك وكان من أُمراء علي

وشهد معه صفين وكان شريفاً. وقال (ج ٣ ص ٦١٧): يزيد بن حويرث الأنصاري صحابي شهد صفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ٦٢٢): يزيد بن طعمة الأنصاري صحابي شهد صفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ٦٣٨): يعلى بن عمير النهدي له ادراك شهد صفين مع علي وكان معه لواء بني نهد.

وقال ابن عبد البر [١]: عامر بن واثلة أبو الطفيل الليثي صحابي معروف كان من أصحاب علي في مشاهده وكان ثقة مأموناً يقدم على غيره من المشايخ.

وقال (ج ٣ ص ٨٩): عثمان بن حنيف صحابي معروف شهد الجمل مع علي وانصرف مع علي إلى الكوفة. أقول: وشهد صفين معه كما في تاريخ صفين.

وقال (ج ٣ ص ١٢٩): عوف بن اثاثة صحابي بدري شهد صفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ١٤٨): العلاء بن عمرو الأنصاري له صحبة شهد مع علي صفين. وقال (ج ٣ ص ١٦٠): عتيك بن التيهان هو اخو أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري شهد بدراً، قيل قتل يوم صفين. وقال (ج ٣ ص ١٩٦): الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري صحابي شهد صفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ٢٢٨): قيس بن أبي قيس صحابي شهد صفين مع علي. وقال (ج ٣ ص ٢٣٥): قيس بن مكشوح صحابي شهد مع علي صفين وكان يومئذ صاحب راية بجيلة وكانت فيه نجدة وبسالة وله في هذه الحرب خبر طريف ذكره أبو عمر في ترجمته هذه من الاستيعاب.

وقال (ج ٣ ص ٢٥٤): قرظة بن كعب الأنصاري شهد أُحداً وما بعدها وكان فاضلاً ولّاه علي على الكوفة فلما خرج إلى صفين حمله معه.

وقال (ج ٣ ص ٣٤٨): مالك بن التيهان أبو الهيثم مشهور بكنيته شهد العقبتين

---

(١) في الاستيعاب: ج ٣ ص ١٤.

الأُولى والثانية وبدراً وأُحداً والمشاهد كلها وشهد هو وأخوه عبيد بن التيهان صفين مع علي.

وقال (ج ٣ ص ٤٧٩): مخنف بن سليم الغامدي صحابي ولّاه علي على اصبهان وكان على راية الأزد يوم صفين. وقال (ج ٣ ص ٦١٨): يزيد بن نويرة الأنصاري شهد أُحداً وقتل يوم النهروان شهيداً مع علي.

وقال (ج ٤ ص ١٩) أبو بردة بن نيار الأنصاري صحابي شهير شهد بدراً وما بعدها وشهد مع علي حروبه كلها.

وقال (ج ٤ ص ١٥٥): أبو فضالة الأنصاري صحابي من أهل بدر شهد صفين مع علي. وقال (ج ٤ ص ١٥٧): أبو قتادة بن ربعي الأنصاري المشهور، مختلف في شهوده بدراً ومتفق على ما بعدها، وشهد مع علي مشاهده كلها.

وقال (ج ٤ ص ١٦٩): أبو ليلى الأنصاري صحابي معروف شهد مع علي حروبه كلها. وقال (ج ٤ ص ١٧٦): أبو محمّد الأنصاري صحابي قال ابن الكلبي انّه شهد صفين مع علي.

وقال (ج ٤ ص ٢٠٩): أبو الهيثم بن التيهان ـ سبق ذكره ـ إلّا انّ ابن حجر قال: انّ شهوده صفين هو الأكثر، وقيل انّه قتل بها، وهذا ساقه أبو بشر الدولابي، وقال: ممن قتل بصفين أبو الهيثم بن التيهان وعبد الرحمن بن بديل وآخرون.

أقول: ونصّ عليه أمير المؤمنين في بعض خطبه حيث قال: ما ضرّ اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم أُجورهم وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم، أين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق، أين عمار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة. قال: ثمّ ضرب عليه السلام بيده على لحيته الشريفة الكريمة

فأطال البكاء ثمّ قال ﷺ: اوه على اخواني الذين قرؤوا القرآن فأحكموه وتدبروا الفرض فأقاموه أحيوا السنة وأماتوا البدعة دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه [١].

وقال (ج ٤ ص ٢١٣): أبو الورد بن قيس الأنصاري صحابي شهد صفين مع علي.

وقال ابن عبد البر [٢]: أبو جحيفة السوائي صحابي كان علي جعله على بيت المال بالكوفة وشهد معه مشاهده كلها.

فائدة: قال ابن عبد البر [٣] عندما ترجم لأبي الطفيل عامر بن واثلة: وكان فاضلاً عاقلاً حاضر الجواب فصيحاً متشيعاً في علي ويفضله قدم أبو الطفيل يوماً على معاوية فقال له: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أُم موسى على موسى، وأشكو إلى الله التقصير، وقال له معاوية: كنت فيمن حصر عثمان، قال: لا، ولكني كنت فيمن حضره، قال: فما منعك من نصره؟ قال: أنت فما منعك من نصره إذ تربصت به ريب المنون وكنت مع أهل الشام وكلهم تابع لك فيما تريد، فقال له معاوية: أو ما ترى طلبي لدمه نصرة له، قال: بل ولكنك كما قال اخو جعف:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

وقال (ج ٤ ص ١٤٣): أبو عثمان الأنصاري صحابي شهد صفين مع علي.

---

(١) شرح النهج الحديدي: ج ٢ ص ٥٣٦.

(٢) في الاستيعاب: ج ٤ ص ٣٦.

(٣) ج ٤ ص ١١٧ من الاستيعاب.

وقال (ج ٤ ص ٢١٥): أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري السلمي عقبي بدري شهد صفين مع علي.

ليعلم القارىء لهذه الفصول انا لم نستقص ما في الاصابة والاستيعاب استقصاء تاماً وإنّما استعرضناهما عرضاً فلقفنا منهما ما سبق ذكره من دون أن نكرر ترجمة واحدة من التراجم الآنفة والتراجم المشتركة بين ابن عبد البر وابن حجر نكتفي منها بذكر ما في أحد الكتابين فقط، وما أسلفناه شاهد ذلك. وليعلم أيضاً اننا لم نذكر من الصحابة المترجمين في الكتابين المزبورين إلّا من نصّ عليه المحدثان المذكوران بحضور صفين أو سائر المشاهد مع علي عليه السلام دون من ذكر بصرف الصحبة والمحبة والاختصاص والولاية من جهته عليه السلام وتولى العمل له ولو اننا استقصينا كل ذلك لكان ما نجمعه باباً واسعاً.

ونصّ الحاكم في المجلد الثالث من المستدرك على جملة من الصحابة بحضور صفين مع علي كعمار وفيه باب واسع وعبد الله بن بديل وأبي عمرة الأنصاري وهاشم بن عتبة المرقال وخزيمة بن ثابت وسهل بن حنيف وسليمان بن صرد الخزاعي وأبي أيّوب وأويس القرني.

وقال الخطيب البغدادي [1]: وشهد مع علي بن أبي طالب حروبه حتى قتل بين يديه بصفين وصلى عليه علي ودفنه هناك.

وقال (ج ١ ص ١٥٣) عندما ترجم لأبي أيّوب الأنصاري: وحضر مع علي بن أبي طالب حرب الخوارج بالنهروان، ولكنه دلس في ذلك فإنّ أبا أيّوب شهد مشاهده كلها كما سلف.

وقال (ج ١ ص ١٥٩) عندما ترجم لأبي قتادة الأنصاري: عاش إلى خلافة

---

(١) في تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٥٠ عندما ترجم لعمار.

علي وحضر معه قتال الخوارج بالنهروان. وهو هنا كسابقه مدلس فإنّ أبا قتادة شهد مع علي حروبه جميعها كما سلف.

وقال (ج ١ ص ١٧٣) عندما ترجم لعبد الله بن عباس: شهد ابن عباس مع علي صفين وقتال الخوارج.

وقال (ج ١ ص ١٧٥) عندما ترجم لثابت بن قيس بن الخطيم: كان ثابت بن قيس بن الخطيم شديد النفس وكان له بلاء مع علي بن أبي طالب واستعمله عليه السلام على المدائن. وقد سلف انّه حضر صفين مع علي وبلاؤه إنّما كان معه في هذه الحرب.

وقال (ج ١ ص ١٧٧) عندما ترجم للبراء بن عازب: كان رسول علي عليه السلام إلى الخوارج بالنهروان وقد سلف انّ البراء شهد مع علي حروبه كلها كما هو واضح من سيرته رحمه الله.

وقال (ج ١ ص ١٧٧) عندما ترجم لقيس بن سعد بن عبادة: انّه حضر مع علي حرب الخوارج وصفين ـ واقتصر ـ في حال انّ قيساً شهد معه مضافاً إلى ذلك وقعة الجمل كما سلف.

وذكر عثمان بن حنيف (ج ١ ص ١٧٩): واقتصر على وصفه بالعمل لعمر بن الخطاب ولم يذكر عمله لعلي على البصرة ولا حضوره معه مشاهد الجمل وما بعده في حال انّه كان كذلك، فهو تدليس منه والمؤرخ لا ينبغي له أن يكون مدلساً.

وقال (ج ١ ص ١٨٠) عندما ترجم لأبي سعيد الخدري: ورد المدائن في حياة حذيفة بن اليمان وبعد ذلك مع علي بن أبي طالب لما حارب الخوارج بالنهروان. وقال (ج ١ ص ١٨٢) عندما ترجم لأبي برزة الأسلمي: شهد مع رسول الله فتح مكة وحضر مع علي قتال الخوارج بالنهروان.

وقال (ج ١ ص ١٨٥) عندما ترجم لقرظة بن كعب الأنصاري: ورد المدائن في صحبة علي لما سار إلى صفين وكان على راية الأنصار يومئذ.

وقال (ج ١ ص ١٨٥) عندما ترجم لنافع بن عتبة بن أبي وقاص: حفظ عن رسول الله ويعد نافع فيمن نزل الكوفة من الصحابة وورد المدائن في صحبة علي لما سار إلى صفين.

وقال (ج ١ ص ١٨٦): عندما ترجم لأبي ليلى والد عبد الرحمن أسند عن رسول الله وكان خصيصاً بعلي وورد المدائن في صحبته وشهد صفين معه.

وقال (ج ١ ص ١٨٩) عندما ترجم لعدي بن حاتم: شهد مع علي الجمل وصفين والنهروان.

وقال (ج ١ ص ١٩٧) عندما ترجم لعمر بن أبي سلمة المخزومي: ربيب النبي ورد المدائن في صحبة علي لما سار إلى صفين.

وقال (ج ١ ص ١٩٦) عندما ترجم لهاشم بن عتبة المرقال: أسلم يوم فتح مكة وقتل بصفين مع علي بن أبي طالب.

وقال (ج ١ ص ١٩٦) عندما ترجم للأشعب بن قيس: كان على راية كندة يوم صفين مع علي وحضر قتال الخوارج بالنهروان.

وقال (ج ١ ص ١٩٧) عندما ترجم لوائل بن حجر الحضرمي الكندي: كان ملك قومه ووفد على النبي مسلماً فقربه وأدناه وبسط رداءه فأجلسه عليه ورد المدائن في صحبة علي بن أبي طالب حين خرج إلى صفين وكان على راية حضرموت يومئذ.

وقال (ج ١ ص ١٩٨) عندما ترجم لأبي الطفيل عامر بن واثلة: ورد المدائن في حياة حذيفة وبعد ذلك في صحبة علي بن أبي طالب ـ واقتصر ـ وهو تدليس فقد سلف انّه شهد مع علي حروبه.

وقال (ج ١ ص ١٩٩) عندما ترجم لأبي جحيفة السوائي : رأى النبي وروى عنه وشهد مع علي يوم النهروان ورد المدائن في صحبته ـ اقتصر ـ وهو قد شهد صفين كما سلف فهو تقصير منه .

وقال (ج ١ ص ٢٠٠) عندما ترجم لسليمان بن صرد الخزاعي : وورد المدائن وحضر صفين مع علي .

وقال (ج ١ ص ٢٠٣) عندما ترجم ليزيد بن نويرة الصحابي : ورد المدائن وقتل مع علي يوم النهروان .

وقال (ج ١ ص ٢٠٤) عندما ترجم لعبد الله ومحمّد ابني بديل بن ورقاء الخزاعي الصحابيين : وردا المدائن في عسكر علي حيث سار إلى صفين وقتلا بها ـ اهـ ما عن الخطيب ـ .

هذا ولا يخفى على الباحث من يستقص ما كتبه المصنفون عن حوادث صفين كنصر وابن ديزيل وأبي مخنف وغيرهم يقف على ذكر الأُلوف المتراصة من صحابة وتابعين وعباد ومقدسين وأشراف وأهل دين ؛ ولقد كنا في سعة عن هذا البسط في هذا الموضوع لكننا أحببنا أن نفضح جملة من المدلسين المتعصبين كابن كثير الشامي حيث يقول في كتابه (١) عند تعرضه لوقعة صفين تحت هذا العنوان قد تقدم ما رواه الامام أحمد عن اسماعيل عن أيّوب عن محمّد بن سيرين انّه قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرات الأُلوف فلم يحضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين ، وقال الامام أحمد : حدثنا امية بن خلد قال لشعبة ان أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً ، فقال : كذب أبو شيبة والله لقد ذاكرنا الحكم في

---

(١) البداية والنهاية : ج ٧ ص ٢٥٢ .

ذلك فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت وقد قيل انّه شهدها من أهل بدر سهل بن حنيف وكذا أبو أيّوب الأنصاري قاله شيخنا العلّامة ابن تيمية في كتاب الرد على الرافضة.

وأنت بعدما قرأت النموذج السابق عرفت جداً ما في هذه المباهتات من وقاحة وصلافة وتعمية لحوادث الكون الواقعة بلا ريب، وبمثل هذه التعصبات الباردة والأنانيات الممقوتة والتحيز السقيم خفتت نائرة الحق وانطمست أعلام الدين وانزوى رجال الله الأخيار وعباده الأبرار وتقدم الأرجاس وأهل البدع والضلالات ولو انّ الذين عرفوا هوية الحق كانوا في حزبه ومشوا في ركبه وعزز وا جانبه كما هو لازمهم ما استطاع معاوية أن يبارز عليّاً ولا وصلت نوبة الخلافة الدينية إلى ولده يزيد ولا استرذلت امارة المسلمين حتى وقعت في أحضان الحجاج بن يوسف ويوسف بن عمر وهلم دواليك ولما دفع آل الله عن حقهم اللازم ان من ناحية الدنيا بالسلطان العادل وان من ناحية الدين بالفضل الكامل، ولما اندك سلطانهم بسلطان يزيد بن معاوية وأضرابه ولا مقام علمهم وفضلهم بالتحديث عن النواصب والخوارج والمدلسين والوضاعين فترى البخاري يخرج لهؤلاء ولا يخرج لآل محمّد على ما عندهم من علم جم وفضل لا يحد ولا يحصر وقدسية بارعة قد شهد لهم بذاك وهذا العدو المخالف فضلاً عن المحب المؤالف.

وما يقول الإنسان في العصبيات التي تهيب بأصحابها إلى أن يتركوا كتاب الله وسنة الرسول لفتاوى مشايخهم وقد تقدم نموذج ذلك في الأبواب السالفة ومن ينطو على هذه الدخائل لا يستغرب منه اعراضه عن فضل علي وفضيلة آله الغر المشهود له ولهم بالفضائل العالية والقابليات القيمة والبضائع العظيمة والوزن والعيار. امّا هو عليه السلام فقد تقدم بعض القول في فضله وفضائله وامّا الحسنان فلهما

في العلم والفضل والقدس والورع وكافة أنواع الفضائل والمحاسن مقام عظيم وشأن كبير وقد أعرب عن ذلك في حقهما قبل كل انسان جدهما الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وتناصرت الأقوال والكلمات فيهما من أهل الفضل بما لا تأتي عليه هذه الموسوعة تتبعاً واستقصاءً.

أئمة أهل البيت عليهم السلام

وأمّا علي بن الحسين زين العابدين: فقد روى أبو نعيم[1] بسنده إلى صالح بن حسان قال: قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع من فلان، قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أحداً أورع منه. وبسنده إلى سفيان بن عيينة قال: قال الزهري: لم أر هاشمياً أفضل من علي بن الحسين. وبسنده إلى ابن أبي حازم قال: سمعت أبي حازماً يقول: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين.

وبسنده عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال: دخلنا على علي بن الحسين فقال: يا زهري فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا الصوم فأجمع رأيي ورأي أصحابي على انّه ليس من الصوم شيء واجب إلّا شهر رمضان، قال: يا زهري ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجهاً، عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان وعشرة منها حرام وأربعة عشرة خصلة صاحبها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر... وصوم النذر واجب وصوم الاعتكاف واجب، قال: قلت: فسرهن يا ابن رسول الله، قال: امّا الواجب فصوم شهر رمضان وصيام شهرين متتابعين، قال تعالى: ومن قتل مؤمناً خطئاً ـ الآية ـ وصيام ثلاثة أيّام في كفارة اليمين لمن لم يجد الاطعام، قال

(١) في الحلية: ج ٣ ص ١٤١.

الله عزوجل : ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ، وصيام حلق الرأس قال الله تعالى : فمن ـ كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ـ الآية ـ صاحبه بالخيار إن شاء صام ثلاثاً ، وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدي ، قال الله تعالى : فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ـ الآية ـ وصم جزاء الصيد ، قال الله عزوجل : ومن قتله متعمداً فجزاؤه مثل ما قتل من النعم ـ الآية ـ وإنّما يقوم ذلك الصيد قيمة ثمّ يفض ذلك الثمن على الحنطة . وامّا الذي صاحبه بالخيار فصوم يوم الاثنين والخميس وصوم ستة أيّام من شوال بعد رمضان ويوم عرفة ويوم عاشوراء كل ذلك صاحبه بالخيار إن شاء صام وان شاء أفطر . وامّا صوم الاذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلّا باذن زوجها وكذلك العبد والأمة . وامّا الصوم الحرام فصوم يوم الفطر ويوم الأضحى وأيّام التشريق ويوم الشك نهينا أن نصومه كرمضان وصوم الوصال حرام وصوم الصمت حرام وصوم نذر المعصية حرام وصوم الدهر حرام والضيف لا يصوم تطوعاً إلّا باذن صاحبه ، قال رسول الله ﷺ : من نزل على قوم فلا يصومن تطوعاً إلّا باذنهم . ويؤمر الصبي بالصوم إذا لم يراهق تأنيساً وليس بفرض ، وكذلك من أفطر لعلة من أوّل النهار ثمّ وجد قوة في بدنه أُمر بالامساك وذلك تأديب لله عزوجل وليس بفرض ، وكذلك المسافر إذا أكل من أوّل النهار ثمّ قدم أُمر بالامساك ، وامّا صوم الاباحة فمن أكل أو شرب ناسياً من غير عمد فقد أُبيح له ذلك وأجزأه عن صومه ، وامّا صوم المريض وصوم المسافر فإنّ العامة اختلفت فيه فقال بعضهم يصوم وقال قوم لا يصوم وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وامّا نحن فنقول : يفطر في الحالين جميعاً فإن صام في السفر والمرض فعليه القضاء ، قال الله عزوجل : فعدة من أيّام أُخر .

أقول : لولا انّ الناقل شوش ما نقله لكان عرض هذا الباب من الصوم وأحكامه من أحسن الصور الواردة في السنة .

وروى أيضاً بسنده إلى عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. وبسنده عن محمّد بن اسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل. وبسنده إلى محمّد بن زكريا قال: سمعت ابن عائشة يقول: قال أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات علي بن الحسين. وفي الحلية ترجمة مطولة لهذا الإمام (١).

وقد ترجم له ابن كثير (٢) فقال: وقال الواقدي: كان من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله وكان إذا مشى لا يخطر بيده وكان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً. وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم: لم يكن في أهل المدينة مثله. وقال طاووس: سمعته وهو ساجد عند الحجر يقول: عبيدك بفناءك سائلك بفنائك فقيرك بفناءك، قال طاووس: فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلّا كشف عني. ودخل علي بن الحسين على محمّد بن اسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أُسامة فقال له: ما يبكيك؟ قال: عليّ دين، قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، وفي رواية سبعة عشر ألف دينار، فقال: هي عليّ؛ إلى آخر ما ذكر، وقد طول ترجمته كأبي نعيم في الحلية.

وذكره الشعراني مبسوطاً (٣) وقال في حقه من جملة ما قال: خرج يوماً من

---

(١) راجع: ج ٣ من ص ١٣٣ إلى ص ١٤٥.

(٢) ج ٩ ص ١٠٣ من تاريخ البداية والنهاية.

(٣) في طبقاته: ج ١ ص ٣٠.

المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ في سبه، فبادرت إليه العبيد والموالي فكفهم عنه وقال: مهلاً على الرجل، ثمّ أقبل عليه فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها، فاستحيى الرجل، فألقى إليه خميصته التي عليه وأمر له بعطاء فوق ألف درهم، فقال الرجل: أشهد أنّك من أولاد الرسول ـ اهـ.

والحديث في هذا الرباني العظيم والامام المقدس الجليل مستوفر ذو شعب وقد ذكره مآت المؤلفين غير من أسلفنا ذكره.

وامّا محمّد بن علي الباقر: فروى أبو نعيم [١] فيما رواه من فضله بسنده إلى عبد الله بن عطاء قال: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلم. وأطال في نعته وفضله وفضائله فراجع ما بين ص ١٨٠ و ص ١٩٢ من ج ٣ من حليته.

وذكره ابن كثير [٢] فقال: محمّد بن علي بن الحسين بن علي أبو جعفر الباقر وهو تابعي جليل كبير القدر كثيراً أحد أعلام هذه الأُمّة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً، وقد روى عنه غير واحد من الصحابة وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم، فممن روى عنه ابن جعفر الصادق والحكم بن عتيبة وربيعة والأعمش وأبو اسحاق السبيعي والأوزاعي والأعرج وهو أسن منه، وابن جريح وعطاء وعمرو بن دينار والزهري، وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال: حدثني أبي وكان خير محمدي يومئذ على وجه الأرض، وقال العجلي: هو مدني تابعي ثقة، وقال محمّد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث. ثمّ قال: وسمي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم... إلى آخر ما قال.

---

(١) في الحلية: ج ٣ ص ١٨٦.

(٢) ج ٩ ص ٣٠٩ وما بعدها من البداية والنهاية.

وقال الشعراني [١] عندما ترجم له: قال النووي: سمي الباقر لأنّه بقر العلم، أي شقّه فعرف أصله وعرف خفيه، وذكر من جملة أقواله قوله: بئس الأخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً، وما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج وكان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتني.

وقال ابن خلكان في وفياته عندما ترجم له في باب المحمدين: كان الباقر عالماً سيداً كبيراً وإنّما قيل له الباقر لأنّه تبقر في العلم أي توسع والتبقر التوسع وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبّى على الأجبل

وله ذكر في مئات من كتب التراجم بأعلا تقريظ وأبلغ توصيف وتشريف.

وأمّا أبو عبد الله الصادق عليه السلام: فروى أبو نعيم [٢] فيما رواه من فضله بسنده إلى عمرو بن المقدام قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت انّه من سلالة النبيين. وعن ابن بسطام قال: كان جعفر بن محمّد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء. وسئل جعفر بن محمّد لم حرّم الله الربا؟ قال: لئلا يتمانع الناس المعروف. وقال: الفقهاء أُمناء الرسل فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم. وبسنده إلى الفضل بن غسان عن أبيه عن شيخ من أهل المدينة قال: كان من دعاء جعفر بن محمّد: اللهم أعزني بطاعتك ولا تخزني بمعصيتك اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقه بما وسعت علي من فضلك. قال أبو معاوية: يعني غساناً فحدثت بذلك سعيد بن سلم فقال: هذا دعاء الأشراف.

(١) في الطبقات: ج ١ ص ٣١.

(٢) في الحلية: ج ٢ ص ١٩٢.

وروى بسنده عن عمرو بن جميع قال: دخلت على جعفر بن محمّد أنا وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، وعن عبد الله بن شبرمة قال: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمّد فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين، قال: لعله يقيس أمر الدين برأيه؟ قال: نعم، قال: فقال جعفر لأبي حنيفة: ما اسمك؟ قال: نعمان، قال: يا نعمان هل قست رأسك بعد؟ قال: كيف أقيس رأسي؟ قال: ما أراك تحسن شيئاً، هل علمت ما الملوحة في العينين والمرارة في الأُذنين والحرارة في المنخرين والعذوبة في الشفتين؟ قال: لا، قال: ما أراك تحسن شيئاً، قال: فهل علمت كلمة أوّلها كفر وآخرها ايمان؟ فقال ابن أبي ليلى: يا ابن رسول الله أخبرنا بهذه الأشياء التي سألته عنها، فقال: أخبرني أبي عن جدي انّ رسول الله قال: انّ الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنّهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا، وانّ الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأُذنين حجاباً من الدواب فإن دخلت الرأس دابة والتمست إلى الدماغ طريقاً وذاقت المرارة التمست الخروج، وانّ الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين ليستنشق الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ وجعل العذوبة في الشفتين ليحصل بها استطعام كل شيء وإذا قال العبد لا إله فقد كفر فإذا قال إلّا الله فهو ايمان، ثمّ أقبل على أبي حنيفة فقال: يا نعمان حدثني أبي عن جدي انّ رسول الله قال: أوّل من قاس أمر الدين برأيه ابليس، قال الله له اسجد لآدم فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بابليس لأنّه اتبعه بالقياس.

ثمّ قال أبو جعفر: أيّهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس، قال فإنّ الله تعالى قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلّا أربعة، ثمّ قال: أيّهما

أعظم الصلاة أم الصوم ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ، فكيف ويحك يقوم لك قياسك ، اتق الله ولا تقس الدين برأيك .

وعن عمرو بن المقدام الرازي قال : وقع الذباب على المنصور فذبه عنه فعاد فذبه عنه حتى أضجره فدخل جعفر بن محمّد عليه فقال له المنصور : يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليذل به الجبابرة .

قال : وروى عن جعفر عدة من التابعين منهم يحيى بن سعيد الأنصاري وأيّوب السختياني وأبان بن تغلب وأبو عمرو بن العلاء ويزيد بن عبد الله بن الهاد وحدث عنه من الأئمّة الأعلام مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وابن جريج وروح بن القاسم وسفيان بن عيينة وسليمان بن بلال واسماعيل بن جعفر وحاتم بن اسماعيل وعبد العزيز بن المختار ووهب بن خالد وابراهيم بن طهمان في آخرين ، وأطال أبو نعيم ترجمته في الحلية .

وقال في شذرات الذهب عند تعرضه لسنة (١٤٨) : فيها توفي الامام سلالة النبوة أبو عبد الله جعفر الصادق ، وكان سيد بني هاشم في زمنه وقد ألّف تلميذه جابر بن حيان كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائله ، وسأل أبا حنيفة عن محرم كسر رباعية ظبي فقال : لا أعرف جوابها ، فقال : أما تعلم انّ الظبي لا تكون له رباعية .

وقال ابن خلكان : في ترجمته من وفياته : كان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر . وقال ابن الصباغ في الفصل السادس من الفصول المهمة : نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث . وقال المفيد في الارشاد : انّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة

آلاف رجل. وقد ترجم له نوع من كتب في الرجال باكرام وإكبار.

وأمّا الكاظم موسى بن جعفر: فقد قال الخطيب عندما ترجم له [١]: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، روى أصحابنا انّه دخل مسجد رسول الله فسجد سجدة في أوّل الليل وسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب من عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة فجعل يرددها حتى أصبح وكان سخياً كريماً وكان يبلغه عن الرجل انّه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار، وكان يصر الصرر ثلاث مئة دينار وأربعمائة دينار ومأتي دينار ثمّ يقسمها بالمدينة. وأطال الخطيب ترجمته.

وقال ابن كثير [٢]: كان كثير العبادة والمروءة إذا بلغه عن أحد انّه يؤذيه أرسل إليه بالذهب والتحف وأهدى له مرة عبد عصيدة فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار وأعتقه ووهب المزرعة له. واستدعاه المهدي إلى بغداد فحبسه فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب وهو يقول له: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ فاستيقظ مذعوراً وأمر به فأُخرج من السجن.

وقال في شذرات الذهب عند تعرضه لسنة (١٨٣): وفيها السيد الجليل أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، قال أبو حاتم: ثقة امام من ائمة المسلمين، وقال غيره: كان صالحاً عابداً جواداً كريماً كبير القدر ـ إلى أن يقول ـ ثمّ حبسه هارون الرشيد في دولته ومات في حبسه.

ومن كتاب الصفوة لابن الجوزي قال: بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من

---

(١) في تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ٢٧.

(٢) ج ١٠ ص ١٨٣ من تاريخه البداية والنهاية.

الحبس برسالة كتب إليه فيها: ان لن ينقضي عني يوم من البلاء إلّا انقضى معه عنك يوم من الرخاء حتى نمضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء وهناك يخسر المبطلون. وقد ترجم له كل من كتب عن أئمة الإسلام.

وأمّا الرضا علي بن موسى: فذكر ابن الصباغ في الفصول المهمة عندما ترجم له قال: قال ابراهيم بن العباس: سمعت العباس يقول: ما سئل الرضا عن شيء إلّا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي وكان قليل النوم كثير الصوم لا يفوته صيام ثلاثة أيّام في كل شهر ويقول: ذلك صيام الدهر وكان كثير المعروف والصدقة سراً وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة.

قال ابراهيم بن العباس: سمعت الرضا يقول وقد سأله رجل أيكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال: هو أعدل من ذلك، قال: فيقدرون على فعل كل ما يريدون؟ قال: هم أعجز من ذلك. وقال صاحب كتاب نثر الدرر: سأل الفضل بن سهل علي بن موسى الرضا في مجلس المأمون فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبورون؟ قال: انّ الله أعدل من أن يجبر ثمّ يعذب، قال: فمطلقون؟ قال: الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه.

وقال ابن خلكان في جملة ما قال عندما ترجم له في وفياته: وكان المأمون زوجه ابنته ام حبيب في سنة اثنتين ومأتين وجعله ولي عهده وضرب اسمه على الدينار والدرهم وكان السبب في ذلك انّه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء وهو بمدينة مرو فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين الكبار والصغار واستدعى عليّاً المذكور فأنزله أحسن منزلة وجمع له خواص الأولياء وأخبرهم انّه نظر إلى أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا فبايع له بولاية عهده وأمر بازالة السواد من

اللباس والأعلام ولبس الخضرة ـ إلى أن يقول ـ وفيه يقول أبو نؤاس:

قيل لي أنت أحسن الناس طراً ... في فنون من المقال النبيه
لك من جيد القريض مديح ... يثمر الدر في يدي مجتنيه
فلماذا تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه
قلتُ لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه

وكان سبب قوله هذه الأبيات انّ بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك ما تركت خمراً ولا طرباً ولا معنى إلّا قلت فيه شيئاً وهذا علي بن موسى في عصرك لم تقل فيه شيئاً فقال: والله ما تركت ذلك إلّا اعظاماً له وليس قدر مثلي أن يقول في مثله ثمّ أنشد بعد ساعة هذه الأبيات وفيه يقول أيضاً:

مطهرون نقيات جيوبهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه ... فما له في قديم الدهر مفتخر
الله لما برا خلقاً فأتقنهم ... صفاكم واصطفاكم أيّها البشر
فأنتم الملاء الأعلى وعندكم ... علمْ الكتاب وما جاءت به السور

إلى آخر ما ذكر.

وأمّا الجواد محمّد بن علي: فهو على صغر سنه كان آية في علمه وفضله وفضائله، ذكر المفيد في الارشاد كما ذكر غيره انّ جماعة من العباسيين أحبوا اختبار محمّد بن علي ووظفوا لسؤاله يحيى بن أكثم قاض القضاة يومذاك فتصدى له ابن أكثم فقال له: جعلت فداك ما تقول في محرم قتل صيداً؟ فقال له أبو جعفر: قتله في حل أو في حرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً أم خطئاً؟ حرّاً كان المحرم أم عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالفعل أم معيداً؟

من الطير كان الصيد أو من غيره ؟ من صغار الصيد كان أو من كباره ؟ مصراً على ما فعل أو نادماً ؟ محرماً كان بالعمرة أو بالحج ؟ فتحير ابن أكثم وبانَ في وجهه العجز والانقطاع وكان ذلك في حضرة المأمون .

فقال المأمون لأبي جعفر : إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده ، فقال أبو جعفر : نعم ان المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من الطيور وكان من كبارها فعليه شاة فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة وإن كان نعامة فعليه بدنة وإن كان ظبياً فعليه شاة فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان احرامه بالحج نحره بمنى وإن كان احرامه بالعمرة نحره بمكة وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمد عليه الإثم وهو موضوع عنه في الخطأ والكفارة على الحر في نفسه وعلى السيد في عبده والصغير لا كفارة عليه وهي على الكبير واجبة والنادم يسقط عنه عقاب الآخرة والمصر يجب عليه العقاب فيها ، فقال له المأمون : أحسنت ، فإن رأيت أن تأسل يحيى عن مسألة كما سألك ، فقال أبو جعفر ليحيى : أسألك قال : ذلك اليك ، فقال أبو جعفر : أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار فكان نظره اليها حراماً عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل وقت العشاء الآخر حلت له فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له ما حال هذه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه ؟ فقال له يحيى بن أكثم لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال فإن رأيت أن تفيدناه ، فقال أبو جعفر : هذه أمة لرجل من الناس نظر

اليها أجنبي في أوّل النهار فكان نظره اليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلت له، فلما كان في نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له. فأكبره المأمون والحاضرون.

وأمّا الهادي علي بن محمّد: فهو منقطع النظير في العلم والفضل وجهات المحاسن، ذكره غير واحد ممن كتب عن ائمة الإسلام فقال ابن خلكان عندما ترجم له في وفياته: كان قد سُعي به إلى المتوكل وقيل انّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه انّه يطلب الأمر لنفسه، فوجه إليه بعدة من الأتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن الكريم في الوعد والوعيد وليس بينه وبين الأرض بساط إلّا الرمل والحصا، فأُخذ على الصورة التي وجد عليها وحمل إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه ولا حجة يتعلل بها عليه فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيده فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني منه، فأعفاه، وقال: أنشدني شعراً استحسنه، فقال: اني قليل الرواية في الشعر، فقال: لابد أن تنشدني شيئاً، فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرّة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فأشفق من حضر على علي وظن انّ بادرة تبدر إليه فبكى المتوكل بكاء طويلاً حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره وأمر برفع الشراب ـ اهـ ـ وقال في الشذرات: كان فقيهاً اماماً متعبداً إلى آخر ما قال:

وأمّا الحسن بن علي: فروى المفيد في الارشاد عن الحسن بن محمّد الأشعري ومحمّد بن يحيى وغيرهما قالوا: كان أحمد بن عبيد الله بن الخاقان على الضياع والخراج بقم فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت فقال: ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمّد بن علي الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة وتقديمهم ايّاه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء وعامة الناس، فأذكر اني كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل حجابه فقالوا: أبو محمّد ابن الرضا بالباب فقال بصوت عال: ائذنوا له، فتعجبت مما سمعت منهم ومن جسارتهم أن يكنوا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يكنى عنده إلّا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكنى، فدخل رجل أسمر حسن القامة جميل الوجه جيد البدن حديث السن له جلالة وهيئة حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطاً، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه

وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه ...

ـإلى أن يقول ـ قلت: يا أبة من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الاجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا، ثمّ سكت ساعة وأنا ساكت ثمّ قال: يا بني لو زالت الامامة عن بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلا نبيلاً فاضلاً فازددت قلقاً وتفكراً وغيظاً على أبي وما سمعته منه فيه ورأيت من فعله به فلم تكن لي همة بعد ذلك إلّا السؤال عن خبره والبحث عن أمره فما سألت أحداً من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلّا وجدته عندهم في غاية الاجلال والاعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلّا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه، إلى آخر ما ذكر.

وأمّا المهدي محمّد بن الحسن: فالكلام في نشأته وغيبته ونوابه عريض، والبحث عنه طويل، والقول فيه مديد، وقد اُلّفت فيه كتب خاصة واُفردت في شأنه موسوعات ضخمة.

وإلى هنا نقف بالقلم عن جريه ونحمد الله سبحانه على مزيد عنايته ونسأله التوفيق لما نستقبل من عمل وهو ولي الاُمور وبه الاستعانة.

❊ ❊ ❊

شرح ما يتعلق
بمبحث الإمامة والمعاد من الباب الحادي عشر

(قال الفصل السادس في الامامة وفيه) أي في هذا الفصل **(مباحث)** المبحث **(الأوّل الامامة)** هي **(رياسة عامة)** على عموم المكلفين **(في امور الدين)** بالحفظ لها عن التحوير والتطوير وتبيين ما أستبهم منها وتوضيح ما استغلق والاصحار بما خفي **(و)** امور **(الدنيا)** بحفظ نظام النوع والمشي بالجامعة على أعدل جادة من كافة حيثيات الحياة **(لشخص من الأشخاص)** باختيار من الله **(نيابة عن النبي وهي واجبة)** على الله تشريعاً وعلى المكلفين قبولاً وخضوعاً **(عقلاً)** وسمعاً **(لأنّ الامامة لطف فانا نعلم قطعاً ان الناس إذا كان لهم رئيس مرشد مطاع ينتصف للمظلوم)** فيهم **(من الظالم)** منهم **(ويردع الظالم عن ظلمه كانوا إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد)** وبالخير من جميع وجوهه الصق **(وقد تقدم انّ اللطف)** بالعباد **(واجب)** عليّاً لمعبود .

(أقول هذا البحث وهو بحث الامامة من توابع النبوة وفروعها) لأنّها نسخة مصغرة منها والملاك الذي وجبت به النبوة بنفسه موجود في عنوان الامامة ولا تختلف الامامة عن النبوة إلّا في نقطة واحدة تختص بالنبي كما سيجيء **(والامامة رياسة عامة في امور الدين والدنيا لشخص انساني)** لأنّ المنظور بالنبوة والامامة هو نوع الإنسان من بين سائر أنواع الموجودات **(فالرياسة)** المأخوذة في التعريف **(جنس قريب والجنس البعيد هو النسبة)** أي نسبة موجود لموجود في ان مكان هذا من ذاك ما هو فيقال مثلاً : هذا رئيس ذاك وذاك مرؤوسه . **(وكونها عامة فصل يفصلها عن ولاية القضاء والنواب)** والعمال فإنّ محيط رياستهم محدود بمحدودية أشغالهم من قضاء وعمل وما إلى ذلك **(وفي**

امور الدين والدنيا بيان لمتعلقها) أي متعلق الامامة (**فإنّها كما تكون في الدين فكذا في الدنيا**) بالمعنى الذي أسلفناه (**وكونها**) منسوبة (**لشخص انساني فيه اشارة إلى أمرين أحدهما انّ**) التعبير المذكور يعطي معنى العهد في انّ (**مستحقها**) لا (**يكون**) إلّا (**شخصاً معيناً معهوداً من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق ، وثانيهما**) ان التعبير بالفردية فيه حيث قال لشخص انساني يعطى (**انّه لا يجوز أن يكون مستحقها أكثر من واحد في عصر واحد**) وذلك لأنّ المستهدف بها أمر لا يجوز في معناه التكثر والتقسيط ولقيام الامام الواحد بجميع ما يراد له فتصوير امامين أو ائمة متعددين تصوير مخذول في حدّ ذاته .

(**وزاد بعض الفضلاء في التعريف**) أي تعريف الامامة (**بحق الاصالة وقال في تعريفها الامامة رياسة عامة في امور الدين والدنيا لشخص انساني بحق الأصالة واحترز بهذا**) القيد الذي أضافه (**عن نائب يفوض إليه الامام عموم الولاية فإنّ رياسته عامة لكن ليست بالأصالة**) ولذلك لا يقال له امام (**والحق ان ذلك**) الذي احترز عنه (**يخرج بقيد العموم**) ولا يحتاج إلى القيد الذي ادعاه الفاضل المذكور (**فإنّ النائب المذكور**) ومهما فرض عموم رياسته (**لا رياسة له على امامه**) الذي استنابه (**فلا تكون رياسته عامة**) على الإطلاق (**ومع ذلك**) الذي بيناه وقلنا انّه لا وقع للقيد المذكور (**فالتعريف**) بالضميمة المذكورة نراه (**ينطبق على النبوة**) لأنّ النبوة لا يزيد تعريفها على أن يقال فيها هي رياسة عامة في امور الدين والدنيا لشخص انساني بحق الأصالة (**فحينئذ**) يلزم أن (**يزاد فيه**) أي في تعريف الامامة (**بحق النيابة عن النبي أو بواسطة بشر**) افرازاً لتعريف الامامة عن تعريف النبوة .

(**إذا عرفت هذا فاعلم انّ الناس اختلفوا في الامامة هل هي واجبة أم لا فقالت الخوارج ليست بواجبة مطلقاً**) لا على الله ولا على الناس (**وقالت**

الأشاعرة والمعتزلة بوجوبها على الخلق) وان من وظيفة الناس انتخابهم لمن يؤمهم (**ثمّ اختلفوا**) فيما بينهم (**فقالت الأشاعرة ذلك معلوماً سمعاً**) أي وارد في الآثار وان الناس هم الذين يختارون لأنفسهم (**وقالت المعتزلة**) بوجوبها (**عقلاً**) عليهم وان السمع لم يدل على ذلك (**وقال أصحابنا الامامية هي واجبة عقلاً**) والسمع يدعمه ويؤيده (**على الله تعالى**) لطفاً بالعباد.

(و) هذا (**هو الحق والدليل على حقيته هو ان الامامة لطف**) واضح في تحصين العباد وصونهم (**وكل لطف**) يكون للناس بالملاك المذكور (**واجب على الله فالامامة واجبة على الله تعالى امّا الكبرى**) وهي كون اللطف واجباً على الله (**فقد تقدم بيانها**) والاستدلال عليها (**وامّا الصغرى**) وهي كون الامامة لطفاً (**فهو انّ اللطف كما عرفت ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية وهذا المعنى**) وهو التقريب من طاعة الله والتبعيد عن معصيته (**حاصل في الامامة وبيان ذلك ان من عرف عوائد الدهماء**) أي عرف عادات المشهورين من أبناء الدنيا الذين لا يبالون بالسنن الصحيحة والأخلاق المرضية المتهجمين على حقوق الاغيار لأقل طمع يكون لهم فيها وهذه الكلمة تنطبق على جميع من يطلب الرياسة لنفسه والترفع بها على الوسط الذي يعيش فيه والتمتع بأتعاب الناس من غير حق (**وجرب قواعد السياسة**) الدارجة فيما بين أهلها الفاقدة لكل خير الواجدة لكل شر (**علم ضرورة ان الناس إذا كان لهم رئيس مطاع مرشد فيما بينهم يردع الظالم عن ظلمه والباغي عن بغيه وينتصف للمظلوم من ظالمه ومع ذلك يحملهم على القواعد العقلية والوظائف الدينية ويردعهم عن المفاسد الموجبة لاختلال النظام في امور معاشهم وعن القبائح الموجبة للوبال في معادهم بحيث يخاف كل**) واحد منهم (**مؤاخذته على ذلك كانوا مع ذلك**) الذي بيناه من وجود المرشد بالوصف المذكور (**إلى الصلاح أقرب ومن**

الفساد أبعد ولا نعني باللطف إلّا ذلك) وهذا التصوير من صغار التصويرات لشؤون الامامة .

(**فتكون الامامة**) حينئذ (**لطفاً**) واجباً على الله في عباده (**وهو المطلوب**) من دعوى وجوبها العقلي على الله سبحانه (**واعلم انّ كل ما دلّ على وجوب النبوة فهو دال**) بملاكه (**على وجوب الامامة**) لاتحاد الملاك فيهما (**إذ الامامة خلافة عن النبوة قائمة مقامها إلّا في تلقي الوحي الالهي بلا واسطة**) بشر فإنّ هذه الخاصة من خصوصيات النبوة (**وكما ان تلك**) وهي النبوة (**واجبة على الله تعالى في الحكمة**) العقلية الناظرة لشؤون العباد وما هو لازمهم على خالقهم (**فكذا هذه**) وهي الامامة إذ الحكمة العقلية في هذه وتلك سواء (**وامّا الذين قالوا بوجوبها على الخلق**) دون الخالق (**فقالوا يجب عليهم نصب الرئيس لدفع الضرر من أنفسهم**) وعنها (**ودفع الضرر واجب**) فيجب ما يقوم به .

(**قلنا**) في الجواب عن حجتهم (**لا نزاع في كونها**) أي الامامة (**رافعة للضرر**) المزبور (**و**) هكذا لا نزاع في (**كونها واجبة**) بأصل الوجوب (**وإنّما النزاع في تفويض ذلك**) وهو النصب والمنصوب (**إلى الخلق لما في ذلك من الاختلاف الواقع**) بينهم حسب اختلاف ميولهم وبواعثهم النفسية وما لبعضهم مع بعض من حب شديد أو بغض زائد أو حزازات سابقة أو ارتباطات مرموزة ولا يخلو انسان عن واحدة من هذه الحالات والاندفاع بها حتماً إلّا من قتل شهوته بالرياضة وميوله النفسية بالدين الثابت وهذا أعز من كل عزيز يفرض والشهود المحسوس أكبر برهان على ذلك (**في تعيين الأئمّة فيؤدي إلى الضرر المطلوب زواله**) بها ، إذاً فالاحالة بتعيين الأئمّة إلى الناس تكون من مصاديق القضايا التي يلزم من وجودها عدمها وذلك من أشد المحالات تصلباً في الامتناع .

(**وأيضاً اشتراط العصمة**) في الامام (**ووجوب النص**) عليه بالامامة (**يدفع ذلك**) الذي ارتأوه (**كله**) كما سيجيء.

(**قال الثاني**) من المباحث (**يجب أن يكون الامام معصوماً وإلّا تسلسل**) بالتعليل الآتي وذلك (**لأنّ الحاجة الداعية إلى الامام هي ردع الظالم عن ظلمه والانتصاف للمظلوم منه فلو جاز أن يكون**) الامام (**غير معصوم**) وصح فيه تصوير ارتكاب المظالم كما يصح تصوير ذلك في أفراد الناس (**لافتقر إلى امام آخر**) يقيمه على الجادة إذا انحرف (**ويتسلسل وهو**) أي التسلسل في نفسه (**محال ولأنّه لو فعل المعصية فإن وجب الانكار عليه**) بملاك وجوب انكار المنكر والأمر بالمعروف (**سقط محله من القلوب وانتفت فائدة نصبه**) لأنّه لا يستطيع حينئذ أن يؤثر بسيره وسيرته ما هو الداعي لنصبه اماماً (**وان لم يجب**) انكار المنكر عليه حين يرتكبه (**سقط**) أصل (**وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو محال**) الفرض في الشريعة لأنّه من ضرورياتها (**ولأنّه حافظ للشرع**) فضلاً عن مرحلة اجراءه له (**فلابد من عصمته ليؤمن من الزيادة والنقصان**) من جهته فيدعى فيما هو ليس من الشرع انّه له ولما هو منه انّه ليس فيه وفي ذلك من الخطر الديني ما تندثر به أصل النبوة.

ونحن في تكلمنا على الفصول التي عقدناها للمشايخ الثلاثة قد أثبتنا تلاعبهم في هذه النواحي وما حصل في الأُمّة المسلمة من نتائج هذا التلاعب.

(**ولقوله تعالى: لا ينال عهدي الظالمين**) وغير المعصوم ظالم في الأكثر وحد الأقل لنفسه، والعاري عن العصمة لا تخضع له النفس ومهما وصف بالقدسية وهو من الأُمور الوجدانية لعامة الناس.

(**أقول لما ثبت وجوب الامامة**) في البحث السابق (**شرع في بيان الصفات التي هي شرط في صحة الامامة فمنها العصمة وقد عرفت معناها**) في بحث

النبوة فإنّ العصمة اللازمة الحصول في النبي وفي الامام واحدة في ملاكها وفيما يراد بها (**واختلف**) الناس (**في اشتراطها في الامام فاشترطها أصحابنا الاثنا عشرية والاسماعيلية خلافاً لباقي الفرق واستدل المصنف على مذهب أصحابنا بوجوه : الأوّل انّه لو لم يكن الامام معصوماً لزم عدم تناهي الأئمّة واللازم**) وهو عدم تناهيهم (**باطل فالملزوم**) وهو عدم اشتراط العصمة فيه (**مثله**) في البطلان . وجهة بطلان اللازم هو عدم تحقق امام بالصفة الداعية لنصبه في الخارج أصلاً لا مشى السلسلة إلى ما لا نهاية له ففضلاً عن بطلان اصل التسلسل لا يحصل بأيدينا امام تستفيد منه الجامعة ما هو المطلوب لها كما هو واضح .

(**بيان الملازمة**) بين عدم تناهي الأئمّة وعدم اشتراط العصمة في الامام (**انا قد بينا انّ العلة المحوجة إلى الامام هي ردع الظالم عن ظلمه والانتصاف للمظلوم منه**) بحكومته العادلة (**وحمل الرعية على ما فيه مصالحهم وردعهم عما فيه مفاسدهم**) بعلمه النافذ وعمله الصارم المطابق للحق (**فلو كان هو غير معصوم افتقر إلى امام آخر يردعه عن خطأه ونتقل الكلام إلى الآخر ويلزم عدم تناهي الأئمّة وهو باطل**) بالبيان الذي أسلفناه .

(**الثاني**) ان الامام (**لو لم يكن معصوماً لجازت المعصية عليه**) جوازاً عادياً يشفعه الوقوع في الخارج في الأعم الأغلب (**ولنفرض وقوعها**) لأنّ الفاقد لملكة الشيء يكون فرض التخلف فيه عنه فرضاً سهلاً تسيغه العقول والعقلاء بدون تأمل (**وحينئذ يلزم**) واحد من أمرين حتماً (**امّا انتفاء فائدة نصبه**) وقد بينا ان الداعي له هو حفظ كيان الجامعة من كل انحراف كما أسلفناه (**أو سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واللازم بقسميه**) المزبورين (**باطل**) فاننا لا نريد من الامام أن يكون وجوداً شاخصاً لا خير فيه كما ان

سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اسقاط للعقل ولضرورة الشرع فلا يجوز.

(**بيان اللزوم**) في الملازمة المذكورة (**انّه إذا وقعت المعصية عنه فاما أن يجب الانكار عليه**) لمكان ارتكابه المنكر (**أو لا**) يجب (**فمن الأوّل**) وهو وجوب انكار المنكر عليه (**يلزم سقوط محله من القلوب**) وقد كان من الضروري سمو محله في البصائر والأبصار حتى تخضع له بسائق الوجدان قبل أن تخضعها قوة السلطان (**وان يكون مأموراً**) لمأموميه (**بعد أن كان**) بمقتضى امامته (**آمراً**) على الناس (**ومنهياً بعد أن كان ناهياً وحينئذ تنتفي الفائدة المطلوبة من نصبه**) فينتفي عنوان امامته بانتفائها.

(**و**) الفائدة المومأ اليها (**هي تعظيم محله في القلوب والانقياد لأمره ونهيه ومن الثاني**) وهو عدم وجوب انكار المنكر عليه لو ارتكبه (**يلزم عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) رأساً (**وهو باطل اجماعاً**) من المسلمين بل من العقلاء كافة (**الثالث انّه حافظ للشرع**) عن التحريف بجميع معانيه (**وكل من كان كذلك وجب أن يكون معصوماً**) لتأمن القلوب بضرس قاطع من ناحيته (**امّا الأوّل**) وهو كونه حافظاً للشرع (**فلان الحافظ للشرع امّا الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع أو البراءة الأصلية أو القياس أو خبر الواحد أو الاستصحاب**) وقد اشتبه الشارح في عده لهذه الأُمور في صف حفظة الشرع وليست هي إلّا مدارك للشرع ومنها تستنبط أحكام الشريعة والحافظ للشرع هو الإنسان القائم عليه وأي ربط لهذا بذاك (**فكل واحد من هذه**) المذكورات (**غير صالح للمحافظة**) إذ ليس من شأنه أن يكون حافظاً وإنّما شأنه أن يكون محفوظاً بغيره.

(**امّا الكتاب والسنة**) النبوية الواردة من طريق الصحابة (**فلكونهما غير**

وافيين بكل الأحكام) الشرعية بواضح الضرورة **(مع انّ لله تعالى في كل واقعة حكماً)** لتلك الواقعة فـ **(يجب تحصيله)** على المكلف المبتلى بواقعة لا يوجد مالها من حكم في الكتاب والسنة النبوية .

(وامّا الإجماع فلوجهين الأوّل تعذره في أكثر الوقـائع) لأنّه ليس في كـل واقعة اجماع يتكفل حكمها فإنّ المسائل الاجماعية محدودة معروفة **(مع ان الله فيها)** أي في كافة الوقائع **(حكماً الثاني انّه على تقدير عدم المعصوم لا يكون الإجماع حجة)** لأنّ اتفاق آراء المكلفين على شيء لا يتناول الحكم الواقعي له لانستار الواقع على الآراء والرأي المجرد للمكلف بما هو لا قيمة له في الشـرع المأخوذ فيه حكم الله لا حكم غيره **(فيكون الإجماع غير مفيد لجـواز الخـطأ على)** رأي **(كل واحد منهم ولجواز الخطأ على رأي الكل أشار تعالى بـقوله : أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)** والخطاب بصريحه مواجه لكافة الأُمّة المعاصرة لمحمد ﷺ .

(وقال ﷺ **لا ترجعوا بعدي كـفاراً)** وهذا مثل ذاك في مواجـهته لـلعموم **(فإنّ هذا الخطاب)** انقلبتم على أعقابكم ، لا ترجعوا بعدي كفاراً **(لا يـوجه إلّا إلى من يجوز عليه الخطأ)** عقلاً ولا يستحيل في حقه **(قـطعاً إذ لا)** يـصح أن **(يقال للانسان لا تطر لعدم جواز ذلك عـليه)** عـقلاً لفـقدان الوسـائل المـعدة للطيران فيه وقبح خطابه بذلك **(قطعاً)** من كل أحـد **(وامّـا)** عـملية **(البـراءة الأصلية)** في كل مقام يجهل حكمه من الشرع **(فلانه يلزم مـنها ارتـفاع أكـثر الأحكام الشرعية)** لكثرة الجهل فيها وعدم وصول علم المكلف اليها **(إذ يقال)** في مقام الجهل بالحكم **(الأصل براءة الذمة من وجوب)** هذا **(أو حـرمة)** ذاك مثلاً للشك في حكمه .

(وامّا الثلاثة الباقية) وهي القياس وخبر الواحد والاستصحاب **(فتشترك في**

افادتها الظن) المجرد **(والظن لا يغني عن الحق شيئاً خصوصاً والدليل قائم في منع القياس)** وان دين الله لا يصاب بالعقول **(وذلك لأنّ مبنى شرعنا)** وهو الإسلام **(على اختلاف المتفقات كوجوب الصوم)** في **(آخر)** يوم من **(شهر رمضان وتحريمه)** في **(أوّل شوال)** في حال انّ هذين اليومين متلاصقان متحدان تقريباً فكان يلزم حد الأقل من طريق اعتبارات العقول أن لا يناقض بين حكميهما **(واتفاق المختلفات كوجوب الوضوء من البول والغائط)** والنوم وسائر نواقضه وموجباته في حال انها ليست من واد واحد بل هي اسباب متشتتة ومع ذلك جعلها الشرع ترمي إلى هدف واحد **(واتفاق القتل خطئاً والظهار في الكفارة)** في حال انّه لا ربط للقتل بالظهار **(هذا مع ان الشارع قطع يد سارق القليل دون غاصب الكثير)** في حال ان السرقة تساوق الغصب في كونهما أخذ مال الغير من دون اذنه ولا تجويزه **(وجلد بقذف الزنا واوجب فيه)** أي في الزنا نفسه **(أربع شهادات)** حد الأقل **(دون الكفر)** فلا يجلد القاذف به ولا يحتاج اثباته إلى أربع شهادات **(و)** ثبوت **(ذلك كله)** في الشريعة **(ينافي القياس وقد قال رسول الله ﷺ تعمل هذه الأمّة برهة بالكتاب وبرهة بالسنة وبرهة بالقياس فإذا فعلوا ذلك فقد ضلّوا)** في أنفسهم **(وأضلوا)** غيرهم.

(فلم يبق أن يكون الحافظ للشرع إلّا الامام) امّا مباشرة مع وجوده أو بالحديث الجامع لصفات الاعتبار عنه، فإن قلت: قد أبطل الشارح فيما سلف حجّية خبر الواحد بجعله ظناً وان الظن لا يغني عن الحق شيئاً، قلنا: ذلك على اطلاقه ليس بصحيح كما ان مثبت الحجّية له مطلقاً مفند نعم هو بالوصف الذي آنفناه في بحوث هذا القسم من هذه السلسلة لابد من اعتباره وليلعم انّ السنة النبوية حتى على القول بحجية خبر الواحد مطلقاً لا تقوم بطرف مما هو محل حاجة المكلفين من الأحكام الشرعية ولذلك فزع أبناء السنة إلى إعمال القياس

والاستحسان والرأي المجرد والتعلق بأفعال وأقوال شيوخهم ومع هذا كله تراهم يتذبذبون في بيان الأحكام الشرعية تذبذباً لا مقيل له من الفن ولا من موازين العلم أصلاً (**وذلك**) وهو كون الحافظ للشرع هو الامام (**هو المطلوب وقد أشار الباري تعالى إليه بقوله : ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**) واستنباطه إنّما يصح مع خصوص عناية من الله بهم كما أسلفنا ذلك في علم علي عندما أرسله النبي ﷺ قاضياً لأهل اليمن فشكى عليه السلام إليه ﷺ ما لعله ينستر عليه فضرب صدره وقال انّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك فما شك بعد هذه العناية المبذولة من النبي في قضاء بين اثنين ، وكان أقضى الأُمّة على الإطلاق فمثل هذه العنايات الخاصة من الله ضرورية في الامام حتى يبين لعباده ما خفي عليهم من أحكامه .

(**وامّا الثاني**) وهو ان كل من يكون حافظاً للشرع يجب أن يكون معصوماً (**فلأنه إذا كان حافظاً للشرع ولم يكن معصوماً لما أمن في الشرع من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل**) حسب الميول والأهواء وقد أوضحنا ذلك في الفصول التي عقدناها للخلفاء الثلاثة من هذه الحلقة (**والرابع ان غير المعصوم ظالم**) ولو بتجويز العقل ذلك عليه وصحته في حقه (**ولا شيء من الظالم**) بالعنوان المذكور (**بصالح للامامة**) لعدم سكون النفس إليه على كل حال كما هو اللازم (**فلا شيء من غير المعصوم بصالح للامامة امّا الصغرى**) وهي ان غير المعصوم ظالم) فلأن الظالم) معناه (**واضع الشيء في غير موضعه وغير المعصوم كذلك**) ولا يشترط في غير المعصوم أن يكون دائماً كذلك بل نفس عدم الأمن منه والائتمان له كاف في التخوف منه وعدم السكون إليه (**وامّا الكبرى**) وهي انّ الظالم لا يصلح للامامة (**فلقوله تعالى : لا ينال عهدي الظالمين**) ولو انحصر ظلمهم لأنفسهم ولم يتعد إلى الغير (**والمراد بالعهد**

الامامة لدلالة) سياق (**الآية على ذلك**) ولا ريب انّ عهد الله لا يحمله إلّا المصون من كافة نواحيه ومثل هذه المصونية لا تكون إلّا بعناية خاصة من المعبود بعبده وليس بالطبيعة الانسانية انتاج مثل ذلك لو خليت هي ونفسها والعيان الطافح بأفراده من أعظم الأدلّة على ما قلناه.

(**قال الثالث**) من المباحث (**الامام يجب أن يكون منصوصاً عليه**) بالامامة (**لأنّ العصمة**) المشروطة فيه (**من الأُمور الباطنة**) والصفات النفسية (**التي لا يعلمها إلّا الله تعالى**) وامّا الممارسة فإنّما تكشف الوثاقة وحسن السلوك وهذا المعنى غير العصمة (**فلابد من نص من يعلم عصمته عليه**) بأنّه معصوم مؤيد من ناحية الله فلا يخاف منه أصلاً (**أو ظهور معجزة على يده تدل على صدقه**) في دعوى الامامة والعصمة.

(**أقول هذا اشارة إلى طريق تعيين الامام**) للناس حتى يعرفوه بعينه ويكون حجة عليهم (**وقد حصل الإجماع على انّ التنصيص من الله والرسول والامام السابق بالنسبة إلى لاحقه** (**سبب مستقل في تعيين الامام**) الواجب الطاعة و (**إنّما الخلاف في انّه هل يحصل تعيينه بسبب غير النص أم لا فمنع أصحابنا الامامية من ذلك**) أي من غير طريق النص (**مطلقاً**) أي بشتى أنحاء ما يتصور (**وقالوا**) والبرهان العقلي معهم (**لا طريق إلّا النص**) صرفاً (**لانا قد بينا انّ العصمة شرط في الامامة**) وان الامامة لا معنى لها بدون العصمة (**و**) ان (**العصمة أمر خفي**) لأنّها من أوصاف النفس (**لا اطلاع عليه لأحد إلّا لله**) العاصم المختص بذلك لمن أراد من عباده (**فلا يحصل حينئذ العلم بها في أي شخص**) **من أفراد الأشخاص** (**هي إلّا باعلام عالم الغيب وذلك**) أي تحصيل العلم بها إنّما (**يحصل بأمرين أحدهما إعلامه بمعصوم**) أي إعلام الله لنا ذلك عن لسان معصوم ثابت العصمة (**كالنبي فيخبرنا بعصمة الامام وتعيينه وثانيهما**

اظهار المعجزة على يده الدالة على صدقه في ادعائه الامامة وقال أهل السنة إذا بايعت الأُمّة شخصاً غلب عندهم استعداده لها واستولى بشوكته على خطط الإسلام صار اماماً) وهذا الملاك انتزعوه بعدما اطلعت السقيفة أبا بكر واطلع أبو بكر ابن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف عثمان وهلم جرا في حال انّ المنطق كما أسلفناه يخصمهم ببرهانه القائم على نقيض خطتهم والخارج يكذب كل مزاعمهم فإنّ الأُمّة لم تبايع شخصاً بالانتخاب الصحيح أصلاً وكل الخلافات المتحصلة في الخارج ما انعقدت إلّا بالقهر وإعمال الدسائس والرموز كما سبق شرح ذلك مبسوطاً فلا نعيد.

(وقالت الزيدية كل فاطمي عالم زاهد خرج بالسيف وادعى الامامة فهو امام) وهذه الدعوى لم تتركز على مقياس صحيح في كل حرف من حروفها فإنّ مجرد ادعاء الامامة والشهور بالسيف لا يصححان هذا المقام للمنتسب إلى فاطمة وإن كان عالماً زاهداً لما في فتح هذا الباب من الفتن والاضطرابات والتشويش والقضاء على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم و. و. و. ما لا يعلمه إلّا الله فضلاً عن انّ العقل لا يعرف ملاك صحة لهذه الدعوى أصلاً.

(والحق خلاف ذلك) كله **(من وجهين الأوّل انّ الامامة خلافة عن الله والرسول فلا تحصل)** لأي انسان يفرض **(إلّا بقولهما ؛ الثاني ان اثبات الامامة بالبيعة والدعوى يفضي إلى الفتنة)** وكذلك كان خارج العيان بما لا ينتهي التحديث عنه إلّا بقراءة جميع كتب السيرة والتاريخ **(لاحتمال أن يبايع كل فرقة شخصاً أو يدعي كل فاطمي عالم الامامة)** كما وقع الكثير من ذلك **(فيقع التحارب والتجاذب)** بين المدعين لذلك ولا خصوصية لأحدهم على الآخر حتى يجعلها مائزاً له دون من سواه لعمومية الملاك.

(قال الرابع) من المباحث **(الامام يجب أن يكون أفضل الرعية لما تقدم في**

النبي) من انّه يجب أن يكون أفضل الناس ونحن قد تكلمنا على ذلك في محله **(أقول يجب أن يكون الامام أفضل أهل زمانه)** في ما يعتده العقلاء فضلاً لا مطلق ما يعتبره الناس حتى كثرة المال وجمال الصورة **(لأنّه مقدم على الكل فلو كان فيهم من هو أفضل منه لزم تقديم المفضول على الفاضل وهو قبيح عقلاً وسمعاً وقد تقدم بيانه في النبوة)** وتصوير هذا المعنى منسوباً لله في نفسه مستحيل لأنّه كيف يسوغ فرض الأفضل مفضولاً عند الله بالنسبة إلى غيره عنده أيضاً نعم يجوز أن يعتبر الناس بعض الأفراد أفضل من بعض آخر ثمّ يقدم الله المفضول في نظرهم على الأفضل عندهم كاشفاً عن خطأهم مزيفاً لنظرهم والكلام عن الأفضل هنا وفي النبوة هو الأفضل الواقعي لا ما يعتبره الأفراد فإنّ نظرهم قد يكون خاطئاً واعتبارهم زائفاً.

(قال الخامس الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام للنص المتواتر من النبي) من طريق السنة فضلاً عن الشيعة، وقد أسلفنا نحن بحوثاً رائقة حول قضية الانذار ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ وحديث المنزلة وحديث الغدير وفيها فوق البلاغ وأقصى حدود الكفاية **(ولأنّه أفضل زمانه)** لأنّه وجد كلما وجده غيره من غير عكس والضرورة التاريخية قاطعة بذلك، وقد سلف هذا البحث و **(لقوله تعالى: وأنفسنا وأنفسكم)** وقد أطبق علماء الجمهور على انّ المراد بالنفس هنا هو علي عليه السلام **(ومساوي الأفضل)** وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم **(أفضل)** وهو علي لوقوعه منه موقع النفس من صاحبها **(ولاحتياج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه في المباهلة)** دون كل انسان سواه فهو بهذا له الميزة على كل صحابي بطور قاطع **(ولأنّ الامام يجب أن يكون معصوماً)** كما مرّ تحقيقه **(ولا أحد من غيره ممن ادعيت له الامامة بمعصوم اجماعاً)** إذ لم يدعها هو لنفسه ولا أتباعه له **(فيكون هو الامام)** لأنّه ادعى العصمة والفضيلة الراجحة وكل المؤهلات الثمينة لنفسه

وشفعها بالعمل الخارجي وللحديث الكثير الوارد عن صاحب الرسالة الحاكي عن مزيد قدسيته وخشونته في ذات الله وعن كمال ورعه ودينه وقد سلف جملة من ذلك وادعاها له أتباعه وبرهنوا على ما ادعوه بما مر طرف منه واعترف المعتدلون من أبناء التسنن بأنّه معصوم دون أي صحابي يفرض (**ولأنّه أعلم**) من كافة الصحابة (**لرجوع الصحابة في وقائعهم**) التي أعجزتهم علماً (**إليه ولم يرجع هو إلى أحد منهم**) وقد مرّ بحث ذلك مبسوطاً .

(**ولقوله** ﷺ **أقضاكم علي**) وهو مستفيض إلى أقصى حدود الاستفاضة وقد مرّ طرف من نقوله (**والقضاء يستدعي العلم**) بلا شبهة بل والتوسع فيه مضافاً إلى حسن الفطنة وقوة الذكاء (**ولأنّه أزهد من غيره حتى طلق الدنيا ثلاثاً**) واتخذه الزهاد اماماً يأتمون به وعلماً يهتدون بنوره ولا يكون الزاهد زاهداً وهو يجهل مواقع الزهد ولماذا يزهد .

(**أقول لما فرغ من شرائط الامامة شرع في تعيين الامام**) بعد رسول الله ﷺ (**وقد اختلف الناس في ذلك فقال قوم انّ الامام بعد رسول الله**) هو (**العباس بن عبد المطلب لمكان ارثه**) وهذا القول لا أرى له وجهاً لا في السنة وعند الشيعة ، امّا السنة فينفون الإرث عن الرسول لحديث أبي بكر نحن معاشر الأنبياء لا نورث والعباس وإن كان عندهم في زمرة الوارثين بالتعصيب إلّا انهم حيث نفوا هذا المعنى عن النبي ﷺ لزمهم نفي أهله عن عنوان الوراثة ولا يجوز لهم اعطاء هذا العنوان لأحد إلّا بنحو القضية الشرطية لو كان النبي موروثاً لكان العباس من ورثته ، وامّا الشيعة فلا يرون الأعمام وارثين مع الأولاد لا في الطبقة ولا بعنوان التعصيب فإنّ الأعمام في الطبقة الثالثة والتعصيب تبطله آية أُولي الأرحام فالطبقات السابقة على الأعمام أدنى إلى الميت بلا شبهة والأدنى إلى الميت أولى بميراثه فميراث النبي عندهم ـ كما هو الحق الصريح ـ لفاطمة

ومن بعد فاطمة لورثتها هي ثمّ القول بأنّ الامامة من الأُمور الموروثة من أغلاط العوام ومزاعم الجهلة وإنّما هي منصب ديني كل أمره بيد الشارع وهو الذي يقدم من يشاء لهذه المهمة وقد سلف بيانه مفصلاً.

(وقال جمهور المسلمين) وهم أبناء العامة **(هو أبو بكر بن أبي قحافة باختيار الناس له)** وذلك في يوم السقيفة وأنت قد قرأت هذا الحديث مفصلاً وعرفت ان هذه الحوادث لم تكن ترتبط بالناس على نحو الانتخاب أو أي صور التقديم الصحيح وقد سبق بيانه فلا نعيد.

(وقالت الشيعة هو علي بن أبي طالب عليه السلام بالنص المتواتر عليه من الله ورسوله وذلك هو الحق وقد استدل المصنف على حقيته بوجوه: الأوّل ما نقلته الشيعة نقلاً متواتراً بحيث أفاد العلم يقيناً من قول النبي في حقه سلموا عليه بامرة المؤمنين) هذه المادة توجد في الأثر السني لكنها ليست متواترة وتواترها عند الشيعة لا يخصم السني **(وأنت الخليفة من بعدي)** في قصة الانذار وهو حديث مستفيض أثبته الجم الكثير من مفسرين ومحدثين وان ابهم بعض ألفاظه المتعصب منهم كما أوعزنا إلى ذلك في محله وهو من الحجج القاطعة **(وأنت ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي)** وهذا أيضاً مستفيض جداً وقد أسلفنا بابه فيما سلف **(وغير ذلك من الألفاظ الدالة على المقصود)** كحديث الغدير والمنزلة وهذا الذي أغفله الشارح أهم مما ذكره لثبوت تواتره عند السنة فضلاً عن الشيعة ولاتقان مضمونه وصراحته في المطلوب ونحن قد أسلفنا هذه البحوث مبسوطة فيما سلف **(فيكون)** علي عليه السلام **(هو الامام وذلك هو المطلوب الثاني انّه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون هو الامام لقبح تقديم المفضول على الفاضل)** بصراحة العقول والناقص بازاء من هو أتم جاهل بل ساقط الوزن خصوصاً في امامة الناس والذي يصحح امامة الناقص مع وجود التام الكامل

معتذراً بامكان استعانة ذاك بهذا كمن يصحح تقديم الحجر في جانب الإنسان اماماً ويعتذر عنه بأنّ تمام ما يراد من الحجر المنصوب موجود عند الإنسان الذي في جنبه فلا وحشة.

(**واممّا انّه أفضل فلوجهين : الأوّل انّه مساو للنبي ﷺ والنبي أفضل فكذا مساويه وإلّا لم يكن مساوياً امّا انّه مساو فلقوله تعالى في آية المباهلة : وأنفسنا وأنفسكم والمراد بأنفسنا هو علي بن أبي طالب لما ثبت بالنقل الصحيح**) من طرق الفريقين (**ولا شك انّه ليس المراد به ان نفسه هي نفسه**) التي بين جنبيه (**لبطلان**) ايقاع (**الاتحاد**) بين الشيء ونفسه (**فيكون المراد انّه مثله ـ الثاني ـ ان النبي**) لما دعا نصارى نجران إلى أن يباهلهم (**احتاج إليه في المباهلة في دعائه دون غيره من الصحابة والأنساب والمحتاج إليه**) لمزيد قدسيته وقربه من ربه بأنّه إذا أقسم عليه أبرّ قسمه ولاعتراف نصارى نجران بأنّ النفر الذين جاء بهم محمّد خيرة أهل الأرض يومذاك ولذلك خافوا مناجزتهم.

(**أفضل من غيره خصوصاً في هذه الواقعة العظيمة التي هي من قواعد النبوة ومؤسساتها**) لأنّ فيها تحدياً عظيماً بين دينين وأهل ملتين فلم يقدم النبي ﷺ على المباهلة بهؤلاء الأفراد إلّا وهو قاطع بفوزهم على طرفهم عند الله سبحانه وفي ذلك من الفضل لأهل الكساء ما لا يخفى انصافاً وقد اعترف كل أبناء التسنن بهذه الفضيلة وخضعوا لها مطأطأين.

(**الثالث**) من وجوه الاستدلال (**انّ الامام يجب أن يكون معصوماً ولا شيء من غير علي ممن ادعيت له الامامة بمعصوم فلا شيء من غيره بامام امّا الصغرى**) وهي انّ الامام يجب أن يكون معصوماً (**فقد تقدم بيانها وامّا الكبرى**) وهي انّه لا شيء من غير علي ممن ادعيت له الامامة بمعصوم (**فللاجماع**) من العباس نفسه وأبي بكر نفسه والسنة والشيعة جميعاً (**على**

عدم عصمة العباس وأبي بكر فيكون علي هو المعصوم) لادعاء ذلك لنفسه في جملة مهمة من كلماته وخطبه ودلالة جملة من الحديث النبوي الوارد في فضله عليه ولاطباق الشيعة على ذلك مستدلين بسيرته فضلاً عما ورد في حقه واعتراف كثير من أبناء السنة بذلك ولأنّ صلاحية مقام الامامة منحصرة فيه دون كل أحد لكماله في نفسه بالنسبة إلى كافة من سواه ونقص الباقين في أنفسهم وبالنسبة إليه أيضاً والامام لا يجوز إلّا أن يكون معصوماً بدليل العقل وقد سلف بيانه (**وإلّا لزم امّا خرق الإجماع**) العمومي من العباس وأبي بكر والسنة والشيعة (**لو أثبتناها لغيره أو خلو الزمان من امام معصوم**) وهو لا يجوز أن يخلو منه (**وكلاهما باطلان**) بتقريب ما سبق.

(**الرابع**) من وجوه الاستدلال (**انّه أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ**) في علوم الشريعة وغيرها (**فيكون هو الامام**) لأنّ المنظور بالامامة الشرعية حفظ الشرع وبيان مبهماته وايضاح معضلاته واظهار خفياته والقيام بحاجة الناس في خصوماتهم الحادثة وحوادثهم الطارءة وما إلى ذلك وهذا مما يحتاج إلى بضاعة قوية ومادة غزرة بلا ريب (**امّا الأوّل**) وهو انّه أعلم الناس بعد رسول الله (**فلوجوه الأوّل انّه كان شديد الحدس والذكاء والحرص على التعلم**) من رسول الله وحرص النبي على تعليمه بأنّه إذا سأله أجابه وإذا سكت ابتداه (**و**) **انّه** (**دائم المصاحبة للرسول الذي هو الكامل المطلق بعد الله تعالى وكان شديد المحبة له**) فكان يحب له كل خير (**والحرص على تعليمه**) كما ذكرناه (**وإذا اتفق مثل هذا الشخص وجب أن يكون أعلم من كل أحد بعد ذلك المعلم**) لأنّ مصدر علم الناس هو هذا الإنسان لا غيره فإذا كان بالنسبة إلى علي بالصفة المومأ اليها كانت النتيجة باللون الذي حصلناه (**وهو ظاهر ؛ الثاني : انّ أكابر الصحابة والتابعين كانوا يرجعون إليه في الوقائع التي تعرض لهم ويأخذون**

بقوله ويرجعون عن اجتهادهم وذلك بين في كتب التاريخ والسيرة) ونحن قد بسطنا القول فيه آنفاً فلا نعيد **(الثالث انّ أرباب الفنون في العلوم كلها يرجعون)** في نهاية الطواف **(إليه فإنّ أصحاب التفسير يأخذون)** نوعاً **(بقول ابن عباس وهو كان أحد تلامذته حتى قال)** ابن عباس **(انّه شرح لي في باء بسم الله الرحمن الرحيم من أوّل الليل إلى آخره)** نحن لا نعتقد بهذا الحديث لأننا لا نعرف من معناه شيئاً سوى ما يشققه جملة من المتصوفة والعرفاء ومادة التفسير لا ربط لها بمثل هذه التصرفات وعلم علي كما شهدنا طرازه ولمسناه أجل من هذه النسب التي لا تندعم بداعم منطقي لا من الكتاب ولا من السنة الصحيحة ولا من العقل الناضج **(وأرباب الكلام يرجعون إليه امّا المعتزلة فيرجعون إلى أبي علي الجبائي)** بل إلى واصل بن عطاء وهو الشيخ الأوّل من مشايخ طريقتهم وأبو علي من جملة التابعين لا المؤسسين **(وهو)** أي واصل بن عطاء **(يرجع في العلم إلى أبي هاشم)** عبد الله بن **(محمّد بن الحنفية وهو)** أي عبد الله **(يرجع إلى أبيه)** محمّد ومحمّد إلى أبيه علي عليه السلام **(وامّا الأشاعرة فإنّهم يرجعون إلى أبي الحسن الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي)** والجبائي معتزلي والمعتزلة يتلقون ما يدعونه من علم عن أبي هاشم عن أبيه عن جده ولا يخفى انّ المنظور بهذا التسلسل هو التلمذ لا تلقي عقائد التلميذ من عقائد الأُستاذ بلا ريب.

(وامّا الامامية فرجوعهم إليه ظاهر) لأنّه امامهم دون كل الأئمّة المشار اليهم **(ولو لم يكن)** عنه من الرواية **(إلّا كلامه في نهج البلاغة الذي قرر فيه المباحث الالهية في التوحيد والعدل والقضاء والقدر وكيفية السلوك ومراتب المعارف الحقة وقواعد الخطابة وقوانين الفصاحة والبلاغة وغير ذلك من الفنون لكان فيه غنية للمعتبر وعبرة للمتفكر)** ونحن قد كتبنا عن هذا الفصل ما يسمن في البحث عن فصاحته وبلاغته عليه السلام من هذه الحلقة.

(وامّا أرباب الفقه فرجوع رؤساء المجتهدين من الفرق إلى تلامذته مشهور وفتاواه العجيبة في الفقه مذكورة في مواضعها) بل قل الف في ذلك كتب مستقلة ومع ذلك لم تتضمن إلّا الحكايات المشهورة المعروفة له عليه السلام **(كحكمه في قضية الحالف انّه لا يحل قيد عبده حتى يتصدق بوزنه فضة)** ولقد فحصت بجهدي عن وجود هذه القضية في كتاب فلم أجدها على كثرة ما ضبط له المتتبعون من قضايا مشهورة معروفة وما هي دون ذلك **(وحكمه في قضية صاحب الأرغفة)** هذه القضية ذكرها كل من كتب في قضاياه عليه السلام وهي كما في الاستيعاب[١] عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مرّ بهما رجل فسلم فقالا اجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال: خذا هذا عوضاً عما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الأرغفة لي خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الثلاثة الأرغفة لا أرضى إلّا أن تكون الدراهم بيننا نصفين وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقصا عليه قصتهما، فقال: لصاحب الثلاثة الأرغفة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة، فقال: لا والله لا رضيت منه إلّا بمرّ الحق، فقال علي: ليس لك في مرّ الحق إلّا درهم واحد وله سبعة دراهم، فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض عليَّ ثلاثة فلم أرض وأشرت علي بأخذها فلم أرض وتقول لي الآن انّه لا يجب في مرّ الحق إلّا درهم واحد؟ فقال له: عرض عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحاً فقلت لا أرضى إلّا بمرّ الحق ولا يجب لك بمرّ الحق إلّا

---

(١) ج ٣ ص ٤١ من ترجمة علي عليه السلام .

واحد، فقال الرجل: عرفني بالوجه في مرّ الحق حتى أقبله، فقال علي: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء، قال: بلى، قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنّما لك تسعة فيبقى لك واحد لا أكثر وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا فيبقى له سبعة فلك واحد بواحدك وله سبعة بسبعته، فقال له الرجل: رضيت الآن (**وغير ذلك**) من القضايا العجيبة التي لا تحصى كثرة.

(**الرابع**) من وجوه أعلميته (**قول النبي في حقه**) مستفيضاً بل متواتراً (**أقضاكم علي ومعلوم انّ القضاء يحتاج فيه إلى العلوم الكثيرة**) لورود متشتتة القضايا والمطالب على القاضي (**فيكون محيطاً بها**) أي بتلك العلوم الكثيرة ولا يلزم من هذا أن يكون قضاة الدنيا المنتشرون في أقطارها بالوصف المزبور لأنّ تصدير هؤلاء مشروط بالحكومات السياسية ومربوط بها وتقديم السياسة لانسان كتأخيرها له مبعوث عن هوى نفسي ورموز خفية والذي صدّر علياً للقضاء وحكم بتفوقه النبي المعصوم العارف بمفاد ما قال الذي لا يحابى ولا يداهن في دين الله بلا شبهة.

(**الخامس**) من الوجوه (**قوله**) هو عليه السلام في حق نفسه على ملاء من الناس مكرراً بعبارات شتى منها قوله (**لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية أُنزلت في ليل أو في نهار أو سهل أو جبل إلّا وأنا عالم فيمن نزلت وفي أي شيء أُنزلت**) وقوله: سلوني قبل أن تفقدوني واصاخة الناس كافة على تعدد طبقاتهم لسماع ذلك منه واعترافهم له به وعدم انكارهم عليه (**وذلك يدل على احاطته بمجموع العلوم الالهية**) بل

وغيرها (**وإذا كان أعلم كان متعيناً للامامة**) قطعاً (**وهو المطلوب السادس**) من الوجوه (**انّه أزهد الناس بعد رسول الله**) فلم يعر الدنيا على تنوع متعها وصنوف لذاتها وتعدد ما يجلب هوى النفس منها أقل طرف وهو بالصفة التي كان عليها يعد من معجزات بني آدم في حكومته على نفسه هذه الحكومة الصارمة (**فيكون هو الامام**) لأنّ الزاهد عن تدبر ومعرفة وعلم يكون نسخة مفردة في جامعية المحاسن والتنزه عن عامة الرذائل ولهذا صح له أن يقول (**لأنّ الأزهد أفضل امّا انّه أزهد فناهيك في ذلك**) اطباق أهل الدنيا قاطبة عليه و (**تصفح كلامه في الزهد والوعظ والأمر والزجر**) يشف عن روحه ويكشف عن مطاوي ضميره.

(**واعراضه عن الدنيا**) معروف مشهور (**وظهرت آثار ذلك عنه**) بتشعشع ووضوح (**حتى طلق الدنيا ثلاثاً**) فحرمها على نفسه تنزهاً وزهادة (**واعرض عن مستلذاتها في المأكل والمشرب والملبس**) وكلما يمت إلى ذلك وغيره (**ولم يعرف له أحد ورطة في فعل دنيوي حتى**) بلغ من زهده (**انّه كان يختم أوعية خبزه فقيل له في ذلك فقال: أخاف أن يضع فيه أحد ولدي اداماً ويكفي في زهده انّه آثر بقوته وقوت عياله المسكين واليتيم والأسير حتى نزل في ذلك قرآن دلّ على أفضليته وعصمته**) فقد روى الخازن [١] عند تفسيره لقوله تعالى: ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، عن ابن عباس انها نزلت في علي بن أبي طالب وذلك انّه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه فلما فرغ منه أتى مسكين فسأل فأعطوه ذلك ثمّ عمل الثلث الثاني فلما فرغ منه أتى يتيم فسأل فأعطوه ذلك ثمّ عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأعطوه ذلك

---

(١) في تفسيره: ج ٤ ص ٣٣٩.

وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية. وذكر غيره من المفسرين نظير ما ذكره.

(**قال والأدلّة في ذلك**) أي على امامته (**لا تحصى كثرة**) وقد أسلفنا الكلام على ما هو العمدة منها في هذه الحلقة وبه تمام البلاغ وكل الكفاية.

(**أقول الدلائل على امامة علي** عليه السلام **أكثر من أن تحصى**) والمنظور بذلك ما يكون بنفسه حجة وما يكون بالتآمه مع غيره مولداً لمدرك قابل للاستدلال به (**حتى انّ المصنف ؛ وضع كتاباً في الامامة وسماه كتاب الألفين وذكر فيه ألفي دليل على امامته وصنف في هذا الفن جماعة**) آخرون (**من العلماء مصنفات كثيرة لا يمكن حصرها ولنذكر هنا جملة من ذلك تشرفاً وتيمناً بذكر فضائله وهو من وجوه الأوّل قوله تعالى: إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**) قال الخازن [1] عند تعرضه لهذه الآية: قيل: نزلت في شخص معين وهو علي بن أبي طالب، قال السدي: مرّ بعلي سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه، فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها. وقال السيوطي [2]: قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله ـ إنّما وليكم الله ورسوله الآية ـ قال: نزلت في علي بن أبي طالب، ورو ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله، وأخرج أيضاً عن علي مثله، وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل مثله. وقال الشوكاني [3]: أخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتم وهو راكع فقال النبي للسائل: من أعطاك

---

(١) في تفسيره: ج ١ ص ٦٢٤.

(٢) في كتابه لباب النقول في أسباب النزول: ص ٩٠.

(٣) في كتابه فتح القدير: ج ٢ ص ٥٠ عند تفسيره لهذه الآية من سورة المائدة.

هذا الخاتم ؟ قال : ذاك الراكع فأنزل الله فيه : إنّما وليكم الله ورسوله ، وأخرج عبد الرزاق وعبد ابن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت في علي بن أبي طالب ، وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب نحو ، وأخرج ابن مردويه عن عمار نحوه أيضاً .

ونقل الزمخشري ذلك في كشافه عند تعرضه للآية المزبورة من سورة المائدة وقال : كيف صحّ أن يكون لعلي واللفظ لفظ جماعة ؟ وأجاب بأنّه جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء ـ الخ ـ.

وأخرج الواحدي ذلك أيضاً فيما ذكره عنه المحب الطبري في ذخائر العقبى (ج ١ ص ٨٨) كما أورده سبط ابن الجوزي أيضاً (في تذكرة الخواص : ص ١٦ وما بعدها) وكذلك ابن الصباغ في الفصول المهمة (ص ١٠٦) واستقصاء ذلك يخرج بنا من خطة هذا الشرح .

(**وذلك**) أي الاستدلال بهذه الآية على امامة علي عليه السلام (**يتوقف على مقدمات الأُولى**) انّ (**إنّما للحصر بالنقل عن أهل اللغة ، قال الشاعر** :

أنا الذائد الحامي الذمار وإنّما　　　يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

فلو لم يكن) ما قاله مفيداً (**للحصر لم يتم افتخاره**) بدفاعه عن أحسابهم ومنظوره من هذا انّ الآية تنص على حصر الولاية بالله وبرسوله وبالمؤمن الموصوف بالوصف المذكور .

(**الثانية انّ المراد بالولي امّا الأولى بالتصرف**) كقوله تعالى : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (**أو الناصر إذ غير ذلك من معانيه**) أي معاني هذا اللفظ

وهو الولي حسب ما ينقله اللغويون من تعدد المعاني التي يطلق عليها ويستعمل فيها (**غير صالح هنا**) أي في هذا السياق (**قطعاً لكن الثاني**) وهو الناصر بمعناه الوسيع العام (**باطل لعدم اختصاص النصرة بالمذكور**) في الآية من الله ورسوله والمؤمنين الموصوفين بالوصف المزبور . ولو اخذ الناصر بمعنى من تلزمه نصرة الدين بحفظه وضبط أحكامه وتقويته وتمشيته بين الناس وايضاح مبهماته وتبيين مشكلاته وكشف أستار الواقع وازاحة الجهل والتلبيس عن المكلفين لكان الولي بهذا المعنى نصاً في الولاية الشرعية اللازمة الاتباع على المكلفين وهذا المقام بهذه الخصوصيات من مختصات الله سبحانه ورسوله المبعوث من جهته والامام المنصوب من قبل النبي ليس غير (**فـ**) إذا بطل ان يكون الولي بمعنى الناصر بمفهومه العام مراداً هنا (**تعين المعنى الأوّل**) وهو كون الولي بمعنى الأولى .

(**الثالثة انّ الخطاب**) بقوله إنّما وليكم الله (**للمؤمنين لأنّ قبله بلا فصل يا أيّها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ـ الآية ـ ثمّ قال : إنّما وليكم الله ورسوله فيكون الضمير عائداً اليهم حقيقة**) فتكون الولاية عليهم وإذا كانت ولاية الله على كل مكلف بلا استثناء وكذلك ولاية الرسول والامام الذي ينصبه فتخصيص المؤمنين بالذكر لأجل انهم أجلى المصاديق باعتبار اظهارهم للايمان بهؤلاء الأولياء واصاختهم لتلقي ما يصدر عنهم من تكليف وسنة .

(**الرابعة انّ المراد بالذين آمنوا في الآية**) الموصوفين باقامة الصلاة وايتاء الزكوة حالة الركوع (**هو بعض المؤمنين**) لا كلهم (**لوجهين الأوّل انّه لولا ذلك**) وهو ارادة البعض (**لكان كل واحد ولياً لنفسه بالمعنى المذكور**) لله وللرسول (**وهو باطل**) لخروجه بهذه الولاية الشرعية التي ملكها لنفسه على نفسه عن حيز كونه مأموراً مكلفاً تابعاً في حركاته وسكناته سنن غيره الذي له

القيمومة عليه ولأنّ اعطاء كل فرد أولويته بنفسه يناقض أولوية الله ورسوله به منه بصراحة تصادم هاتين الأولويتين (**الثاني**) من الوجهين (**انّه**) تعالى (**وصفهم بوصف غير حاصل لكلهم وهو ايتاء الزكوة حال الركوع إذ الجملة**) وهي وهم راكعون (**هنا حالية**) بما دل على شأن نزولها كما قرأته.

(**الخامس انّ المراد بذلك البعض هو علي بن أبي طالب خاصة للنقل الصحيح واتفاق أكثر المفسرين على انّه كان يصلي فسأله سائل فأعطاه خاتمه راكعاً وإذاكان أولى بالتصرف فينا**) من أنفسنا شرعاً (**تعين أن يكون هو الامام**) الشرعي (**إذ لا نعني بالامام إلّا ذلك**) وهو من ثبتت له الأولوية الشرعية بالناس من أنفسهم بجعل الله والرسول ذلك له.

(**الثاني**) من وجوه الفضائل والدلائل (**انّه نقل متواتراً**) من طريق السنة فضلاً عن الشيعة (**انّ النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع**) في آخر العام العاشر من الهجرة (**أمر**) أصحابه (**بالنزول بغدير خم وقت الظهر ووضعت له الأحمال شبه المنبر فخطب الناس**) وأبان لهم قرب رحلته عنهم وازماعه عن الدار الدنيا إلى الدار الأُخرى وأوصاهم بكتاب الله وأهل بيته (**واستدعى عليّاً ورفع بيده وقال: أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم**) بجعل الله ذلك لي حيث يقول: أولى بالمؤمنين من أنفسهم (**قالوا بلى يا رسول الله**) لأنّهم مسبوقون بذلك في صريح الكتاب العزيز (**قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار وكرر ذلك عليهم ثلاثاً والمراد بالمولى هو الأولى**) بمعناه المجعول للنبي في قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (**لأنّ أوّل الخبر يدل على ذلك وهو قوله ألست أولى بكم ولقوله تعالى في حق الكفار: مأواكم النار هي مولاكم أي أولى بكم وأيضاً فإنّ غير ذلك من معانيه غير جائز هنا**

كالجار والمعتق والحليف وابن العم) إذ لا ربط بين المقام وبين شيء من ذلك أصلاً وهو من الوضوح بمكان.

(واستحالة أن يقوم النبي في ذلك الوقت الشديد الحر ويدعو الناس ويخبرهم بأشياء لا مزيد فائدة فيها بأن يقول من كنت جاره أو معتقه أو ابن عمه فعلي كذلك) وقد اشتبه الشارح في هذا التعبير جداً فإنّ قول النبي ـ لو قال وحاشاه أن يقول ـ من كنت معتقه ففلان معتقه ومن كنت جاره ففلان جاره ومن كنت ابن عمه ففلان ابن عمه غارق في السماجة والتفاهة في كل محتملاته إلى أبعد حد هذا على انّ علياً لا ربط له بجيران النبي ولا بعبيده الذين باشر عتقهم فليس هو جاراً لهم إذا كان منزله بعيداً عنهم وإذا كان ملاصقاً لهم فجواره اياهم لا يحتاج إلى جعل جاعل أو إخبار مخبر ولا تحصل اقل فائدة في الاخبار عن هذه الأُمور التافهة والموالي موالي من باشر عتقهم وأنعم عليهم والأجنبي البعيد عن ذلك لا يرتبط بهذه القضية أقل ارتباط على انّه ما ربط النبي بسمته المزبورة وهذه القضايا وما ربط القضايا وهي من الشؤون الفردية العادية به **(وإذا كان علي هو الأولى بالمؤمنين)** من أنفسهم كما كان النبي كذلك **(كان هو الامام)** الشرعي دون غيره.

(الثالث ورد متواتراً) من طريق السنة فضلاً عن الشيعة **(انّه** صلى الله عليه وآله وسلم **قال لعلي)** في غزوة تبوك **(أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه لا نبي بعدي أثبت)** النبي **(له جميع مراتب هارون من موسى)** وقد كان شريكه في كل شيء بجعل الله ذلك له بصريح الكتاب **(واستثنى النبوة)** فقط لأنّ هارون كان نبياً فلو لم يستثنها من علي لثبتت له بعموم التنزيل **(ومن جملة منازل هارون من موسى انّه كان خليفة له لكنه توفي قبله وعلي عاش بعد رسول الله)** لعلم النبي انّه يعيش بعده ولذلك قال: إلّا انّه لا نبوة بعدي ولم يقل لا نبوة لأحد معي فكان صريح قوله

بهذا المفاد انك يا علي مني كهارون من موسى سوى انّ هارون كان نبياً وشريكاً في نبوة أخيه في حال حياته وأنا لا نبي معي ولا نبوة بعدي فأنت هارون هذه الأُمّة في كل شيء إلّا النبوة فإنّها مسلوبة عنك عرضاً وطولاً وامّا خلافة هارون لموسى على قومه إذا غاب عنهم فهي من جزئيات مقامه لا انها كل عنوانه بصريح الكتاب ـ وأشركه في أمري ـ وغير ذلك مما أسلفناه فلا نعيد (**فتكون خلافته ثابتة إذ لا موجب لزوالها**) بل لا معنى للخلافة إلّا البعدية كما هو واضح.

(**الرابع**) من وجوه الدلائل والفضائل (**قوله تعالى: يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**) أي الذين لهم الحكومة باستحقاقها عليكم من أفرادكم (**فالمراد بأُولي الأمر امّا من علمت عصمته**) وتقررت نيابته عن مصادر الشرع الذين لهم لا لغيرهم نصب ولاة الأمر الشرعيين والنواب الدينيين (**أوّلاً والثاني**) وهو ان يكون المراد بهم غير من علمت عصمته وتقررت نيابته (**باطل اتفاقاً لاستحالة أن يأمر الله**) بقوله وأطيعوا أُولي الأمر منكم (**بالطاعة المطلقة لمن**) لم تجتمع فيه شرائط الحكومة الدينية من علم واسع بالدين وعصمة تصونه عن احتمال أدنى الانحرافات تتطرق إليه بل كل من (**يجوز عليه الخطأ**) ويصح وقوعه منه ونسبته إليه لا يجوز له أن يشغل منصة الأنبياء لأنّه غير مأمون لا على دين الناس ولا على دنياهم ومثل هذا يستحيل على الله أن يأمر المكلفين باطاعته المطلقة (**فتعين الأوّل**) وهو المعصوم (**فيكون هو علي بن أبي طالب إذ لم تدع العصمة**) لأحد ممن تولى الخلافة من متجمل ومتهتك (**إلّا فيه وفي أولاده**) بادعائها لأنفسهم وادعاء شيعتهم اياها لهم واعتراف المسلمين قاطبة بطهارتهم وقدسيتهم وورعهم ورفعة مقامهم وان انحرف جمع عن القول بامامتهم وصححوها ليزيد بن معاوية ونظرائه (**فيكونوا هم المقصودين**) بعنوان أُولي الأمر لاجتماع المزايا المؤهلة فيهم دون من

سواهم وقد تبين ذلك مستوفى لعلي ويكون حكم نوابه المنصوص عليهم من جهته حكمه (**وهو المطلوب وهذا الاستدلال بعينه جار في قوله تعالى : يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) المعترف بصدقهم من كافة الناس وأهل البيت الموعز اليهم واجدون لهذا الملاك دون من سواهم لاختلاف الناس فيهم، هذا مضافاً إلى انّ الآية الأُولى والثانية قد ورد فيهما أثر واسع من طريق أبناء السنة بنزولهما في خاصة علي.

(**الخامس انّه** عليه السلام **ادعى الامامة**) وأصحر بهذه الدعوى في غير موطن (**وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك فهو صادق في دعواه**) لأنّ المعجزة هي السند المحكم لها (**امّا انّه ادعى الامامة فظاهر مشهور في كتب السير والتواريخ**) لأنّها أثبتت (**حكاية أقواله وشكايته ومخاصمته حتى انّه لما رأى تخاذلهم عنه**) بالصورة التي شرحناها في قصة السقيفة وان هضم حقه كان عن انتهاب واستلاب صريحين (**قعد في بيته واشتغل بجمع كتاب ربه وطلبوه للبيعة فامتنع فأضرموا في بيته النار وأخرجوه**) هو ومن كان معه (**قهراً ويكفيك في الوقوف على شكايته في هذا المعنى خطبته الموسومة بالشقشقية في نهج البلاغة**) وغيرها من الخطب التي تفنقت أشداقه عنها حين وقوع تلك الحوادث (**وامّا ظهور المعجزة**) على يده (**فكثير منها قلع باب خيبر ومنها مخاطبة الثعبان على منبر الكوفة ومنها رفع الصخرة العظيمة عن فم القليب لما عجز العسكر عن قلعها ومنها ردّ الشمس حتى عادت إلى موضعها في الفلك وغير ذلك مما لا يحصى**) وإذا لم يكن كل واحد من هذه الأُمور معجزاً بحياله ففيما صدر عنه عليه السلام على طول خط حياته من جميع نواحيه ومتشتت شؤونه إعجاز لا مرية فيه ونفس كماله المطلق كاف في إسناد ذلك له بلا شبهة (**وامّا ان كل من كان كذلك**) أي ادعى الامامة وظهرت على يده المعجزة (**فهو صادق فلما تقدم في**

النبوة) من انّه يستحيل ظهور المعجزة على يد المفتري لأنّ فيه اغراء بالجهل فلا يجوز.

(**السادس**) من وجوه الفضائل والدلائل (**ان النبي** ﷺ **امّا أن يكون قد نصّ على امام**) بعينه (**أو لا ، الثاني**) وهو اهماله النص على أي أحد يفرض (**باطل لوجهين الأوّل انّ النص**) من ناحيته (**على امام واجب تكميلاً للدين وتعييناً لحافظه فلو أخل به رسول الله لزم إخلاله بالواجب ، الثالث انّه** ﷺ **لما ثبتت شفقته ورأفته بالمكلفين ورعايته لمصالحهم بحيث علمهم**) حتى (**مواقع الاستنجاء والجنابة وغير ذلك مما لا نسبة له في المصلحة**) العامة (**إلى الامامة استحال في حكمته وعصمته أن لا يعيّن لهم من يرجعون إليه في وقائعهم وستر عوراتهم ولم شعثهم**) وهذه الوظيفة التي ذكرها هي لله أوّلاً وللرسول باعتبار تنفيذه لمشاريع المعبود في الدين ثانياً (**فتعين الأوّل**) وهو صدور النص من النبي على امام (**ولم يدع النص**) ممن ادعاه (**لغير علي**) لأنّ أبناء السنة مطبقون على ذلك ولهم فيما يزعمون على هذه الدعوى ـ وهي عدم النص ـ آثار مرفوعة (**و**) عطف (**أبي بكر**) على علي في دعوى النص على امامته غلط (**اجماعاً**) من الخاصة والعامة وعلى أثر هذا الغلط من الشارح جاءت تفاصيله اللاحقة مغلوطة أيضاً (**فبقى أن يكون المنصوص عليه امّا عليّاً أو أبا بكر ، والثاني**) وهو صدور النص على امامة أبي بكر (**باطل فتعين الأوّل**) وهو النص على امامة علي.

(**امّا بطلان الثاني فلوجوه الأوّل انّه لو كان منصوصاً عليه لكان توقيف الأمر**) وهو الخلافة (**على البيعة**) أي بيعة الناس له (**معصية قادحة في امامته**) لأنّ النص لا يحتاج صاحبه إلى بيعة معه بل شأنه شأن النص بوجوب الصلاة والصيام وما إلى ذلك وأبو بكر قد أخذ البيعة من الناس بألوان سبق بيانها (**الثاني انّه لو**

كان منصوصاً عليه لذكر ذلك وادعاه في حال بيعته أو بعدها أو قبلها إذ لا عطر بعد عرس) بل كان ما ذكره في السقيفة انّه من عشيرة محمّد ومن أولياءه لا أكثر (**لكنه لم يدع ذلك فلم يكن منصوصاً عليه**) بل كانت دعواه كما أسلفنا جاهرة بعدم النص عليه وانّه أراد الأمر دون الأنصار بالقرشية .

(**الثالث انّه لو كان منصوصاً عليه لكانت استقالته من الخلافة**) بعد طلبه لها (**في قوله : أقيلوني فلست بخيركم**) وفي بعض الروايات اضافة (**وعلي فيكم من أعظم المعاصي إذ هو ردّ على الله ورسوله**) وخروج عن عهدة الوظيفة بالتمرد لا بالاتيان (**فيكون قادحاً في امامته**) بل كاشفاً عن عدم عصمته وعدم العصمة دليل صريح على عدم امامته .

(**الرابع انّه لو كان منصوصاً عليه**) بالامامة لو فرض هذا الفرض بل فضلاً عن ذلك لو كان من أهل الصلاحية لها (**لما شك عند موته في استحقاقه الخلافة لكنه شك حيث قال : ليتني كنت سألت رسول الله**) انّ هذا الأمر لمن حتى لا تكون مزاحمة على أهله وانّه (**هل للأنصار في هذا الأمر حق أم لا . الخامس انّه لو كان منصوصاً عليه**) بالخلافة (**لما أمره رسول الله بالخروج مع جيش اُسامة**) وحثّ على بعث الجيش المذكور حثاً بليغاً ولعن المتخلف عنه لعناً وبيلاً (**لأنّه ﷺ كان عليلاً وقد نعيت إليه نفسه حتى قال ﷺ نعيت إليّ نفسي ويوشك أن اُقبض لأنّ جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وانّه عارضني به هذه السنة مرتين فلو كان أبو بكر والحال هذه هو الامام**) المنصوص عليه بالخلافة بعده ﷺ (**لأمره بالتخلف عنه**) حتى يوعز إليه بما يهمه ويكون مصدر الأمر بعده ويشرف على الوضع من قريب (**لكنه ﷺ حثّ على خروج الكل ولعن المتخلف وأنكر عليه**) في ضمن انكاره على من تخلف (**لما تخلف**) هو وعدة من رفقته (**عنهم**) أي عن أفراد الجيش وكان تخلفهم هو

السبب في تريث جيش أُسامة وقد سبق القول في ذلك.

(**السابع**) من الدلائل على امامة علي دون المشايخ (**انّه لا أحد من غير علي من الجماعة الذين ادعيت لهم الامامة يصلح لها فتعين**) أن يكون (**هو**) الامام (**امّا الأوّل فلأنهم كانوا ظلمة لتقدم كفرهم**) على ايمانهم (**فلا ينالهم عهد الامامة لقوله تعالى: لا ينال عهدي الظالمين**) والكفر بالله من أعظم الظلم. وامّا هو عليه السلام فقد تكرم وجهه عن عبادة الأصنام والأوثان ولم يعبد إلّا الله وحد وادعى الامامة وأرادها له الله ورسوله وكافة الأخيار الأفاضل من صحابة رسول الله كما أسلفنا القول بذلك مبسوطاً.

(**قال: ثمّ من بعده ولداه الحسن ثمّ الحسين ثمّ علي بن الحسين ثمّ محمّد بن علي الباقر ثمّ جعفر بن محمّد الصادق ثمّ موسى بن جعفر الكاظم ثمّ علي بن موسى الرضا ثمّ محمّد بن علي الجواد ثمّ علي بن محمّد الهادي ثمّ الحسن بن علي العسكري ثمّ محمّد بن الحسن صاحب الزمان بنصّ كل سابق منهم على لاحقه**) بالترتيب المذكور لا بالوراثة كما يبهت السنة بذلك فريق الشيعة فإنّ الشيعة تنفي الامامة عن كل من ادعاها إلّا من نصّ على امامته من له الحق في ذلك وهو الله ونوابه المنصوبون من عنده من أنبياء وأوصياء (**والأدلّة**) على امامة الأحد عشر المذكورين في هذا السياق هي الأدلّة (**السابقة**) الجارية في رأس السلسلة علي بن أبي طالب.

(**أقول: لما فرغ من اثبات امامة علي عليه السلام شرع في إثبات امامة الأئمّة القائمين بالأمر بعده والدليل على ذلك وجوه الأوّل النص**) الوارد (**عن النبي**) متواتراً من طريق العامة بأساليب شتى ـ لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة؛ ولا يزال هذا الأمر صالحاً؛ ولا يزال الأمر ماضياً؛ ولا يزال أمر أُمتي ماضياً؛ ولا يزال أمر أُمتي قائماً حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من

قريش ـ وما سوى ذلك. لكن القوم يطبقونه على معاوية بن أبي سفيان ونغله يزيد وعبد الملك وأولاده والوليد بن يزيد ونظير اولئك وما أدري هل فاتهم انّ هؤلاء في حيفهم واجحافهم وتجاهرهم بارتكاب المآثم واعلانهم الفسق والفجور وتنديدهم بالأتقياء الأولياء من المسلمين وتقريبهم للفسقة والمتزندقين واستعمالهم للظلمة السفاكين لا يجوز أن يحسبوا في حساب الرقم السائر من المسلمين فضلاً عن الطبقة المتدينة منهم فكيف صفوهم في صفوف الأئمّة الذين يصح في حقهم أن يخلفوا رسول الله على دينه وأهل ملته أو انهم قالوا ذلك بصفاقة ووقاحة لا يهمهم من أمرها أقل شيء.

ثمّ كيف يفوتهم ذلك وهم يروون عن النبي ﷺ انّ أوّل دينكم بدأ نبوة ورحمة ثمّ يكون خلافة ورحمة يكون ملكاً وجبرية وان رسول الله رأى بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبره نزو القردة فسائه ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات [١] والحديث من هذا الرديف كثير فهل أمثال هؤلاء يجوز أن يكونوا خلفاء الله في أرضه بحق هذه الكلمة.

وقيام أمر الأمّة لا يخلو امّا أن يراد به ما يعود لدنياهم أو لدينهم أو لهما معاً امّا أمر الدنيا فلم يستقم بحق لأي انسان تصدى للزعامة في الأمّة المسلمة بل قد يكون هدوء نسبي مع اجحاف زائد وارهاب شديد وقد يكون تشوش واضطراب مع عدل في الحاكم وانصاف في الوالي وقد يكون بين ذاك وهذا وجميع هذه الصور حصلت في ميدان الخارج، وامّا أمر الدين على الطريقة العامية فما أكثر الويلات النازلة به بابتداع البدع وارتجال الأحكام وتحريف السنن والقول بالقياس والرأي المجرد والاستحسان النفسي والأخذ بآراء عكرمة وعائشة

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٥ و ٦.

ونظيرهما وامّا الحكومة الدينية الدنيوية التامة العيار من جميع الوجوه فلم يتوفق لها مسلم أصلاً من أوّل زمان السقيفة إلى منتهى سلطان المسلمين وهذا من الشهود المحسوس بمكان ولا قيمة لمن يدعي هذا المطلب لعمر أو لمعاوية أو لعبد الملك أو للرشيد ونظراء اولئك لأنّه يجهل معنى الحكومات الدينية الدنيوية الواجدة للكمال المرموق كلا في بابه ويستسيغ كل مأثم في السلطان وأي اجحاف يفرض من ناحيته على الرعية ومثل هذا لا كلام لنا معه.

فلم يبق من المتصورات الصحيحة الوقوع خارجاً إلّا كمال الدين من جهة أحكامه وبيان وظائفه على الوجه الأتم واتصاله بالواقع في ذلك وهذا لا يوجد بوزنه اللائق إلّا في العلم العلوي الجعفري والفقه الامامي البريء من البدع والارتجال والقياس والاستحسان والتذبذب اللصيق بكتاب الله وسنة الرسول ونحن قد عرضنا بعض العرض من هذه المقايسة بين فقه السنة وفقه الامامية فيما تكلمنا عليه من باب الفرائض في الفصل الذي عقدناه لمؤاخذة المشايخ من هذه الحلقة فراجع.

ونحن بالاعتبار الصحيح لا نجد مصداقاً للأئمة الاثنى عشر المنطوق بهم في لسان النبي إلّا ائمة أهل البيت الاثنى عشر من حكم منهم ونال شيئاً من الدنيا ومن انزوى عنها امّا الذي حكم منهم فقد برهن بعلمه وفضله وزهده وعدله وقوته وشدته في الله وتجرده عن كل الرذائل وتحليه بكل المحاسن المرموقة العزيزة الحصول في الخارج بل المستحيلة الاجتماع في شخص واحد انّه لا ند له ولا نظير بعد رسول الله وامّا الذي لم يحكم وانفرج له العيان عن بعض الضغط السياسي فقد أثبت بغزارة علمه ووفور فضله وكثرة انتاجه وإحكام فتاواه وقوة عارضته وحدية فطنته وتشبع روحه بالدين وعلومه فضلاً عن عالم الزهد والورع والتقوى والعبادة وسجاحة الأخلاق ومحاسن الشيم عموماً، انّه امام

الأئمّة تضرب للأخذ منه والتلقي عنه آباط الابل من كافة الفرق ولا ريب انّ هذا وذلك هو المعيار الصحيح لوزن البشرية أوّلاً وللدين وأهله ثانياً وللاتصال بالله والتحلي بما يمكن من جليل محاسنه وكريم صفاته وسماته ثالثاً وهو الذي يجوز أن ينطق النبي منوهاً به ويعد أمر الإسلام عزيزاً من سببه لا بتلك العناصر المشكوكة والوجودات المدخولة والذوات المتعفنة.

ولا ريب انّ سعادة الأُمم منوطة بالتشريع الصحيح لأنّ ضمان دنياهم بجميع ما يمت اليها موقوف عليه وليس ما نعنيه من الدين أمراً وراء ذلك ونفس تمشية هذه البرامج بين الأفراد وتلقيهم اياها كاف في منعتهم وصيانة حقوقهم وما احتاج الناس إلى إعمال حدود الأسنة واستعمال القوى الملجئة إلّا لانحراف الفريق المرموق منهم تخطياً عما له من حق خاص إلى حقوق الأغيار وبحصول ذلك حصل الاغراء بالجهل والتأسي في الظلم والمتابعة على الانحراف.

ولذلك لا يرى الله سلطاناً لأي أحد على أي أحد إلّا سلطان الدين والقائمين المنصوبين من قبله والشرائع والعقول كلها ردء لهذا الرأي وإلّا فما المجوز لتصدر من تصدر من الناس للحكومة عليهم مختزناً لأموالهم متلذذاً بأتعابهم متصرفاً في نواميسهم مقرباً لمن يهوى تقريبه مبعداً لمن لا يلتئم مع هوى نفسه وما الميزة التي تخوله ذلك بل ما هو أدنى منه وأقل وهذا من المطالب التي تدرك بأيسر تعقل وأدنى التفات فالحكومة اذاً للدين ولحافظه وكل من عداه هذا العنوان فهو متجرم متمرد على قانون الله في عباده ولا يعرفه الله ولا رسله إلّا عادياً باغياً والعادي الباغي لا يسميه الله ولا رسوله اماماً ولا خليفة.

ومضافاً إلى ما سبق فهناك نصوص أُخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم (**فمن ذلك قوله للحسين عليه السلام هذا ولدي الحسين امام ابن امام أخو امام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما قال الله تعالى:**

يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأُولي الأمر منكم قلت: يا رسول الله عرفنا الله فأطعناه وعرفناك فأطعناك فمن أُولوا الأمر الذين أمرنا الله بطاعتهم، قال: هم خلفائي يا جابر وأولياء الأمر بعدي أولهم أخي علي ثمّ من بعده الحسن ولده ثمّ الحسين ثمّ علي بن الحسين ثمّ محمّد بن علي وستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقرأه عني السلام ثمّ جعفر بن محمّد ثمّ موسى بن جعفر ثمّ علي بن موسى الرضا ثمّ محمّد بن علي ثمّ علي بن محمّد ثمّ الحسن بن علي ثمّ محمّد بن الحسن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ومن ذلك ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: انّ الله اختار من الأيّام يوم الجمعة ومن الشهور شهر رمضان ومن الليالي ليلة القدر واختار من الناس الأنبياء واختار من الأنبياء الرسل واختارني من الرسل واختار مني عليّاً واختار من علي الحسن والحسين واختار من الحسين الأوصياء وهم تسعة من ولده ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ الثاني النص المتواتر من كل واحد منهم على لاحقه وذلك كثير لا يحصى، نقلته) عنهم الطائفة (الامامية على اختلاف طبقاتهم؛ الثالث انّ الامام يجب أن يكون معصوماً ولا شيء من غيرهم بمعصوم فلا شيء من غيرهم بامام، امّا الأوّل) وهو انّ الامام يجب أن يكون معصوماً (فقد مرّ بيانه، وامّا الثاني) وهو انّه لا شيء من غيرهم بمعصوم (فبالاجماع) القائم على (انّه لم يدع) أحد من السنة والشيعة (العصمة في أحد إلّا فيهم) من ناحيتهم أنفسهم ومن ناحية فريقهم لما يلمسونه فيهم من قدسية وورع وزهد واحتياط وانتباذ عن الهوى الدنيوي والميل النفساني الذي لا يخلو منه انسان إلّا من عصمه الله سبحانه (في زمان كل واحد منهم) من جهة معاصريه الممارسين له (فيكونوا هم الأئمّة، وبيانه كما تقدم) في الاستدلال على علي عليه السلام.

(الرابع انهم كانوا أفضل من كل واحد من أهل زمانهم وذلك معلوم) وحتى **(في كتب السير والتواريخ)** المؤلفة من أبناء السنة وقد مرّ نقل طرف من ذلك عنهم **(فيكونوا ائمة لقبح تقديم المفضول على الفاضل ؛ الخامس ان كل واحد منهم ادعى الامامة وظهرت المعجزة على يده فيكون اماماً وبيان ذلك قد تقدم ومعجزاتهم قد نقلتها الامامية في كتبهم فعليك في ذلك بكتاب الخرائج والجرائح للراوندي وغيره من الكتب)** المؤلفة **(في هذا الفن ، فائدة الامام الثاني عشر حي موجود من حين ولادته وهي سنة ست وخمسين ومأتين إلى آخر زمان التكليف لأنّ كل زمان لابد فيه من امام معصوم لعموم الأدلّة)** القاضية بلزوم وجود حافظ للشرع بالبيان الآنف **(وغيره ليس بمعصوم)** بالميزان السالف **(فيكون هو الامام وامّا الاستبعاد ببقاء مثله)** بعد القطع بالامكان العقلي في جواز بقاء الإنسان مدة بعيدة في الزمان جداً وكلما يجده الإنسان في نفسه من الاستنكار فهو مبعوث عن العادة محضاً **(فباطل لأنّ ذلك ممكن)** في نفسه كما أسلفناه **(خصوصاً وقد وقع في الأزمنة السالفة في حق السعداء والأشقياء)** جميعاً **(ما هو أزيد من عمره عليه السلام)** إلى حال التاريخ وفي الكتاب والسنة والتاريخ شواهد لذلك **(وامّا سبب خفاءه فاما لمصلحة استأثر الله بعلمها دوننا)** وما أكثر نظير ذلك في شؤون الخلقة وأطوار الموجودات **(أو لكثرة العدو وقلة الناصر)** جداً فقد عاش آباؤه المتأخرون عيشة ضنك وتضييق خارج عن المعتاد وذهبوا عن هذه الدنيا مهضومين مظلومين للغاية **(لأنّ حكمته تعالى وعصمته عليه السلام لا يجوز معهما منع اللطف)** على الخلق فالمانع إذاً ليس من جهتهما **(فيكون من الغير المعادي)** لهما **(وذلك هو المطلوب اللهم عجّل فرجه وأرنا فلجه واجعلنا من أعوانهِ وأتباعه وارزقنا طاعته ورضاه واعصمنا من مخالفته وسخطه بحق الحق والقائل بالصدق)** آمين .

المعاد الجسماني

والمنظور به في لسان معتقديه وهم كافة أهل الشرائع السماوية هو انّ الله سبحانه يعيد الخلق بعد فنائهم للحساب والمجازات معاداً مادياً فيه انعام وانتقام يتصلان بالأبدان والحواس، وهذا المنظور لو خلي هو والحكم العقلي عليه لما الزم به الزاماً محتماً إلّا من داع واحد بعد تعديل مقدماته وذلك هو ان فاطر الكائنات وموجدها بعد العدم وجود قائم بأعلا ما يتصوره العقل السالم من معنى الفضيلة والكمال؛ وهذا المعنى باتفاق العقول الراجحة ثابت لواجب الوجود سبحانه وتعالى كما أسلفناه في الحلقة الأُولى من هذا الكتاب وقد سلف أيضاً انّ الكون المخلوق لهذا الخالق فيه تصاريف تعمى تحليلها على أبلغ العقول دركاً وأبعد الحواس نفوذاً من جملتها هذا الشذوذ الذي نراه في المشوهين والكد المقرون بالحرمان الذي نلمسه في جملة المخلوقات واقتران جملة من الموجودات الحساسة بالمؤلمات تكويناً لا عن اختيار وعلى مثل هذا النظير مما أسلفنا نبذة من الكلام عليه في مباحث اثبات الصانع من الجزء الأوّل هذا فضلاً عن تناوب الحوادث الجارحة لنوع المخلوقات وتحمل المطيعين من المكلفين لأثقال التكاليف الخارجة عما يلزم الحياة من نظام كالتزامهم بالطهارة من الأحداث والأخباث واقامة الصلاة وما حذا حذوها من العبادات التي لولا أمر الشارع بها لما تكلف بها انسان أصلاً لتجافيها عن نظام حياة الدنيا بوضوح فهذه النقاط بعد عرضها على العقل في مقابل ما الزم به هوية واجب الوجود خالق الكون والعالم تعطي ضرورة وجود عالم آخر ونشأة ثانية يكون فيها جبران ما حصل في هذه النشأة الأُولى بضرس قاطع ولا محيص عن الاعتراف بهذه النتيجة بعد لزوم الاعتراف بتيك الهوية لصانع الكون.

نعم خصوصيات الثواب والعقاب وانهما بأي كيف يكونان وبأي لون يقعان وما ينجر إلى هذا المعنى مما لا مسرح للعقل فيه وإنّما هو متاع مخصوص بعلم الشرائع المأخوذ عن الواجب سبحانه.

وقد أطبق الفلاسفة على انّ اعادة المعدوم من المحالات وأرادوا بهذه الاعادة المحالة عودة بجميع مشخصاته ومن جملتها الزمان وذلك حق بهذا القيد ولكنه معنى تافه لا يحوم حول ارادته أحد ممن يقول بالمعاد كما انّه لا ربط له بالمعاد أصلاً بل التحدث عنه غلط لعقمه عن الانتاج فإنّ كل زماني إذا أخذته مقيداً بلحاظ آن من الآنات كان غير نفسه إذا لوحظ بلحاظ آن آخر لكن هذه القيود ساقطة في نظر العقل بعيدة عن حضورها للحس فإنّ أي موجود يفرض إذا كان محتفظاً بهويته القائمة به هو هو بنفسه عند المشاعر في يومه الحاضر وفي أمسه ولا تخالجها الشكوك في انّ هذا مظروفاً في هذا اليوم غير نفسه مظروفاً في أمسه لفناء هذه القيود عند ملاحظة الهوية المتحدة القائمة كما كانت.

نعم هناك نقطة ربما تقع مطرحاً للباحثين حول المعاد الجسماني هي انّه هل من اللزوم المحتم بعث الميت بالجسد الذي مات عنه حاوياً لكافة ما كان عليه وفيه من مزايا وخصوصيات أو ما هو أعم من ذلك بحيث يكون المنظور الأهم هو اخراجه لعالم الشهود بصورته التي كان عليها وروحه التي كان يعيش بها ويقدم ويحجم عنها تلك الروح التي كانت تقوده وتسوقه وتصلحه وتفسد وتجعله في صفوف الأخيار أو الأشرار وما إلى ذلك وكل العقول بدورها لا ترى الأجساد إلّا آلات هامدة تتصرف بها الارواح في شؤونها كما يتصرف الحي من الناس بالآلات الجمادية في أغراضه وشؤونه.

وعليه لا داعي للتجشمات التي يرتكبها من يريد اعادة الجسد الدنيوي بنفسه حتى لو طيره الهواء ذراً متشتتاً في الفضاء قد تلاعبت به التقلبات المتكاثرة

والاستحالات المترامية. ومعنى المعاد الجسماني المصرح به في الشرائع ليس هو تحتم اعادة ما كان بنفسه ونصه وبجميع ما كان فيه وعليه إلى آخر دقائقه وخصوصياته بل معناه انّ الإنسان يحشر بالجسم الحامل لروحه لا بالروح وحده كما يقول به من يريد بالمعاد الروحاني منه ونحن نقول باعادة ما كان من الأجسام ممكن الاعادة بمواده الأصلية التي كان عليها بل وحتى بزوائده الموجودة المادة لكننا لا نلتجأ في مثل الصورة التي اومأنا اليها إلى ارتكاب تجشمات هي في الحقيقة عين ادعاء المحالات فإنّ قدرة الواجب صحيحة في نفسها وعامة في جميع ما يصح فيه جواز تعلق القدرة لا انها صحيحة مطلقاً حتى في المحالات والمحذورات العقلية فليتنبه لذلك من هو غافل عن هذه النقطة.

وقد أطال الكلام على هذه النقاط جملة من ناقصي العقول المنتسبين لفنون المعقول فما جاؤوا إلّا بالسفسطة الباردة والبحوث الكاسدة ولذلك الوينا عنهم وعن نقل كلماتهم كشحاً فإنّ الوقت أعز من ذلك؛ ثمّ أصدق الحديث كله في باب أوصاف الجنة والنار والثواب والعقاب وما إلى ذلك هو كلام الله المجيد الكثير التناول لهذه النقاط على طول مسافة ما بين دفتيه وأغلب ما يروى من الحديث عن الرسول والأئمّة من بعده في هذه الشؤون ضعيف للغاية قد تناولته أيدي الاختلاق والوضع وانصرف عنه جهابذة أهل النظر من المتدينين والحق معهم في ذلك لما فيه من الدواهي التي لا تلتئم مع أي عقل يفرض مع عدم لزومها من طريق المنطق لا لمن يستحق النعيم ولا لمن يجازى بنار الجحيم وقد ألمعنا إلى نبذ من ذلك في مطاوي ما أسلفناه من حلقات هذا الكتاب وأوقفنا القارىء على جهة التنديد بها فليراجع.

(قال) صاحب الباب الحادي عشر **(الفصل السابع في المعاد اتفق المسلمون كافة)** بضرورة دينهم الذي به صاروا مسلمين **(على وجوب المعاد**

البدني) مع الروح لا على معاد الروح مجردة **(و)** استدل أهل النظر منهم على لزومه فقالوا **(لأنّه لولاه)** ولولا ما يترتب عليه من جبران أتعاب المطيعين واستخفاف العاصين **(لقبح)** أصل **(التكليف)** منه تعالى للبشر خصوصاً فيما لا ربط له بنظام الحياة كلزوم القيام بالطهارات والصلاة والصيام والحج وما إلى ذلك مما لا ربط له بحياة الدنيا أصلاً من حيث هي حياة فإنّ أمثال هذه التكاليف إذا عدمت المصالح التي تدعوا لها كانت لغواً وحاشا الحكيم من ارتكابه والمصالح التي يريدها المولى الحكيم للعبد امّا دنيوية وامّا اخروية فإذا انتفت الآخرة ـ فرضاً ـ وتبعها ما يترتب عليها وانتفت المصالح الدنيوية كما هو المفروض جاء اللغو المحض بلا تردد وذلك ما لا يجوز **(ولأنّه)** أي المعاد الجسماني في حدّ ذاته **(أيضاً ممكن)** لا تحيله العقول كما أشعرنا بذلك آنفاً **(والصادق)** وهو المشرع **(قد أخبر بثبوته)** وانّه كائن لا محالة **(فيكون حقاً)** لأنّ الدليل السمعي من محققات الممكن بلا ريب **(والآيات)** القرآنية **(دالة عليه)** بصراحة مؤكدة لا مجال للتردد فيها **(والانكار)** فيها **(على جاحده)** أي جاحد المعاد الجسماني كثير غزير وسيأتي التعرض لنموذج منه وجاء الشارح موضحاً لمقالة الماتن فقال:

(أقول) صيغة **(المعاد)** بما هي هي تصلح لأن يراد بها **(زمان العود أو مكانه والمراد به هنا)** أي في باب المعاد الجسماني **(هو الوجود الثاني للأجسام واعادتها بعد موتها وتفرقها وهو حق واقع)** في زمانه وهو المستقبل **(خلافاً للحكماء)** النافين لاعادة المعدوم بالمعنى الذي عرفناك به **(والدليل على ذلك من وجوه: الأوّل اجماع المسلمين على ذلك من غير نكير بينهم فيه واجماعهم حجة)** في السمعيات وباب المعاد يثبت بالسمعيات بعد تجويز العقل له **(الثاني انّه لو لم يكن المعاد حقاً لقبح التكليف والتالي)** وهو بطلان التكليف **(باطل)**

لأننا برهنا على لزومه وقلنا ان لطف الله على العباد به واجب (**فالمقدم**) وهـو نفي المعاد وانكاره (**مثله**) في البطلان .

(**بيان الشرطية انّ التكليف مشقة مستلزمة للتعويض عنها فإنّ المشـقة مـن غير عوض ظلم وذلك العوض ليس بحاصل في زمان التكـليف**) وهـو زمـان الدنيا (**فلابد حينئذ من دار أُخرى يحصل فيها الجزاء على الأعمال وإلّا لكـان التكليف ظلماً وهو قبيح تعالى الله عنه ، الثالث**) من الوجوه (**انّ حشر الأجساد ممكن والصادق أخبر بوقوعه فيكون حقاً امّا امكانه فلأن أجزاء الميـت قـابلة للجمع وافاضة الحياة عليها وإلّا لما اتصف**) هذا الميت قبل مـوته (**بـها**) أي بالحياة (**من قبل**) أن يموت بل النشأة الأُولى أهم لأنّها إبداعية اختراعية (**والله تعالى عالم باجزاء كل شخص**) بعد تـفرقها (**لمـا تـقدم مـن انّـه عـالم بكـل المعلومات وقادر على جميعها لأنّ ذلك مـمكن والله تـعالى قـادر عـلى كـل الممكنات فثبت ان احياء الأجسام ممكن**) وبعد أن أثبت أصل الامكـان فـيه توجه إلى دليل وقوعه فقال (**وامّا ان الصـادق أخـبر بـوقوع ذلك فـلأنه ثـبت بالتواتر انّ النبي ﷺ كان يثبت المعاد البدني ويـقول بـه فـيكون حـقاً وهـو المطلوب ، الرابع**) من الوجوه (**دلالة القرآن على ثبوته والانكار على جـاحده فيكون حقاً ، امّا الأوّل**) وهو ما دل على ثبوته (**فالآيات الدالة عليه كثيرة نحو قوله تعالى : ضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهـي رمـيم قـل يحييها الذي أنشأها أوّل مرة وهو بكل خلق عليم ، وغير ذلك من الآيات**) وامّا الثاني وهو ما دل من الكتاب على تقريع الجاحدين وتفنيدهم فهو كثير جداً على طول مسافة الذكر الحكيم وبالأخص السور التي قرع الله بها المشركين وندد بهم وبعقائدهم .

(**قال : وكل من له عوض أو عليه عوض يجب عقلاً**) حتى يستوفي ماله على

غيره ويستوفي غيره ماله عليه أو على غيره **(وغيره)** أي غير من له حق علـى غيره أو لغيره حق عليه **(تجب اعادته سمعاً)** ونحن قد أسلفنا انّ العقل دخيل في لزوم المعاد لا السمع وحده غايته ان من له حق على غيره أو للغير عنده حق يتأكد فيه لزوم البعث من الوجهة العقلية كما المعنا إلى ذلك آنفاً .

(أقول : الذي تجب اعادته على قسمين أحدهما تجب اعادته عقلاً وسمعاً وهو كل من له حق من الثواب) على الله لما قدر عليه من الجهود والمتاعب **(أو العوض)** على غيره **(ليصل حقه إليه وكل من عـليه حـق مـن عـقاب)** لزمـه لارتكابه المظالم **(أو عوض)** للغير عليه يعاد **(لأخذ الحق مـنه وثـانيهما مـن ليس له حق ولا عليه حق من بـاقي الأشـخاص انسـانية كـانت أو غـيرها مـن الحيوانات الانسية والوحشـية تـجب اعـادته سـمعاً لدلالة القـرآن والأخـبار المتواترة عليه)** وليست هذه العجالة مـما تكـفي لسـرد آيـات ذلك وروايـاته والسور القرآنية وكتب الحديث قريبة من يريدها سريعة التناول لمن يقصدها .

(قال : ويجب الاقرار بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم **فـمن ذلك)** لزوم الاقـرار بـ**(الصراط والميزان وانطاق الجوارح وتطاير الكتب)** كل ذلك على ما هي عليه من معان ثابتة في لوح الواقع إذ لا طريق للمكلف في معرفة تفاصيلها التي تـقع عليها ونوع اخبار الآحاد التي تعرب عن ذلك مغشوشة لا يوثق بها وإنّما يجب الاعتراف بالأُمور التي ذكرناها **(لامكانها)** عقلاً **(وقد أخبر الصادق بها فيجب الاعتراف بها)** لأنّها من لوازم التدين .

(أقول : لما ثبتت نبوة نبينا و) ثبتت **(عصمته ثبت انّه صادق في كل ما أخبر بوقوعه سواء كان)** متعلق اخباره **(سابقاً عـلى زمـانه كـاخباره عـن الأنـبياء السابقين السالفين وأُممهم والقرون الماضية وغـيرها)** مما تحقق وقـوعه فـي الخارج طبق ما يقولوه النبي وحسبما أخبر به **(أو في زمـانه)** هـو **(كـاخباره**

بوجوب الواجبات وتحريم المحرمات وندب المندوبات والنص على الأئمّة وغير ذلك) من الأخبار التي حكى بها أمراً محققاً في الواقع مقارناً لوجوده هو عليه‌السلام بمعنى انّ الله تعالى اوجب الواجبات التي اخبر بوجوبها على أُمته في شريعته هو وكذلك حرم المحرمات وندب إلى المندوبات ونص على الأئمّة بالامامة من بعده عليه‌السلام (**أو بعد زمانه**) أي قال ما أخبر به عن المستقبل ظرف وقوعه في الخارج يكون بعد ارتحالي عن الدنيا (**فاما**) يكون (**في دار التكليف**) وهي دار الدنيا (**كقوله لعلي** عليه‌السلام **ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين**) اشارة إلى حرب الجمل وصفين والنهروان (**أو بعد التكليف كأحوال الموت وما بعده فمن ذلك عذاب القبر والصراط والميزان والحساب وانطاق الجوارح وتطاير الكتب وأحوال القيامة وكيفية حشر الأجساد وأحوال المكلفين في البعث و**) ما إلى ذلك فإنّه (**يجب الاقرار بذلك أجمع والتصديق به لأنّ ذلك كله أمر ممكن**) من ناحية العقل (**لا استحالة فيه وقد أخبر الصادق بوقوعه فيكون حقاً**) لأنّ السمع من أدلّة تحقق الممكنات .

(**قال ومن ذلك**) أي مما يجب الاقرار به (**الثواب**) لأهل الطاعات (**والعقاب**) للكفرة العصاة (**وتفاصيلهما المنقولة من جهة الشرع صلوات الله على الصادع به اقول يريد**) المصنف بقوله ومن ذلك الخ (**ان من جملة ما جاء به النبي** صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم **الثواب والعقاب وقد اختلف**) المتكلمون (**في انهما معلومان**) من جهة الثبوت (**عقلاً**) أي انّ العقل يحكم بذلك مضافاً إلى السمع (**أم سمعاً**) فقط (**امّا الأشاعرة فقالوا سمعاً**) فقط (**وامّا المعتزلة فقال بعضهم**) كالأشاعرة (**انّ الثواب سمعي**) ولا دخل للعقل فيه (**إذ لا يناسب**) ما يقال من لزومه للمطيع مجرد (**الطاعات ولا يكافىء**) ذلك (**ما صدر عنه**) جلّ وعلا (**من النعم العظيمة**) إلى العبد (**فلا يستحق عليه**) تعالى (**شيء في مقابلتها وهو مذهب**

البلخي وقالت معتزلة البصرة انّه عقلي لاقتضاء) معنى (**التكليف ذلك**) فإنّ التكليف معناه اظهار لبواطن العبد ومنوياته في قبال مولاه فإن كان خاضعاً ممتثلاً متحملاً لثقل ما حمل به اجابة وخلوصاً له كان مستحقاً من مولاه وان جلت نعمه على هذا العبد اللطف والتفضل وهذا هو معنى الثواب لا معناه انّه معاوضة ، **وامّا العقاب فهو أجلى استحقاقاً للعاصي من استحقاق المطيع للثواب** لأنّ مقابلة نعم المولى بالكفران والجحود من أعظم الرذائل ومن الكواشف عن إغراق نفس الجاحد في الخبث والسوء نعوذ بالله من ذلك (**ولقوله**) تعالى (**جزاء بما كنتم تعملون**) والمراد بالجزاء هنا ما بيناه .

(**واوجبت المعتزلة العقاب للكافر وصاحب الكبيرة**) وإن كان مسلماً (**حتماً**) لأنّ كافة المكلفين إذا لم يكونوا على قطع جازم بأنّ الله يؤاخذهم على تمردهم عليه واستخفافهم بأوامره ونواهيه يهون عليهم جميعاً مخالفة كافة ما يصدر عنه تعالى من أمر ونهي واتباع رسول وخضوع لامام ومسير على جادة مرادة له تعالى وإذا حصل هذا في نفوسهم تشوهت بهم منظره الحياة مادياً ومعنوياً وتحكمت في شعب العالم وفروعه الفوضوية والاباحية الصرفة الخانقة للعقول والنفوس والأرواح القاتلة لعامة الشرائع السماوية بطور قاطع (**وقد تقدم لك من مذهبنا ما يدل على وجوب الثواب عقلاً**) وسمعاً (**وامّا العقاب فهو**) كذلك عقلاً وسمعاً لما عرفت ، وامّا قول الشارح فهو (**وان اشتمل على اللطيفة**) الموجبة عقلاً له (**لكن لا يجزم بوقوعه في غير الكافر الذي يموت على كفره**) فهو خطأ محض من طريق المنطق ، نعم نحن لا نتحكم على المولى بكم ذلك وكيفه في ثواب المطيع وعقاب المنحرف فإنّ ذلك غير مربوط إلّا به تعالى .

(**وههنا فوائد : الأُولى يستحق الثواب**) عملاً (**والمدح**) قولاً (**بفعل الواجب والمندوب وفعل ضد القبيح أو الاخلال به**) أي بالقبيح (**بشرط أن**

يفعل) المكلف **(الواجب لوجوبه والمندوب كذلك)** أي لأنّه ندب إليه ومعنى كل ذلك أن يكون صدور هذا الفعل منه بداعي النزول على مرضاة المولى وامتثال فروضه وسننه التي ألقاها إلى المكلفين **(وكذا فعل ضد القبيح أو الاخلال بـه)** أي بنفس القبيح **(لقبحه)** أي لداعي قبحه الذي دلّه عليه العقل أو الشرع وحده وهو لذلك فعل ضد القبيح أو أخلّ بالقبيح نفسه **(لا لأمر آخـر غـير ذلك)** مـن الدواعي التي لا ترتبط بالشارع كالهوى النفساني أو صرف الصـدفة والاتـفاق المحض **(ويستحق العقاب)** عملاً **(والذم)** قولاً **(بفعل القبيح)** المـنهي عـن ارتكابه شرعاً **(والاخلال بالواجب)** المحرم قطعاً.

(الثانية) من الفوائد **(يجب دوام الثواب والعقاب للـمستحق مـطلقاً)** أي مثاباً كان أم معاقباً **(كما في حق من يموت على ايمانه ومن يموت على كفره)** فالثواب للأوّل والعقاب على الثاني **(لدوام المدح والذم على ما يستحقان به)** ذلك **(ويحصل نقيض كل واحد منهما)** أي من الثواب والعقاب **(لو لم يكـن)** كل واحد من الثواب والعقاب **(دائـماً إذ لا واسـطة بـينهما)** أي بـين الثـواب والعقاب وهذا اشتباه امّا من ناحية العقل فإنّه يـجوز أن لا يـثاب انسـان وان لا يعاقب لعدم صدور ما يوجب واحداً منهما عنه وامّا من ناحية السمع فـقضية ـ وعلى الأعراف رجال ـ تؤيد ذلك وإن كان نهاية هؤلاء إلى عميم احسانه تعالى **(ويجب أن يكونا)** أي الثواب والعقاب **(خالصين من مخالطة الضد)** أي يكون الثواب خالصاً من شائبة العقاب وبالعكس **(وإلّا لم يحصل مفهومهما ويـجب اقتران الثواب بالتعظيم والعقاب بالاهانة لأنّ فاعل الطـاعة مسـتحق للـتعظيم مطلقاً)** أي كائنة ما كانت طاعته **(وفاعل المعصية مستحق للاهانة مطلقاً)** أي كائنة ما كانت معصيته ولا يخفى انّ اثابة العاقل من لازمها أن تـقترن بـاحترام واحتشام وامّا العقاب فمن لازمه الطبيعي الاهانة بل هو هي.

(**الثالثة**) من الفوائد انّ (**استحقاق الثواب يجوز توقفه على شرط**) أي يكون وجوده وثبوته مراعى بشيء آخر (**إذ لولا ذلك**) التوقف (**لكان العارف بالله تعالى مع جهله بالنبي** ﷺ) تقصيراً (**مستحقاً له**) أي للثواب (**وهو باطل**) لأنّ معرفة الله لارتباطها شرعاً بكثير من الأشياء لا تنجع إذا تخلف عنها ما هو لازم ضروري لها فإذا تخلف المكلف عن هذه اللوازم الضرورية تقصيراً كان كأنّه تخلف حتى عن المعرفة نفسها فلا يستحق حينئذ ثواباً البتة (**فإذاً هو**) أي الثواب كما هو (**مشروط**) بذلك مشروط أيضاً (**بالموافاة**) على ما استحق من أجله الثواب (**لقوله تعالى : لئن أشركت ليحبطن عملك وقوله تعالى**) أيضاً (**ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأُولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأُولئك أصحاب النار**) .

(**الرابعة**) من الفوائد انّ (**الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك يستحقون الثواب الدائم مطلقاً**) أي في كافة الأحوال (**والذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك يستحقون العقاب الدائم مطلقاً**) أي في كافة الأحوال أيضاً (**والذي آمن وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فإن كان السيء صغيراً فذلك يقع مغفوراً اجماعاً**) وادعاء الإجماع على الأمور التي مرجعها إلى الله سبحانه واختيارها إليه إن شاء عذب وإن شاء عفى من أقبح الأغلاط انصافاً على انّ العقل في نفسه لا يلزم بما قالوه بل يجوز العقاب على الصغيرة أيضاً (**وإن كان كبيراً فاما أن يوافى بالتوبة فهو من أهل الثواب مطلقاً اجماعاً**) أي هو محشور في زمرة مستحقي الثواب على اطلاقهم وهذا كسابقه مخدوش أيضاً فضلاً عما فيه من إطلاق واجمال فإنّ الذنوب منها ما هو عبادي مرجعه إلى الأفراد مضافاً إلى ما فيه من تعدي حدود الله والحقوق العبادية منها ما هو قابل للجبران في الدنيا كالحقوق القابلة للتعويض ومنها ما هو موقوف على جلب مرضاة الطرف

والله الذي خوّل الناس سلطاناً فيما يعود لهم لا يتحكم عليهم في ذلك بالقهر فاعرف ذلك حق معرفته .

(**وان لم يواف بها**) أي بالتوبة (**فاما أن يستحق ثواب ايمانه**) بالله وبشرائعه وإن كان عاصياً (**أو لا والثاني باطل**) أي انّه لا يستحق من الثواب شيئاً (**لاستلزامه الظلم ولقوله تعالى : ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره فتعين الأوّل**) أي انّه يثاب (**فاما أن يثاب ثمّ يعاقب وهو باطل بالاجماع على ان من دخل الجنة لا يخرج منها فحينئذ يلزم بطلان العقاب**) أي عقاب هذا العاصي وهو غير صحيح لقوله تعالى : ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (**أو يعاقب**) أوّلاً (**ثمّ يثاب**) ثانياً (**وهو المطلوب ولقوله** ﷺ **في حق هؤلاء**) العصاة (**يخرجون من النار وهم كالحمم أوكالفحم فيراهم أهل الجنة فيقولون هؤلاء جهنميون فيؤمر بهم فيغمسون في عين الحيوان فيخرجون ووجوههم كالبدر في ليلة تمامه .**

وامّا الآيات الدالة على عقاب العصاة والفجار وخلودهم في النار فالمراد بالخلود هو المكث الطويل واستعماله بهذا المعنى كثير أو) ان (**المراد بالفجار والعصاة الكاملون في فجورهم وعصيانهم وهم الكفار بدليل قوله تعالى : اولئك هم الكفرة الفجرة توفيقاً بينه وبين الآيات الدالة على اختصاص العقاب**) الدائم (**بالكفار نحو قوله تعالى : انّ الخزي اليوم والسوء على الكافرين وغير ذلك من الآيات . ثمّ اعلم انّ صاحب الكبيرة إنّما يعاقب إذا لم يحصل له أحد الأمرين الأوّل عفو الله فإنّ عفوه مرجو متوقع خصوصاً وقد وعد به في قوله : ويعفو عن كثير انّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم**) لكن لايجوز الاتكال على ذلك لانجراره إلى الاغراء بالجهل (**وخلف الوعد**) إنّما يكون (**غير مستحسن من الجواد المطلق**) **إذا** حصل الاطلاع الكامل على خصوصيات هذه الأوعاد لا إذا

بقيت على اجمالها لا يدرى بهويتها خصوصاً إذا عورضت بالآيات المتوعد فيها بالعقاب الماض على مرتكبي الخطيئة وما أكثرها (**ولتمدحه بأنّه غفور رحيم و**) قد أخطأ في قوله و (**ليس ذلك متوجهاً إلى الصغائر**) فإنّ الصغيرة ذنب بطور قاطع وكل الذنوب محطة للمؤاخذة الخفيف بالخفيف والشديد بالشديد وكذلك اخطأ في قوله (**ولا إلى الكبائر بعد التوبة**) فإنّه ليس كل توبة مما تقبل وكذلك أخطأ تعليل مدعاه بقوله (**للاجماع على سقوط العقاب فيهما**) أي في الصغائر والكبائر المتعقبة بالتوبة (**فلا فائدة في العفو حينئذ فتعين أن يكون**) العفو الموعود (**للكبائر قبل التوبة وذلك هو المطلوب**) فاننا قد أسلفنا لك انّ الإجماع في هذه الموارد المنوطة بالله وحده من أقبح الأغلاط كما لا تحتم على المولى أن يعفو عن صغائر الذنوب أو أن يقبل توبة من واجهة بمعصية كبيرة والذي يتحكم بذلك لا يقول إلّا جزافاً صريحاً .

(**الثاني**) من الأمرين (**شفاعة نبينا رسول الله** ﷺ **فإنّ شفاعته متوقعة بل واقعة لقوله تعالى : واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، وصاحب الكبيرة مؤمن**) فهو مشمول لقوله : وللمؤمنين والمؤمنات (**لتصديقه بالله ورسوله وإقراره بما جاء به النبي** ﷺ **وذلك**) أي التصديق المزبور (**هو الايمان إذ الايمان في اللغة هو التصديق وهو هنا كذلك وليست الأعمال الصالحة**) الواردة بعقب لفظ المؤمن في القرآن بقوله تعالى : الذين آمنوا وعملوا الصالحات (**جزء منه لعطفها على الفعل**) وهو آمنوا (**المقتضي لمغايرتها له**) إذ لا يعطف الشيء على نفسه ولو كان الايمان هو العمل الصالح أو ملزوماً للاشتمال عليه لما صح عطفه عليه حتماً (**وإذ أمر بالاستغفار لم يتركه لعصمته واستغفاره لأُمته مقبول تحصيلاً لمرضاته**) ﷺ (**لقوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى ، هذا مع قوله**) هو ﷺ (**ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي**) وبعد هذا فلا

يخفى عليك انّ أصل الشفاعة اجمالاً مما لا ينكره العقل وقد ورد به النقل ولكن كم ذلك وكيفه مما يحتاج إلى بسط واسع وتحليل لذنوب المذنبين فليس القول بالشفاعة مطلقاً مما يصح بالنقل والعقل لأنّ فتح هذا الباب على مصراعيه مما يصادم الشريعة في تكاليفها ونظامها مصادمة عنيفة ويصير المطيع والعاصي تقريباً من فصيلة واحدة في حال انّ الضرورة قاطعة بخلاف ذلك فلا يجوز لأي باحث يفرض أن يترسل في مثل هذه الكلمات مثل هذا الترسل فيغري عامة المكلفين المسؤولين أمام القانون بالجهل الواسع فتنشعث لذلك أُمور الدنيا والدين جميعاً وهذا الذي قلناه مما يعترف به كل ذي شعور.

(**واعلم انّ مذهبنا انّ الأئمّة** عليهم السلام **لهم الشفاعة في عصاة شيعتهم**) بالنحو الذي بيناه (**كما هو**) ثابت (**لرسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **من غير فرق لاخبارهم بذلك مع عصمتهم النافية للكذب عنهم**) والذي يقرأ عن حالاتهم هم عليهم السلام وحالات جدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الاكثار من عبادة الله والتضرع إليه والبكاء امام عظمته يعود جازماً انّ ما يترسل به أكثر أهل الحديث المرفهين عن العصاة والمذنبين تهاون زائد في حق صاحب الشريعة والشريعة نفسها فإنّ بكائهم عليهم السلام من خوف الله وتضرعهم إليه وخضوعهم بين يديه قولاً وعملاً مع عصمتهم الحاكمة لهم برضوان الله عنهم بطور قاطع لابد وأن يدعم بداعم عقلائي ليس هو صرف التعظيم لحضرة الباري وحده وعلى فرض ذاك فإنّ المأموم لهم مسؤول بحكم المتابعة أن يواسيهم في ذلك، فلو كان هو في جانب عن المواساة لأقوالهم وأفعالهم وجب أن يكون بعيداً عن مواقع رضاهم جزماً والذي لا يرضى عن أحد لا يتصدى لشفاعته وهذا المطلب من بديهيات العقول ولا معنى للاطالة فيه أكثر من ذلك فتدبر.

(**الخامسة**) من الفوائد انّه (**يجب الاقرار والتصديق بأحوال القيامة**

وأوضاعها) المشروحة في القرآن والأخبار المروية **(وكيفية الحساب وخروج الناس من قبورهم عراة حفاة وكون كل نفس معها سائق وشهيد وأحوال الناس في الجنة وتباين طبقاتهم)** في الفضيلة **(وكيفية نعيمها من المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك بما لا عين رأت)** ذلك في الدنيا **(ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكذا)** يجب الاقرار والتصديق بـ **(أحوال النار وكيفية العقاب فيها وأنواع آلامها على ما وردت بذلك الآيات)** القرآنية **(والأخبار الصحيحة وأجمع عليه المسلمون لأنّ ذلك جميعه أخبر به الصادق مع عدم استحالته)** هو **(في)** نفسه عند **(العقل فيكون حقاً وهو المطلوب)** في الأُمور السمعية.

(قال : ووجوب التوبة) هو عطف على قوله آنفاً ويجب الاقرار بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن ذلك الصراط والميزان ـ الخ ـ **(أقول : التوبة هي الندم على)** فعل **(القبيح)** الصادر من المكلف **(في الماضي والترك له في الحال والعزم على عدم المعاودة إليه في الاستقبال وهي واجبة لوجول الندم اجماعاً على)** فعل **(كل قبيح واخلال بواجب ولدلالة السمع على وجوبها)** متواتراً **(ولكونها دافعة للضرر ودفع الضرر وإن كان مظنوناً واجب فيندم)** المكلف **(على)** فعل القبيح لكونه **)** في نفسه **(قبيحاً لا لخوف النار)** وحدها **(ولا لدفع الضرر عن نفسه)** وحده **(وإلّا)** بأن كان الداعي صرفاً هو خوف النار ودفع الضرر عن النفس **(لم تكن توبة)** عن عقل وصدق وايمان.

(ثمّ اعلم انّ الذنب) أقسام فهو **(امّا في حقه تعالى أو في حق آدمي فإن كان في حقه تعالى فاما من فعل قبيح)** لا جبران له في دار التكليف إلّا النزوع منه فقط كالزنا واللواط ونظير ذلك **(فيكفي فيه الندم والعزم على عدم المعاودة أو)** يكون الذنب **(من اخلال بواجب فاما أن يكون وقته باقياً فيأتي به)** وهذا غلط منه فإنّ الواجب ما دام وقته باقياً لا يصدق في حقه الاخلال به فإنّ الاخلال

لا يكون إلّا حيث يخرج الوقت كله (**وذلك**) أي الاتيان به (**هو التوبة منه أو خرج وقته فاما أن يسقط بخروج وقته**) عن الوجوب ولو قضاءً (**كصلاة العيدين فيكفي الندم والعزم على عدم المعاودة**) في المستقبل إذا بقي على شرائط التكليف (**أو لا يسقط**) بخروج وقته عن الوجوب ولو بالصورة القضائية (**فيجب قضاؤه وإن كان**) الذنب (**في حق آدمي فاما أن يكون إضلالاً في دين بفتوى خاطئة فالتوبة**) من هذا الذنب (**ارشاده**) وإعلّامه بالخطأ (**أو**) كان الذنب (**ظلماً لحق من الحقوق فالتوبة منه ايصاله إليه أو إلى وارثه أو الاتهاب**) منه (**وان تعذر عليه ذلك**) امّا لعجزه عن الأداء أو لعدم من يؤدي إليه (**فيجب العزم عليه**) بأنّه متى ما تمكنت أنا أو تيسر لي الوصول لصاحب الحق اؤديه إليه إن شاء الله .

(**قال والأمر بالمعروف**) أي يجب ذلك كما وجبت التوبة (**والنهي عن المنكر بشرط أن يعلم الآمر والناهي كون المعروف معروفاً والمنكر منكراً**) أي يشخص ذلك تشخيصاً عن ميزان صحيح (**وأن يكونا**) أي المعروف والمنكر (**مما سيقعان**) في المستقبل (**فإنّ الأمر با**) لمعروف (**الماضي**) فعله (**والنهي عنه**) أي عن المنكر الذي تحيزه الخارج وصدر عن فاعله (**عبث**) لأنّه في المعروف تحصيل للحاصل وفي المنكر نهي عن متحصل واقع وذلك ما لا يثمر أصلاً سوى الدعوة إلى التوبة (**وتجويز التأثير**) في المأمور والمنهي (**والأمن من الضرر**) المتوجه ممن يراد أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

(**أقول : الأمر**) في نفسه معناه (**طلب الفعل من الغير على جهة الاستعلاء والنهي طلب الترك على جهة الاستعلاء أيضاً والمعروف**) معناه (**كل فعل حسن**) في نفسه (**اختص بوصف زائد على حسنه**) وهو ندب الشارع إليه (**والمنكر هو القبيح ، إذا تقرر هذا فهنا بحثان : الأوّل اتفق العلماء على وجوب**

الأمر بالمعروف الواجب) على المكلف لا المعروف الذي هو سنة وفضل **(والنهي عن المنكر واختلفوا من بعد ذلك)** الاتفاق على الوجوب المذكور **(في مقامين الأوّل هو)** هذا **(الوجوب عقلي أو سمعي)** صرف **(فقال الشيخ الطوسي بالأوّل)** وهو انّه عقلي **(و) قال السيد المرتضى بالثاني)** وهو انّه سمعي **(واختاره المصنف)** وهو العلّامة **(واحتج الشيخ بانهما لطفان في)** اتيان **(فعل الواجب وترك القبيح فيجبان عقلاً ، قيل)** في الاشكال **(عليه ان الوجوب العقلي غير مختص بأحد فحينئذ يجب عليه تعالى وهو باطل لأنّه إن فعلهما)** أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **(لزم أن يرتفع كل قبيح ويقع كل واجب ، إذ الأمر هو الحمل على الشيء والنهي هو المنع لكن الواقع خلافه)** وهو وجود فعل القبيح والاخلال بفعل الواجب وهذا اشتباه واضح فإنّ المنظور في أمره تعالى بالمعروف ونهيه عن المنكر هو المولوية والارشاد لا التكوين والأوامر والنواهي المولوية الارشادية لا تقتضي لزوم الوقوع في الخارج حتماً لأخذ اختيار المكلف في مضمونها كما هو الشأن في عامة التكاليف **(وان لم يفعلهما)** سبحانه **(لزم إخلاله بالواجب)** وهو الأمر والنهي عن المنكر **(لكنه حكيم)** لا يخل بوظيفته وقد طفح الكتاب العزيز بالأمر من ناحيته سبحانه بالمعروف والنهي عن المنكر بما لا حدّ فوقه ولأجل ما في الاشكال المزبور من مؤاخذة واضحة كما أعربنا عن ذلك قال : **(وفي هذا الايراد نظر ، وامّا الدلائل السمعية على وجوبهما)** أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاباً وسنة **(فكثيرة)** جداً .

(المقام الثاني) من المقامين في انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **(هل هما واجبان على الأعيان)** بحيث يكون كل فرد من أفراد المكلفين موظفاً بذلك **(أو)** على **(الكفاية)** بأنّ الوجوب يسقط عن الجميع إذا قام من به تحصل

الكفاية في سد الفراغ المومأ إليه (**فقال الشيخ بالأوّل**) الوجوب العيني (**و**) قال (**السيد بالثاني**) الوجوب الكفائي (**احتج الشيخ**) لمدعاه (**بعموم الوجوب من غير اختصاص بقوله تعالى : كنتم خير أُمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) وهذا خطاب عام (**واحتج السيد**) لمدعاه (**بأنّ المقصود**) لله (**وقوع الواجب وارتفاع القبيح فمن قام به كفى عن الآخر في الامتثال ولقوله تعالى : ولتكن منكم أُمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**) وهذا صريح في انّ المنظور هو البعض لا العموم على انّ الآية التي استدل بها الشيخ بحكم المهملة لا العامة والمهملة بحكم الجزئية فلا تكون الآية التي استدل بها على مدعاه دليلاً قاطعاً .

(**البحث الثاني في شرائط وجوبهما وذكر المصنف هنا**) أي في الباب الحادي عشر (**اربعة**) شروط (**الأوّل علم الآمر والناهي بكون المعروف معروفاً والمنكر منكراً**) أي بأن يكون من أهل التشخيص لذلك (**إذ لولا ذلك**) العلم المشترط (**لأمر بما ليس بمعروف ونهى عما ليس بمنكر**) فيحصل حينئذ خلاف ما أُريد بهذا الباب من نفع ومصلحة (**الثاني**) من الشروط (**كونهما**) أي المعروف والمنكر (**مما يتوقعان**) حصولاً في المستقبل (**فإنّ الأمر بالماضي والنهي عنه عبث**) كما أسلفناه (**والعبث قبيح**) لا يصح ارتكابه (**الثالث**) من الشروط (**تجويز الآمر والناهي تأثير أمره ونهيه**) في المأمور والمنهي (**فإنّه إذا تحقق عنده أو غلب على ظنه عدم ذلك ارتفع الوجوب**) لارتفاع أثره (**الرابع**) من الشروط (**أمن الآمر والناهي من الضرر**) المتوجه من ناحية المأمور والمنهي (**الحاصل بسبب الأمر والنهي امّا اليهما**) أي إلى الآمر والناهي (**أو لأحد من المسلمين فإن غلب عندهما حصول ذلك ارتفع الوجوب أيضاً**) كما يرتفع عند تخلف الشرائط السابقة الذكر (**ويطبان**) أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(**بالقلب**) لمن لا أثر للسانه (**واللسان**) لمن يتمكن من ذلك (**واليد**) لمن يتمكن من ذلك ويرى انّ اللسان وحده لا ينجع (**ولا ينتقل إلى الأصعب مع انجاع الأسهل**) فإذا كان الاعراض وحده مؤثراً كفى عن اللسان بالنسبة إلى اليد.

وهذا آخر ما أردنا تحريره على الباب الحادي عشر وقد جاء بحمد الله وافياً بالغرض جداً فلنحمده على ما أولانا.

❊ ❊ ❊

تنويه وتنبيه:

عزيزي القارىء: كان في ثنايا هذه الموسوعة الجليلة بعضُ قصائد شعريّة للشيخ الوالد المؤلف ﷺ لا ترتبط في بحوث الكتاب، وقد آثرنا ـ إن بقي في العُمر فُسحة ـ أن نجمع ما تيسّر من شعره ونُلم شتاته ونوحد متفرقاته في مجموعة شعرية مستقلة ونفردها بكتاب خاص، وهذا هو السبب لعدم درج ما ثبّته من الشعر في هذا الكتاب، والكتب التي عقدنا العزم على طبعها؛ ومنه تعالى نستمد العون ونسأل التوفيق، وهو من وراء القصد...

ناصر الكرمي

المحتويات

